



في

عصرى صدر الإسلام والدولة الأموية

الجزءُ إياً وَلُ

تأليب الأستاذ

مجمود سيطفى

الطبعة الثانيــة

[بها زيادات كثيرة مع شرح جيع النصوص شرحا لغو يا بلاغيا]

مطبعة مصطفی آبایی کلیی وأولاً دوبصر ۱۳۵۷ م / ۱۹۳۷ م / ۷۳۰ جميع حقوق الطبع والنقل محفوظة

بشرات الخالح ير

مقدمة الطبعة الثانية

الحد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على محمد الذي بعثه الله في تلك الأمة . الأمية ، هاديًا للحقّ وإلى صراط مستقيم ، قاضيًا على العصبية المادمة ، والأوهام الشائنة ، ناشرًا الدّين ولفته في مشارق الأرض ومفاربها ، معجزًا بالقرآن ، متحدّنًا بأحسن بيان .

و بعد: فإنى أستين الله وأسأله السداد فيا أقدمه لقراء العربية عامة ، ولطلبة السنة الثانية من دروس فى تاريخ الأدب السنة الثانية من دروس فى تاريخ الأدب العربى ، تنظم عصرين من أزهى عصوره ، وهما : عصر صدر الإسلام ، وعصر الدولة الأموية ، متيمًا فى ذلك طريقة القصل بينهما ، إذ كانت لكل منات ظاهرة تحمله جديرًا بالاستقلال فى مناحى الحكم .

وكنت قد أخرجت هذا الكتاب منذ خمس سنوات ، وما زلت منذ ذلك الحين أتناوله التنقيح والتحقيق، حتى استطعت بعون الله أن أظهرطبعته هذه على وجه يرضيني. ورجائى إلى الله أن ينفع بهذا النمل ، فإنى لم أود به إلا وجهه ، وكفانى ذلك شرف مقصد م؟

> محمود مصطفى مدرس الأدب فى تخصص المنادة بالجاسة الأزمرية

عصر صدر الإسلام

هو العصر الثانى من عصور اللغة العربية . يبتدئ بقيام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى الإسلام بمكة ، وينتهى بانقضاء أيام الحلافة ، وانتقال الولاية إلى ملك عضوض على يد ملوك بنى أمية سنة (٤١) إحدى وأر بعين من الممجرة النبوية .

ومدة هذا العصر (٣٠) أثلاث وخمسون سنة . فقد مكث رسول الله بمكة يدعو إلى:الإسلام النفى عشرة سنة قبل الهجرة ، وقامت الدولة الأموية سنة ٤١ منها ، فمجموع ما قبل الهجرة وما بعدها إلى قيام هذه الدولة هو ٣٣ بسنة .

و إذ كنت تعرف أن لكلّ عصر عوامل وأسبابًا أثرت فيه ، فتراءت صورتها فى اللغة ، وتعلت فى الفكر والخيال ، فاعلم أن هاتيك الأسباب كانت فى هذا المصر قو ية غالبة ، سالبة واهبة ، فكانت كتائجها واضحة لا خفاء فيها .

العرب بين الجاهلية والإسلام

يسمى المصر من مبعت النبيّ صلى الله عليه وسلم إلى قيام الدولة الأموية « عصر صدر الإسلام » كما يسمى المصر الذي قبله «المصر الجاهل»

والمطلع على أحوال العرب فى قديم أيامهم يعرف أن الطيش والخفة إلى الشر ، والمغتم من الجهل وعدم المعرفة ، وأدل والغزام بالانتقام ، واستباحة الحجارم ، كانت ألصق بهم من الجمل وعدم المعرفة ، وأدل عليهم من الأمية و إهمال التقيف ، انساك اشتق الإسلام لهم تفظ الجاهلية ، من الجهل بمنى الطلب والحفة إلى الشر ، وسمى القرآن ما كانوا فيه حمية الجاهلية ، لأنهم كانوا جهلاء غير حلماء ، وشراراً غير خيار ، ومهاجين غير موادعين .

ولم يكن لفظ يصلح لوصفهم ، وقد بدلوا من الطبيش وقاراً ،، ومن الاستباحة استنكاراً ، ومن الظلم نصفة ، ومن الوثوب جادنة . إلا كلة « إسلام » ، لأنها أخت السلام والمسالمة، وهما ضد الحرب، ومن مستازمات هذا المنى انطاعة والانقياد، حتى جرى الاصطلاح الديني على تعريف الإسلام بأنه الانقياد لأوامر الله وطاعته بأداء مايرضيه.

أثر الإسلام في العقول

ليس أدل على النباء وضعف المقل من عبادة صنم أو وثن (17 لا ينفع ولا يضر " ولا يُحل بينحته اليوم من الصخر ناحته ، أو يتخذه من الممدن صانعه ، ثم يكب في الغد أمامه عابداً مبتهلا ، داعياً عند الملم ، مستشيراً في المهم ، ولم يكن جميع العرب عبدة أوثان ، بل لقد انبثت في سحرائهم هذه جميع أفواع العبادات العروفة في العالم لوقتهم ، ومرجع ذلك إلى أن هؤلاء القوم كانوا يخالطون الأم بالتجارة والرحقة ، وكان كثير من الناس يطرء ون على بلادهم فاتحين أوفار بن من وجه الفالم ، فكل ذلك جمل البلاد مباءة للمجوسية والوثنية واليهودية والنصرانية ، كما أن ديانة إبراهيم عليه الصلاة والسلام كانت لها بقايا وشعائر احتفظ بها قوم من العرب ، وقد جاء في كتاب طبقات الأم ، نصاعد الأندلسي في الكلام عن ديانات العرب ما يأتي :

«وكانت دياناتهم مختلفة، فكانت حير تعبد الشمس، وكنانة القمر، وتميم الدّترانَ ولخم وبجُذام المشترى ، وطيئ سُمهيّلا ، وقيس الشَّفرى التَبُور ، وأسد عُطارداً ، وكانت ثقيف و إياد تعبدان شيئًا بأعلى نخلة يقال له: « اللات »، وكان لحنيفة صنم من حَيْس، ، فلحقهم مجاعة في بعض السنين فأكاوه . قال بعض الشعراء :

> أَكْلَتْ حَنِيفَةُ رَبَّا عَلَمَ التَّفَّقُمِ والجاعةُ لم يَخَذَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ شُوءالْمُوَاقِبِ وَالتَّبَاعَةُ »

⁽١) العمنم: التمثال على صورة إنسان من حجر أو غيره ، والوثن : الحجر النقل من العسمة ، واسمهما العام : الأنساب ، فإن أنخذ المعبود من خشب فهو البيم ، فإن كان من صبغ أو رخام أو عاج ، فهو المدية . . .

كذلك كانوا منمورين بأوهام لاحد لما: من زجر الطاير (١٠) والطَّرْق بالحصى ، والطَّرِق بالحصى ، والحيانة ، والعرافة (١٠) ، إلى الهمامة ، واستهواء الجن ، وتعليق الجلى على الملدوغ (١٠) وأن دم الرئيس يشنى من الكلب والجنون (١٠) ، إلى غير ذلك . فجاء الإسلام قاضيًا على كلَّ هذا ، داعيًا إلى عبادة إلى «لاتدركه الأبصار ، وهو يدرك الأبصار وهواللطيف الخير» ، وقضى على كلَّ هذه الخير» ، وقضى على كلَّ هذه الترسات بدعوتهم إلى النظر في الأسباب وتحكيم العقل .

أثره في الحياة الاجتماعية

كان العرب فى جاهليتهم على أخلاق لا تضمها آصرة واحدة ،ولا بجسمها أصل ثابت ، فحاية للمستمير، واعتداء على الآمن الوادع ، وجود على الضيف ، واستلاب لعامر السبيل . ودفاع عن الحرم ، وانتهاك لها ، وجنون بالعصبية ، ومحاربة لابن المّ ؟

 ⁽١) كانوأ يشاءلون بالسائح ، وهو الذي يخرّ من جهة اليمين ، ويتشامون بالبارح وهو المسارّ من جهة اليسار .

 ⁽۲) قبل هما يمنى واحد ، وهو استطلاع النيب ، وقبل الكهانة استطلاع السنقبل ، والعرافة الاخبار بالمماضى .

⁽٣) يقول الشاعر يصف لدينع حية :

يُسَهِّدُ فِي لَيْلِ التَّمَّامِ سَلِيمُهَا لِخَلْيِ النَّسَاء فى يَدَيْدِ فَعَاقِمُ (٤) فِى الأَوْلُ فِولِ النام :

وَدَاوَيْنَهُ مِنَّا بِهِ مِن جِنَّةٍ دَمَ أَبْنِ كَمَالِ وَالنَّطَامِقُ وَاقِفُ

هذا إلى تعامل مبنى على الغين فى الربا الفاحش ، والقامرة للدُّقية ، والحرّ البيدة . فجاء الإسلام فاستل من هوسهم سخائم الجاهلية ، وأبطل نُمرَتها ، وقضى على السمبية ، فشمل المسلمين إخاه ومودة ، وصاروا بعد التنابذ والقاطع كالبنيان المرصوص يشدّ بسضه بعضاً ، قال تعالى الله على العرب بتأليف قلوبهم : « وَأَدْ كُرُوا إِذْ كُنْمُ أَحْدَاء كَالْفَ يَيْنَ أَحْرِيْكُم " ، مُ مَ قال فى قَلُوبِكُم " ، وقد عمل النبي على محو هذه السوءات الجاهلية ، فشرع للناس التساوى بقول الله : « إِنَّ أَكْرَبُكُم مِنْدُ أَلَّهُ أَنْنَا كُم " » ، وقوله عليه السلاة والسلام : « لَيْسَ لِمَرِّبِيّ عَلَى تَجَبِيّ فَضَل إلا يَالتَّمُوى » ، وقوله : « المُسَسلُونَ تَشَكافاً وَالسلام : مِنْهُ الله المؤون المؤمن المناهائية ، فورله : « المُسَسلُونَ تَشَكافاً بَهُولِه لأبي ذَرِّ وقد عَيْد رجلا بأمه : (إنك أمرؤ فيك جاهلية) ، وقوله فى المخديث بقوله لأبي ذَرِّ وقد عَيْل رجلا بأمه : (إنك أمرؤ فيك جاهلية) ، وقوله فى الحديث المناهيقية ، فوقه فى الحديث المناهيقة ، في المناهيقية ، فوقه فى الحديث المناهيقة ، ويَسْمَبُ لِمَعْمَبِيّة مَا وَيْل عَمْمَبِيّة ، فَوْلَه يَدْمُولُ إِلَى عَصَدِيّة ، فَا وَالْ عَصَدِيّة ، فَا فَا لَمْهُ اللهُ عَلَى المُنْهُ عَلَى المُصَلِقة » .

كذلك أوجب الإسلام مراءاة الحقوق ، وأداء الديون ، ووفاء الكيل ولليزان ، وأثن الضميف ، وأذل العانى ، وحرّام الحر ولليسر . فبطلت الأحاد ، وهدأت ثورة النفوس .

فهل كان لتو"ة غير الإسلام أن تغير ما وطَّده فى النفوس مضى العهد وضرورة البيئة ؟ وهل كان العائش فى الجاهلية يستسيغ فى خياله أن يرى العربى بعد ذلك وهو يساكن الغارسى أو الروى، والعربى فى السلاح، وصاحبه أعزل مغلوب على أمره، ثم هو آمن على قسه وعياله ؟كلا!! ولكنه هُدَى الله يهدى به من يشاه من عباده.

وليس أدلّ على الفرق بين الحالين حال الجاهلية والإسلام مما رواه جغر بن أبي طالب (وكان أحد الذين هاجروا إلى الحبشة) قال للنّبطائيّ وقد سألهم عن حال

⁽١) جهل وضلالة .

المهاجرين إلى بلاده: «كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام، ونأكل الميية، ونأتى القواحش، وتقطع الأرحام، ونسىء المجوار، ويأكل القوى منا الفسيف. فكنا على خلاك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله للوحده ونعبده، وتخطع ماكنا فبيد نحين وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بعمدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف من المحارة والأوشان، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقلف المحصنة، وأسرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة، والزكاة، والسيام، فصدقناه وآمرنا بالصلاة، والزكاة، والسيام، فصدقناه وآمرنا وآمرنا به سنة »

أثره في اللغة

لسنا فى مقام الادلاء بكل ما أحدثه الإسلام من أثر فى اللغة العربية فإننا سنوزع الكلام على ذلك فى أبواب الشعر والنثر والخطابة . ولكنا بصدد تصوير عام لهذا الأثر يشمل فى إجاله هذا الروح الذى سرى فى مناحى العربية حتى أبرزها فى ثوب تخالف به ماكانت عليه فى عهدها السابق .

ولست أهزو ما حدث للغة من التغيير إلا إلى شى، واحسد هو القرآن الكريم وحديث التبقي، لأن العرب إلى بدء العولة الأهوية لم يكونوا اختلطوا بأهل البلاد للفتوحة، من فرس وروم ، ذلك الاختلاط الذى يظهر أثره فى لقهم ، فالعرب ما زالوا إلى آخر هذا العصر جنوداً يحملون سلاحم ، ويتنقلون من شرق إلى غرب ، ومن شمال إلى جنوب ، لا يستقر" هم فى الأغلب الشائع موايطون فى حصوبهم، لا يخالط جمهورهم أهل البلاد التى يحلون بها .

و إلى عهد عثمان لم يكن أولاد السبايا قد بلنوا الحُلُم ، ولم يكن الأعاجم قد قرءوا القرآن . ثم إن العرب كانوا منصرفين عن زخرف للدنية ، لجدّة الإسلام في فوسهم وغلبة التقوى على مشاعرهم ، فهم غير جديرين أن يتأثروا بمــا رأوا من خال الفرس والزوم ، لأنهم عنها مشغولون .

فكل ما حدث الغة فإيما مرجه إلى القرآن الكريم وحديث النبي ، ومظهر ذلك استواه الحجة ، ووضوح المحبة ، وهر الحوثق ، والسلول عن سجع الكهان مع الزراية عليه ، والتوسع في أساليب الوعد والوعيد ، والترغيب والترهيب ، والتحسين والثمبيح في وصف الجنة والنار ، والإكثار من سوّق الحكمة ، وضرب المثل ، والاستشهاد بأحوال السابقين ، والأحد في الحطاب ، ولطف الكناية ، وحسن البده والختام ، وتمام الربط ، وتجنب الإملال في الحديث الماد .

ولما كانت الأسباب التي بحبت هذا المصر قوية غالبة أحدثت زيادة فى مادة اللهة بألفاظ نشأت ولم يكن العرب يعرفونها ، وأخرى عرفت بمعان فجلت لها أخرى ، فن ذلك: الصلاة ، والعميام ، والزكاة ، والركوع ، والسجود ، وللؤمن ، والكافر ، والفاسق ، وللنافق ، فقد كانت الصلاة فى لغة الجاهلية مطلق الدعاء ، وكان الركوع ظأظأة الرأس ، ولا يغرقون بين الركوع والسجود ، والعميام كان معناه الإمساك مطلقا ، والحج لم يعرف إلا بمنى القصد . ثم زادت الشريعة فى كل ذلك ما هو معروف له من المعانى فى أبواب الفقه . ومثل ذلك هذه المصطلحات : الايلاء ، النظم ، المددة ، الحضائة ، العنقة ، المعتق ، الفتيط ، الآتي ، الوديعة ، العارية ، الشفية .

أما المؤمن فقد كان معروفاً من الإيمان وهو التصديق ، وكذلك الإسلام كان معناه تسليم الشيء ، والكفر لم يفهموه إلا بمنى التفطية والستر ، والمنافق لفظ اشتقه الإسلام لمن أبطن خلاف ما يظهر ، أخذوه من نافقاء اليربوع (جحره) ، كما اشتموا لفظ فاسق من فسقت الرطبة إذا خرجت من قشرتها ، ثم عرفت كل هذه الألفاظ في الإسلام بالمانى التى تعرفها لما . وكذلك لفظ « الجاهلية » لم يكن معروفا عنده ، ثم أحدثه الإسلام للزمن الذي كان قبل بشة النبي . ويقولون إن أبا بكر الصديق هو أول من أطلق لفظ «مصحف» على القرآن ، بعد أن جم في الأوراق على عهده .

نمم إن مثل هــذا النقل بطريق المجازكان حاصلا فى المصر الجاهلى ، لأنه من عوامل نموّ اللغة ، لكنه لم ينقل إلينا فيا نقل من تاريخ الجاهلية ما يدلنا على الزمن الذى انتقلت فيه ألفاظ من معانيها الحقيقية إلى الحجازية ، ولا نسبة ذلك إلى من أحدثه من رجالهم ، اللهم إلا ما قيل من أن امرأ القيس أول من شبه للرأة بالبيضة فى قوله :

وَبَيْشَةِ خِدْرٍ لاَ بُرَامُ خِبَاؤُهَا ۚ كَمَتَنْتُ مِنْ لَمْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْمَلِ

وأن النابغة أوّل من سمى الأرض التى لم تحفر قط ولم تحرث إذا فعل بها ذلك «مظارمة» ، فنبعه العرب في هذا . ﴿ ذَكَرَ ذَلَكَ الْجَاحْظُ فِي كَتَابِهِ الْحَيُوانُ^(١) » .

. وهناك ألفاظ أبطل الإسلام مسميلتها فبطلت تبعًا لهـا ، أو هدل عنها لدلالتها على ما أبضه من أمور الجاهلية ، أو أبدل بها غيرها يمما يناسب ماجاء به الإسلام من خير .

وبما أبطله الإسلام فبطلت ألفاظه قولهم : للرواع والنشيطة والفضُول . فالمراع كان عندهم ربع الفنيية ، وهو نصيب الرئيس في الحرب ، وقد أبطل الإسلام ذلك، فيمل الحنس لله ولرسوله . قال الله تعالى : « وَأَعْلَوْا أَكُما عَيْشُمُ مِنْ شَيْء فَأَنَّ للله خُسلة وَلِيسُول وَلَاتِي اللهُ عَيْنِ وَأَبْنِ السَّيمِل » ؛ والنشيطة من النيمة ما أصابه الجيش في الطريق ، قبل أن يصل إلى قصده ، وكان الرئيس مع الربع؛ والقضول ما فضل من القسمة ، مما لا يمكن تقسيمه ، كأسير أو سيف ، قال عبد الله ابن عتمة يضاطب بشطائم بن قيش :

لَكَ لَلْرِ آَيَاعُ مِنْهَا وَالصَّــفَايَا وَحُسَكُمُكَ وَالنَّشِيطَةُ وَالْفُسُولُ^(٢) وبمـا أبغنه الإسلام فــاتت ألفاظه قولهم فى مخاطبة العظيم : (أَبَيْتَ اللَّمْنَ) ، وقول العبد لسيده : (يَارَبِّ) ، وقولهم للذي لم يحج ، أو لم ينزوَّج تبتَّلًا : (صَرُورَةَ) ،

⁽۱) ص ۱۳۱ ج.۱ -

 ⁽٧) الصفايا : جع صبق ، وهو ما كان يصطعه الرئيس نفسه من الغنيمة بأخذه قبل اللسمة ،
 وقد اصطفى رسول الله ثم بطل بعده الاصطفاء ضات لعظه .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لاَ صَرَّورَةَ فَى الْإِشْلَامِ » ؛ ومنه أيضًا قولهم : « حِبْرًا تَحْبُورًا » ، وله معنيان ردّ السائل بالخيبة ، أو التعوّدُ من محوف ، وتفسيره : حرام محرم .

وبمـا أبدل به الإسلام غيره قولهم : عِم أو أُنْسِمْ صباحًا ، وعم أو أَنْـم مَساء ، فقد استعمل بدلهــا السلام والرحمة .

القرآن الكريم

«ذلك الكتاب، لا ريب فيه هدى للمنتمين». أنزله الله على نبيه ، ليكون برهان نبوسم، ودليل رسالته ، وشرع به سياسة الدين والدنيا ، وضمن السمادة لمن اتبع سبيله، واهتدى بنوره . حكم بالنة ، وأمثال بمجامع القلوب آخذة، وحجة تخرس للنطيق، وتأخذ على الباطل الطريق . قد صاغ من تلك الأمة المفككة الثرى ، القطوعة الأواصر شعباً يجتمع على كلة واحدة ، فيغير من نفسه ومن نفوس الشعوب الأخرى مالم تقوعلى تشييره الأيام ، ولم تطمع في تحقيقه الأحلام .

وذلك هو القرآن الذى عبد به الله فى كلّ مكان ، وذل له كلّ سلطان ، ودلك له كلّ سلطان ، وحار بت باسمه الجيوش ، وثلت به أقوى العروش . وهو القرآن الذى يتفير كل شىء وهو محفوظ ، وتدرس كلّ شريعة وشريعته قائمة العشرى والأعلام ، ولا تزال الأيام تمدّ نا بالحجة على أنه «لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلقه، تذيل من حكيم حميد».

نزوله

وقد نزل القرآن إُعلى محمد عليه الصلاة والسلام ، جاءه به الروح الأمين ، منجماً بحسب الحوادث والمقتضيات ، فاستشرق نزوله بضاً وعشرين سنة بين مكة وللدينة ، وكان أكثر ما نزل منه بمكة ، نزل بها ثنتان وتسعون سورة ، ونزل بالمدينة اثنتان وعسون سورة ، ونزل بالمدينة اثنتان وعشرون (تبلغ ثلث القرآن) ، وهى : البقرة ، وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والخوبة ، والنور ، والأحزاب ، والقتال ، والفتح ، والحجرات ، والحديد ، والحجادلة ، والحشر ، والمتحنة ، والسف ، والجمة ، والمناققون ، والتنابن ، والسلاق ، والتحريم ، والعصر ، وماعدا ذلك فهو مكى .

ومع ذلك فالاختلاف فى عد السورة مكية أو مدنية كثير جدًا ، حتى إن الجميع عليه من ذلك قليل ، فالرعد مختلف فيها ، وكذلك القاتحة ، و إن كان الأكثر أنها مكية ، ومما اختلف فيه أيضاً تحديد معنى للكى وللدنى ، وأحسن الآراء أن المكى مانزل قبل الهجوة ، وللدنى مانزل قبدها، سواء أكان بمكة أم اللدينة ، وتسمى السورة مكية إذا كان معظم آياتها قد نزل بمكة ، مثل الأنهام تعد مكية ، ومنها ثلاث آيات مدنية تبتدى " بقوله تمالى : « قال تمانوا أثل ... » الآيات . ومثل سورة الشعراء تعد مكية ، مع أن بها خس آيات مدنية ، تبتدى " من قوله تمالى : « والشُمّرا له يَدَّيشُهُمُ الذَي وَلله تمالى : « وقيل فى التفرقة التقريبية بين للكى وللدنى : إن كل مابدى " بقوله تمالى : « يأثيهًا الذين آمنوا » ، فهو هكى ، وما بدى " بقوله تمالى : « يأثيهًا الذين آمنوا » ، فهو مكى ، وما بدى " بقوله تمالى : « يأثيهًا الذين آمنوا » ، فهو مكى ، وما بدى " بقوله تمالى : « يأثيهًا الذين آمنوا » ، فهو مكى ، وما بدى " بقوله تمالى : « يأثيهًا الذين . أمنوا » ، فهو مكى ، وما بدى " بقوله تمالى : « يأثيهًا الذين . أمنوا » ، فهو مكى ، وما بدى " بقوله تمالى : « يأثيهًا الذين . أمنوا » ، فهو مكى ، وما بدى " بقوله تمالى : « يأثيهًا الذين . وكل " سورة فيها ذكر المنافقين فهى مدنية إلا المنكبوت .

والآيات المكية فى النالبكانت فى التوحيد ، وذمّ الأوثان ، والزراية على عبادتها ، والتوسل بها ، وفى إثبات يوم آخر ، والترغيب فى ثوابه ، والتخويف من عقابه ، وما يتبع ذلك من وصف الجنة والنار واليزان والصراط والحشر .

كذلك تشمل الآيات المسكية قصص الأنبياء لتكون ساوة النبيّ فى وقت عزّ فيه الناصر، واشتد الأذى، وضاق الذرع. وفى مكة نزلت بعض الآيات فى بيان الآداب النه لا غنى للمرء عنها فى حياته واتصاله بماشريه، كالمفو فى قوله تعالى: « فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ » ، وكالمسللة فى قوله تعالى: « خُذِ الْتَفْوَ، وَأَمُرُ بِإَ لَمْرُفِ ، وَأَصْلَحَ مَا أَجُوهُمُ عَنِ الْجُلُولِيَ ، وَكَالمُ اللهِ فَى قوله تعالى: « خُذِ الْتَفْوَ، وَأَمُرُ بِإَ لَمْرُفِ ، وَأَصْرَحَ مَنْ الْجُلُمِلِينَ » ، وكبر الوالدين فى قوله : « وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَ تَشْهُوا إِلاَّ إِنَّاهُ

وَ بِالْوَاللَّذِيْنِ إِحْسَانًا . . » الآيات . وآخر ما نزل بمكة الإذن للنبيّ بالقتال حين صار مستطيعاً له ، بعد تعهد أهل المدينة بنصره .

و إن التالى للآيات المسكية ليجد فيها شدة وأسرًا لا يجدها في الآيات المدنية ، ذلك لأن النبيّ كان بحكة مضطهداً ، قليل الناصر ، فكان بحاجة إلى ما يشد عضده ، و ير بط على قلبه ، فجسل الله له فى قوت التبليغ ما يجسله يؤمن كلّ الإيمان بفوز حقه على باطلهم ، وقهر دينه لوثنيتهم . ومن أمثلة هذه الآيات قوله تعالى : « إنَّا لَنتُصُرُ رُسُلنا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ اللَّذِيْ وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ » ، وقوله : « وَلَتَقَلَمُنَّ نَبَأَهُ بَهَدُ حِينٍ » ، وقوله : « فَأَ سُرِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقَّ وَلاَ يَسْتَضِفَّنَكَ ٱلَّذِينَ لاَ يُوقِئُونَ » ، وقوله : « قَلْ رَبِّ إِنَّا تُمِيرً إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقَّ وَلاَ يَسْتَضِفَّنَكَ ٱلَّذِينَ لاَ يُوقِئُونَ » ،

وأما الآيات المدنية فقد كانت فى قص حوادث النزوات واستخلاص العبرة منها للسلمين كما كانت فى بيان السبادات والمعاملات من صلاة الجمعة ، (وقد شرعت السلاة العامة بحكة) ، وصلاة الحلوف ، والصيام ، والحج ، والزواج ، والتنبيه على آداب اجتماعية كآداب الاستئذان ، ورد التجية ، والنهى عن إبداء الزينة ، إلى غيرها من الآداب التي لا يصلح الاجتماع بدونها .

جمع القرآن وترتيبه

كان الوجى ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالآيات من القرآن إرشاداً المسلمين في أس من أمور دينهم ، أو تجلية لنامض من شئونهم ، أو إجابة لسائل ، أو بشرى بنصر ، أو تعزيراً لمقصر ، أو صفعاً عن مذنب ، أو فضيحة لمنافق ، أو براءة لمنهم ، إلى غير ذلك من أغراضه الشريفة . فإذا كان النبي بين أصحابه تلا عليهم ما نزل عليه لساعته ، و إذا نزل عليه في غير محضر القوم خرج إليهم فتلقنوه منه ، من يويه عليه السلاة والسلام باللهجات المختلقة ، ليسهل على كل تلاوته .

وذلك سبب الاختلاف في قراءاته ، على درجات في قو"ة السند وضعفه ، وكان حول التي كثير يبلتون نيفاً وأربعين من الصحابة ، الذين كانوا يعرفون الكتابة منذ الجاهلية ، أو من أبنائهم الذين تسلوها بعد غزوة بلد ، حين قبل النبي من الأسير الكاتب أن يفتدى نفسه بتعليم عشرة من أولاد للسلمين ، وكان من كتاب النبي : على ، وعماوية ، وعمان ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزير ، وسميد بن الماص ، وعبد الرحن بن الحرث وغيره ، فكانوا يكتبون ما نزل من الآيات في عُسُب النخل أو اللهخاف ⁽¹⁾ ، أو الأكتاف ، أوقعلم الخرف ، أو الجلود ، والنبي يرشدهم إلى موضع الآية من السورة ، فقد ورد في صميح البخارى : أن جبريل عليه السلام كان يساوش ⁽⁷⁾ الذي "باتران ، وقد عارضه به في السنة التي توفي فيها مرتبين .

جع الآیات وترتیبها فی السور متفق علی أنه كان أیام النبی ، بتوقیف من جبریل علیه السلام، بدلیل أن النبی كان يقرأ سوراً كاملة ، كالبقرة وآل عران والنساء ، وف البخاری : أنه قرأ الأعراف فی للنرب ، و (قد أفلح للؤمنون) فی الصبح ، و (هل أتی) فی صبح الجمه أو خطبتها .

أما ترتيب السور على ماهى عليه فى المصحف ، فقد اختلفوا فيه : أكان فى أيام النبى "، أم حصل باجتهاد الصحابة حين جمع القرآن ، ماعدا السبع الطوال ، وآل حاميم فإنها كانت مرتبة على أيام النبى "؟

ومات النبي والقرآن مكتوب ومحفوظ فى الصدور ، ولكنه لم يكن مجموعاً فى مكان واجد ، إذ كان الصحابة يتنافسون فى اقتناء ما يصلون إليه منه ، وينسخون لأقسهم سوراً وآيات ، وكان ولاة الأمور مطمئنين لشدة عناية الصحابة بحفظ القرآن ومدارسته ، ولكن لما قتل من حفظته سبعون فى وقعة اليامة بين المسلمين ومسيلمة للتنبى، خيف أن يستحر القتل فى سائر المواطن ، فيذهب كثير من القرآن بذهاب حفاظه فرع إلى أبى بكر فى شأن القرآن ، فاتعق الرأى على جمه فى محف ، وصياتها عامن ، فرعة عن ، وصياتها عامن ،

⁽١) جبارة بيس رئاتي : واحدها لحمة (بالفتح فالسكون) .

 ⁽۲) بطوه عليه مرتباً ليتاو مثل تااوته .

(وسمى أبو بكر مجموعه مصحفًا) ، وبقيت هذه الصحف عند أبى بكر مدة حياته ، ثم صارت إلى عمر مدة خلافته ، وبقيت بعدها عند ابنته تخصّة .

وفى أيام عنمان لما اتسعت الفتوح، وتباعدت للواطن، واختلقت القراءات، خيف أن تحدث الفتنة من تخطئة القراء بضهم لبعض (¹⁷، فرأى عنمان دَرَّها لهذا الشرَّ أن يكتب عدَّة نسخ من للصحف، ووكل ذلك إلى أربعة من الصحابة، وهم: عبد الله ابن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن الحرث، وزيد بن ثابت، الذي يقال إنه شهد المرضة الأخيرة للقرآن، قبل وفاة النبيّ . وهو الذي وكل إليه أبو بكر جع القرآن في الصحف أوّلا.

كتب عبّان من الصاحف ستة ، أرسل منها أربعة إلى الكوفة والبصرة ومكة والشام ، وأيتى واحداً لأهل المدينة ، وآخر لنفسه ، وهو الذي كان يقرأ فيه حين قتل.

وسمى عثمان مصحفه إماماً ، لأنه قام خطيباً قتال : أتم عندى تختلفون وتلحنون ، فمن نأى عنى من الأمصار أشد " اختلاقًا وأشد " لحناً ، فاجتمعوا يا أسحاب محمد، فا كتبواً للناس إماماً .

ثم أمر عثمان بجمع ما كان قبل ذلك فى الصحف و إحراقه ، وقد اقتصر فى كتابة المصاحف على لغة قريش ، لنزول القرآن بها .

والناس يسمون عمل عنمان رضى الله عنه جماً للقرآن ، فعلى ذلك يكون القرآن الجمان : أحدهما على أيام أبى بكر ، والثانى على أيام عنها ، فاسمع فى العرق بيب الجمين قول الإمام السيوطي فى الإتقان : « الفرق بين جمع أبى بكر وبين جمع عنمان ، أن جم أبى بكر كان خشسية أن يذهب من القرآن شىء بذهاب حملته ، لأنه لم يكن مجوعاً فى موضع واحد ، فجمعه فى صحائف مرتباً لآيات سوره ، على ما وقفهم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجمع عنمان لما كثر الاختلاف فى وجوه القراءات سين

 ⁽١) حضر حذيمة بن الإسان هزوة أرمينية وأدريبيان، قرأى.ق سساره المتلاقاً بين المسلمية في الهرآن حين صمح أحدثم يتول للآخر : قراءتى خدير من قراءتك ، فلما رجع للحديث أغمر عبان بسوء العاقبة إذا لم يتلاف هذا الأمر.

قرموه بلغانهم على اتساع اللغات ، فأدّى ذلك بعضهم إلى تخطئة بعض ، فحشى من تقاقم الأمر فى ذلك ، فنسخ تلك الصحف فى مصحف واحد مرتباً لسوره ، واقتضر من سائر اللغات على لغة قريش، محجا بأنه نزل بلغتهم »

قراءات القرآن

للمروف الآن للقرآن أربع عشرة قراءة : سبع منها مروية بالتواتر ، وبنمية المشر آحاد ، وما عداها شاذً . وقد كانت هناك قراءات أكثر من ذلك لم تدوّن و إن كان قراؤها من السحابة .

و إنماكان تمدّد القراءات رحمة من الله للمرب ، فإن فيهم الشيخ الذى لايستقيم السانه إلا بلهجته ، فتحويله عنها و إرادته على غيرها مشقة لم يردها الله بهم ، لذلك قبل إن جديل تزل على النبيّ بالقراءات المختلفة ، فكان النبيّ يقرئ كلاً بلهجته ، فيمد بقد الألف أو الألفين أو الثلاثة لمن لثته كذلك ، ويفخم و يرقق ويُميل ويُشمّ لمن تتضى لفته ذلك، وكل هذا بلغة قريش ومن حولها ، لا يتمدّاها إلى غيرها ، لأن الموب كانت قد سبقت، فأجمت على لغة قريش قبيل الإسلام ، وخطب بها الخطباء ، وأشد الشمراء .

واللفات التى نزل بها الترآن غير لفة قريش هى لنة بنى سعد، وثقيف، وخُزاعة، وهُذَيل، وحُزاعة، وهُذيل، وحُزاعة، وهُذيل، وحُزاعة، وهُذيل، وحَنافها، وهم يسكنون وسط الجزيرة وقد اختلف الطفاء فى معنى قوله عليه الصلاة والسلام: « نَزَلَ التُوْآنُ عَلَى سَبْمَةٍ أَخُرُفٍ، وكُلَّهَ شَافِ كَافِي » اختلاقاً كبيراً جدًا ، حتى لقد عد السيوطى فى الإثقان أرسين رأيا فى كلة أحوف، وقد رجح الرحوم فضيلة الشيخ محد بخيت المطيعى أن للراد من الأحرف السبعة «أنها أوجه سبعة ترجع إلى كينية النطق بألفاظ القرآن، وتختلف بسبها تأدية تلك الألفاظ، وقد بني ترجيحه لهذا للراد على مارواه من

الأسباب التي دعت إلى نطق رسول الله بهذا الحديث ، فهى لا شك تحدّد معنى كلة حرف ، وقد روى تلك الأسباب من طرق عدّة ، منها أن حمر سمع هشام بن حكم يقرأ سورة الفرقان ، فإذا هو يقرأ على حروف لم يتلقنها عمر من رسول الله ، قال فكدت أساوره في الصلاة ، وتصبرت حتى سلم ، فليقه بردائه ، وانطلقت به أقوده إلى رسول الله ، فسمع منى ، وسمع منه ، وقال لكلّ منا: كذلك أنزلت ، « إنّ هذا القُرْآنَ رسول الله ، فسمع منى ، وسمع منه ، وقال لكلّ منا: كذلك أنزلت ، « إنّ هذا القُرْآنَ

وابن قتيبة يمدد هذه الأحرف السبمة ، فيقول :

الم تشغير حركته ولا يزول معناه ، ولا صورته ، نحو : « وَلاَ يُعْمَارُ كَانْبِ »
 (بفتح الراء وضمها) .

ما يتغير فيه الفعل، مثل: بَمُد وَبَاعِد ، بلبظ الماضى والطلب.

٣ – ما يتغير بالنقط ، مثل: نُنْشِرُهَا وَنُنْشِرِهَا .

﴾ -- ما يتنير بإيدال حرف قريب المخرج ، مثل : طَلَح وَطَلَمْرٍ.

ما ينغير بالتقديم والتأخير ، مثل : وَجَاءَتْ سَكْرَةُ اللَوْتِ بِأَ لَحَقِّ وَسَكْرَةُ
 الحَقِّ بْأَلُوْت .

إلى مايتغير بزيادة وقلصان ، مثل: «والذكر والأننى» ، «وَتَاخَلَق الذّ كَرَوَالْأَتْنى»
 إلى مايتغير بإيدال كلة بأخرى ، مثل : كالمين المنفوش ، و «كالعشوف المنفوس».

ولما كثرت وجوه الاختلاف فى القراءة أيام عنمان رضى الله عنه وخشى الفتنة ، جمع الناس على مصحفه ، ولوحظ فى كتابته أن يجمع ما اشتهر مر نشات القراءة ، فكتبوا الصراط مثلا فى قوله تعالى : « أهدنا الشراط السُّتقيم » (بالصاد) المبدلة من السين التى هى الأصل ، لتكون قراءة السين (السراط) وإن خالفت الرسم قد أتت على الأصل الفنوى للمروف فيعتدلان ، وكتبوا الصلاة (الصارة) لتقبل الضعيم للام وهو بعض القراءات ، وكتبوا : (إِنَّ رَحْمَتَ أَلَّهِ قَرِيبٌ مِنَ المُعْسِينِينَ) ليدلوا على اللغة التي لا نبدل الهماء من تاء التأنيث ، وهكذا .

أما الفرّاء السبعة ، فهم : نافع بن أبى نُسَمٍ ، وعبد الله بن كَثِيرِ ، وأبو عمرو بن العلاء ، وعبد الله بن عاص ، وعاصم بن بَهَدَلة الأُسَّدى ، وحزة بن حَبِيب الزيات ، وعلى بن عمر الكسائى .

بلاغة القرآن

لا خلاف بين أهل العلم وهندة الكلام فى أن القرآن لا يدانيه فى بلاغته كلام عربي مهما ارتقت درجته ، وعلت ذروته ، ولكنهم اختلفوا ، فقيل : كل آياته بمثابة واحدة من التناهى فى البلاغة ، وأن ما يبدو لنا من التفاوت برجم إلى اختلاف الحس"، وقيل : بل تتفاوت مراتب آياته بين القصيح والأفصح ، ليكون فى مظهره مشبها كلام الناس ، وإلا ما صح التحدى به . ورد عليه بأنهم لو شعروا بدئوة من مرتبة كلامهم لحلولوا معارضته ، ولكنهم لم يفعلوا ، فثبت أن سموه على كلام العرب ليس بقدر معتاد، فو لذلك معجز .

والكثير الفالب من أهل العلم اليوم إنما يدركون بلاغة القرآن بالتوقيف ، واتباع الرا السلف فى تعرّف وجوه الكال فيه ، لأن لمرفة ذلك وسائل لا تتمّ لنا : أولها السليقة والطبع القوى : وأين نحن من الوليد بن المفيرة الذى جمع من النبي قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللهِ مَنْ اللهِ عَنْ اللهِ اللهِ عَنْ اللهِ اللهِ عَنْ اللهِ اللهِ

وأين نحن من ذلك الأعرابي الذي سمع قارئًا يقرأ : « قَاصْدَعْ بِمَنَا تُوثَمَرُ » ، فسجد وقال: سجدت لفصاحته ، ومن الآخر الذي سمع : « فَلَمَنَّا أَسْتَيَأْسُوا مِنْهُ خَلَفُمُوا نَجِيًّا » ، قتال: أشهد أن محلوقاً لا يقدر على مثل هذا الكلام. وجديث إسلام عمر ، (وكان من أشد الكفار على المنتج وروجها وهما يقرمان سورة طه ، من أشد الكفار على النبي لساعته فأسلم . وإن كلاما يلين قسوة كقسوة عمر في كفره (وقد ضلق به النبي ذرعاً) لا عهد الناس بثله في شدة التأثير، وإذا أردنا أن نحد وجوه البلاغة في القرآن ، فإننا لا تتجاوز ما قاله عبد القاهم الجرجاني في دلائل الإيجاز: إن المزية هي لتأليف الكلام ، وضم بسض أجزائه إلى بعض ، وتخير كلاته ، وحسن مقاطمه ، مراعي في ذلك كل مقتضيات الأحوال .

و إذا أضفنا إلى ذلك جلال النرض ، وسمو المانى ، وصفاء الحكمة ، وتمـام مطابقة المثل، علمنا أنالقرآن جم الحسن من أقطاره ، فصار نسيج وحده في البلاغة .

حكم القرآن وأمثاله

هذا إلى الأمثال المضروبة التي لا ترى كوقعها وحسن انطباقها مثل قوله تعالى : ﴿ يِنَّاتُهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَتُبْعِلُوا صَدَفَا تِكُمْ إِلَّنَّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ زِنَّاء النَّاسِ وَلاَ يُؤْمِنُ يَاقَةٍ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَشَلَهُ كَمَثَلِ صَمْوَانِ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلَّدًا لاَ يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٌ مِنَّا كَسَبُوا وَأَللُهُ لا يَهْدِي الْفَوْمَ الْكَافِرِينَ. وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنْفَوُنَ أَمْوَاكُمُمُ ٱبْتِفَاءَ مَرْضَاتِ أَلَٰهِ وَتَثْبِينًا مِنْ أَنْسُبِمْ كَمَثَلَ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلُ فَاتَتَ أَكُلُهَا صِنْفَيْنِ ، فَإِنْ لَمْ يُسِبْهَا وَابِلُ فَطَلُ وَأَقُهُ بَمَا تَشْتُلُونَ بَعِيدٌ » ، وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءَ أَنْزَ لَنَاهُ مِنَ السَّمَاءَ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضَ فَأَصْبَحَ هَشِيًّا تَذْرُوهُ الرَّيَاحُ وَكَانَ أَقْنُهُ عَلَى كُلِّ شَيْء مُفْتَدِرًا ﴾ وقوله : « أَلَمْ تَرَّ كَيْنَ مَرَبَ اللهُ مَثَلًا كَلِيَةً كَيْبَةً كَشَعَرَةٍ مَلَيْبَةٍ أَطْلُهَا ثَابِتُ وَفَرْهُمَا فِي السَّاء تُوانِي أَكُلُهَا كُلَّ حِينِ إِذْنِ رَبًّا وَيَشْرِبُ أَللهُ الْأَمْثَالَ الِنَّاسِ لَمَلَّهُمْ يَقَذَ كُرُونَ وَمَثَلُ كَلِيَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ أَجْتُشُّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَمَا مِنْ قَرَارِ » ، وقوله : « يَأَتُهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ ۖ فَاسْتَنْهُوا لَهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ أَلَٰهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْمَعَتُوا لَهُ ۚ وَإِنْ يَسْلَجُهُمُ ٱلذَّبَابُ شَيْعًا لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَمُفَ الطَّالِبُ وَللْطَلُّوبُ » ، وقوله : « يُأْيُمِ ٱلَّذِينَ آمَنُوا ٱجْتَنِبُوا كَثَيرًا مِنَ الظَّنّ إِنَّ بَيْضَ الظَّنَّ إِنْمُ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَفْتَتْ بَعَضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُم ۚ أَنْ يَأْكُلَ كُمَّ أَخِنِهِ مَنْيَاً فَكُرَ هُتُمُوهُ ﴾ .

الايجاز فى القرآن

إن الإيجاز في الكلام من أدقّ مسائله ، وبه يتفاضل البلناء وفيه يتنافسون ، والتزان فيه الناية التي لا تلحق ، شأنه في جميع مناحي إلقول . فن ذلك قوله تعالى: « إِنَّ اَلَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا أَلَلْهُ ثُمُّ اَسْتَقَامُوا ... » ، فاستقاموا كلمة واحدة تفصيح عن

الظاعات كلها في الائتمـار والاتزجار، ولو أن إنسانا عَبَدَ اللهُ مائة سنة ثم سرق حُبّة واحدة لخرج بسرقتها عن حد الاستقامة . ومنه قوله تعالى : ﴿ لَا خَوْفُ عَلَيْهُمْ وَلاَ مُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ ، فقد أدرج فيه ذكركلٌ محبوب ، وزوالكلُّ مكروه ، ولا شيء أضرًّ بالإنسان من الخوف والحزن ، لأن الحزن يتولد من مكروه ماض أو حاضر ، والخوف يتولد من مكروه مستقبل ، وليس بعد ذلك من أنواع المكروه شيء ، ومنه : «أولئك لَمُمُ الْأَمْنُ وَمُمْ مُهْتَدُونَ » ، فالأمن كلة واحدة تنبيُّ عن خلوص سرورهم من الشوائب، لأن الأمن هو السلامة من الخوف، و إذا قالوا الأمن بالإطلاق ارتفع الخوف غَهُم ، ومنه قولُه تمالى : «أَوْقُوا بِٱلْمُقُودِ » ، فيما كلتان جمعًا ما عقده الله على نهسه لخلقه، وما تعاقده الناس فيا بينهم. وقوله تعالى: « وَفِيهَا مَا تَشْتَهِمِهِ الْأَنْفُسُ، وَتَلَدُّ الْأَمْيَنُ » ، فلم يبق مفزع لأحد إلا تضمنته هاتان الكلمتان ، وقوله تعالى: « وَالْفُلْكِ اَّلِي تَجُرِي فِي الْبَعْرِ بِمَا كَيْنْفَعُ النَّاسَ » ، فهذه الكلمات تجمع من أصناف التجارات وأنواع المرافق في ركوب السفن ما لايبلغه الإحصاء ، ومنه قوله تعالى : « فَأَصْدَعْ بِمَا تُوْتَرُ ﴾ اشتملت على شرائط الرسالة وشرائعها وأحكامها وحلالها وحرامها ، مع القوَّة في الأمر بقوله . اصدع ، ومايشمره لفظ الصدع من الأثر الشديد الذي يحدثه النبي في هوس العرب عند التبليغ . ومنه قوله تعالى فى وصف خمر الجنة : « لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ رُنْزُوْنَ » ، فيما كلتان قد أتنا على جميع معايب الجر ، ويشمل قوله : ولا يُنزِفون عدم المقل ، وذهاب المال ، ونفاد الشراب ، ومنه قوله تمالى : «وَلَـكُمْ فِي الْقِصَاص حَيَاةٌ» ، وقد كان للمرب كلة يسجبون بها و يعدونها من أوابد كلامهم ، وهي قولهم : «التتلأ نغي التتل»، فلما نزلت آية القرآن تضاءلت أمامها حكمة العرب، وظهر فيها ضعف الحَلوق أمام جبروت الخالق، فإن الآية كلتان ، وهما القصاص حياة، وكلة العربأر بم، والآية برئت من التكرار الحاصل في كلة العرب ، وفي الآية ترغيب في القصاص بذكر الحياة المحبوبة وجلها نتيجة له ، وفي الآية إظهار للمدل بذكركلة القصاص

وأن القتل ليس تشنيا ، وفي الآية تنكيز لكلة الحياة وهو للتمظيم ، والحكمة خطأ إذ ليس كل قعل أفتي للقتل فإن ذلك يشمل الاعتداء والذي ينفي القتل هو القصاص . . . ومن أمثلة الإيجاز في القرآن قوله تعالى « فَلَنَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَمُوا نَجِيًّا » أبانت الآية عن اعتزالهم للناس وتقليبهم الآراء فهرا لبطن ، وأخذهم في تزوير ما يقون به أباهم عند عودتهم وما يو ردون عليه من ذكر الحادث . ومنه قوله تعالى « وَإِمَّا تَعَافَقَ مِنْ مِنْ قَوْمِهِ غيّانَةً قَانْمِنْ إليهم عَلَى سَواه » ولا يستطيع بليغ مها بلغ من قوة البيان أن يعبر عن هذا المنى بهذه الألفاظ ، حتى يصل مقطوعها ويبسط مجوعها ويظهر مستورها ، فيقول : إن كان بينك وبين قوم هدنة فحقت منهم خيانة أو تشفا ، فأعلهم أنك تنفست ماشرطت لهم وآذنهم بالحرب، لتكون أنت وهم في العلم بالنقض سواه . ومنه قوله تعالى : لأن في الدفو صلة القاطين ، والصفح عن الظالمين ، جم فيه جميع مكارم الأخلاق ؛ من كل قبيح ، لأنه لا يجوز أن يأمر بالمروف وهو ملابس هيئًا من المذكر . وفي الإمراض عن الجاهاين الصبر والحلم ، وتنزيه النفس عن مقابلة السفيه بما يُوتِينَهُ من الهنر، ، ويسقط القدرة .

الكنايات في القرآن

ومقام الكتابية فى الاقتصار مشهور واضح ، فعمى أبلغ من الحقيقة والمجاز، ثم لهما فوق ذلك مرتبة ممروفة ، وهى الاقتصار فيها باللمحة ، والاستفناء باللّمة ، والتحرز عن ذكر القواحش، مما ينبو عنه الطبع، و يمجه السمع، وقد ورد فى القرآن سها ما لايتعلق بنباره بليغ ، فن ذلك قوله تعالى فى صفة للسيح عليه السلام وأمه: « مَا الْسَيحُ ابْنُ مَرْ يَمَ إِلاَّ رَسُولُ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمْهُ صِدِّ بِقَةٌ كَانًا كَيْ كَاكُرْنِ الطَّمَامَ » فَكنى بأ كل الطمام عن التغوط والتبول ، لأنهما بسبب منه ، إذ لابد للا كل منها . ومنها أيضاً قوله تعالى ا

⁽١) يونغ: ينسد.

﴿ وَقَالُوا لِلْمُودِمِ لِمَ تَمَوِدُمُ عَلَيْنَا» أَى لَهروجهم . وقال تعالى : ﴿ أَوْلاَ مَشْمُ النَّسَاءَ» فَكَنى بِاللَّامِسَةُ عَالَمَا إِذَ لا يَعْلُو مَهَا عَالَماً . وقال تعالى عن للهر : ﴿ وَكَيْتَ نَأَخُدُو لَهُ وَقَالُهُ اللَّهِ مِن اللَّهِ عَلَى عَن الجاعِ بالسر وَقَدُ أَفْضَى بَتَضُكُمُ إِلَى بَتَعْنِ » فَكَنى بالإفضاء من الدخول كما كنى عن الجاعِ بالسرف في قوله تعالى : ﴿ وَلَكُونُ لا لَوْمُ وَلَهُ أَيْشًا ﴿ هُنَّ لِلِكُنْ لَكُمْ وَأَلْتُمُ اللَّهِ وَقُولُهُ أَيْشًا ﴿ هُنَّ لِلِكُنْ لَكُمْ وَلَلْمُهُ لَلْمُ اللَّهِ عَن اللَّهُ ، وهذا طريق أَبِلْهُ مِن النَّى للباشر ، لأنه كما يقولون : الشال ، فاتفت بالتبع عن الله ، وهذا طريق أَبِلهُ من النَّى للباشر ، لأنه كما يقولون : كدوى الشيء بننة .

ومن كنايات القرآن قوله تعالى: « هُو النّبي خَلَقَكُمْ مِنْ فَشْ وَاحِدَةً » كناية عن آدم . والغرض منها الدلالة على عظم القدرة ، وقوله تعالى « إنّ تَعْذَا أُخِي كناية عن آدم . والغرض منها الدلالة على عظم القدرة ، وقوله تعالى « إنّ تَعْذَا أُخِي المَّهُ وَ وَلَمْ الله وَ كَلَ الله فَكَنَى عن زَلِيعَا المرأة العرب ف ف خلك . ولغلك لم يذكر القرآن امرأة باسمها ، فكنى عن زَلِيعَا المرأة العزيز ، وإنما ذكر مر بم باسمها تأكيدًا لأن عيسى بلا أب ، و إلا النسب إليه ، ومن كناياته أيضاً قوله تعالى : « أَوْ مَنْ يُنشأن في الحَلْية وَهُو في الحَلِيمَام غَيْرُ مُبِينِ » كناية عن النساء بأنهن ينشأن في الترفه والتزين الشاغل عن النظر في الأمور ودقيق الماني ، ولوأتى بلفظ النساء لم يشعر بذلك . ومنها قوله تعالى : « بَلْ يَكَامُ بَنْسُوطْتَانَ » كناية عن سعة جوده وكرمه جداً ، ومثلها في هذا كل ماورد منسو با إلى الله بما لايصح نسبته إليه كقوله تعالى: « وَاللهُ وَسُلُو عَلَى المَرْشُ الشَوى » وقوله : « وَالسَّوْرُاتُ مَعْلُو النَّمْ النَّوْرَى » وقوله : « وَالسَّوْرُاتُ مَعْلُو النَّهُ بَيْمَ النَّوْرَى » وقوله : « وَالسَّوْرُاتُ مَعْلُو النَّهُ وَالنَّهُ وَالنَّهُ

أما التمريض الذي يلابس الكناية ويؤدى مؤداها فى المبالنة ، فقد وقع كثيراً فى المبالنة ، فقد وقع كثيراً فى القرآن . ومنه قوله تعالى : « قُلُ نَارُ جَيْمَتُمُ أَشَدُّ حَرًا » ، فإنه لم يقصد إفادة فلك لأنه معلوم، بل إفادة مايشير إليه ، وهو أنهم يردونها ويجدون حرها إن لمجاهدوا . ومنهأيضاً قوله تعالى : « بَلْ فَصَلَهُ كَيْمِرُ هُمْ هُذَا » نسب القعل إلى كبير الأصنام المتخذة آلمة ، كأنه

وَتَكَتَّىٰ مَنْ بِيهَانَ أَسرارِ القرآنَ بمـا ذَكَرَنَا ، فإن همة صما علت وتوفرت لا تقوى على الإحاطة بذلك . وحسبنا أن العلماء أقوا ولا يزالون يؤلفون ، ثم هم بعد لايدّعون الوقوف على جميع أسرار القرآن ، وهذه آيّة باقية من إمجازه .

إعجاز القرآن

شاءت رحمة الله بسباده حين يرسل إليهم رسولا يدهوهم إلى طاعته أن يهيي لهم أسباب الإيمان به ، لأنه تعالى يعلم مقدار إلف النفوس لما اعتادت ، وحرصها على ما وجدت عليه آبادها من قبل ، فهو سبحانه وتعالى يشد "أزر النبي بالبرهان الساطم على نبوسه ، وقد طفا عليها الشرك ، نبوسه والمنافق على النفوس ، وقد طفا عليها الشرك ، وأعى بصيرتها الفلال ، أن تهجر ما ألفت ، وتقلع عما اعتادت ، يشد الله أزر نبيه تجميده من العلم الذى فيغ فيه قومه ، أو الصناعة التي برزوا فيها ، حتى يعلموا أن هذا التأثيد إلهى ، وأن هذه القدر تعن مواهبه تعالى لمن اختصه برسالته .

ولما كانت الأمة العربية التي برغ منها نور النبوة المحمدية أمة أمية خرقا ، الا تعرف علماً ولا صناعة ، ولا تطل إلا تمكنة البيان تتصرف فيه ، وتجييد الضرب في نواحيه، والتحليق في سمائه ، وكانت أمة لا تعرف الفضل لرجلل إلا في شعر يجيدون حبك، أوخطب يرمون بطوالما وقصارها ، لما كان ذلك ، ناسب أن تكون حبة محمد عليم هي البيان ، أو تكون وسيلتة إليهم هي البلاغة ، الأنها هي التي آمنوا بها فيا بينهم ، وهرفوا قدرها في تنوسهم .

أنزل ألله على رسوله القرآن ، فكان حجته الدامنة ، وقوته وعدّته ، على حين لا قوّة له ولا عدّة ، فكم صسقوا ، وكم زازلوا ، وكم أخذوا ، وكم أذعنوا حين سمعوا آياته الكريمة. فهذا عرر (وما كان أشدّ عناده للنبيّ وأذاه المسلمين) أسلم حين سمع من أخته وزوجها سورة طه . وهذا الوليد بن الذيرة جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم ، فقراً عليه القرآن ، فكأنه رق له . فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه ، فقال: ياعم ، إن قومك يريدون أن يجسوا لك مالاً ليمعلوكه لئلا تأتى مجداً لتمرض لما قاله ، فرد عليه الوليد قائلا : قد علمت قويش أبى من أكثرها مالا . قال : فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك كاره له . فال وماذا أقول ؟ ا فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى ، لا برجزه ، ولا بقسيله ولا بأشمار الجن ، والله ما يشبه الذى تقول شيئاً من هذا ، وواقه إن لقوله الذى يقول لم لحلاوة ، و إن عليه لطلاوة ، و إنه ليملو ولا يعلى عليه ، طال فنكر ، فلما فكر ، فلما فكر

فن هذه الأحاديث وأشباهها نبلم يقيناً أن القرآن قد بهر القوم نوره ، وأعشاهم ضوؤه ، وعقل ألسنتهم بيانه ، واستبد بقواهم صوغه و إحكامه .

ولقد كانوا مع ذلك يناهضون النبيّ ولا يذعنون ، ويكابرون ولا يؤمنون ، يقُول بمضهم : إنه سسحر ، وآخر إنه شـــم ، وغيرهم يقولون : إنه اقتراء ، فتحدّاهم إذ ذاك ربّ المالمين بأن يأتوا بخله إن كانوا قادرين ، فلما عجزوا تحمد اهم بعشر سور ، فلما انكشفوا طالبهم بسورة واحدة ، فملكهم البهر ، وانقطع بهم الجدل ، ولم يجدوا بعدُ إلا الإذعان و إلا الإيمان ، ف الذي ياتري أدعوا له وآمنوا من أجله ؟

فى القرآن أسرار كثيرة أوقوى هائلة ، كلّ شىء سَهَا كاف وحده لأن تدين له النفوس وتخضير لحكمه :

إلى فرقع كما أخير، وأنى وفق ماوصف، كقوله تعالى : « لَتَذَخُلُنَ الْمُسْعِدَ الْحَرَامَ بِهِ ، فوقع كما أخير، وأنى وفق ماوصف، كقوله تعالى : « لَتَذَخُلُنَ الْمُسْعِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ

⁽١) "الله : وجالسه ولازمه .

أكثرهم صرّح بسمة نبوته ، وصدق مقالته ، واعترف بسناده وحسده لياه . ومن بَاحَدُم صرّح بسمة لياه . ومن بَاحَدُمُ فَالله على المُحَدِّمُ فَالله الله . «فَلُ فَأَلُوا اِللّهِوْرَا أَوْ لَمُا تُلُومًا إِنْ كُنْمُ صَادِقِينَ » ، فكان ذلك أعظم تقريع وتوبيخ له . قال تعالى : « يُأَهُّلُ الْسَكِيْلُ وَلَدُ عَلَيْمً اللهُ عَلَيْمً اللهُ ال

٣ ـ ومن ذلك حسن تأليفه ، والتثام كلمه ، وتخير ألفاظه ، وحسن مقاطعه ومطابقة هـ ذا النظام للقضيات الأحوال ، مضموماً إلى ذلك جلال الشرض وسمو للمانى ، وصفاء الحكمة ، وإنطباق المثل .

بُعُلُومِ ۚ وَالْمُلُودُ . وَكُمْ مُمْ مَقَاسِعُ مِنْ حَدِيدِ . كُلّمَا أَرَادُوا أَنْ يَمُوْجُوا مِنْهَا مِنْ شَهِرَ أَيْلِوا فَهَا وَدُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ » ، وقوله تعالى : « وَمَنْ يُشْرِكُ إِنَّهُ وَكَمَا ثَمَا خَرَّ مِنَ الشّهَاء فَتَحَطْفُهُ الطَّيْدُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرّبيمُ فِي مَكَانِ سَحِيقٍ » ، وقوله تعالى في وصف النار : « إِذَا رَأَتُهُمْ مِنْ مَكَانِ بَسِيدِ سَمُوا لَمَا نَشَيْظًا وَرَفَقِرًا . وَإِذَا أَلَقُوا مُنْهُمْ مَنْهُوا الْبَوْمَ نُبُورًا وَاحِدًا وَأَهُوا مُنْهُمْ مُنْهُوا الْبَوْمَ نُبُورًا وَاحِدًا وَأَهُوا مَنْهُمْ مَنْهُمْ مَنْهُ وَلَمْ عَلَى وصف أَهِل الجنة : « إِنَّ اللّهِينَ سَتَقَتْ كُمُمْ مُنْهُمْ مَنْهُ وَلَمْ فِي وصف أَهِل الجنة : « إِنَّ اللّهِينَ سَبَقَتْ كُمُمْ مِنْ النَّيْمَ فَلَا يَوْمُ مَنْهُ النَّذِيمُ النَّوْمُ اللّهُ وَلَهُ عَلَى اللّهُ وَمُعَلِيمُ النَّذِيمُ النَّذِيمُ النَّذِيمُ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَمُلْكُمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ وَمُؤْمِلُ اللّهُ وَلَا اللّهُ مُنْهُ اللّهُ وَمُلّمُ اللّهُ وَلَا اللّهُ مُنْهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ وَلَوْلَكُمُ هَذَا يَوْمُكُمْ اللّهُ وَلَا اللّهُ مُنْ اللّهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُ مُنْهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَمِنْ فَي عَلَيْهُمْ اللّهُ وَلَا إِلَيْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ وَلَا إِنَّ الْمُؤْمِلُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ وَاللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ وَعَلَيْهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ وَلَوْلُهُ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَالُهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ وَاللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ وَلَا إِنَّا الْمُؤْمِلُهُ عَلَالِهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ وَاللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَمُ اللّهُ عَلَيْهُمْ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللللّهُ الللللّهُ اللللّه

وهناك أسلوب شاع فى القرآن ، ولم يكن العرب يعرفونه ، وهو عرض الكلام فى معرض النسكة حتى يكون ذلك استندائها للخصم ، وتخفيفاً من شدة عناده ، كنوله تعالى : « وَإِنَّا أَوْ إِنَّا كُمُ لَمَنَى هُلَّى أَوْ فِي ضَلَالِ مُبِينِ » ، وقوله : « أَيُّ الفَرْيَة فِي وَقُوله : « قُلْ رَبِّياً عَلَمٌ مَنْ عَالِهُ إِلَمُكَنَّى وَمَنْ هُوْ فِي اللَّهِ مِينِ » ، وقوله : « وَقُوله : « قُلْ رَبِّهَا فَمْ مِنْ عَلَى اللَّهِ مِينِ » ، وقوله : « اللَّنْ رَجَعْنَا إِلَى اللَّه يِنَة لِيُغْرِجَنَّ الْأَعَرُ مِنْهَا الْأَذَلَّ » . وقوله : « فَيْ رَجَعْنَا إِلَى اللَّه يِنَة لِيُغْرِجَنَّ الْأَعَرُ مِنْهَا الْأَذَلَّ » .

وهذا مقام لا يسمنا فيه إلا تقل الترآن برمته للاحتجاج به ، فهو جميعه سبيكة واحدة فى جمال الرونق ، وكمال البيان ، و إحكام الصنعة . فنحن تحييك على المصحف تقلب صفحاته ، لترى الحسكمة كيف سيقت ، والمثل كيف ضرب ، والحجة كيف دمنت ، والصفة كيف تمثلث ووضحت ؟ .

﴿ وَقَدْ عَرَضَنَا لِكَ هَلْهِ الْمُؤْلِقِ الظَّاهِرَةَ فَى القَرَآنَ ، وَلَمْ تَفَاضُلُ بِعَدْ بِينَهَا ، ولا رجحنا

بعضها على بعض . فلو قبل لنا : أى هذه المزايا أحق التقديم وأولى بالاعتبار ، فإننا ما تتردد في هذه الماينة الثالثة ، وهى الفساحة وقورة البيان ، لأن هذا الوصف هو الذي يحسن في التحدي للعرب الذين عرفوا باللسن ، واشتهروا بقوة البيان ، ثم هو الوصف المباقى مع القرآن ما بق الزمان ، لأن التنبؤ بما لم يكن، لم تكن له قيمته إلا قبل حدوثه، فأما بعد ذلك فقد زالت روحته ، وصار لمنكره سبيل إلى الإنكار ، لولا ماعتج به من أنه سبق الوقوع وتقد مه ، فتكون الحبة فيه محتاجة إلى حجة ، والبرهان متوقفاً على غيره . هذا إلى أن العرب كانوا مولمين باستطلاع النيب ، وكان فيهم من يدعى علم ذلك ، من السكهنة الذين كانوا يقون القول على عواهنه ، فيصدق منه بعض و يكذب بعض . فلا كان التحدي من النبي بذلك لوجد من هؤلاء من يقول أنا أخبرت بكذا ، فكان كا قلت . وهذا ضمف في الحجة لا تقبله في القرآن ، والاستدلال به على هذا الأمر العظيم ، وهو صدق محمد صلى الله عليه وسلم .

وأما الإخبار بالأمور التي وقست مبند المهود البعيدة ، وأخبر بها التبيّ من قسم الأنبياء ، وحادث أهل الكهف ، أو شأن ذى القرنين ، فإن هده أخبار كانت معلومة أيام النبيّ ، و إن كان علمها مقصوراً على أهل الكتاب ، فلو شاء معارض أن يقول : إن محداً قد استطاع الوصول إلى ذلك بإحدى الوسائل مهما كانت السبيل دونه وعرة ، فإن هذا القول بنت في حجته ، وليس من شأن حجج الأنبياء أن ينالها الوهن من إحدى نواحيها ، فلم يبق إلا أن الإمجاز كان جهذا السرّ الباق على الأيام ، وهوالبلاغة التي تسطع حجتها في كلّ حين ،

وقد بقى من الآراء فى إعجاز القرآن قول منسوب إلى أحد شيوخ المتزلة وهو إبراهيم النظام . وهذا هو القول بالعقرفة ، ومعناه : أن العرب كانوا قادرين على معارضة القرآن ، ولكن الله صرفهم عن ذلك ، وأبطل مقدرتهم عليه . وذلك فيا يرى المتحرّنهم عليه . وذلك فيا يرى المتحرّنهم عليه . وذلك فيا يرى المتحرّن على التأييد عن الله لرسوله ، إذ كان العجر مع القدرة ، واستحالة الممكن أدل على إدادة الله لنصرة نبيه ، وهذا قول باطل لا يليق الأحذ به ، فنيه اعتراف

من قائله بأن القرآن فى ذاته ممكن للمارضة ، لا فضيلة له يمتاز بها على كلام العرب ، وأن تقصيرهم عن محاكاته كان لسبب خارج عن ذاته ، موقوت بالمدة التى شاءت القدرة الألهية أن تحد من عزم العرب عن معارضته ، وهــذا كله نقص ينزه القرآن علمه . على أنه لو كان الواقع ما ادّعاد النظّام ما استعظم العرب فصاحة القرآن ، وتسجوا من سسبكه ، وعلو كله ، بل كان تعجبهم من مجزهم عن المعارضة مع قدرتهم عليها .

وقد رأينا من الباحثين في هـذا للوضوع من يقول: إن إمجاز الترآن في معناه يريد بذلك أن علو حكمته ، ودقة تشريعه ، وشحول الفكرة فيه لما لم يكن العرب فيكرون فيه ، ولا يتناولونه ببحثهم ، هو الوجه الطلعي في الإعجاز ، وهذا الوجه لاتراه يستطيع التهوض وحده ، إذ يحكون التحدي به تحدي الجما لم تجر به العادة في التعدي ، فإن العرب أن الدرب لم يكونوا أمة علم ، ولا ادعوا القرق في التشريع ، حتى يماجوا وينازعوا في هـــذا الباب . على أن المقول عن العرب أن الذي راعهم إيما هو السبك وقوة البيان ، فهذا قوله تعالى : « فا صدّة عِياً تُوتُونُ مَا لم يعمق له سامعه إلا من ناحية السوغ و براهة التأليف وهكذا ، وإذا نظرنا إلى حكمم بأن القرآن شعر أو سحر عرفنا الناحية التي راعتهم منه ، وهي ناحية التأثير لا ناحية دقة المني وبعد الراد .

كذلك رأينا من يقول: إن وجه الإعجاز الذى يجب أن يحكون فى مقدّمة الاستدلال على طوّ كسب القرآن ليس هو الصياغة الفنية وحدها ، و إنما الذى أعجز المسرب مع هذه الصياغة وجوه أخرى، تلك هى الأسلوب للنطق والأسلوب العلمى ..الخ وقد فصل صاحب هذا الرأى قوله فى الأسلوب للنطق والعلمى فذكر أن العرب لم بكونوا يعرفونهما ، وأنهم إنما اعتادوا الأسلوب الخطابى . والواقع أن الأسلوب للنطق حاصل فى كلّ كلام ، لأن الكلام بيان واستدلال وترجيح وتفضيل ، ولا تكون

هذه الأمور إلابهذا الأسلوب ، فالقول بجهل العرب لهذين الأسلوبين ، وعدم وجودهما فى كلامهم ، لا يمكن الإيمان به ، والشعر والنثر الجاهليان يفيضان مهذا .

و إن من سبق له الاطلاع على أدب الجاهليين ليكفينا مئونة الاستدلال على أن العرب قد وقع لهم فى كلامهم الأسلوبان : (العلمى ، وللنطقى) ، و إلا فأين حكمهم وأشالهم ؟ وكلها ناطقة بتجر تبهم ، مثبتة لقويم استدلالهم

ولا بأس أن نطلمك على هذا الحوار التين ، والجدل القوى الذى تقرع فيه الحجمة پالحجة ، و يوزن الدليل بالدليل، لتعرف أن هؤلاءالعربكانوا إلى جانب قوتهم الخطابية، حصفاء يتلطفون للإقناع و يتأتون له . هـذا الحوار هو ما جرى بين أمرئ القيس ابن حُجْر ، وأشياخ بنى أسد في العفو عن دم أبيه :

قال قَبِيصة بن نُم يخاطب أمرأ القيس:

إنك فى الحل والقدار، من المرفقة بمر قدااله هرى، وما تعدئه أيامه ، وتنقل به أحواله بحيث لا تحتاج إلى تذكير من واعظ ، ولا تبصير من مجرّب ، ولك من سدود منصبك ، وشرف أهرافك (٢) ، وكرم أصلك فى العرب ، تحتيد ٢) يحتمل ما حل عليه من إقالة النثرة ، ورجوع عن الهنوة ، ولا تتجاوز الهمم إلى عابة إلارجت إليك ، فرجعت عندك من فضيلة الرأى ، و بصيرة الفهم ، وكرم الصفح ما يطوّل رغباتها ، ويستنرق طَلِياتها (٣) ، وقد كان الذي كان من الحطب الذي تحمّت رزيعة نزاراً والعين، ولم تضمن به كندة دوننا ، للشرف البارع الذي كان خُمر ، ولو كان أيفدى هالك أخوم من البارع الذي كان خُمر ، ولو كان أيفدى هالك أخواه على أولاه ، ولا يلمحق أقصاه بأدناه ، فأحد الجالات عبدك أن تعرف الواجب عليك فى إحدى خلال ثلاث : إما أن اخترت من بنى أمد أشرفها بيئاً ، وأعلاها في عليك فى إحدى خلال ثلاث : إما أن اخترت من بنى أمد أشرفها بيئاً ، وأعلاها في ابناء المكرمات صوتا فقدناه إليك بتسمة (٣) تذهب مع شَفَرات حسامك بباقي قَسَرَة (٤) ، نقول : رجل امتحن بهالك عزيز ، فلم يستل سخيمته (٢) إلا تمكينه من قَسَرات (٢) .

 ⁽١) أنسابك . (٣) أصل . (٣) جم طلبة (كفرحة) وهي الطلب .

 ⁽٤) قطمة من جلد . (٥) رابته . (٦) يستل سخيمته : يتقرع طفته .

الانتقام، أو فداء بمــا يروح طى بنى أسد من نَسَها، وهى ألوف تَبَاوز الحِسْبة. فكان ذلك فداء رجست به القُمُسُ^(١) إلى أجانها لم يردّ دها تسليط الإحن^(٢) على البرآء، .و إما أن وادعتنا إلى أن تضع الحوامل، فتُسلىل الْأَزُر، ، وتُنقد الخُمُر فوق الرايات.

فبكي امرؤ القيس ساعة ، ثم رفع رأسه فقال :

لقد طلت العرب أن لا كُنْ. لَجُسر فى دم ، وأنى لن أعناض به ناقة أو جملا ، هَا كَتَسَب بِذَلْك سُتَبّة الأَمِد ، وفَتَّ الفَحْد ، وأما النَّطْرِة فقد أوجبتها الأجنة فى بطون أماتها ، ولن أكون لعظها سببًا ، وستعرفون طلائع كندة تحمل فى القلوب حنقًا ، وفوق الأسنة عَلَقًا (٢٠) :

إذا جالت الْحَرْبُ ف مَأْزِق تصافح فيه للنايا النفوسا أقيمون أم تنصرفون ؟ قالوا : بل ننصرف بأسو إ الاختيار ، وأبلى الاجترار ، بمكروه وأذَّية ، وحرب و بلية ، ثم نهضوا عنه ، وقبيصة يختل :

لهلك أن تستوخم الوردة إنْ غدت كتائبنا فى تأزق الحرب كمملو⁽¹⁾ فقال امرؤ القيس: لا والله ولكن أستعذبه، فرويداً ينفرج لك دجاها عن فُرسان كندة وكتائب عُمير، ولقد كان ذكر غير هذا أولى بى إذكنت نازلا بربمى، ولنكنك قلت فأه صت

4

وختام القول أن العرب لوكانوا حقا يجهلون الأساويين العلمى والمنطق ولم يألفوا القول فيهما ، ماكان لهما وقع فى نفوسهما ، لأنهم يكونون جاهلين بهما ، وغير،تندو قين لهما ، ومن جهل شيئا لم يأبه له ، ولا اعتد به ، و إنما يملك إعجاب للرحكل شيء حاوله فكان له فيه بلاء لم يبلغ غاية السكال ، فهو لا يزال بحاولا لهما طاساً فيها حتى إذا

⁽١) قضب: جمع قضيب وهو السيف . (٢) الإحن : جم إحنة، وهي الحقد .

⁽٣) دما . (٤) خياستو العيء : وجده سي العاقبة .

رَآها تمت على يد غيره ، أسرع بالإقرار له بالقضل إن كان منصفًا ، أو اضطرّ أخيرًا إلى الإذعان حين يبهره جمال الذنّ الذي تستمة وتسلق به ، ثم يصل إلى مثله الأعلى .

أثر القرآن في اللغة

لا يؤثر شىء فى لفة قوم حتى يكون قد غير ما بأنفسهم ، لأن اللغة طابع الأمة وغِرَار تفاقتها . وقد علمت ما أحدث الترآن فى قوس العرب من هداية ، وما كشف عنهم من تحمّلة ، وبا هذب من خلقهم ، وبدل من جهلم ، وأنه قلبهم من رعاة جغاة غلاظ الأكباد ، إلى سادة يدين العالم لعدلم ، ويتسابق الناس إلى اعتناق دينهم ، والدخول فى زمرتهم .

وإذا علمت سرعة هذه العلمرة فى خُلقهم وحياتهم، فاعلم أنها كانت كذلك فى لفتهم ، فإن العرب لم يسمعوا القرآن حتى خضوا لسطانه ، وتسابتوا إلى حفظه ، وتذور قوا من حلاوته ، وتسابتوا إلى حفظه ، ووقد وتو من حلاوته ، وتسابتوا به من حكهم وأمثالهم ، وما ملثوا به أشداقهم من نثرهم ونظمهم ، فكان من أثر ذلك أن هر بعض فحرلهم عادته فى قول الشعر ، وعكف على القرآن يستوحيه الحكمة ، ويستمده الهداية . وبم وبعضهم استمر منهوا منقطماً ، مقصراً عن الغاية التى عرفت له فى أيام الجاهلية . ولم يلبث العرب حتى صار القرآن نورهم الذى يهتدون به ، فاتبع الشعراء والخطباء أسلوبه ، وعدوا إلى سهولته وانسجامه ينسجون على منوالهما ، هاجرين (كاهر) حوثى اللفظ ، ومعقد القول ، وكثرت من المانى ثروتهم ، وتدفقت بالقول ألسنتهم ، يقتبسون من القرآن (وهو البحر الخفر) أسائيب متنوعة ، ومعانى فى كل غرض ، وحكمة ، ومثلا ، فى أحسن مساق ، وأليق موضع .

ومتج من حرص المرب على القرآن أن تقدموا بخطا واسعة إلى للدنية ، فأنهم من ١ - ادب - ١ أجله وضعوا علم النحو ولم يمض عليهم فى الإسلام ثلاثون سنة ، ثم أتبعوه بعلوم التفسير، واللمة ، والتاريخ ، والبلاغة وغيرها ، مبالغة فى الذود عنه ، والحرص عليه .

أما هو فقد أتى بممجزة أخرى غير معجزته فى فمسه ، وهى بقاء العربية ناقضة طبيعة اللغات ، فى علم الثبات ،

البلاغــــة النبوية

لقد بث الله مجداً في تلك الأمة المربية التي تعتر بيانها ، وتباهى بفصاحها ، ولا يشخلها إلا القول تدبجه ، والبيان تعبره ، فلم يصكن يستطيع أن يظهر عليهم الإبسلاحم. فأيده الله بالقرآن الكريم ، فهرهم حسنه ، وظهم أسره ، وذلوا أمامه ، ساجدين لعظمته . ثم لم يكن من المستطاع أن يجرى القرآن على لسان النبي ، وهو بعد بين القوم كأحده ، لا فضيلة له عليهم فى خاص كلامه ، ومعتاد حديثه ، وهو محتاج إلى التأثير ، وشدة الأخذ ، ودعوتهم إلى الدين ، وتأديهم بأدبه ، ودفعهم لحمار بة أعدائه . فكان من الله أن أيده بمسجزة أخرى ، هى بلاغة لسانه ، وقوة بيانه . فقد كان صلى الله عليه وسلم فى هدا على غير ما يعهد العرب فى فصحائهم ، وما يألهون من مناطيقهم ، حتى لقد قال له أبو بكر رضى الله عنه : لقد طفت فى العرب ، وسمت فصحاءهم ، فاسمت أضح منك ، فن أدبك (علمك) ؟ فقال عليه العملاة والسلام : « أذّ بننى رئي فأخسّن تأديبي » .

وكما أعد الله رسوله للنبوة منذ قدرها له ، فأنبته نباتًا حسناً ، وطهره من أرجل العرب ، في اسجد لسنم ولا لابس منكرا ، كذلك أعده الفصاحة ، فجعله من قريش ، وهى فى الذروة من الفصاحة ، واختاره من خيربيوتها نسبًا وصهراً ، ثم كانت رضاعته فى بنى سعد ، وهم من أفصح القبائل ، وللما قال عليه الصلاة والسلام : ﴿ أَنَا أَضْحَ مُ الْتَرَبُ مِ نَعْرَبُ مِنَ فَرَيْشٍ وَنَشَأْتُ فِي سَعْدٍ بْنِ بَكْر » .

ولم تقف عناية الله برسوله إلى حدّ المولد والنشأة ، بل لقد علمه الله لنات العرب كلها ، فكان يخاطب كلّ تبيل بلنته فيبزّهم فيها . ومثل ذلك لا يكون إلابتمليم وتلقين ، والنبي لم يملم عنه أنه تنقل في تلك الفبائل قبل البشة حتى يحذق الهاتها ، ويكون فيها أفسح من فصحائها . ولقد قال له على رضى الله عنه حين سمعه يخاطب وفد بني نهد : يارسول الله نحن بنوأب واحد ، وتراك تكلم وفود العرب بما لا نفهه ، فأجابه رسول الله بما أجاب به أبا بكر آنها .

ومن أمثلة هذه اللمنات الني كان النبيّ يعرفها دون قريش كتابه لوائل بن حجر الكندي أحد أقيال حضرموت، ومنه (١٦) :

إلى الأقيال المباهلة ، والأرواع للشابيب .

ومنه : وفى التَّبِمة شاة، لائتُوَّرَة الأَلياط ولاصَنَاك ، وأَلْهُوا النَّبَجة ، وفى الشَّيوب النُّسِين من رَبِي فضرَّجوه النُّس، ومن زَنى م بَبِ فضرَّجوه النُّه ، واستوفضوه عاما ، ومن زَنى م بَبِب فضرَّجوه بالأضاميم ، ولا توصيم فى الدَّين ، ولا نُحَمَّة فى فرائض الله تسالى ، وكلَّ مسكر حرام ، ووائل بن حجر يَتَرَفَّل على الأقبال .

لم تقف الدهشة من أمر النبيّ صلى الله عليه وسلم عند معرفته لفات العرب ، ولكنها كانت أعظم حين يخاطب قومه بما لم يعهدوه في لفتهم، ولم يأثروه عن بلغائهم من جوامع الكلم التي رويت عنه ، كقوله في الحرب يوم حُنين : « الآنَ حَمِى الوَّطيسُ » ، والوطيس : التنور ومجتمع النيران ، استماره رسول الله لشدّة الحرب . وقوله لأفي تميية الجُمِيشي : « إياك وَالمَخيِلَة » ، فقال يا رسول الله نحن قوم عرب ، فما المخيلة ؟

⁽١) افضير ألفاظ الكتاب برتيها: الأيال: جم قبل، وهوالملك من ماوك حمر وحضرموت. الماهلة: المقرون في ملكهم ، الأرواع : الذين يروعون بالهية والجال ، المشابيب : جم مصبوع. وهوالجيل الزاهى القون ، النيمة : أربعوث اله ، المفورة : المسترخية ، العناك : الموتمة الحلق السيئة، إنطوا التبحة: اعطوا الوسط ، السيوب: جم سيب وهو السلية، والمراد به الركاز وهوداين الجاهلة ، المهتم : الضرب ، الاستيان : الذي والتغريب ، الأضاميم : الحيارة الصمئار ، التوصيم : الفسترة . والتوانى ، يترفل : يترأس .

فقال عليه السلام: « سَتَبْلُ الأَزَارِ » ، يريد السكر. وقوله: « هُدْنَةٌ عَلَى دَخَن » ، والدخن: دخان النار، يريد عليه الصلاة والسلام أن الصلح لم يذهب بالأحقاد جملة، كا يبقى شيء من النار تحت الرماد ، فيستدل عليه بما يتصاعد عنه من دخان ومن ذلك تولي بيقى شيء من النار تحت الرماد ، فيستدل عليه بما يتصاعد عنه من دخان ومن ذلك تولي : هُمُ يُحْتَلُ وَلَمْ السّاعَةِ » ، أى قريبًا منها ، أحسها ليس بعد جالها جال . وقوله : « بُعِثْتُ فِي نَفَسِ السّاعَةِ » ، أى قريبًا منها ، أحسها كا يحس المرء أنها من من يدانيه . وقوله : « يَا خَيْلَ اللهِ أَرْكِي » ، وقوله : « كُنُّ كَا يحس المرء أنها من من يدانيه . وقوله : « لا يُنتَطِعُ فِيهِ عَنْزَانِ » ، وقوله يوم بدر : « هَذَا يَوْمُ لَمُ عَارِينَ فَيْنِ » ، ويروى : لا يلسم ، أرض بِسِياتِ) » ، وقوله : « لا يُلدَعُ لُولُمِنُ مِنْ بَحْشٍ مَرَّ تَنْينِ » ، ويروى : لا يلسم ، وانه يوم بدر ، ثم من عليه ، وأناه يوم أحد فأصره ، فقال مُن على " ، فقال عليه الديلاة والسلام الحديث السابق : وأناه يوم أحد فأصره ، فقال مُن على " ، فقال عليه الديلاة والسلام الحديث السابق : (أى لوكنت مؤمناً لم تعارد قالنا) ، وقوله : « إيًّا كم " وَخَفْرَاء الله الشجرة الناضرة ولم ذاك يارسول الله ؟ قال : للرأة الحسناء في منبت السوء ، شبهها بالشجرة الناضرة في دمنة البعر ، وأكاها مؤذ

ومن بليغ كلامه عليه الصلاة والسلام قوله : «عَلَّى سَوْطَكَ عَيْثُ بِرَاهُ أَهْلُكَ» ،
وقوله : « الناسُ إِذْ مَانِهِمْ أَشْبَهُ مِنْهُمْ وَإِنَائِهِمْ » ، وقوله : « مَا هَلِكَ أَمْرُوْ عَرَفَ
قَدْرَ نَشْهِ » وقوله : « لاَ تَجْنِ بَمِينُكَ عَلَى شِمَالِكَ » ، وقوله للأنصار : « إِنَّسَكُمْ
نَتَقُونَ عَيْدَ الطَّيْمِ وَتَرَكَّمُونَ عَيْدَ الْفَرَعِ » ، وقوله : « النَّاسُ كُلُهُمْ سَوّاتِهِ
كَالْمَانَ لِلْشَطِ » ، وقوله : « الرَّهُ كَثِيرٌ بِإِخْوَانِهِ » ، وقوله : « لاَ خَيْرَ فِي مُعْبَةِ
مَنْ لاَ يَرَى لَكَ مَا يَرَى لِنَشْهِ » ، وقوله في الخيل : « بَطُونُهَا كَنْزٌ ، وَظُهُورُهُمْ

 ⁽١) فى كتاب الكايات العبرجانى: أن المنى أن رسول الله لما رأى حسن صوت أتجشة ، وأنه فد يسي النماء ، قال له فى ذلك ليقال من ترقيق صوته حتى لايستميلين .

حِرْزٌ ٤ ، وقوله : « النَّاسُ كَايِلِ مِائَةِ لاَنَجِدُ فِهَا رَاحِلَةٌ ٤ ، وقوله : « لَوْ تَسَكَشْفُتُمْ: مَا تَدَافَنْـتُمْ ٤ ، أَى لو علم بسنكم سريرة بعض لاستثنل تشبيعه ودفنه .

ومن ذلك قوله عليه الصلاة والسلام: « أكثروا من ذكر هادم اللذات » ، (يريد قتل اللفس) ، (ويد للوت) ، وقوله: « قَلْدَ للوَّمِنِ كَأَخْذِ باللَّيْدِ » . (وقوله: « قَلْدَ للوَّمِنِ كَأَخْذِ باللَّيْدِ » . (وقوله: « قَلْدَ للوَّمِنِ كَأَخْذِ باللَّيْدِ » . (وقوله: « قَلْدَ للوَّمِنِ كَأَخْذِ باللَّيْدِ » . هذا إلى جوامع كله عليه السلاة والسلام الني اشتملت على الحكمة الرائمة ، وجرت مجرى المثل ، كقوله: « السَّلَمُ مَنْ سَلِمَ اللَّمُلُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَهِدِ » ، وقوله : « البَّدُ الرَّمْنَةُ فَى الشَّلُونَ ، وَالْبَكَالَةُ نُفْتَى الْقَلْبَ » ، وقوله : « البَّدُ الشَّلْمَ عَنْدَ اللَّوْلَى » ، وقوله : « السَّدُ عَنْدَ السَّدُمْ وَلَهُ كَانَ اللَّهُ عَنْدَ اللَّهُ وَيَهِ » ، وقوله : « السَّدُ عَنْدَ اللَّهُ وَيَهِ » ، وقوله : « خَبُكَ اللَّهُ مِنْ مِنْ الْبَيْلُ السَّمْ عَلْدَ اللَّهُ اللَّهُ » ، وقوله : « تَرْاكُ الشَّرِ صَدَقَةٌ » ، وقوله : « خُبُكَ الشَّرِ عَدَ يُعْمِ » . وقوله : « خَبُكَ الشَّرِ عَدَ يُعْمِ » .

Ä.

ودليلنا على أن شأن النبيّ فى اللغة إنما كان إلماماً من الله ، يقوّى به جانبه ، ويشد أزره ، أنه عليه الصلاة والسلام زاد فى اللغة ألفاظاً ، وأجرى فيها المتقاقات ، وتوسم فى سانى بسن ألفاظها بما لم يعهد قبله ، فكان للغة منه مادة جديدة ، زادت فى ثروتها ، فن ذلك تسميته : « صغرا الأول » عرّما ، وذلك حين أبطل الإسسلام النسى ، ، وحتم تحريم القتال . وكذلك وصفه عليه السلام لقرس ركبه بأنه بحر ، أى لا ينقطم جريه ، كما لا ينقطم تيار البحر . وكذلك كلة الصير بمنى الشق فى قوله : « من اطلم من صير بائي فقد دَتر » ، قال أبو صيد : لم يسمع هذا الحرف إلا فى هذا الحديث . وصرر الباب: خرقه . ودم : دخل . كذلك وصفه المزانية بالزمارة فى حديث الحديث . وصير الباب: خرقه . ودم : دخل . كذلك وصفه المزانية بالزمارة فى حديث أي هريرة : « إن النبيّ نهى عن كسب الزّائرة " » ، قال أشف الزمارة الزانية المنه المناس الرئارة الزانية على المنه المنه

لأُنها تشيع أمرها ،كأنها تنفخ فى بوق ، وهذا الحرف لم يسمع إلا فى هذا الحديث هذا إلى ألفاظ كثيرة حرت على نسانه فى بيان الشريعة ولم ترد فى القرآن .

كذلك ورد فى القاموس الحميط : أن كملة « مَهْرُوزة » لم نسمع إلا فى قوله عليه الصلاة والسلام فى للسيح : « ينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق فى مَهْرُوزتين » ، أى بين بمصرتين ، وتروى مهرودتين بالدال ، ومعنى قول صاحب القاموس ممصرتين : مصبوختان بالمصر ، وهو الطين الأحمر .

النبي وقول الشعر

صرف الله النبيُّ عن قول الشعر ، فلم يؤثر عنه أنه أنشأ شيئًا منه وهو القادر عليه ، اللهم إلا ما وقع له من غير قصد ، كقوله يوم أحد :

أنا النبيُّ لاكذب أنا ابن عبد للطلب

وقوله وقد دميت إصبعه :

هل أنت إلاً إصبح دَمِيتِ وفي سبيل أللهِ ما لَقِيتِ و إنما الفق له ذلك كما يتنق لكل متكلم أن يجيء كلامه على وزن وهو لايتعمده .

قال الجاحظ: ولو قال بائم: (من يشترى باذنجان) لكان شمرًا ، لأنه مستفمان مفعولان ، وهو كما تعلم من منهوك المنسرح ذى العروض الموقوفة ، كذلك يروى الجاحظ أنه سمع ابن صديق له ستى بطنه وهو يقول: «اذهبوا بى إلى الطبيب وقولوا قد اكتوى» وهو كما ترى من الخفيف .

كا ورد فى الترآن مثل قوله تعالى : ﴿ لَنْ تَنَاتُوا الْبِرِّ حَتَّى تُنْفُتُوا بِمَّا تُصُبُّونَ ﴾ ، وقوله : ﴿وَجِفَانِ كَالْجُوالِ وَقُلُّ ورِ رَاسِياتٍ ﴾ ، فأنهما يوافقان الرمل^(١) وقوله تعالى :

 ⁽١) وزن هذا البحر فاعلائن فاعلن (عربين) ألاية الأولى من مجروته ، وقد دخل ضربه اللسينع ، وهو زيادة حرف ساكن على السبب الحليف ، والآية الثانية بمن مجروته أيعنا لسكت مصيح المعروض والضرب .

ه .. مَنْ تَزَكَى كَا إِنْمَا يَتَزَكَى لِنَفْسِهِ » ، فإنه يوافق الخفيف () ، وقوله تعالى :
 ه .. كارِيَةٌ عَلَيْهِمْ فَاللّهُ لَهَا وَدُلْكَتْ قَطُوهُمَا تَدْلِيلًا فإنه يوافق الرجز () ، وقوله تعالى :
 ه وَيُغْرِهِمْ وَيَنْشُرْ كُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُلُورَ قَوْمٍ مُواْمِنِينَ » ، فإنه يوافق الوافر ()
 وقوله تعالى : « تَبَتْ يَدَا أَبِي لَمَنِي » ، وزنه مستفمان متفعان ، وهو رجز ، وقوله تعالى : « إنّا أَعْمَلِينَاكُ الْسَكُورَ وَ » ، من بحر الخبب ، ووزنه : فَمثان قَمَلن . . .
 وف كتاب إعجاز القرآن للبافلاني أمثان كثيرة ، لما ورد في القرآن من شعر غير مقصود ،
 فارجم إليه .

ومثل هذا يقع فى كلام الناس كثيراً من غير قصد ، على أن ما وقع النبئ إيما كان من الرجز الذى هو أبسط أوزان الشعر ، وأقربها إلى النثر ، ستى ننى بعضهم أن يكون شعراً خصوصاً إذا كان من منهوكه أو مشطوره ، فإنه أشبه بقترات السجع منه بالشهر .

كذلك لم يكن النبئ يقيم وزن بيت يرويه أو يتمثل به، كما فعل ببيت طرفة ، فإنه رواه هكذا :

سَتَبْشِي لَكَ الْآثِامُ مَا كَنْتَ بَاهِلاً وَيَأْتِيكَ مَنْ لَمُ ۚ تُرُوَّدُ بِالْأَخْبَارِ وأصله : ويأتيك الأخبار من لم تزود .

وكما فعل ببيت العباس بن مرداس وهو :

أَتَجْفُلُ نَهْمِي وَنَهْبَ الْمُنبَّىــــــدِ كَيْنَ الْأَقْرَعِ وَغُيْلِنَـــــةَ وأصله : بين ميينة والأقرع .

⁽١) وزن هذا البحر فاعلاتن ستفع لن فاعلان (سرعين) وألآية من مجزوئه .

⁽٢) وزن هذا البحر سطمان ست مرَّات .

 ⁽٣) وزن هــذا البعر مناعاتن ست مرّات ، والآية منـه مقطوف العروش ، والضعرب :
 (الفطف صهورة مناعات إلى فحول) أى باستاط السهب الخليف الأخير وإسكال الحرف الحاس .

وأكثر ماكان يتمثل بأنصاف الأبيات حتى لا يتحقق كونها شعراً كما ضل بيت لبيد حين قال : أصدق كماة قالمـا شاعركملة لَبـيد :

أَلاَ كُنْ شَيْء مَا خَلاَ أَنْهُ بَاطِلُ .

فأتى بالشطر صميحاً ولكنه سكت عن إكال البيت .

ظَلَّتْ سُيُونُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ إِنَّهُ أَرْعَامُ هُمَاكَ تُشَرِيعُهُ عَنَاكَ تُشَرِيعُهُ

⁽١) الأثيل : واد ترب بدر ، وهو للوضع الذي دفن به أخوما .

⁽۲) کیشرب : تسرع .

⁽٣) وكف للطر والعمع : سال .

⁽٤) أم للإضراب: أي بل إنه لا يسم لأنه لاينطني .

^{. (}٥) ناشه : تناوله .

صَبْرًا 'يُقَادُ إِلَى اللَّيِّةِ مُنْتَبًا رَسْفَ النَّبَكِ وَهُوَ عَانِ مُوثَقُونَ الْمُجَدِّ وَهُوَ عَانِ مُوثَقُونَ الْمُعَدِّ وَهُوَ اللَّهِ وَهُوَ اللَّهِ وَهُوَ اللَّهِ الْمُعْدَقُ اللَّهُ الْمُعْدَقُ اللَّهُ الللِّهُ اللَّهُ اللْلِلْمُ اللْمُعِلِّةُ اللْمُعِلِّةُ اللْمُعِلِّةُ اللْمُعِلِّةُ اللْمُعِلِّةُ الللْمُعِلِّةُ الللْمُعِلِّةُ الللْمُعِلِّةُ اللْمُعِلِّةُ اللْمُعِلِّةُ الللْمُعِلِيْمُ الللْمُعِلِّةُ الللللِّهُ الللْمُعِلِّ اللللللْمُعِلِمُ اللللْمُعِلِمُ الللللْمُ اللللِمُ

ومن تمام الحبحة فى رسالة النبى أن صرفه الله عن الشعر ، لا يقوله ولا يحسن روايته ، لأنه لو قاله لوجب أن يبرز فيه ، ولا يبرز حتى يسير فى نهج الشعراء، من الهجاء والفخر والتشبيب والهيام فى كل واد من الكنب والضلال، وما تلك سبيله فى الهداية وتأديب الحلق . ولو كان شاعراً لنسب العرب فضيلة النبى وحجته البالنة إلى تأثير الشعر ، وقد طالما رأوا من بينهم شعراء يثيرون الحروب ، ويؤرثون نيران العداوة ، فيصبح النبى فى نظرهم صماوكا من صماليكهم ، الذبن كانوا فى كل واد يهيمون ، ومثل هؤلاء لا يُتبعون فى الأمم العظيم الذى دعا إليه النبى ، فدخل فيه العرب على بكرة أيهم ، وكان منهم ما كان من سيادة العالم ، قال تعالى : « وَمَا عَلَمْنَاهُ الشَّمْرَ وَمَا عَلَمْنَاهُ الشَّمْرَ وَمَا يَنْبَعَى أَهُ إِنْ هُو إِلاَّ ذَكْرُ وَمُوْآنَ مُبِينَ » .

⁽١) يقال قتله صبراً : إذا أللمه للقتل . العانى : الأسير . المولق : المفيد بالوثاق (بالفتح) .

⁽۲) الفعل: كناية عن الأب . معرق: أصيل .

⁽٣) المحنق : المنتاظ ، من أحنفه إذ غاظه .

 ⁽٤) غلى بالمهو، وغالى به: طلب فيه تمنأ غالياً ، أو اشتراه كذلك .

وصف بلاغة النبي

كان رسول الله يوجز غالباً ليمقل عنه ما يقال ، ولأن الإيجاز أليق سفلمته ، وقد نهى عن الترثرة والتفيهق ، ولذلك جاءت أحاديثه كلمات جوامم ، وحكما بالفة ، وهو القائل : « إنا ممشر الأنبياء بكاء » : (قليلو الكلام) ولم يكن ذلك بما نمه من الإطالة حين يقتضى المقام ، كما روى أبوستميد الحُدَّرِئ أنه خطب بعد صلاة المصر من الإطالة حين يقتضى المقام ، كما روى أبوستميد الحُدَّرِئ أنه خطب بعد صلاة المصر قال : ﴿ لا إِنَّ الله المنافِق مَا الله إِنَّ الله مُسْتَصَعْلُمُ مُ فَيها، فناظر كيف تعملون » . قال أبوسميد : وما ذال يخطب حتى لم يبق من الشمس إلا حمرة على أطراف السمف . وكانت ألها نما عليه الصلام لا تعثر فيها باللفظ المستكره ، ولا بالتركيب المفلق ، على كل قوله إسمعات وسهولة في لفظ أنيق ، وتركيب منسجم ، ينطويان على الماني المنالية ، والرأى الناضيخ ، والإلهام الذي اختصه الله به .

ولقد كان موضوع حديثه عليه الصلاة والسلام أشرف للوضوعات ، فهو بيان أغراض الذرآن ، وتصيير مشكله ، و إيضاح مبهمه ، وتخصيص مطلقه من كل ما يتعلق بأدب ، أو مبادة ، أو تعامل ، فالقرآن مثلا لم يبين تفاصيل الصلاة ، ولم يشرح كيفياتها وحرم الحذر بقوله : « إِنَّمَا الْخَمْرُ وَلَلْمْشِرُ وَالْأَنْسَابُ وَالْأَرْلاَمُ رِجْسُ مِنْ عَمَلِ الشَّيْفَانِ فَاجْدَنِبُوهُ » ، ولم يبين للراد من الحرّ ، ولا مقدار ما يحرم منها ، فكان عمل الديّ كشف العامن في كل ذلك .

ولقد تجنب النبيّ فى قوله ذلك السجع الذى كان يلتزمه الكهان ليملكوا به النفوس، ويستهووا الألباب، فأزرى طيهم، وحذر من ضلهم، فقال: « إيا كم وسجع النفوس، ويستهووا الألباب، فأن الله المناف السلام فقيّ الله فلا ، فأن كلامه عليه الصلاة والسلام فقيّ الله فلا أماني السامية ، فهو الإيجاز، حسن الإطناب، خاليًا من السجع للستكره، مشتملا على المانى السامية، فهو جدير أن يجمع الفصل من أقطاره. الذلك كان أبلغ كلام عرفه الناس بعد القرآن.

النثر في هذا العصر

لقد كان فى كلام الله وحديث نبيه سيل منهمر من للمانى ، ومادّة واسعة من الأساليب ، وسمط منظوم من الألفاظ ، فكان كلّ ذلك قدوة العرب حسنة ، هجروا به خُوشيَّهم من الفظ ، ومعقّدهم من الأساليب ، وسَغْسافهم من العانى .

ولقد كان جلّ صنايتهم في جاهليتهم بالشعر يحفظونه و يروونه ، لذلك لم يؤثر عنهم من نثرهم إلا قطرة من بحر إذا قيس بالقرآن وحديث النبي .

قلما جاء الإسلام صارت المواة النثر ، لأنه هو للوافق للجدّ الذي أخذ العرب فى سبيله ، فدعا به النبيّ قومه إلى الإسلام ، وراسل به اللوك ، وكتب به العهود ، وشرح به الدّين ، وكذلك ضل أسحابه من بعده فى خطبهم حين الاستخلاف ، وفى كتبهم بهولية عهودهم ، وأوارهم إلى قوادهم ووصاياهم لولاتهم ، و إرشادهم لتضاتهم ، وضهم على اجتماع الكملة ، والتثام الشعب ، وتزهيدهم فى اللدنيا ، ودعوتهم إلى الاستشهاد فى سبيل الله . ثم كثر فى أواخر هذا المصر القول فى توهين حجه الخصم ، والنقاش فى المقيدة ، كالذي كان واقعاً بين على والخوارج ، كاكثر القول فى ثلب الولاة والاعتلال عليهم ، وتنقص الحلقاء ، وإظهار معايهم ، كالذي حدث فى فتنة عبان رضى الله عنه ، وأخيه الوليد بن عُقيمة (٢) ، الذي كان يلى له الكوفة ، واتهمه الناس بشرب الحر وظهوا إقامة الحدة عليه .

تلك هى أغراض النثر فى هذا العهد ، وهى أغراض لم تعيدله فى الجاهلية ، ولذلك علا شأنه فى هذا العصر ، وتطامنت له تَصرة (١٦ الشعر ، وطوى بساطه .

ولقد كانت كلَّ هذه الأغراض تؤدّى بأيسر طرق التأدية ، بالألفاظ التي اختارها

 ⁽١) عن . (٢) كان الوليد ألنا عثبان من الرضاع .

لهم القرآن والحديث، وهى القرشية الناصة، التى ازوَرَّتْ عن عَنْمَنَةِ ⁽¹⁾ ثمم، وترفت عن عَجْمَعَةِ ⁽¹⁾ تُشَاعة ، وطُمنُهُما يَّبَة^{(1) ج}هد .

أما الأسلوب فو كذلك ما علمهم القرآن والحديث من الانسجام ، والقصد إلى الفرض تُدُماً ، مع هجر السجع ، وإلغا، التممل ، ومساوقة الطبع ، ولقد زخر كلامهم بالممانى السامة التي امتلأت بها قلوبهم ، وثقت أفكارهم ، وصحت معرفتهم ، واقتبسوها من القرآن الذى لم يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ، فمن علاقة الرجل بروجه ، إلى حقوق أولاده عليه ، وحقوقه عليهم ، إلى علاقة المبد بسيده ، والوالى برعيته ، إلى تدبير للماش ، والسمى في طلب الرزق ، وحسن القصد في النفقة ، إلى علاقة المرب بربه ، إلى دعوته للنظر في ملكوت السموات والأرض ، إلى ما لانستطيع عده ، لأن الله يقول: « مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ تَنْ هُ » .

هذه هي المعانى التي كانت مادتهم في قولهم ، فحصفت (٢) بها آراؤهم ، واتسمت مَلكاتهم ، وحلّ في هومهم محل أوهام الجاهلية وأباطيلها ، فصار قولهم صادراً عن ذهن خصيب ، وفكر مرتب ، فلم نر لهم ذلك الكلام المقطع ، الذي تتنافر أغراضه ، ولا تلتم معانيه ، ولا عثرنا لهم على باطل من القول ، ولا محال من الفكر ، كما كنا نجد ذلك لأسلافهم من أهل الجاهلية .

م سے الخطابة فی هذا العصر

تعتبد الخطابة على ثلاثة أسباب، إذا تمت لهـا بلنت من السمو كلّ كال: فأما أولهـا فهو حرية الرأى، يظهر بها للرء مايختلج في نفسه، ويدور بحَــلَم، لا يخشى

⁽١) عى إدال البين من الممزة للبدوء بها ، فيقولون في أن عن

 ⁽۲) مى تحويل اليا. حيا إذ وقت بعد الهين ، فيقولون : الراعج في الراعى

⁽٣) أهي إبدال أم من أل ، فيقولون : طاب الهواء ، في طاب الهواء

⁽٤) ثويت واستحكمت .

سلطانا يسيطر عليه ، ويعقل لسانه ، وأنت تعرف أن هذا السبب قد تم العرب فى جاهليتها ، فا عرفت أمة مثلهم بالصراحة وانطلاق الفكر ، وجاء الإسلام فبنى على النظر فى ملكوت السهوات والأرض ، وجعل الشورى أصلا فى سياسة الناس . وهذه حياة عر بن الخطاب تدلنا على أنه لم يكن يقطع أمراً دون للسلمين حتى يخطبهم، وبطلب رأى عامتهم وخاصتهم فيه ، وكان يقبل الرأى الصائب مهما كان مصدره ، وهو الذى كان يخطب فى أمر الهور ، ومقالاة الناس بها ، وقد عزم أن يجسل لها حداً ، فصاحت به أمرأة من أقصى للسجد تفول : كيف وقد قال الله تعالى : « وَا تَيْدُمُ فصاحت به أمرأة من أقصى للسجد تفول : كيف وقد قال الله تعالى : « وَا تَيْدُمُ إِنْ خَشَارًا الله وَالله الله عن رأيه ، وقال : أصابت أمرأة وأخطأ عم .

أما كانى أسباب الخطابة ، فهو قوّة البيان ، والاقتدار على الارتجال ، ونصيب العرب من ذلك معروف مشهور ، خصوصاً فى الإسلام ، بعد أن زادت ثروتهم اللغوية مآداب القرآن والحديث .

ولا يقدح فى قوّة بيانهم فى هذا المصر ماروى عن الرّنج عليهم مثل يزيد ابن أبى سفيان ، فقد ورد فى الكامل للمبرّد : أن أبا بكر ولاه ربعاً من أرباع الشام ، فرق المنبر ، فتكلم فارتج عليه ، فقطع الحطبة وقال : سَيَتِقْتَلُ ٱللهُ بُسْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ، و بعد عِن يباناً ، وأثم إلى أمير فتال، أحوج منكم إلى أمير قوّال .

وبستوى يدار م به به المحتذار ، حتى إن عرو بن الماص لما سمم هذه القصة فظهرت بلاغته في هذا الاعتذار ، حتى إن عرو بن الماص لما سمم هذه القصة قال عن هذه الكلات التي فاه بها يريد : « هُنَّ مُخْرِ كَانِي من الشام » استحساناً لما الارتاج فباب آخر قد يكون منشؤه الفكرة المشتنة ، والحوادث الشاغلة ، والنم المكدود ، لأن من نطق بمثل عبارة يزيد هذا الاتموزه السبارة ولاينقصه المبيان، وثالث الأسباب : قيام الدواعي الحافزة للخطابة ، وقد توافرت في هذا المصر من دعوة إلى الدين ، وإعلان السياسة ، وحض على لزوم الطاعة ، وتشجيع على قتال ، أو خوض في فتنة .

تمت هذه الأسباب للخطابة في عصر صدر الإسلام والعصر الذي وليه ، لأن الأسباب بقيت فيه مجتمعة متوافرة ، فبلنت الأوج من عزّها ، وأحصى للعرب من الخطب ما لم يحص لغيرهم من الأم ، و بلنت في كثرتها ما بلغه الشعر في العصر الجاهلي. وهذا على كرّم الله وجهه ترويله خطبه في كتاب ضخم، هو هنهج البلاغة » . و إذا صحح ما قبل من أن فيها مدسوساً عليه ، فإن سلامة نصفها له أو أقل ليجله مقطوع النظير فيمن عرفنا قديما من خطباء الدنيا . فهذا ديموستنيس خطيب اليونان المشهور قديما لم يعدوا له أكثر من ستين خطبة ، لا شك أن فيها مدسوساً عليه ، شأن كل عظيم يماول قومه تفخيم أمره .

و بقيت المخطابة عاداتها القديمة ، من اعتجار العمامة ، والاشتهال بالرداء ، واختصار المخصرة ، والقيام على شَرَفٍ من الأرض ، أو منبر ، وكان رسول الله يشدد على قوس فَى الحرب ، وعلى هصاً فى السَّمَّا قبل أن يتخذ له للنبر .

وكان شأنهم فى أفهاظها وأسلوبها هو الشأن العام فى نثرهم من سهولة اللفظ ، وانسجام الأسلوب ، وهجران السجم ، وترك التنكلف . وكانوا ببده ونها بالحمد لله ، والمصلاة على رسوله ، و يكثرون فيها من انتباس الآيات القرآنية ، فقد كان رسول الله يله فى كلّ جمعة إذا خطب الناس سورة : « قَ وَالْقُرْآنِ اللَّجِيدِ » حتى لقد اشترط بعض الأئمة اشتال خطبة الجمعة على شيء من القرآن .

وقد جروا فيها على طرف الإيجاز والإطناب اتباعا للدواعى ، فقد خطب رسول الله من لدن صلاة المصر حتى دنت الشمس للمنيب ، كما ذُكر أن عمر لما بويع وقف على للنبر ، فلم يزد على قوله بعد الجد لله : إنما مَثَلُ الْأَمَّةِ كَمُثَلِ جَمَلِ أَفِّ ⁽¹⁾ أَتَّبِعَ قَائِدَهُ، فَلْيَنْظُرُ قَائِدُهُ أَبِّنَ يَقُودُهُ ؟ أَمَّا أَنَا فَوَرَبَّ الْكَشَبَةِ لَأَعْمِلَتُكُمْ قَلَى الظّرِيقِ.

ومن إيجازهم فى الخطابة ما رواه المبرَّد فى الكامل قال : ومما يؤثر من هذه

 ⁽١) هو الذي إن قيد الهاد ، أو هو الذي يأنف من الزجر والضرب ، فيعطى ماعنده بلاطلب.

الآداب، ويقدّم قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى أوّل خطبة خطبها حدثناً المُشْبَى قال: لم أو أقل منها فى اللفظ، ولا أكثر فى المهنى . حمد الله وأثنى عليه بما هو أهد، وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أيها الناسُ إنه والله ما فيكم أحد أقوى عندى من الفميف حتى آخذ الحقّ له ، ولا أضف عندى من القوى "حتى آخذ الحقق منه ، ثم نزل . قال أبو الحسن (يريد الأخفش) : قد روينا هذه الخصية التي عزاها إلى عر ، عن أبى بكر ، وهو المصحيح .

ومن خطباء هذا المصر رسول الله وخلفاؤه ومعاوية وسحبان وائل وزياد .

نمــاذج من خطابة هذا العصر

أوَّل خطبة خطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا قومه بمكة .

ومن خطبه أنه قال بعد الحد لله والثناه عليه : أيها الناسُ كأنَّ للوت في الدنيا على غيرنا كُتِب، وكأن الحقّ على غيرنا وجب، وكأنّ الذين نُشَيّع من الأموات سَمْرْ

⁽١) الرائد: الذي يرسل في التماس النجمة وطلب السكلاً .

⁽٢) غرَّه غرًّا وغروراً ، فهو مغرور وغرير : خدعه .

 ⁽٣) أى أوّ ل من أنذر قريبًا من عذاب شديد : أى من يوم الفيامة الذى يكون فيه المذاب.
 الفديد لأهل الكنر والشلاة .

عاقليل إلينا راجون ، نُبُوَّتُهُمْ أَجْدَائهم ، ونَا كُل تُرَائهم كَانَنا عَلَيْون بعدهم . قد نَسِينا كُلَّ واعظة ، وأميًا كُلَّ جائعة ، طُوبِى لمن شغله عبيه عن عيوب الناس ، وأنفق من مال اكتسبه من غير مصية ، ورحم أهل الذل ، وخالط أهل الفقه والحسكة ، طُوبى لمن أذَلَّ تَفْسَهُ ، وحَسُنَتْ خليقتُه ، وسَّتْ سريرتُه ، وعزل عن الناس شرَّه ، وأهق الفضل من ماله ، وأمسّلكِ الفضل من قوله ، وَوَسِمَتُهُ السنة ، ولم يَمَدُّها إلى البدعة .

وخطب يوماً فقال: أيها الناس ، إن لكم ممال الله عاتبوا إلى معالم ع إن لكم الله ، وإن لكم الله ، فاتبوا إلى معالم ، وإن لكم الله ، فاتبوا إلى نبايتكم ، وإن المؤمن يين عافياً خذ العبد من فسه لنفسه، ومن صانعه ، وين آجل قد منهى لايدرى ما الله ومن الشبية (٢٧) ، ومن الحياة قبل المات . فوالذى فس محد بيده مابعد للوت من مستَحقّب ، ولابعد الدنيا من دار ، إلاالجنة أوالنار (١٠) . وخطب حين دخل مكة ، فعد أن طاف بالبيت سبماً على راحاته ، وأخذ منتاح وخطب عنان بن طلحة، وقف على باب السكمية وقال : لا إله إلا الله وحده، لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة (٥٠) أو مال يدعى به ، فهو تحت قدى هاتين، إلا سدانة البيت وسقاية الحاج . ثم أود ؛ يا ممشر قريش إن الله قد أذهب عنكم نفرة (٢٠) الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس

⁽١) الملم: العلامة ، ومنه معلم الطريق مايوضع ليستدل به عليه .

 ⁽٢) شب من باب ضرب شباباً وشبيبة ، وفلك ما كان بين الفتاء والسكهولة .

⁽أُمُّ) السَّدِيةَ : كَأَنَهَا مرَّةً مَنَ السَّكِبَرَ ، وهو الطنن في السنَّءَ والنسل كفرَّ بهذا المسي ، ومن باب كرم بحين عظم .

 ⁽٤) رواية « همله ألنتر» لقدامة، تقدامة ، تقدام عند نهايتكم ، و « إن المؤمن » بلا واو »
 ه بين أجل قد مضى » وبين أجل قد بني » ، و « فلم أخذ امرؤ» ، و « من الشهيبة قبل الموجة قبل الموجة عند الشهيبة المبدر بين الحياة قبل الموت » .

 ⁽٥) أي مفخرة موروثة عن الآباء .

⁽۲) تأر .

⁽٧) كر وعظمة .

من آدم ، وآدم من تراب . ثم قال : يا معشر قريش ما تطنون أنى فاعل بكم ؟ قالوا خيرًا . أخ كريم وابن أخ كريم . قال : اذهبوا فأتم الطلقاء^(١١) ، ثم ردَّ مفتاح الكمبة إلى سادنها ، فهى فى عقبه إلى اليوم .

ومن خطبه عليه الصلاة والسلام خطبته فى حَبِّقة الوداع ٢٠٠٠ ، وهى التى لم يحبح ببدها ، بعد أن علم الناس سنن الحج وأرام مناسكه ٢٠٠ ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس : إن دماء كم وأموالكم عليكم حراث إلى أن تُلقّوا اربح ، كَثُر تُمتر البداً ، أيها الناس : إن دماء كم وأموالكم عليكم حراث إلى أن تُلقّوا اربح ، كَثُر تُمتر يومكم هذا ، وكَثُر تمتر هذا ، وكَثُر تمتر هذا ، وكَثُر تمتر هذا ، وكَثُر تمتر هم أمانة فليُوت الله من اثنته عليها . وإن كُل رباً مؤسّو ثن كانت عنده أمانة فليُوت الله من اثنته عليها . وإن كُل ربا الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع كم أبن ربيمة بن الحارث ٢٠٠ ، فهو أول الجاهلية ، أما بعد : فإن الشيطان قد يُشِين أن يُعبَد بأرضكم هذه البدأ به من دماء الجاهلية ، أما بعد : فإن الشيطان قد يُشِين أن يُعبَد بأرضكم هذه المؤدر كم على دينكم ، أما بعد : أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم خقا ، ولهن عليكم حقا ، ولهن في حقيد ربي في نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، ولهن في عليكم حقا ، ولهن في خياكم حقا ، ولهن في خياكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، ولهن في خياكم حقا ، ولهن في خياكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، ولهن في خياكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، ولهن في خياكم خياكم حقا ، ولهن في خياكم حقا ، ولهن في خياكم حقوق في خياكم خيا

⁽١) خِم طليق ۽ وهو المئون عليه بمك الاسار .

⁽٣) كَانَتْ سَــــَةٌ مَهَىر ، وَسَمِيتْ بِالْوَرَاعِ ، لأَنَّ النِّيِّ ودَّع الناس فيها بالوصية ، وأكد الوداع بالاشهاد ، فما عرف وداعه حتى توفى .

 ⁽٣) المناسك : جمع منسك (كمجلس ومقمد) وهو ما يتميد به ، والنسك (مثلثة) العبادة

 ⁽٤) و بروی : وإن أول روا أبدأ به ربا عمی العباس بن عبد المطلب .
 (۵) وفي روایة : دم عاس بن ربیمة بن عبد المطلب .
 وف روایة : دم عاس بن ربیمة بن عبد المطلب .

 ⁽٦) الفرش مصدر واسم للفروش . ويصنع ضبط الكلمة قرش (ككتب) فتكون جماً لفراش .

⁽٧) هى النشوز أو البذاء .

مبرح ، فإن التهين فلهن رزقين وكيشوتهن (1) بالمعروف ، واشتَرْصُوا بالنساء خيراً . فإنهن عندكم تتوان لايملكن لأقسهن شيئاً . أيها الناس : اسمعوا قولى والمفارك تشكّنُ أن كان مُسْئِل أَخْ للسلم ، فلا يحل (٢) لامرى من أخيه إلا ما أعطاء عن طيب تقسم منه ، فلا تَقَالِمُنَّ أَفْسُكُم . اللهم قد بَلَّشْتُ ، اللهم اشْهَدْ .

ä.

من خطبة أبي بكر ٢٥ يوم بويع :

حدالله وأثنى عليه ،ثم قال:أمابيد، فإلى وليستُ عليكم ولستُ بخيركُ ولكنْ نَزَلَ القرآنُ ، ولكنْ نَزَلَ القرآنُ ، وَسَنَ النَّهِ مِنْ اللهُ عليه وسلم ومُلَّمْنا فَيَلَمْنا ، واعلوا أَنَّ أَكْبُسِ الكَيْسِ (*) الثّقيّ ، وأن أختى الحُمَّنِ اللهُ الناس : إنحا أنا مُثَبِّع ولست أَضْفَكُم عندى الفحيف حتى آخَذَ منه الحقّ ، أيها الناس : إنحا أنا مُثَبِّع ولست بمُبْتَد ع ، فإنِ رأيتمونى على خلى خلى خلى غلى مؤفى ، وإن رأيتمونى على باطل قردُوني ، أميا يشمُونى ما أطَفْتُ الله فيكم ، فإذا عَمَيَتُهُ (الله فلا عليكم . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وليكم .

⁽١) بالنم والكسر في المفرد، أما الجم فهو بالنم لاغير (كسا) .

⁽٢) حل من الحلال كذرب. ويمني فك النفدة أو نزل بالمكان كنصر .

⁽พ) موعيداته بن أيدنسافة يجسم مع رسولياته فيمرة بن كب . ولديمد سليين منهواد رسوله الله وكانصاحيه قبل النبوة وهو أوليمن أسلم من الرجال والناك سمى العبد هي وقد لزم النبي في أحرج المواقف : أنه من أكم على العبد هي العبد هي العبد هي العبد الله والناك المعلم المواقف الموا

 ⁽٤) خيراً الس تضيل وأساء أخير أومو صفة مشبة . وكذلك شر وقد استسلا بصيغة أفسل على.
 الأصل . ويقال الدينة بأخى المدر أى بالحير وبأخى الحير أي بالصر .

⁽a) مند الحق .

 ⁽٣) مصى (كندرب) ضد أطاع : ومنه السما وجملها عصى كنسى وأعماء . وشتى السمة
 المثالفة ، وعيد السما . أى الذين يضربون بها.

ومن خطبه خطبته التي يُرشِّح (١٠) فيها عمر للخلافة ، فإنه جمع الناس وهو مريض فأسر بمن يحمله على للنبر ، ثم خطب آخر خطبة له ، فحيد الله وأنني عليه ، ثم قال : أيها الناس ، الحَدَرُوا الدنيا ولا تَنْتَوُا بها ، فإنها عَرَّارَة (٢٥) وآثروا الآخرة على الدنيا وأحبُّوها ، فَيَحُبُّ كُلُّ واحدة سنهما تُبُفَّهُ (٢٦) الأخرى ، و إن همذا الأمر الذي هو وأحبُّه ثم بنا بك على المنتقل من الأعرى الذي هو وأشكُ مُ مَدِرة وأصله من وأشكر من على الشير ، وأشكر من المناسكم في نف حالي الليني ، وأشكر من من النمل ، ولا يَتَحَبُّر عند البديهة (٢٥) ، وقوى على الأمور ، لا يَجُوزُ ولا يَسْتَحَيى من النمل ، ولا يَتَحَبَّر عند البديهة (٢٥) ، قوى على الأمور ، لا يَجُوزُ لله ، من الحَدَر الله عنه والمناسة ، وهو عمر بن الحسال .

蟲

ومن كلام عمر بن الخطاب(١٠٠):

⁽١) من سانى الترشيح : الثقوية . والمنى هنا يبين قوته على احتيافًا .

Jalua (4)

^{(ُ ُ} الكثير في هذا الفسل أبنش والفليل بنش (كنصر) ويقال بنش فلان (ككرم) أى صار بدعةً مكروعاً .

 ⁽٤) ألصق بناء يقال ملك الحشف أمه إذا قوى وقدر أن يتبعها ، والمراد بالأمر الحلافة .

 ⁽٥) الفدة: صعوبة الزمن ، والجع شدد بكسرالدين . أماالشدائد فجم شديدة بنس المنى أوجع
 إذ ندية .

٦١) عناه الأمر عنياً : شنله فهو معنيٌّ به .

 ⁽٧) البديهة : ماينجاً الانسان من أمر ، والجام بدائه.

⁽٨) رصد الهي. (كنصر) ثرقبه . ويرصدهنا من أرصد بمني أعد".

⁽٩) الحاضر من الأمر، يقال عند الأمر حضر فهو عند وعنيد .

⁽١٠) هوأبو حضن حمرين الحفال. أول من تسهيمن الحفاء بأميرالمؤمنين وأول من أرخ بالخاريخ الهبرى ومصر الأمميار (بنيت البسرة والكوفة بأمره) ودوّن الدواوين للبيش وبالحراج، وله بعدوك وسول الله بثلاث عصرة سنة . وكان بين قريش من زحمائها . وكانت له المسفارة بينها وبين القبائل

أيها الناسُ: القُّوا الله في سَرِيرَيْكُمُ وَعَلاَنِيَةِ كُمُ ، وَأَمْرُوا بالمروف ، وانهُوَّا عن الناسُ . وانهُوَّا عن النُسْتَر ، ولا تَسَكُونُوا مِثْلَ قوم كانوا في سفينة ، فأقبل أحدهم على موضه يَغْرِقُهُ فَعَلْمُ إِلَيه أَصابه فَمَنُوه ، فقال هو مَوَّضِيي وَلِي أَنْ أَحْسُمُ فِيه ، فإنْ أخذوا على يده سَلِمَ وَسَلِمُوا ، و إِنْ تَركُوه هَلَكَ وَهَلَكُوا معه ، وهذا مثل ضربته لكم ، وهنا الله وإياكم .

ومن خطبه قوله بعد حمد الله والثناء عليه : أيها الناسُ ، إنى دَاعِ فَأَمَّنُوا ، اللهم إنَّى عَلَيْظُ كَائِيَّى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتناء وجهك والدار الآخرة ، وارْزُخْفي النياطة والشدة على أعدائك وأهل الشّعارة (٢٦) والثّقاق ، من غيرظلم هنى لهم ولااعتداء عليم ، اللهم إنى عَصِيحٌ فَسَخْفِى في نوائب (٢٦) المعروف قَصْدًا من غيرسَرَ في ولاتبذير (٢٦) المعروف قَصْدًا من غيرسَرَ في ولاتبذير (٢٦) المجروف قَصْدًا من غيرسَرَ في ولاتبذير (٢٦) المجلوب والدار الآخرة ، اللهم ارزقنى خَفْسَ الجُناح ولين الجانب للمؤمنين ، اللهم إنى كثير النّقلة والنّسيان ، فألمْرِثنى ذِكْرَكُ على كلّ حال ، وذِكْر للوت في كلّ حين ، اللهم إنى ضعيف عن العمل بطاعتك ، فارزقنى النّقام فيها والتوق على النيا المؤمنين يديك ، والحيدة منك ، وارزقنى اللهم ثَبَتْنِي باليقين والبرّ والتقوى ، وذُكْر للقام بين يديك ، والحياء منك ، وارزقنى الخشوع فيها يرضيك عنى ، والحاسبة لنفسى ، وإصلاح الساعات ، والحَلَدَ من

⁽١) الحبث والفجور .

 ⁽٣) النواتب: جم ثائبة وهى للصيبة فلما أضيف إلى المروف صار معناها للصائب التي تحتاج إلى المروف لتلافيها

 ⁽พ) الفسد: التوسط ق الأمور، والسرف ضده فهرأتم من أن يكون ق المال أوغيه وبالافراط.
 أوالفنريط . التبذير: الإيمان في غير طاعة الله وموالا سراف. ويذبى حمل السرف هنا على الثعنير حتى يكون عطف الثيذير عليه المعايرة.

الشُّجُاتِ ، اللهم ارزقنى التَمكيرَ والتدبرَ لما يَتْلُوه لسانى من كتابك ، والفهمَ له ، والمرفّةَ بمانيه ، والنظرَ في هبائبه ، والعملَ بذلك ماقيت ، إنك على كلّ شيءقدير .

Å

ومن خطبه لمما بلغه أن قوماً يفضلونه على أبى بكر الصديق رحمه الله ، فوثب مغضباً حتى صعد النبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

⁽١) أي منت زكاتهما . (٢) أشقط .

⁽٣) دمنه: أصاب دماغه . (٤) زهتي الهيء: هلك، والباطل: اضبحل.

 ⁽a) قال أباره عذراً : قدمه إليه نقبله . والمنى هنا ضل ما معذر ممه أى أم يقصر -

الناسُ لو مَنعونى عِقَالاً لجاهدتهم عليه . واستعنت الله عليهم وهو خير مُعينٍ ، ثم نزل : فجاهد في الله حقٌّ جهاده حتى أَدْعَنَتِ العربُ بالحق .

قال المبرَّد في قوله : فو منعوني عقالا لجاهدتهم عليه الصحيح أن للُصَّدِّق إذا أخذ من الصدقة ما فيها ولم يأخذ تمنها ، قيل أخذ عقالا . وإذا أخذ الثمن ، قيل أخذ نمداً . قال الشاعى :

أثانا أبو الخَطَّابِ يَشْرِبُ طَبَّلُهُ فَرُدَّ وَلَمْ يَأْخُذُ عِثَالًا ولا تَقْدَا (وكانت الأمراء إذا خرجت لأخذ الصدقة تضرب العلبول) . والذي تقوله العامة : فومنعوني ما يساوي عقالا فضلا عن غيره . وهذا وجه والصحيح الأول لأنه ليس عليهم عقال يعقل به المجير فيهنمه .

۵

ومن خطب عثمان (١):

إِنَّ لِكُلِّ شَيْءَ آفَةً ٣٠ ، وَإِنَّ لِكُلِّ نِسْةِ عَاهَةً . وَإِنَّ آفَةَ هَذِهِ الْأَنْةِ ، وَالْ اللهُ عَلَيْهِ الْأَنْةِ ، وَإِنَّ آفَةَ هَذِهِ الْأَنْقِ ، وَإِنَّ آفَةَ هَذِهِ الْأَنْفِقُ عَيَّابُونَ ظَلَّانُونَ يُظْهِرُونَ لَكُمْ مَاتُحِيُّونَ . وَيُسِرُّونَ مَاتَكُرُّ مُونَ.

⁽١) هو عثمان بن عان الأموى القرعى. وقد فى السنة المئاسة من مبلاد رسول الله وهب على الأخلاق الكريمة فكان حيا علية أ. ولما بعث رسول الله كان من السابغين الأولين إلى الإسلام وهو أحد المهاجرين إلما الحيثة غيرة إليها مع السيدة رقية بن الرسول وكان التي قد زوجها إلى وحضرهم التي بجيم مواقده إلا بدرا استبقاء الرسول ليخوم بشريض رقية فى مرض موتها وبعدها زوجها التي ابتئه السيدة أم كانوم وأختى كثيراً من ماله فى إصلاح حال الملهن وجهز حيش السرة إلى تبوك وكان من كنية أوسى. وكان أحد الشيد المهاجرة إلى أن قبل سنة ٣٥ هدأته احدى عصرة عنية لم يلم له منها إلا الست الأولى من تولل عليه المنه المنها إلا الست الأولى ثم تولل عبد المنه من أهل الأمصار بحية أنه يؤثر أثرياه ولأهمال ولولا لينه الشديد بعد شدة عمر المنافقة ما المنافقة على حدثت بشئه واجتزاً بها الناس على المنفاة . قتل رحمه الله بداره وهو يؤرا التراكن .

 ⁽۲) الآفة والعاهة : ماينسد الدى، والأولى من أيف الدى، فهو مثوف ومثيف . والثانية من عاه پسه فهو سيره .

يَشُولُونَ لَكُمُ وَتَقُولُونَ. طَمَامُ (١) مِثْلُ السَّامِ (٣) يَتْبَعُونَ أَوَّلَ نَاعِقٍ. أَحَبُ مَوَارِدِمُ إِنَّهُمُ النَّازِحِ (٣). لَقَدُ أَفْرَوْمُ كِبْنِ الْحَطَّابِ إِلَّ كُثَّرَيْمًا لَقَتُهُ (١) عَلَى وَلَسَكِن وَقَسَكُمُ (١) وَقَسَكُمُ وَرَجَرَكُ وَجُرَ الشَّامِ الْمُعَرِّمَةِ (٣). وَاللهِ إِنَّى الْمُقْرَبُ نَاصِرًا وَأَعَرُ تَقَرًا وَأَ قَنُ (٣) إِذَا تُلْتُ عُلًى (١) أَنْ تُعِلَبُ وَعُرِيْنِ مِنْ مُحَرَ. عَلْ تَفْقِدُونَ مِنْ حُتُوفِكِمْ شَيْعًا ؟ فَسَالِي لا أَفْلُ فِي الْمُقَى مَا أَعْهُ إِذًا " مَلْ تَقْفِدُونَ مِنْ اللَّهِ اللَّهَ

ومن خطبه في الوعظ قال بعد حمد الله والثناء عليه :

⁽١) الطنام : أوغاد الناس واحدها طنامة . والطنامة أيضاً الأحتى .

 ⁽٢) النمام: اسم جمع النمامة وهي طائر أحمق . (٣) الفليل الماء .

⁽٤) عمم منه (كضرب وعلم) انتقم ، وغم منه وعليه الفيء : عابه .

 ⁽a) وقر (كوعد) نبر ورد أقبح رد . (٦) خرم اليد (كضرب) جل في جاب ألهه المخرامة كنونه . (٧) أقن : أجدر ويقال حوقين وقن كمنز وقن كبطل والأخيرلايجم ولايثنى لأن أصله للصدر وصف به كمنل .

⁽٨) هغر أسلها لم" بمنى ضم واجم كأن المنادى يمول ضم غسك والهاء للتنبيه . والحبازيون يستسلونه بقظ الواحد له ولفيره ، وأهل نجد تلدى به الضيائر ويستصل الازما ومتعديا : هلم البنا . وهغر عركاء كم . (٩) الادوام لها .

⁽١٠) النرور (بالثنج) الدنيا أو ما غرك أو يضى بالشيطان ومو أيضاً ما يتنرخم به و والفحم مصدر غمر أو جمع غار . (١١) عمر الرجل المكان (كنصر) ألهم به . والمسارة (بالكسر) ما يسر به المكان وبالشم أجرة الإيامة به وبالفتيح كل ما يلبس على الرأس .

تَذُرُوهُ (١٠) الرَّاعَ وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلَّ مَق مُعْتَدِرًا . الَمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَهُ الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبُلْقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عَنْدَ رَّبُكَ ثَوْالًا وَخَيْرٌ أَمَلاً » .

ومن خطبه :

أَمَّا تِعَدُّ : كَإِنَّ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا أَهْمَا كُمُ اللَّذَيْلِ لِتَعْلَبُوا بِهَا الآخِرَةَ ، وَأَ يُعْلِكُمُوهَا لِتَوْكُنُوا إِلَهُا . إِنَّ اللَّذَيْلَ تَفْنَى وَالآخِرَةَ تَدْبَقَى ، فَلَا تُبْطِرَ أَنْكُمُ الْفَائِيَةُ وَلاَ تَشْفَلَنْكُمْ عَنِ الْبَاقِيةِ ، فَالْرُوا مَا يَبْنِي عَلَى مَا يَفْنَى ، إِنَّ الدُّنْيا مُتْقَلِّهَةٌ ، وَإِنَّ الْهِيرَ إِلَى اللَّهِ . أَقُوا اللهُ عَرَّ وَجَلَّ فَإِنَّ تَوْاهُ جُنَّةٌ مِنْ بَأْمِهِ وَوَسِيلةً عِنْدَهُ ، وَاخْذَرُوا مِنَ اللهِ الْغِيرَ⁽¹⁷⁾ ، وَأَلزَ مُوا جَمَاعَتَكُمُ أَلاْ تَصَيرُوا أَخْزَا الْ وَأَذْ فِنْهَ اللهِ عَلَيْكُمُ إِذْ كُنُهُمْ أَهْدَاءً مَا أَلْفَ مَيْنَ فَلُوبِكُمْ فَأَصْبَعَتُمُ بِيضَتِهِ إِخْوانًا وَأَذْ كُولُوا

Æ.

ومن كلام على ⁽¹⁾ فى التحريض على التنال لمـا أغار سفيان ⁽⁰⁾ بن عَوْف ٍ الأَسْدِعّ. على الأَذْبَار ⁽⁰⁾ وقعل عامل على عليها :

حَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وصلَّى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : أمَّا بَعْدُ ،

⁽١) ذراه (كشرب) قرقه في المواء .

⁽٢) البطر: كفر النصة .

⁽٣) أى أحداثه التي تنبر حال الهيء،قبل هو مفرد وجمه أغيار، وقبل جم غيرة كسب جم عنبة.

⁽³⁾ على بن أبيطالب، هو أبن على وصول الله وأحد كتاب وحيه وزوج ابته فاطنه ولد بعد مولد. النبي بالتجن والاتين سنة ، وهو أول من أمن من الصيان وهمه جميع النزوات مع النبي إلا غزوة ليلوا . والما المنظمة المحلوز واستع عليه ساوة بالشام معتلا بالطالبة بعم عان تعدما لها على تنصيب المخليلة تغشى على المهام المعالمة على المعام المعا

 ⁽٥) هو أحد بنى غامد، وهى قبيلة باليمن وقد بشه مباوية لثمن النارة على أطراف الدراق.

⁽٦) بلمة على المفاطئ المعرق للفرات .

فإنَّ الجهادَ بابُّ من أَبُوابِ الجَنَّةِ فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عنه (١) أَلْبَسَهُ اللهُ الذَّلَّ، وَسِيَاء (٢) الْبَسَهُ اللهُ الذَّلَّ، وَسَيَاء (٢) الْبَسَهُ اللهُ اللَّهِ وَاللَّهَ اللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهَ اللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ اللَّهُ وَلَوْا كُلُمُ ، وَلَمُّلَ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَوْا ، فَتَضَاذَلُمُ وَلَوَا كُلُمُ ، وَلَمُّلَ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَلَوْا كُلُمُ ، وَلَمُّلَ عَلَيْكُمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللهُ ا

هذا أخو عامدٍ قَذَ بَلَفَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ ، وَقَعَلَ حَسَّانَ الْبَكْرِيّ ، وَأَوَالَ خَيْلَكُ مُّ مَن مَنالِهِ الْمَنْفِقَ مَنْ مَنالِهِ اللّهِ عَلَى مَنْ مُنالِهِ اللّهِ عَلَى مَنْ مَنالِهِ اللّهِ عَلَى اللّهُ مَنْ مَنْ كُنْ مَنْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ عَلَى اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّ

⁽١) رغب (كفرح) فيه أراده. وعنه كرهه . وإليه ابتهل . و غب (ككرم) اشتد نهمه

⁽۲) علامة . (۳) الذل . (٤) ديث : وصم ، والصدار : الذل .

⁽ە) غىر: وسط.

 ⁽٢) قال المبرد: قوله شنت عليكم الغارات يحول صبت. يقال شنت الماء على رأسه أى صببته
 وكمفك فيسرها صاحب اللهاموس المحيط. والظاهر أن كاله المنارة فى قول الشاس :

فَلَيْتَ لِي بِهِمُ قُومًا إِذَا رَكِبُوا ﴿ شَنُوا الْإِعَارَةَ رُكِبَانًا وَفُرْسَانًا

مفعول به بعليل أنها وقدت نائب فاعل فى قول سيدنا على لما حقف الفاعل . فأما قول الصيخ الحضرى. فى طفيته على ابن هميل إن مقعول شن محفوف والإينارة مقعول الأجله فلا داعى له (V) - جم مسلحة ومى التمتر حيث يضمى طروق النفو .

الحبل: الخلخال. التلب. السوار. الرعاث جم رعثة وهي الفرط.

⁽٩) تامين لم يتقس منهمأحد. (١٠) جرس.

ومن خطبه كرٌّم الله وجهه حين استنفر أهل الكوفة لحرب الجل قال:

الحدُّ قُو ربِّ العالمين ، وصلَّى أللهُ عَلَى سيدنا محمدِ خَاتُم النبيين ، وآخر الرسّلين . أَلَّمَا بعدُ : فإن اللهُ تَبَسَّتُ محمداً عليه الصلاة والسلام إلى النَّفَايَّينِ كَافَّةٌ ، والناسُ فى اختلافٍ ، والعربُ بِشَرِّ المنازل مُضْدِينُون الشَّنَا^{ن ؟} بِشُهِم على بعض . فرأبَ به اللهُ

 ⁽١) الفر بالضم : البرد، ويوم قر بالفتح وليلة قرة كذلك باردة والفرة بالسكسر البرد والرجل مترور . والعسر : الربح المشديدة كالسرصر .

 ⁽٣) حارة الفيظ شدته ومثلها صبارة المعاء.

 ⁽٣) الطفام: السفلة من الناس والواحد طفامة .

 ⁽٤) الحيال جم حجلة وهى الحتر :أى ذوات الحدور كناية عن النساء أو جم حجل بكسر فكون وهو الخذال .

ألدر: الناس ، واللبن ، والدل ، والداد من نسبة الدر إلى الله بأحد هذه الدانى هو تعظيمه
 لأن الديء إذا نسب إلى العظيم كان عظيا.

 ⁽٢) يقال: أضب الدىء إذا حِملة في ضبنه ، والضب بكسر فكون: الإبط ومايليه.

النّائي الله وتقلّق به العبّد ع ، ورتق به الفتق الله ، وأثن السبل ، وحقّق به الدّماء ، ووقلتم به الداوة المؤخرة لقلوب () ، والضائن المُتشنّة الصلور . ثم قبضه الله عز وجل مشكورًا سَمْيُهُ ، وضيًا عله ، مغفورًا ذنبه ، كريما عند ربه نُزُلُه () ، فيالها مصيبة تحمّق المسلمون . ثم ولي عمّان فنال منكم مصيبة تحمّق المسلمون . ثم ولي عمّان فنال منكم المسلمون . ثم ولي عمّان فنال منكم المسلمون . ثم ولي عمّان فنال منكم المينا. فقلت لكم لا أفعل ، وتَبَعَشتُ يدى فبسطموها ، ونازعتم كنّي فجذبتموها فقلتم لى المؤسنة المنال المنافق المنافق

⁽١) رأب : أصلح . التأى بنتحين أو فتح فسكون : الفساد .

⁽٢) لأم (كنع) أسلح . رتق (كقتل) سدّ.

 ⁽٣) وغر (كتب أو وهد) صدره : امثلاً غيظا .

⁽٤) النزل بضمتين:مايهياً للضيف.

⁽٥) الكف مؤنث

 ⁽٩) في السان ، تداك عليه الدوم إذا ازد حوا عليه .

 ⁽Y) المم : الا بل المطاش واحدها أهم والأننى هياء ووزن هم فعل (كففل) وإنما كسرت الهاء لمنا لما المالية

 ⁽A) هما ثنان من المدهرة المدهر ن بالجنة والسنة أهل الشورى وكلاهما قتل سسنة سنة وثلاثين
 من الهجرة الأول في وقدة الجل والثاني عند متصرفه منها .

 ⁽٩) المسرة : الثنج أو الكسر أو الحريك أو فتح الباء م كسر العماد فديها أربع لنات وليس في النسب اليما إلاالفتح أوالكسر مع سكون العماد .

بلاغات النساء في هذا العصر

للرأة كما تسلم منزلة بين العرب بتبت لها إلى ما بعد الإسلام ، ولقد أثارت الحوادث التي جرت بعد رسول الله كوامن البلاغة فين ، فنكم ترى لهن من قول ألهب القلب حمية بوم القتال ، وقصل المطالب بوم الحسام ، وإنه ليروعك منهن جهارة الرأى وصدق اليقين حين ترى التشيعات أو العلويات يجبّهن معاوية ، وهو على سرير ملكه ، والحراس من حوله بالقول الجارح ، والتهمة الشنيعة ، ويذكرنه بما كان منه من خروج على الجامة ، وبند الطاعة ، وقد ضان من ذلك ما لم يفعله كثير من الرجال الدين انقلبوا إلى معاوية بعد موت على "التماساً الدنيا ، واستدراراً للعطاء . أما هن فإذا أتق لإحداهن أن تعلل حاجة فإنما تطلبها في عزة وأثقة ، باسم الحق المنتسب ، والوديعة المحتجنة ، وإذا أردت أن ترتم من روض هذا الكلام في أحسن مرتم ، فعليك بكتاب بلاغات النساء لابن طيفور ، فقد جع من ذلك رئ الصادى . وإنما ننقل من بك أمثلة فقول :

ەن كلام عائشة أم المؤمنين

بلغها أنِ أقواماً يتناولون أبا بكر رضى الله عنه ، فأرسلت إلى أَزْ كَلَةٍ (١) من الناس فلما خسروا أسدلت أستارها وَتَلَتْ وسادها ، ثم قالت :

أَبِى وَمَا أَ بَيَهُ 11 أَبِي وَاللَّهِ لا تَنْظُرُونَ الْأَيْلَى . ذلك طُوْدٌ مُنيْف ، وظلُّ مَدِيد ، هيهاتَ كذبتِ الظنون ، أُنْجَحَ إذْ أَكْدَيْمُ (٢٠ ، وسَبَقَ إِذْ وَنَثْبُمْ * سَبْق الجواد إذا اسْتولَى على الأَمَدِ » في قو بش ناشئاً ، وكَوْنُهَا كَهْلا ، يَمُكُ عانِهَا ،

 ⁽۱) الجاعة . (۲) لاتعاوله . (۳) جبتم .

وَ تَرْ يِشُ (١) مُمُلِقُها ، وَيَرْأَبُ شَعْبَهَا (٢) ، وَيَأَةُ شَمَنْهَا ، حَى خَلِيتُهُ قُلوبُهَا ، ثم استشرَرَ (٣) في دَبِن الله ، في برحت شَكِيمتُه (٤) في ذات الله عز وجل حتى اتَّخذ بفنائه مسجدًا يحيى فيه ما أمات الُبْطلون . وكان رحمهُ اللهُ غَزِيرَ الدمعة ، وَقِيذَ^(٥) الجوائع شَجيَّ النَّشِيج (٢٠ ، فانعطنت إليه نِسُوانُ مَكَة ووِلْدانها يسخرون منه ويستهزئون به « اللهُ يَشْتَهْزِيُّ بِهِمْ وَيَكْمُمُ فَي طُفْيَانِهِمْ يَمْمَهُونَ ﴾ فأكبرتْ ذلك وجالات قريش ، كَفَنَتْ قِيبِيِّهَا ، وفَوْقَتْ سهامها ، وامتثلوه^(٧) غَرَضًا ، فـــا كَأُوا له حَمَّاةَ ، ولا قَصَفُوا له قناةً ، ومرًا على سِيسَارُهِ (^(A) حق إذا ضرب الدين بجِرانِهِ ^(A) ، وَالْتِي بَرْ كُهُ ، ورستْ أوتاده ، ودخل الناس فيه أَفْرَاجًا ، ومن كلَّ فرقة أرسالا وأشتاتًا ، اختار الله لنبيه ما عنده ، فلما قبض الله نبيه صلى الله عليه وسلم نَعَبَب الشيطان رواقَه ، ومَدَّ مُلنَّبه ، ونَصَب حبائله ، وَأَجْلَبَ بخيله ورَجْله ، واضطرب حبل الإسلام ، ومَرَج (١٠٠) عهدُه ، وماج أهله ، وبُنبَىَ الغوائل ، وَظَنَتْ رجال أن قد أَ كُنْبَ نَهْزُهُا(١١٧) ، ولات حين الذي يَرْجُون ، وَأَنَّى والصدِّيق بين أَظْهُرُهم ؟ فقام حاسرًا مُشكِّرًا ، فجمع حاشيته ، ورفَع قَطْريه ، فودّ رَسَنَ ٱلْإِسلام على غَرْبه ، وَلَمْ ۖ شَتَنَهُ بِطِيَّهُ ، وأَقَامَ أَوَحَم بِثِهَافِهِ ، فابذعر النفاق بِوَطَيْهِ ، وانتاشَ الدينَ فنَعَشَهُ (١٣٦٠ ، فلما أراحَ الحق على أهله ، وقرَّر الرَّه وسَ على كواهلها ، وحقن الدماء في أهُبها ، أتَّتُهُ منيَّتُه ، فسدَّ ثُلْمته بنظيره في الرحمة ، وشقيقه في السيرة والمُمَّدَّلَة ، ذاك ابن الخطاب

 ⁽١) يمطى ويفضل من راش السهم إذا جعل فيه ريشا ليكون أسدً له وكذاك المحسن يموى
 التقدر على الحياة .

⁽٣) الشعب: الصدع . (٣) جدُّ واجتهد . (٤) أثنته وحميته . (٥) عليل .

 ⁽٢) الشجى الحزين . النشيج : صوت البكاء .
 (٧) نسبوه . (٨) شدة . والسيداء : عظم الظهر، والعرب تضربه مثلا للشدة .

 ⁽٧) أصبوه . (٨) شدة ، والسيساء : عظم الطهر ، والعرب تصربه سادا.
 ده ، دا ، د دا ، الله الله . (١٠ اشالا)

⁽٩) الجران : الصدر وكذك البرك . (١٠) اختلط .

⁽١١) أكثب: قرب. النهز: اختلاس الهيىء والطفر به مبادرة . (١٣) رضه .

في أُمْ حَمَلَتْ له ، ودرّتْ عليه !! لقد أوحدت به ، فنفَّخَ الكَفَرة وَدَبَّخِها (٧) ، وشرّد الشّرك شَدَر مَدَر، وَبَمَّحَ الأرض وَبَحْسَها ؟ . مقامتْ أَكَهَا ، ولفظت جنينها ، تراّمه و يَمْدُف عنها ، وتصدّى له ويأباها ، ثم وزّع فيها فيتها وودّعها كما سحِبها . فأروفى ما تر تأبون ، وأيَّ بوى أبي تنقيون ؟ أبوم إقامته إذ مدل فيكم ، أم يوم فَلشه وقد نظر لكم؟ أقول قولى هذا وأستخر الله لي ولكم .

ثُمْ أَقبلت على الناس بوجهها ، فقالت : أَنْشُدُ كُمَ الله ، هل أَنكرتم مما قلت شيئًا ؟ قالوا : اللهم لا .

من كلام أم الخير بنت الخريش البارقية

وفدت على معاوية ، فقال له كيف كان كلامك يوم قتل خمّار بن ياسر ؟ قالت لم أكن والله زو وته أكم قبل به ياسر ؟ قالت لم أكن والله زو وته أكان قبل ولا رَوَيْتُهُ بعد ، و إنما كانت كلمات تفتهن السافى حين الصدمة ، فإن شئت أن أحدث لك مقالا غير ذلك فعلت قال : لا أشاء ذلك . ثم التفت إلى أسحابه فقال : أفي كم يصفط كلامها ؟ قال رجل من القوم : أنا أحفظه يا أمير للؤمنين كفظى سورة الحلد . قال : هاته . قال نهم ، كأنى بها تقول : « يَا أَيُّهُ الناس اتَقُوا رَبِّكُم في مَنْ وَرَقُ السّاعة شَيْء عَظيم " » إن الله قد أوضح لم ليق ، وأيان الدليل ، ونور السبيل ، ورفع التم م ، فل يَدْهَم في عياء مُنهمة _ ولا سوداه مدهمة . قائى تريدون رحم الله ، أفراراً عن أمير للؤمنين ، أم فراراً من الرسوداء مدهمة . أم رفعة عن الإسلام ، أم ارتداداً عن المنق ؟ أما سمتُم الله عز وجل يقول : « وَلَنْ النَّهُ وَلَا الله عَلْ المُعْلَم وَالله الربي وَ رَبّالُو أَخْهارَ مَن مِنْ عَلْ . هم الله عنه المناس أنه أن أن المناهدين ، من وجل يقول : « وَلَنْهَا وَنَا الله المُعْمَ وَالله الربي وَ رَبّالُو أَخْهارَ مُنْ مَنْه وَلَا مُنْهِ مَنْهُ وَلَا الله الله وَنَالُو أَخْهارَ مُنْهِ مَنْها مَنْها مُنْهارَ مُنْها مِنْها مِنْها مِنْها مَنْها مَنْها مَنْها مَنْها مَنْها مِنْها مِنْها مِنْها مَنْها مِنْها مَنْها مِنْها مَنْها مَنْها مَنْها مَنْها مَنْها مِنْها مَنْها مَنْها

⁽١) صغرها . (٢) بسج الأرض وبخسها: شفها . (٣) أعددته .

رفعت رأسها إلى السهاء ، وهي تقول : اللهم قد عيل الصبر ، وصَّهُ اليقين ، وانتشرت الرغبة ، و بيدك يا ربّ أزمّة القلوب ، فاجمع الككلمة على التقوى ، وألّف القلوب على المملدى ، ورُدّ الحق ّ إلى أهله . هلموا رحمكم الله إلى الإمام المادل ، والوّصق الوق ، والسدّ يق الأكرر . إنها إحرّ بَدْربة (١) ، وأحقادُ جاهلية ، وضفائن أُحديّة ، وثب بها معاوية حين الغفة ليُدرك بها ثارات بني عبد شمس . ثم قالت :

و قَا تِلُوا أَيَّةَ الْكُفُو إِنَّهُمْ لاَ أَي انَ لَهُمْ اَمَلَهُمْ يَنْتَهُونَ » صبراً معشر الهاجرين. والأنصار . قاتلوا على بصيرة من ربح ، وثبات من دينكم . وكأنى بهم عناً وقد لقيم أهل الشام كَعُمُو مستغفرة ، فرَّتْ من قَسُورة (٢٠ لا تَدْرَى أَيْن يُسلك بها من فِجاج المرض ، باعوا الآخرة بالدنيا ، واشتروا الضلالة بالهدى ، وباعوا البصيرة بالسمى ، الأرض ، باعوا الآخرة الدنيا ، واشتروا الضلالة بالمدى ، وباعوا البصيرة بالسمى ، والله من ضل عن الحق وقع في الباطل ، ومن لم يسكن الجنة نزل النار قتال مماوية : والله يالم الخير ما أردت بهذا إلا تعلى ، والله لو تعلنك ماخر جُتُ ، ك ذلك . قالت : والله ما يسودني يا بن هند أن يجرى الله ذلك على يدى من يسمدني الله يالت : والله ما يسودني يا بن هند أن يجرى الله ذلك على يدى من يسمدني الله وما تشول ، ما تقولين في عان بن عفان ؟ قالت ؛ وما تشيئت أن أقول فيه ؟ استخفه الناس وهم كارهون ، وتعلوه وهم راضون ؛ قتال : إيها منافر عنها ما أردت بعنان هما ، ولقد كان سباقا إلى الخيرات ، وإنه لوفيع يائل بله ها . ومازال يسألها عن رجال وتجيبه ، ثم قال لها : قد أعفيتك وردها مكر ما الميلاء .

 ⁽١) إحن : جم إحدة وهى الضفن . وجرية نسبة إلى جر أى إنها تولىت من هذه المواسة وكذا تولها بعد ذلك ضفائن أحدية . (٣) اللسورة : الأسد .

 ⁽٣) حرج: ارتكب حرجا: أى إنحا.
 (٤) تريد بنولها من يسدن الله بنظائه ، معاوية، وفي الكلام النظات لأنه مبني أوّلا على الحطاب -ثم صار إلى النبية . (٥) أسم بالكوت .

كلام أروى بنت الحارث بن عبد المطلب

دخلت رحمها الله على معاوية بالوسم وهي عبور كبيرة ، فله رآها قال : مرحباً بك ياعة . قالت : كيف أنت يابن أخي ؟ لقد كفرت بعدى بالنعمة ، وأسأت لابن عمك الصحة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك بغير بلاء كان منك ولا من آبائك في الإسلام . ولقد كفرتم بما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ، فأتس الله منكم المجلود (() ، وأصتر (٧) الخدود ، حتى ردّ الله الحق إلى أهله ، وكانت كله الله على العليا ، ونبينا محمد هو للنصور على من ناوأه ولو كره المشركون . فكنا أهل البيت منفوراً ذنبه ، مرفوع درجته ، شريفاً عند الله موضياً . فصرنا أهل البيت منكم بمنزلة فوم موسى من آل فوعون يذبحون أبناه هم ، ويستحيون نساء هم . وصار ابن عم سيد قوم موسى من آل فوعون يذبحون أبناه هم ، ويستحيون نساء هم . وصار ابن عم سيد المسلين فيكم بعد نبينا بمنزلة هرون من موسى حيث يقول : أيا بن أم إن القوم استضعوني وكادوا يتناوني ، ولم يجمع بعد رسول الله لنا تثمل ، ولم يسهل لنا وغر ، الماص : أيتها المجوز النمالة أقصرى من ويك وغفى من طرف ك . قالت ومن أنت لا أم لك ؟ قال . عرو بن العاص . قالت قولك وغفى من طرفك . قالت ومن أنت لا أم لك ؟ قال . عرو بن العاص . قالت يا النابغة (على العالم على طألمك () ، واغن بشأن فسك ، فوالله ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ، ولا كريم منصها ، وقد ادعاك ستة من ما أنت من قريش في اللباب من حسبها ، ولا كريم منصها ، وقد ادعاك ستة من

⁽١) الجدود: جم جدًّ، وهو الحظ .

 ⁽۲) أسسر الحدود: جلها تميل عن الناس كبراً . والمنى: أن الكبر غلبهم ، فلم يسلموا فتس حظهم .

⁽٣) اللخناء : التي لم تخفض . النابخة : البعيّ .

⁽٤) أى أثم على ما فيك من ضعف وأبسر تجزك واسكت على ما فيك من عيب ، وقد يسميل أخذ هذا المعنى إذا لوسط أن الظلم النهمة والظالم النهم ، ويقال : أرق على ظلمك ، أى لاتتكاف إلا ماتصليق كما يسعد الظالم على سلم ، فيكون ذلك على قدر عرج.

قويش كلهم يزعم أنه أبوك (١٠ ثم كلّها مرّوان بن الحَكَم بمثل كلام عموه ، فردت عليه بمثل ما ددّ به على عموه ، فتال لها معاوية : يا همة ، اقسيدى قَصْدَ حاجتك ، فقالت حاجتى أن تأمر لى بألني دينار ، وألني دينار ، وألني دينار ، فقال : ما تصنمين بها ؟ قالت أشترى بألفين عيناً خَرَّارة في أرض خَوَّارة تكون لوك الحرث من عبد المطلب ، و بألفين أزوَّج فتيان للطلب من أكنائهم ، و بألفين أستمين على عسر للدينة ، وزيارة بيت الله الحرام . فقال نعم للوضع وضعتها ، وأم لها بستة آلاف دينار ، وقال لها ياحمة المقتى هذه فها تعبين ، فإذا احتجت فاكتبى إلى ابن أخيك يصرن صَفَك ومع وتلك إن شاء الله .

نهـــج البلاغة تحقيق نسبته إلى على كرّم الله وجهه

جعم الشريف الرضى للتوفى سنة ٤٠٦ هـ ما نسب إلى على "كرّم الله وجهه من خطب وكتب وحكم ، فى كتاب سماه : « نهيج البلاغة » وفى هذا القول ضربان من الشك : أولهما هل الجامع لنلك هو الرضى كما قلمنا أو أخوه المرتفى ؟ قال ابن خلكان فى ترجة المرتفى : وقد اختلف الناس فى كتاب نهيج البلاغة المجموع من كلام الإمام على " بن أبى طالب رضى الله عنه : أهو جمه أم جعم أخيه الرضى ؟ وقد قيل إنه ليس من كلام على " ، و إنما الذى جمه ونسبه إليه هو الذى وضمه والله أعلم ، كما نص الحافظ النحى فى كتاب ميزان الاعتدال على أنه مكنوب عليه جزماً .

 ⁽۱) كانت أم مجرو بن العام من المواهم, اللائي يشناهن الرجال ، وكن إذا وادت إحداهن ولما تسب إلى من هو أدنى شها به من هؤلاء الذين يشفونها ، فلما ولد همرو كسب إلى العامى لشبه به .

أما أسباب الشك في نسبة هذا الكلام إلى على فترجم إلى ما يأتي :

خار الكتب الأدبية والتاريخية التي ظهرت قبل الشريف الرضى من كثير مما
 في نهج البلاغة .

٧ -- ما ورد فيه من فكرة عويصة ونظرة دقيقة بما لا يصح نسبته إلى عصر على "

٣ - إطالة الكلام إلى الحدّ الذي لم يؤلف إذ ذاك كما في عهد الأشتر التَّضَيُّيّ .

ع. ما فى النهج من قول جارح وشتم صريح للصحابة من مثل ماورد فى الشقشقية بمـــا
 لا يضع قبوله من مثل على فى الصحابة رضى الله ضهم .

 الأساوب الصوف والسارات التي لم تعهد إلا في أزمان متأخرة عن زمن الإمام جرت على ألسنة المتكلمين، ومنها ماهو خطأ لنوى لا يصح نسبته إلى عصر الإمام.

أما الشبهة الأولى : فنقول فى شأنها : إن جم كلام بليغ من البلغاء فى كتاب واحد لم تحجر به المادة قبل عصر الشريف الرضى إلا فى كلام النبي صلى الله عليه وسلم، أما من عداه فقد كان كلامهم يرد فى المناسبات مفرقًا فى كتب التاريخ وغيرها . واقد كان كلام على مع ذلك مذكورًا معروة بالكثرة ، فقد قال المسعودى فى مروج الذهب: « والذى حفظ الناس من خطبه فى سائر مقاماته أربسائة خطبة ونيف وتما تون خطبة يوردها على الجبيهة تداول الناس عنه خلك قولا وعملا » .

ويقول الجاحظ في البيان والتبيين بعد أن أورد خطبة قال إنها لمماوية في نفر من قريش تباشروا بموته : ﴿ وَقَ هَذَهِ الحَطْبَةُ أَمَاكُ اللهُ صَروب من السعب . منها أن هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعائم معاوية ، ومنها أن هذا للذهب في تعظيف الناس ، وف الاخبار عنهم ، وعمائم عليه من التهر والإذلال ، ومن التمية والخوف أشبه بكلام على و بمعانيه وحاله منه محال معاوية . . . و إنمــا نكتب لكم ونخير بمـا سمعناه والله أعلم بأسحاب الأخبار و بكثير منهم » .

وهذه الخطبة ذكرها الشريف في النهج: (ج ١ ص ٨٥) ، ومنها :

﴿ أَيُّهَا الناسُ : إِنَّا قِدَ أَصِيمُنَا في دهر عَنُودٍ (١) ، وزمن كَثُودٍ (٢) ، يُمدُّ فيه
الحسن مسيئًا ، ويزداد الظالم عُنُوًّا ، ولا تتنع بما علمنا ، ولا نسأل عما جهانا ،
ولا تتخوّف قارعة حتى تَحُلَّ بنا ، فالناسُ على أربعة أصناف : منهم من لا يمنعهم
النسادَ إلا مَهَانَهُ هَسِهِ ، وَكَلَالةً (٢) حدّه ، وتَضيِيمُ وَفُرِه (١) . ومنهم للمُطلِّتُ لسيفه ،
وللملنُ بشرّه ، وللُجْلبُ بخيله ورَجْله ، قد أشرط نَفْسُهُ (٩) ، وأُونَى (١) يقوده ، أو منبر يَفْرَعُه ، ولبئس للتُنجَرُ أن ترى الدنيا لنفسك ، عَمَّا ، وتُمَا الله عَد الله عوضًا ، ومنهم . . . » .

ثم قال الشريف: « أقول وهذه الخطبة ربما نسبها من لا علم له إلى معاوية ، وهى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام الذى لا يشك فيه ، وأين الذهب.من الرّعام ، والمذب من الأجاج . وقد دل على ذلك الدليل الخرريت ، وقده الناقد البصير عموو ابن بحر الجاحل » .

أما الشبهة الثانية : وهى استكثار هذه الحكمة ، والنظرة الدقيقة على على كرام الله وجهه فإنها مردودة إذا عرفنا ما كان عليه من حصافة الرأى التي استفادها عن عشرته لرسول الله ، وهو مشرق النور الإله في ، ولا يستبعد ذلك من عرف عشرة على لرسول الله منذ الصغر ، وملازمته له ، حتى إنه لم يتخلف عنه في غزوة من غزواته إلا غزوة تَبُوك ، فقد خلفه رسول الله على أهله وقد عرف على بين الصحابة بالذكاء ،

 ⁽۱) بائر ، (۲) کافر ، (۳) . نسف ، (٤) قالا ماله .

⁽٥) أشرط قعه ليكذا: أعدها، والراد منا العر . (١) أملك .

الطائفة من الحيل .

وهاذ البميرة ، حتى كانوا يسذرون عن رأيه ، وهو الذى قال فى شأنه عمر : « لولا على لحلك عمر » ، وقال : « لاَ يُقْتِيَنَّ أحد فى المسجد وعلى ّ حاضر » ، وقبل ذلك قال رسول الله : « أفضا كم على * » ، ودعا له حين بشه إلى اليمن قاضياً فقال : « اللهم اهد قلمه وثبت لسانه » .

و إذا أضفنا إلى ذلك مااستفاده من التبجارب أيام خلافته وما درس من طباع الناس وأحوالهم ، حكمنا بأنه جدير بأن يكون بالثابة التي أضافوها إليه من بعد النظر وقو"ة الفراسة ، وكيف نستبعد على على "أن يكون كما وصفنا ، وهذا عمر بن الخطاب قد دو"خ للمالك بسياسته التي كانت موضع عجب للؤرخين .

أما الشبهة الثالثة : شبهة الطول في عهده للأشتر النَّضَيِّ الذي يلغ ٧٧٥ سطراً وفي خطبته اللهائة باللهة ٧١٠ سطراً، وخطبة الأشباح البالغة ١٧٠ سطراً، وخطبة الأشباح البالغة ١٧٠ سطراً، والتي يدل كلام الشريف الرضى فيها أنه لم يوردها كلها ، إذ يقول في ثناياها ومنها . . .

قالذى هوله على الجلة: إن الطول ليس مستبعداً على فصاحة على "التى صارت مضرب الأمثال، وإذا وهب للرء ملكة البيان سهل عليه القول ، فإذا اتجهت نفسه إلى القول أفاض فيه ، وإذا أضغنا إلى ذلك زهد على وانصرافه عن زخارف الدنيا ، واهتامه بصلاح الناس ، وإقامة عمود الدين ، سهل علينا إدراك الداعى إلى هذه المكثرة في كلامه والطول فيه ، فإذا أطال على في خطبه ، فلأن الوعظ أحب الأمور إلى نفسه لأنه يسغل تهسه حين يعظ الناس ، ويحرّك قليه حين يحرّك القلوب ، ثم هو يمى من العبادة فه أن يهدى الناس إلى الحقّ بعد مابلا منهم الانصراف عن الدين ، فو يرى من العبادة فه أن يهدى الناس إلى الحقّ بعد مابلا منهم الانصراف عن الدين ، فو يرى في ذلك نوعا من الجهاد الذي وقف حياته عليه ، فليجاهد بلسانه حين يستر يح من الجهاد بجينه ، وليخطط ذلك بذلك حين يحتاج إلى التذكر في مواطن القتال . فلو أن علياً علل من مناطق من المناس الذي الذي كثر المروى عنه فيه ما كان ذلك كثيراً

وشبهة الناس في عهد على الأشتر خاصة أن الإمام عهد قبل ذلك إلى غيرالأشتر ظم يطل ، وأضافوا إلى ذلك أن الاشتركان من أصحاب على الملازمين له ، وكان ساعده الأيمن في صفين، وكمانه كان في غنى عن هذه النصائح الطويلة ، ولكنا نقول: إن المهد إلى الأشتر لا يقصد به وحده ، يل إنه يتناول جميع من ممه من عاله وأحواته ، والكتاب بمد ذلك يمد دستوراً للمسل في اقتضاء والجباية وغيرها . وأما أن علياً لم يعد لنهر الأشتر بمثل هذا العلول ، فلمل ذلك قد ضاع فيا ضاع من آثار على الكثيرة ، أو لمل الناس لما رأوا المهود متقاربة للمنى ، احتفظوا بمثال منها لعله أجم لمانيها .

ولا نستبعد مع ذلك أن يكون الشيعة نسبوا لعلى هذا العهد ليدلوا على فضله ، وأنه لم يفته فى عصره الأول ما تنبه الناس فى عصور متأخرة كا ضل طاهم ابن الحسين فى عهده لابنه عبد الله حين ولاه المأمون الرسمة ومصر وما يليهما ، فلما اشتهر هذا العهد شهرة عظيمة حرّاك ذلك من رغبة الشيمة فى نسبة مثله إلى مثلهم الأعلى فى القصاحة والتدبير .

أما الشبهة الرابعة : وهى ما فى النهج من سبّ صريح للصحابة، فنقول فى شأنها : إنه قد انحصر ما ورد من سبّ على لممر وعبّان و بعض الصحابة فى خطبته المعروفة بالشّشْشِيَّة (ج ١ ص ٣٤) وورد ذمه لماوية وعرو بن العاص فى كتب أرسل بها إليهما ، وفى بعض خطبه يعرض بهما أو بأحدها .

والكلام فى نحل الشَّشْقِيَّة أو تحقيق نسبتها إلى علىَ قد تحدَّث به المُتقدِّمون ، فقد روى ابن أبى الحديد ما يؤيد نسبتها إليه فى كلام طويل أثبت إليه أنها مرويَّه فى كتب أخرى قبل أن يولد الرضى ، ولكن نقيه لاختراع الشريف لها لا ينغى أنها مدسوسة على على قبل ذلك .

أما نحن فنعرض عليك المقام الذى قبيلت فيه هذه الخلطبة . قالها على عليه السلام بهدأن بايسه الناس فأقبلوا إليه كمرف الضبع (كما يقول) حتى وُلطِئ الحسنان ، ومُثل عليه الناسم على المراسم الماسم والمثن عليه من كثرة الرَّحام ، فلما نهض بالأحر بريد إصلاح الفاسد ولم الشَّمْتِ لم

يجد من الفلوب ثباتا ممه على الحق ، فبلغ منه اليأس كلّ مبلغ ، وهم بخلع هسه لولا لزوم البيمة فى عنقه ، وذلك إذ يقول : ﴿ أَمَا وَالنِّينَ فَلَقَ الحَبَّة ، وَ بَرَا النَّسَمَة ، لولا حضور الحاضر ، وقيامُ الحجة بوجود الناصر ، وما أخذ الله على العلماء ألاَّ يُمَازُوا على كِيظةً ظلم ، ولا سفّب مظلوم ، لأقتيتُ حبلها على غارِبها »

فجدير بك أن تستبر هذه الخطبة نَمَثُمَّة مصدور ، وأنَّة مَكُلُوم ، طال عناؤه فيما يحاول من ردَّ الكيد ، وخُدَع الحرب .

تنبنى الخطبة على معنى عام ، هو أن الخلافة فاتت عليًّا فى أوّل أمرها ، فلما صارت إليه كانت الأمور قد اضطربت ، والنفوس قد تداوت ، فلم يتحقق غرضه من الإصلاح ، وحسن القيام على هذا التراث المستخلف عن رسول الله . وينبغى أن تؤمن يتينا أن طلب هؤلاء الصحابة الكرام للخلافة وحرصهم عليها ، لم يكن لفرض دنيوى ، و إنما طلبوها ليقيموا عود الدين ، ويحققوا المدالة بين الناس . وفى سيرهم جمياً ما يدل على أنهم بذلوا ثروتهم ، وأفنوا جهدهم ، وخالطوا الناس نهارهم ، وعشوا عليهم التماس تتحقيق المدالة و إرضاء لله .

لذلك لا نستبعد أن يكون على قد أسف على حرمانه من الخلافة أيام كان يستطيع أن ينفع ويثمر خيرًا للإسلام ، فنستبيح له أن يقول فى أوّل هذه الخطبة : أمّا والله لقد تقسّمها فلان (يريد أبا بكر) ، وإنه ليمل أن عمل منها محل القطب من الرحى » ، وفى تأخر على عن مبايعة أبى بكر (كما يحدّثنا التاريخ) ما يساعد على أن عليا يستجيز أن يقول هذه السكلمة .

ثم هو يقول فى الخطبة أيضًا : «حتى مضى الأول نسبيله ، فأدْلى بها إلى فلان بعده (يريدعر) .

شتَّانَ مَا يَوْمِي غَلَى كُورِها ﴿ وَيُومِ حَيَّاتِ أَخَى جَابِرٍ ⁽¹⁾

⁽١) حان : سيد من بنى حنيقة كانت له حظوة عند ماوك الهرس ونسة واسمة وكان الأعمى سيون بن ليس قائل هذا البيت يناده . ومعنى البيت : أن فرقا كبيرا بين بومه وهو مسافر بمانى مناعب السفر ، وبين يوم حيان في رفاهيته ونسته

فياعبًا! بينا هو يَسْتَقيلِها في حياته ، إِذْ عَقَدها لآخر مِد وفاته ! لَشَدٌّ ما تَشَغَّرُا ضَرْعَتْهَا فصيِّها في حوزة خشناء يفلظ كُلامها وَيَخْشُن مَشْها » .

ولا يستوقنا من هذه الفقرة إلا قوله: « لَشَدَّ ما تَشَعَّرا صَرَّعِها » ، فهى كلة صريحة في أن الخليفتين قد تقاسما النفع في تولى أمر المسلمين ، فجملا الخلافة ناقة ، أحذ كل شعلراً من ضرعها ، ورأيي أن هذه الجلة مقصمة بين الكلام بدليل أن ما بعدها معطوف بالفاه على ما قبلها ، وهى لا تسمح بمثل هذا الاعتراض ، وإذا يكون على بريناً من هذه التهمة التي لا يستسيغ إيمانه وعدالته أن يلصقها بالإمامين ، وأما تصبه من جع أبي بكر بين الاستقالة منها أوّل توليه ، وحرصه على اختيار عمر لهما بعد وفاته ، فتلك حقيقة لا ينكرها أحد . وأما قوله : فصيرها في حوزة خشناء ، فذلك أمر مشهور لا علك أنها مدسوسة على على "كقوله في وصف عمر : « فُهُنِي الناسُ بَعَبْطِ وَشِماسٍ ، ومال الآخر له مهم لفغنه ، ومال الآخر له مهم لفغنه ، ومال الآخر له مهم منه بالأول طلحة ، وبالثاني عبد الرحن بن عوف ، وكان طلحة قد وهب حقه لعبد الرحن من عوف ، وكان طلحة قد وهب حقه لعبد الرحن من عوف لا لمثان ، المنان ، وأحد أحت عثان من أمه .

أما ما كان من طي في شأن معاوية ، وعروبن العاص من كلام يعرض فيه بهما ، أو بأحدها ، أو كتاب بوجهه إلى أحدها ، فذلك شبله من عل فيهما ، وهر أنه يقوله ولا حرج عليه في ذلك ، لأن عليًا كان يعتبرها شاقين لطاعة السلمين ، خارجين على جاعتهم ، مر يقين للمدماء في غير حق ، ومن كان مثلهما يعتبر كافراً محاوباً لله ورسوله ، فكيف يُستكثر من على شتم أو ذم أو لعن لأحدها ، وقد ثبت أنه هو الذي بلأ بلمن معاوية على للنابر بعد مكيدة التحكيم ، فعمل مثله معاوية ، وصارت بدعة في جميع خلقاء بني أمية حتى أبطلها عر بن عبد العزيز . ومن كلام على" فيهما قوله فى رد" كتاب محمد بن أبى بكر حين أخبره بنزول عرو بن العاص قريبًا من مصر :

« وقد قرأت كتاب الفلجر بن الفلجر معاوية ، والفلجر بن الكافر عمرو ، التحايين في عمل المصية ، والمتوافقين المرتشيين في الحكومة » .

وأما الشبهة الخامسة : وهي السارات التي لم تعهد إلا في أزمان متأخرة عن زمن على "، فهي شبهة قوية "، إذ نرى بين كلامه قوله : « ولا حَدَّهُ من كَيْفه » فإنه لم معلى " منالم على " متالما معلى " منالم على " متالما منالم على " معلى " معلى " معلى " معلى " معلى " ، قال صاحب القاموس : « وأعله الله فهو مُمثل وعليل ، ولا تقل معلول ، معلول » ، قال صاحب القاموس : « وأعله الله فهو مُمثل وعليل ، ولا تقل معلول ، والمتكلون يستعملونها ولست منها على ثُلَج » ، وقوله : « لا يجرى عليه السكون والحركة ، وكيف يجرى عليه ما هو أجراه ، ويعود فيه ما هو أبداه ، ويحدث فيه ما هو أحدثه إذا تفاوتت ذاته ، وتحرّاً كُنْهُ ، ولامتنع من الأزل معامه » ، وكلة الأرال غير عربية . قال في شفاء الغليل : « أزلى والأزل وأزليته كله خطأ لاأصل له في كلام العرب ، وإنما يريدون المنى الذى في قولهم لم يزل عالما ، ولا يصح ذلك في اشتفاق ولم يسمع ، وإن أولع به أهل الكلام » وكذلك قوله في القاصمة : «الذى يجر عباده على فعل المعاصى وهو فاسد ، وتعرف أدلته من علم الكلام ، وينسب يجبر عباده على فعل المعاصى وهو فاسد ، وتعرف أدلته من علم الكلام ، ويناهم من المباح الكلام ، ويترف أدلته من علم الكلام ، وينسب اليه على لفظه ، وإذا قيل قدرة وجَبَريّة جاز التحريك للازدواج » ، وظاهر من العلماح التكلين .

ونحن أمام هذه الشبهة لا نستطيع إنكار أن كلام على تناولته الأقلام على مرور الأيام بالزيادة حتى دخلت هذه التعايير إن لم تكن خلقت أيام على "، وهذا شأن كل" كلام نال إعجاب الناس كما جرى لكتاب كليلة ودمنة مثلا ، فإن عبارات فيه وأموا بًا برمها زيدت على توالى المصور حتى صار إلى ما هو عليه الآن ، ولا يمنع هذا أن يكون نهج البلاغة في جلته هو كلام على الذي لاشك فيه .

الكتابة في هذا العصر

عوقت فى دروس السنة المساضية تاريخ الخط العربى ، وأنه صار إلى مكة من طريق الحيرة والأنبار على يد حرب بن أمية ، وقد تعلمه من بشر بن عبد الملك ، الذى قدم ممه إلى مكة وتزوّج ابنته الصهباء . فجاء الإسلام وفى أهل مكة كتاب ولكمهم بضة عشر رجلا ، وأغلبهم بمن كانوا أسحاب رسول الله فى الإسلام .

كان الكتاب بمكة لما جاء الإسلام سبمة عشر رجلا، منهم: عمر، وطل ، وعثمان ، وأبو سفيان ، وابناه معاوية ويزيد وغيرهم . وكان من النساء قليل ، كخفصة ، وأم كلثوم ، وكانت عائشة تقرأ ولا تكتب .

وكان بالمدينة أوّل عهد الإسلام أحد عشر كاتباً ، منهم زيد بن ثابت وقد تملّم فيما بعد كتابة اليهود بأمر وسول الله كما تعلّم السريانية بأمره أيضاً في سبعة عشر يوما .

وما زال عدد الكتاب يكثر بحث رسول الله حتى صاركتابه عليه الصلاة والسلام نيغًا وأربعين .

وكان كتاب رسول الله نومين : كتاب وسى ، وكتاب أعمال ؛ ومن كتاب الأعمال كما رواه القضاعى فى كتابه عيون المعارف : الزَّبير بن التوَّام ، وجَهْم بن العَّلْت، وكانا يكتبان الصدقات ، وحُذَيفة بن العيّان وكان يكتب خَرْص الدخل ، والمُفيرة ابن العيّان وللماملات .

و بعد غزوة بدركثر الكتاب من المسلمين بالمدينة ، لأن النبي قبل فى فداء الأسير من قريش إذا كان كاتباً تعليم عشرة من أولاد المسلمين ، وبذلك حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمية كما كان يحارب الوثنية . وصار هؤلاء الكتاب ذخر الدولة ، فقد كتبوا القرآن ، واستخدمهم الحلقاء فى رسائهم إلى السال والقواد ، وفى وصاياهم إلى قضاتهم ، ومناشيرهم إلى عامة المسلمين من أهل الأمصار ، وفى مصالحتهم لأهل اللاذ الفتوحة . وقد اجتمع من هذه الرسائل القدر الجمّ ، لأن نشاط المسلمين فى الفتح استوجب ذلك .

و بقيت الكتابة عمل الخليفة أو العامل يكتب أحدها بيده ، أو يختار من جلسائه من يملي عليه ، فلم تصر صناعة يؤجر عليها الكاتب ، أو يستوزر من أجلها كما صاد الأمر كذلك فيها بهد . ويتجلى فى رسائل هذا العصر طابعها السهل ، وقصدها إلى المغرض ، و بعدها من التكلف ، وميلها للإيجاز ، وخلوها من عبارات التفخيم ، فما عرفوا ضمير الجمم إلا له ، فيقولون أنت وأناً ، ويكتب الوالى أو القائد إلى الخليفة ، فيقدم اسمه عليه ، فيقولون مثلا : من سعد بن أبي وقاص إلى أمير المؤمنين عر .

ومن أمثلة إيجازها عهد أ بي بكر إلى عر: بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا ماعهد أ بو بكر إلى للسادين ، أما بعد: فإني قد استخلت عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيراً . حتى للمدكان من رسائلهم ما لم يتجاوز جملة واحدة ، ككتاب خالد بن الوليد إلى عياض بان غنّام ، وكان قد استنجد وهو محاصر بدُّومة الجَنْدل .

من خالد بن الوليد إلى عياض :

« إيَّاك أريد » .

وهو أخصر كتاب عرف في الأدب العربي .

وكان النبي قبل نزول القرآن يبدأ رسائله بقوله : باسمك اللهم ، على حين كانت قريش تقول : باسم اللات أو اسم الثرتى ، فلما نزل القرآن صار المسلمون يبد وون وسائلهم بالبسطة ، ثم يقولهم : من فلان إلى فلان ، ثم يشتون ذلك عالباً بقولهم : « السلام عليكم ، أو السلام عليكم ، أو السلام عليكم ، أو السلام عليكم ، ثم يتخلص الكاتب إلى غرضه بذكر أما بعد أو بدونها ، ويختمون الرسالة غالباً بإحدى صيفتى السلام السابقتين ، وقد يتركون شيئاً من هذه اللوازم ، ولمائلال الذي يجمعها كلها كتابه عليه الصلاة والسلام إلى خالد بن الوليد ، وكان قد بشه إلى بن الحرث فأجابوه إلى الإسلام ، وهو :

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى خالد بن الوليد : سلام عليك ، فإتى أُخمدُ إليك (() الله الذي لا إله إلا هو ، أمّا بسد ، فإنّ كتابك جاءني مع رسولك يُعْجِرُني أن بَنِي الْمُرِثِ قَدْ أَسْلَمُوا قَبْلُ أَنْ تَقَاتَلَهُمْ ، وَأَجَابُوا إِلَى مَا دَعَوْتَهُمْ إلّيْهِ مِنَ الْإِسْلاَمِ ، وَتَشْهِدُوا أَنْ لا إله إلا الله ، وأنّ محمداً عبدُه ورسولُه ، وأنْ قد هدّاهُمُ الله بَهِذَيه ، فَبَشَرِهُم وأنْدُوهُمْ ، وَأَقْبِلْ وَلَيْتَهْبِلْ ممك وَفْدُهم ، والسلام عليك ورحة الله وبركانه » .

نماذج منكتابة هذا العصر

من وصاياهم إلى أولياء عهدهم وصية أبي بكر الصديق لمعر بن الخطاب :

«إنى مُسْتَغْلَفُك من بعدى ، ومُوسيك بتقوى الله ، إنَّلَهُ عملا بالليل لا يَقْبَلُه بالنهار ،
وعملاً بالنهار لا يَقْبله بالليل ، و إنه لا تقبل نافلة سي تُودِّى الفريشة ، فإنما تقلت مواذين من تقلّت مواذين من تقلّت مواذين من تقلّت عليم ، وحمق المناق ويقله عليم ، وحمق المناق بلا يوضع فيه إلا الحق أن يكون تقيلا ، و إنما تحقّت مواذين من خَفَّت مواذينه يوم القيامة باتباعهم الباطل وحمق لميزان لا يُوضع فيه إلا الباطل أن يكون خفيقا ، إنَّ الله ذَ كَرَّ أَهل المباطل أن يكون خفية ، والله في المباطل أن يكون خفية ، والله المباطل أن يكون عن هؤلاء ؛ وذ كر أهل المباطل أن يتمان من هؤلاء ؛ وذ كر أهل الناو في من هؤلاء ؛ وذ كر آهل الناو في من هؤلاء ؛ وذ كر آهل الناو في المباد والمباد وا

أى أحمد الله ملك أى أنت تحمد وأنا أحمد أو أحمد الله حمدا أهمه لك عليه أو أوجهه إليه في عابلك .

 ⁽٢) قال حق على أن أضل كذا (بالبناء الهاعل) وحق لى أن أنسل كذا (بالبناء المفسول).

ولا يَنْتَنَّى على الله غيرَ الحَنَّى ، ولا يُلْنَى بيده إلى التَّهْأُكَةِ . فَإِذَا حَفِظْتَ وَصِيْق هذه فلاَيَكُنْ غائبُ ْأَحَبَّ إليك من الموت وهو آنيك ، وَإِنْ صَيَّفَتَ وَصِيِّقِي فلاَ بَكُنْ غائبُ أَبْضَ إليك من الموت . ولشتَ بِمُشْجِزِ اللهِ» .

ومن إرشادهم لقضاتهم كتاب عُمَرَ إلى أَبي موسى الأشعري وقد ولاه القضاء :

« بسم الله الرحمن الرحم : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قَيْس ، سلام عليك ، أما بعد : فإن القضاء فريضة مُخَسَكَته ، وَسَنَّة مُخَسَمَة (١) . فاقتهم (٢) إذا أدلي إليك ، فإنه لا يضم تسكل بحق لا نقلا ، آس (٢) بين الناس فى وجهك ، وعدلك ، ومجلسك ، حتى لا يعلم شريف فى حقيقك (١) ، ولا تيثأس ضعيف من من من الشكر ، والصلح (٥) جأثر بين متديك ، البيئية على من أشكر ، والصلح (٥) جأثر بين الملمين إلا سُلَمُ أَلَى حاما ، أو حَرَّم حلالا ، لا يَتَعَمَّك (١) قضاء فَصَيْتِه اليوم فراجست نَفْسك ، وهديت فيه إرشدك ، أن تر حير إلى الحق م فإن الحق قديم . ومراجه الحق عن الماطل ، النهم الفهم (١) في المناطق في يتلمغك (١) في صدرك بين يُشَلَ في المُناطق في يتلمغك (١) في صدرك بين يُشَلَ في كالم ولا الله من الأموز عِنْد ذلك ، بين المُن في المناطق المنس الأموز عِنْد ذلك ،

⁽١) بريد بالفريضة المحكمة ماحده افلة في كتابه . وبالسنة المنبعة مابينه الرسول وسار عليه .

 ⁽٣) بريد أن من يدلى بحبحه لايفنيه قوله مهما كان معيبا إذا لم يتنبه له الفاضى ويتشل ما يفوله حتى يحسن الحسكم ويرد الحق إلى صاحبه .

 ⁽٣) أي سو" بين ألناس، وهوأمر من آسي على وزن فاعل (٤) الحيف: الظلم.

 ⁽٠) افقت الفرانين على أنه لاقيمة المسلم إذا خالف الدانون فإنها لم توضع إلا لأمها الصالح العام فإذا خوافت اضطرب الأمر .

⁽٣) برد أن الثامى لايشى أن يهيد بحم حكمه فانا ظهر له خطؤه كان عليه أ. يحكم بما مجدد فى شمه من رأى . وقد حسمت أن عمر حكم فى حادثة بحكم ثم حكم فى غيرها بنيره ولم ينير السابى وقال ذاك على مافضينا وهذا طي ما فضى .

 ⁽٧) منا أصل ثالث من أصول الحسكم وهو الفياس، ومن هنا اشترطوا قديما في الفاخي أن
 يكون بجتميدا لاحقادا .

اللبغبة كالتلبلج: التردد .

واعمد إلى أقوبها إلى الله وأشَّبها بالحقّ ، واجتما (المنادّ عن الدّ عَنَا قابًا أو بَلِنَهُ آمداً بَنْتَهى الله . فإن أشفر بينة و إلا استخلّت عليه القضية فإنّه أننى للشك والسلون عدول بمضهم على بعض إلا تَجْلُوناً في حديّ ، أو مُجَوّاً عليه شهادة زُور ، أو طنيناً في وَلاَهُ أو نَسَب ، فإنَّ الله تَوَلَى منكم السّرَالْتِ وَدراً بالبّينات والأيمان و إيّاك والفلق (والفلق () والفجر والتنكّر عند الخصومات ، فإن الحقق في مواطن الحقيّ يعتلم الله والمناق () ويُحسّرُ الدُّخر . فن سحّت ينتُهُ وأقبل على نعسه كفاه الله ما بينه و بين الناس . ومن تخلق للناس بما يعلم الله أنّه ليس من نعسه شاكة الله . في اطلاح ، ومن الخاص وحته ، وخزائن رحمته ، والسلام » .

ومن رسائلهم إلى أمراء الأمصار ما كتبه عنمان إلى عمله حين ولى الخلافة :
أما جد : فإنَّ الله أمر الأنمة أن يكونوا رُعاةً ولم يَتَقَدَّمُ إليهم (٢) أن يكونوا جُبكةً .
وإنَّ صَدْرَ هذه الأمة خُلقُوا رُعاةً ولم يُحْلَقُوا جُبلةً ، وَلَيُوشِكُنَّ أُكْتُكُمُ أَن يَعِيدُوا جُبلةً ولا يصيروا رُعاةً . فإذا عادوا كذلك النَّقَلَقُ الحياء والأمانةُ والوفاء . ألا وَإِنَّ عَلَيْمُ أَمَّا لَمُ مُ وَالْفَاء . ألا وَإِنَّ عَلَيْمُ أَعْلَى الله الله والأمانةُ والوفاء . ألا وَإِنَّ عَلَيْمُ عَلَيْمُ مَا لَمُ مُ ، وَتَأْخَذُومُ عَلَيْمُ الله عليهم . ثمَّ العدوُ عليهم . ثمَّ العدوُ الذي تناون قاشتَهُ عُواهُ عليهم الوَقاء .

ومن مناشيرهم إلى عامة للسلمين ما كتبه عنمان : أمَّا بعدُ ، فإِنَّمَا بَلَمْتُمُ ما بَلَفْتُمُ بالاقتداء والانَّباع فلا تَلْفَتَيْنَــَكُمُ الدُّنْيَا عن أَمْرِيكُ ۚ . فإِنَّ أَمْرَ هذه الأمةِ صائرُ ۖ إلى

⁽١) يعبر لما جواز تأجيل الحسكم ان طلب ذلك من الحصوم اسب مقول كفية الممهود مشالا .
(٢) مكذا رواها المبد ولم يروها بالفاف (الفنق) وقال في معناها يثال في سوء الحلق رجل غلق (ح) مكذر وأصل ذلك من قولهم ألهلق عليه الأسم إذا لم يصنح ولم ينفتح . أه . ولا شك أن سوء الحلق من ضيق اللهمل والسام الروية والهيم الصحيح للأمور .

 ⁽٣) تقدم إليه: أمره . (٤) أى أهل الذمار.

استفتح عليه: استفوى واستعان .

الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النَّعْم ِ، وُبُونِغ أُولَادِ السَّبَايَا ، وقراء قِ الأَمْرَاب والأَعاجمِ القرآنُ (، كَانِّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قالَ : الكُفْرُ في النُّهْسَةِ (، فإذا أستَمْجَمَ عليهم أُمَّرُ تَكَلِّفُوا وابْتَدَعُوا .

بسم الله الرحمن الرحم : هذا ما أعطى عبد الله بن الخطاب أمير الثومنين أهل إلياء من الأمان . أعطاهم أمانًا لأنشيهم ، وأموا لجيم ، ولكنائهم ، وصُلبانهم ، وصُلبانهم ، وصُلبانهم ، وصُلبانهم ، وصُلبانهم ، وصُلبانهم ، وسلميها و بريها ، وسائر مِلنها ، أنه لا تُشكّن كنائههم ولا يُمكّر مُون على ولا مِن حَيْرها ، ولا مِن صَليبهم ، ولا من هوه من أموالهم ، ولا يُمكّر مُون على دينهم ، ولا يَسَكن إلياء ممهم أحد من البهود ، وعلى أهل إلياء أن يُعقول المبرود ، وعلى أهل إلياء أن يُعقوب المها الأوم ، فن المياء أن يُعقوب المها الأوم ، فن حرج منهم فإنه آمن على نسبه وماله حتى يتبلكوا مامهم من أهل إلياء أن يسير بنفسه وماله حتى يتبلكوا مامهم آمنون على أضهم وعلى بيتيهم وماله مع الأوم ، ويُحقيل بيتيهم وماله عن المؤمن على أضهم وعلى بيتيهم وماله مع الأوم ، ويُحقيل بيتيهم وماله بيتيهم المنون على أضهم وعلى بيتيهم وماله بيتيهم وعلى المناهم وعلى بيتيهم وعلى المنهم وعلى بيتيهم وعلى المنهم وعلى بيتيهم وعلى المناهم وعلى المنهم . ويتماه والماه مه والماه مع المؤمد وسكناهم وعلى بيتيهم وعلى المنهم . وسكناهم من يتنهم المؤمد وسكناهم وعلى المنهم .

عمر بن الحظاب

[مواده ونسبه] : قال عمر عن نفسه : وانت قبل حرب الفيجار الأعظم بأربع سنين . فيكون قد واد قبل مبعث النبيّ بشرين سنة ، لأن حرب الفيجار كانت قبل

 ⁽١) المراد بقراءة مؤلاء الفرآ . إنتاهار الاسلام ثائهم لايفر وله حتى يكون الاسلام قد المقدر .

 ⁽٧) السبمة : عدم الافصاح . والأعجم والأعجم : من لايفصيح . والديم بالنم والنحم بالنحريك :
 خلاف العرب من أى جنس كانوا .

البطة بنحو ست عشرة سنة ، وهو ابن الخطاب بن نُدَيل بن عبد الثرّى بن رَ بَاح -و يجتم مع النبي سلى الله عليه وسلم في كعب وهو الأب الثامن للنبي

وأمه حَنْتَمَة بنت هاشم بن للغيرة ، وليست بنت هشام بن للغيرة إذ يتبع هذا أن يكون أبو جل خاله وليس كذلك .

[خَلَقه وَشُلْقَهُ] : كان عمر رجلا طُوالا جسيا أبيض ، شديد حمرة العيبين ، أصلع ، فى عارضيه خفة ، كثير شمر السّبَلة ، أعسر يسرًا ، « أضبط » ، شديد الوطء إذا مشى، جمير السوت إذا تكلم ، وكان قليل الضحك، مقبلا على شأنه ، شجاعا حازماً أيدًا ، شديد المارضة ، مهيب الجانب ، ذكى القؤاد .

[حياته في الجاهلية] : كان في بدء أمره يرعى غناً لأبيه ، ثم اشتفل بالتجارة ، وهي عمل الأشراف من قريش .

ولقد عرفت له قريش فى الجاهلية شدّة عارضته ، وشجاعة قلبه ، وذكاء ، وحسن بيانه ، فجملتهالسفير بينها و بين قبائل العرب فى المفاخرات والمنافرات والمصالحات. والحروب . وذلك شرف عظيم لا يناله إلا من كان كابن الخطاب .

ولقد جا، الإسلام فلتي النبيّ وأصابه عنتاً شديداً من عمر ، ومن كلّ من كان على نحو صفاته ، كأبي جهل من رؤساء قريش ، فقد جاءت بعثة النبيّ مؤذنة بروال سطوتهم ، وتطلمن مكانتهم ، حتى لقد روى عن النبيّ أنه كان يقول : اللهم أعرّ الإسلام بأحب الرجلين إليك: بمعر بن الحطاب ، أو بأبي جهل ، فأجاب الله دهامه بلخول عمر في الإسلام ، فكان أحب الرجلين إلى الله تمالى .

[إسلامه] : حدّت عمر رضى الله عنه عن أول وقوع الإسلام في قلبه قال : خرجت أتمرّض لوسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدته قد سبقنى إلى المسجد ، فقمت خلفه ، فاستفتح سورة الحاقة ، فجملت أعجب بتأليف القرآن ، فقلت : هذا والله شاعر كا قالت قريش ، فقرأ : « إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولِ كَرِيمٍ وَمَا هُوْ يَقُولُ شَاعِرٍ فَلَيلاً مَا تُولِيْوَنَ » ، فقلت كاهن ، فقرأ : « وَلاَ يَقَوْلُ كَاهِنِ قَلِيلاً مَا يَذَذُ كُونَ تَنْزِيلُ مِنْ رَبِّ الْمَا لِمِنَ وَلَوْ تَقَوَّلَ مَلَيْنَا بَشَنَ الْأَقْوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ » قال فكان ذلك أول وقوع الإسلام بقلبي .

خرج عمر متقلداً سيفه ليقتل محداً الذي سبّ آلمتهم ، وسفه أحلامهم ، وعاب دينهم ، وفرَّق جماعتهم ، فقابله رجل من بني زُهْرة ، فقال له : ألا أدلك على السجب يا عر؟ إن أختك وختنك قد صَبَوَا ، فشي عر دامرًا (١) حتى أتاها وعندهما رجل من الهاجرين يقال له خباب ، فلما سمع خباب حسّ عمر توارى في البيت فدخل عمر ، فقال لأخته وخَتَنه ^{CP} ماهذه الهينمة التي أسمعها عندكم ؟ (وكانوا حين مجيئه يقرمون طه) ،فِملا يخفيان أمرهما ، ثمأظورا إسلامهما ، وطلب عمر الصحيفة التي فيها طه فقرأها ثم قال : دلونى على محمد ، فذكروا له أنه في دار بني الأرقم عند السفا ، فقصد إليه عمر فأُسلم ، ثم قال يا رسول الله : ألسنا على الحقّ فنهم الاختفاء ؟ فكان ذلك أول إعلان الرسألة ، فسياه رسول الله الفاروق لفرقه بين الحقُّ والباطل ، وكان إسلامه رضي الله عنه في السنة السادسة من البعثة .

وكان كفار قريش إذا رأوا رجلا دخل في الإسلام يقولون : قد صبأ قلان ، و إذا عثروا به أكثروا ضربه وأذاه ، وهكذا ضلوا بسر حتى خاف عليه خاله الماص بن وائل ، فقال : عمر فى جوارى ، فامتنم الناس عنه ، ولكن عمركان يلتذُّ بالأذى فى سبيل الله فردَّ على خاله جواره ، فكان يُضْرَب وَيُضرب ، ومن شجاعته أنه حين خرج مهاجرًا لم يخف هجرته كما فعل غيره ، بل تقل سيفه ، وتنكب قوسه ، وانتخى في يده أسهماً ، ومضى قِبَل الكعبة ، ولللأ من قريش بفِنَلَها ، فطاف بالبيت متمكناً ، ثم أتى المقام فصلى متمكناً ، ثم وقف بالحلق واحدة واحدة ، فقال لهم : شاكمت^(٣) هذه الوجوهُ ، لا يُرْخِم اللهُ للاهذه المعاطسَ . من أراد أن تَشْكُلُ (٤) أمه أو يَيْتُم (٥) طَفله

⁽١) من دسم : بمني دخل بنير إذن وهجم هجوم المعر

⁽٢) الحتن : الصهر ، وكل ماكان من ناحية الرأة كأيما وأخوتها. (٣) قبحت . (٤) أسكات الرأة (كارح) قدت ولهما .
 (٥) يتم (كفرب وعلم) فقد أباد دون الرشد .

أو يُرْمِل (١٦) زوجته ، فليلةى وراء هذا الوادي ، ثم خرج ، فلم يتبعه أحد .

[تشريف النبي له] : كان من تشريف النبي له أن لقمه بالفاروق يوم إسلامه ، وكناه بأبي حفص لما رأى من شجاعته ، وناداه بيا أخي حين استأذنه في الممرة ، فقال له : يا أخي لا تنسانا من دعائك ، تزوج النبي ابنته حقصة بعد موث زوجها ، ووصفه بأنه محدّث أو مُقْهَم أو مُلْهَم ، فقال كما جاء في الصحيحين : إنه كان فيمن قلكم من الأمم ناس محدّث أو مُلْهَم ، وإنه إن كان في هذه أحد فإنه عز بن الخطاب ، وذلك لما كان بأني به الوسى من تأييده كما حدث فيا يأتي :

إلى المراد النبي أن يصلى على عبد الله بن أبي قال له عر: أليس الله نهاك أن تصلى على المنافقين ؟ فقال النبي أنا بين خير تبينا. قال تمالى : « أستغفر كمم أو لا تستغفر كمم أو لا تستغفر ألم أم إن تستغفر كمم سبغيين مرّق قلن يغفر الله كمم ها ، ثم صلى عليه فنول : « وَلا تَعْمَلُ عَمَلُ عَلَى أَحَد مِنْهُمْ مَاتَ أَبِكًا وَلا تَعُمْ عَلَى فَعْرِهِ لَهِ مَا الله وَلَمْ وَالله وَلَمْ فَاستُونَ ».

٧ - أسر النبي فى بدر سبمين رجلا ، فاستشار فيهم أبا بكر فقال : قومك وعشيرتك فحل سبيلهم ، وقال عمر : اقتلهم ، فناداهم النبي ، فشب الله عليه بقوله : « مَا كَانَ لِنبِي أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرى حَتَى يُشْغِنَ فِي الْأَرْضِ » (٢) ، فقال رسول الله : لقد كاد يصبينا فى خلافك شر ياعمر .

٣ – وكانت نساء النبيّ يظهرن للناس ، فكان عمر ينار عليهن ، ويرى من

⁽١) أرمك الرأة : ففلت زوجها .

 ⁽٣) منهى الآية : أنه مايستنم النبي أن يكون له أسرى وينظب على أعدائه حتى يكثر القديل
 فيكون ذلك ذلا الدكتر وإضافا ، وعزا للاسلام . ولمما كثر المسلمون بعد ذلك الله أفه
 هِ قَوْمًا مَكًا بَعْدُ وَإِمَّا فَذَاء » .

اللائق بشرفين أن يحتجن وكلم النبيّ فى ذلك ، فنزل قوله تعالى : ﴿ يُنْأَيُّهُمَا اللَّهُونَ مِنْ جَلَا يَبِينُ ﴾ اللَّهُ النَّبِي أَنْ فَلَكَ مَ مَنْ لَلْ قُولُهُ تعالى : ﴿ يُنْأَيُّهُمْ اللَّهِ مَنْ جَلَا يَبِينُ ﴾ الآية. ﴾ — عاتب النبيّ بعض نسائه ، فجل عمر يمرّ عليهن واحدة واحدة ، وهو يقول :
الذن اقهين وإلا ليبدلن اللهُ رسولَه منكن خيراً ، فنزل قوله تعالى : ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ مَلْقَدَكُمْ أَنْ يُلْدِلُهُ أَزْ وَالْجَاكِمُ اللَّهُ مُسْلَكُمْ ﴾ .

إلى غير ذلك حتى قيل : ما نزل بالناس أمر قط قتالوا فيه وقال فيه عمر إلا نزل القرآن على نحو ما قال عمر .

ومن مزايا عمر: صواب رأيه ، واجتهاده فيها لم يرد فيه نص" من كتاب الله ، ومن ولا سنة نبيه حتى يقول الفقهاء فى باب الاجتهاد: إن همر عمدة هذا الباب ، ومن أمثلة اجتهاده : أن رجلا قتلته امرأة أبيه وحليلها ، فتردّد عمر ، هل يقتل الكثير بالواحد ؟ فقال له على ت لو أن جاعة سرقوا جزوراً ، فأخذ هذا عضواً ، وذاك عضواً ، أكنت قاطمهم ؟ فال ضم ، قال فكذلك . فكتب عمر رأيه إلى عامله : أن اقتلهما ولو اعتراك فيه أهل صناء كلهم .

وسئل في شارب الجرفقال : من شرب فقد هَذَى ، ومن هذى فقد افترى ، فأرى عليه حدّ الفنزى «القاذف» .

وكان يفهم روح التشريع فيجعل للملابسات دخلا فى فهم للراد ، ومن أمثلة ذلك : أن النبيّ كان قد تألف أبا سفيان، والأقرع بن حابس ، وعُثيِّنَة بن حصن ، ومتقوان ابن أمية ، وأعطى كلاً مائة من الإبل ، فجاء عينة والأقرع إلى أبي بكر يطلبان أرضاً فكتب لهما بها ، ثم حضر عر فرق الكتاب وقال : إن الله أعرَّ الإسلام وأغفى عنكم فإن ثبتم عليه ، وإلا فالسيف بيننا وبينكم .

وف مرَّة لم يقطع فى السرقة ، وذلك أنه فى عام الحجاعة سرق غلمة لحَاطبِ بن أبى بَلْتُمة جزورًا ، وأقرَّوا على أنسجم ، فبعد أن أم عمر بقطم أيديهم أعادم ، وقال لابن حاملب : أما والله لولا أنكم تستعملونهم وتبميمونهم حتى إن أحدهم لو أكل الميتة حلّ له ، لقطت أيديهم ، وايم الله إذ لم أضل لأغرمنك غرامة توجك .

وكان طلاق الثلاث على عهد رسول الله وأبي بكر ، وسنتين من عهد عمر يقع واحدة حتى قال عمر : إن الناس قد استسجارا فى أمركانت فيه أناة ، فلو أمضيناه عليم فأمضاه وجله يقم ثلاثا تأديباً للناس .

خلافتــــه

عهداً بو بكر إليه بالخلافة بعداًن استشار الصحابة في أمره ، وكان بده خلافته سنة ١٣ هـ ، وقتل سنة ٢٣ هـ ، فكانت خلافته عشر سنوات . وقد قتله رجل من السبايا يسمى تأبروز ، و يكنى أبا ثؤثؤة ، وهو غلام للفيرة بن شكبة ، وقد فرض عليه المفيرة درهمين في اليوم ، فشكا الفلام ذلك إلى عمر وهو يطوف في السوق . فقال له : ما صناعتك ؟ قال : نجار حداد تفاش . قال عر : فيا أرى خراجك كثيراً ، فاضطفن عليه الفلام ، وقتله بعد ثلاثة أيام ، وهو يريد صلاة الفجر ، وحمد الله عمر حين عَلِم أن قاتله غير مسلم .

[أعماله فى خلافته]: أما فتوحه التى لم يسرف مثلها لنيره من الخلقاء وملوك الإسلام كافة ، فإن التاريخ العام كفيل بشرجا ، وبيان مساحة رقمتها وسرعة حدوثها وإحكام أمرها ، فلمسر فى ذلك الأحرر حديث مجب ، فلقد كان برسل للقائد بوصف البلاد التى سيقدم عليها ، وبيان أخلاق أهلها ، وطريقة محاربتهم ، فيكون فى العمل برأيه النصر المؤزر . ويكفى أن نروى للك كتابه إلى سعد بن أبى وَقَاصِ فى حرب القادسية قال :

أما بعد : فسر من سيرَاف نحو فارسَ بمن معك من للسلمين ، وتوكّلُ على الله ، واستمِنْ به على كلّ أمرك . واغمَم أنك تَقَدَّمُ على أمة عددهم كثيرٌ " وتُعَدُّنْتُهمْ فاضلة ، 4

وأما سيرته فى رعيته فقد بناها على أسين عظيمين من سياسة الأم ، فأطاعته العرب والسخم أحسن طاعة . وجرت له الأمور على أذَّلاك (١٧٧) :

فأحد أسى سياسته هو الشدَّة في المدالة ، وعدم الهوادة في حدود الله ، وذلك هو

⁽١) البأس: الفنة في الحرب . (٢) صب .

⁽٣) أودينه للتسمة . (٤) الفيش : التممان

⁽٥) الانتظار والامهال .

⁽٦) يقال هو خدعة بشم فقتح: أي كثير الحداع ، فإن سكنت الدا، صار مبناها كثير الانجداع .

المالخ الثقور . (٨) الأثقاب : جم شب بالفتح أو الضم ، وهو الطريق في الجبل .

⁽٩) الأراضى الرملية . (١٠) تحركت إليهم .

⁽١١) رجوتم ثواب الله .

⁽١٢) جَمَّ لَامْنُرْدُ لَهُ أَوْ لَلْفُرْدُ ذَلَهُ ، وَالْمَنَّى جَرْتَ عَلَى وَجِهُمَا وَطَبِّيعَهَا .

خلق عمر منذ جاهليته ، ولكنه كان فى الجاهلية صرامة وغلظة كبد وحمية جاهلية . ثم صار فى الإسلام تحريا لرضاء الله ، وتنفيذاً لأوامره ، وحرصاً على حبل الإسلام أن يضطرب .

ومن أمثلة ذلك : أنه كان إذا شكى إليه عامل مها عظم قلره دعاه المتول بين يديه ، فإن ظهرت إدائته أقام عليه الحلا ، وإن شك في أمره عزله . وقد شكا إليه رجل أبا موسى الأشعرى وذكر أنه ضربه ، فكتب إليه : إن كنت ضربت فلاناً على ملاً من الناس ضرمت عليك لما قمدت له في ملاً من الناس حتى يقتص منك ، وإن كنت فعلت ذلك في خلام من الناس فاقعد له في خلاء من الناس حتى يقتص منك . ولولا عنو الرجلي بعد أن قعد له أبو موسى الأشعرى القصاص ، لجرى القصاص على أبي موسى وهو هو سابقة في الإملام و بلاء ، ومثل ذلك جرى لممرو بن العاص

وقد استحضر عمر سعد بن أبى وقاًص فاع القادسية والمدائن وبمصر الكوفة والبصرة . وكان قد شكاه أهل عمله بالكوفة ، فجمع بينه وبينهم ، فوجده بريئاً . وكان للوصول إلى المدالة يأمر عماله أن يوافوه فى موسم الحيح ليجمع بينهم و بين الشاكين منه .

ولقد كان له عامل يقتص آثار الممال فيرسله فى كلّ شكوى ليحقفها فى البلد الله ي جرت فيه ، وهذا الهامل هو محمد بن سكة ، وكان يشق به ثقة تامة .

恭

وکان عمر بری أن المدالة تقتضی سهره علی الرعبة واستطلاعه لأحوالها ، فکان یسن بالمدینة لیلا ، وقد روی عن عسه قصص تمثل حرصه التام علی منع الظلم عن رعیته .

فن ذلك أن قدمت و تقة من التجار، فنزلوا بمسجد للدينة ، قتال عمر لمعد الرحمن ابن عوف : هل لك أن نحرسهم الليلة من السرق ؟ فياتا يحرسانهم ويصليان ، فسمع عمر بكاه صبى" ، فتوجه نحوه وقال لأمه : اتتى الله وأحسنى إلى صبيك . ثم عاد ، فسمع بكامه ثانية وثالثة ، ثم قال لهما : إنى لأراك أم سوّه (١) ! مالى أرى ابنك لا يقر منذ الليلة ! فتالت : إنى أريفه على الفطام فيأبى ، قال ولم ؟ قالت لأن عمر لا يغرض إلا لفطيم ، فقال وكم عمره ؟ فقالت كذا شهراً ، فصلى عمر الفجر ما يستبين الناس قراءته من البكاء . فلما أثم صلاته قال : يا بؤساً لمسر . كم قتل من أولاد المسلمين ؟ ثم أسر مناديا ينادى : ألا لا تسجلوا عن الفطام ، فإنا ففرض لكن مولود فى الإسلام .

قال أسلم: مررت مع عمر فى صهه ، فرأى ناراً فدنا ، فإذا امرأة معها صبيان يَتَضَاكَوْنَ (٢٠ جُوعًا ، فقال : ما بال الصبية ؟ فقالت الجوع . قال فأى شوء فى القدر ؟ مقالت : ماء أسكتهم به حتى يناموا ، والله ييننا وبين عمر . فقال : أى رحمك الله وما يدى عمر بكم ؟ قالت يتولى أمرنا ثم ينفل عنا . فقال عمر لأسلم : انطلق بنا حتى أثيا الله قيق ، فأخرج عدالا منه ، وكبة من شحم ، فقال : احمله على " ، قال أسلم : أحمله عنى وزرى يوم القيامة ؟ ! ! فاطلق عمر به يهرول حتى القاه عندها ، ثم أخرج شيئاً من الدقيق ، فجل يقول لها : ذرى على وأنا أحراك لك، وجعل ينفخ تحت القدر ، فكان الدخان يخرج من خلال لحيته ، ثم أنزلها وقال لها : ابنيف غيناً ، فأكته بصحفة فأفرغها فيها . ثم جل يقول لها : أعطيهم وأنا أسطح لهم ، فلم يزل حتى شبعوا . ثم قام فقالت للرأة : جزاك الله خيراً كنت أولى بهذا الأمر من عمر ، فيقول لها قولى خيراً . إذا جثت أمير للؤمنين وجدتنى هناك إن شاء الله . ثم عمر ، فيقول لها وجل يتول لها قالى بغيراً . إذا جثت أمير للؤمنين وجدتنى هناك إن شاء الله . ثم أمهر م وأبكام ، فأحبت أله إنسم على أريت .

ومن أمثلة علمه : أنه بينها كان يمشى بسكة من سكك للدينة إذا هو بصبية تطيش على وجه الأرض تقوم مرت وتقع أخرى ، فقال : يا ويحما ! يابؤسها ! من يعرف هذه منكم ؟ فقال عبد الله بن عمر : هى إحدى بناتك . قال : وأى بناتى هى ؟ قال :

⁽١) أى أما قبيمة ، ولايمال إلابشت السين من سوء مع إضافة ماقبلها اليها وتتكيرها .

⁽۲) پەسىحون ويتلوون ـ

هى ابنتى . قال : ويمك ! ما صيرها إلى ما أرى ؟ قال منمك ما عندك . قال : ومنعى ما عندى منمك أن تطلب لهـا ما يكسب الأقوياء لبناتهم ، إنه والله مالك عندى غير سهمك فى للسلمين وسمك أو عجز عنك ، هذا كتاب الله بينى و بينك .

A

وثانى أكنى سياسته: أنه كان يبنى أمره على الاستشارة، فكان يستشير الناس على مراتب، فيأخذ رأى العامة أولا، ثم رأى الخاسة. قند فعل ذلك عند زيارته للشام سنة ١٧ هـ حتى إذا كان بسترفع (¹⁷لتيه أمراء الأجناد، فأخبروه أن بالشام طاعونا، فجمع الناس، فرأى خاصتهم أنه يجب أن يرجع، قال أبو عبيلة بن الجراح: أفواراً من قدر الله ؟ قال: أفر من قدر الله إلى قدر الله .

ولقد كان ينزل على رأى الحقق سها صغر، فقد بدا له ، وقد رأى مغالاة الناس بالمهور أن يخطب فى منع الناس من ذلك ، فقالت له امرأة من أقصى المسجد : كيف ؟ والله يقول : « وَآ تَيْمُ إِضَاءُمُنَ قَيْمُالًا فَلاَ تَأْخُدُوا مِيْهُ تَشَيْعًا» ، فقال عمر : أصابت امرأة وأخطأ رجل . كل الناس أفقه منك يا عمر . وقد تمثل ميله للاستشارة فى اختياره خليفته ، فقد جمله أحد ستة هم خير المسلمين حينتذ ، وقد شهد لهم رسول الله بأنهم من أهل الجنة ، وهم : عثمان ، وعلى ، وعبد الرحن بن تحوفي ، وَسَمْدٌ ، وَالرُّ بَهْرُ

A

وأما غير ذلك من أعماله فى خلافه ، فهى أنه أول من أرّخ بالتاريخ الهنجرى لما رأى من اضطراب الأمر فى تواريخ الكتب ، فقد رفع إليه صك محله شمبان ، فقال أى شمبان هو ؟ الذى مضى ، أو الذى هو آت ، أو الذى نحن فيه ؟ وقيل إن سمد

⁽١) موضع بالشام .

إين أبي وفاص نشكا إليه أنه تأتيه كتبه ولا يعرف السابق منها من اللاحق . فاستشار أهل الرأى في ذلك ، فاجتمع رأيهم على جعل الهجرة مبدأ التاريخ للسلمين ، وكان العمل به في ربيع الأول نسنة ست محشرة من الهجرة ، وقيل سنة ثماني عشرة ، أو تسم عشرة .

وهو أوّل من مَصَّر الأمصار ، وأوّل من دوّن الدواوين ، وأوّل من استقفى القضاة فى الأمصار ، وأوّل من وضع الخراج على الأرض، وكان العرب يريدون قسمة السواد كما فعل رسول الله بخيير ، فقال لهم : قما لمن جاء بعدكم من المسلمين ؟ وهو أوّل من سمى أمير المؤمنين ، دخل عليه عرو بن الماص ، فقال : السلام عليك يأ أمير المؤمنين ، فقال له : ما بدا لك من هذا الاسم ؟ لتمخرجن مما قلت ، قال نم ، قدم لمبيد بن ربيعة ، وعدى بن حاتم ، فقال : استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فقلت : أما والله مير دعن المؤمنون ، فجرى عليه هذا القب وعلى من بعده من الحقاء .

الادب في حياة عمر

ذكرنا عن عمر أنه كان يقوم بالسفارة لقريش . وتلك منزلة لايسمو إليها إلا كلّ مِدْرَهِ جزل البيان ، قوى الممارضة ، وهكذا كان عمر ، فقد تحبّت فيه نزعة لنوية بطلة الشأن ، فلقد كان يعرف قدر الشعر ، ويدعو الناس إلى تملّه ، وهو الذي يقول : أضل صناعات الرجل الأبيات من الشعر يقدمها في حاجته ، يستمطف بها قلب المكريم ، ويستميل بها قلب اللثيم ، وكتب إلى أبي موسى الأشعرى يقول : مُم من قبلك يتملم الشعر ، فإنه يدل على مطالى الأخلاق ، وصواب الرأى ، ومعرفة الأنساب ، وهو الذي يقول : تملّوا العربية ، فإنها تثبت المقول وتزيد للرومة .

وكان يحب سماع الشمر ، وقد أثاب عليه بقميصه الذي لم يجد ما يعطيه غيره ،

وهو الذي قال ليمض ولد هرم ، وقد أنشده قول زهير في أبيه ، إنه كان ليُحسن فيكم القول ، فقال له : ونحن كنا نحسن له المطاء ، قال : ذهب ماأعطيتموه و بتي ماأعطاكم

كذلك كان يأخذ الناس بأدب الجطاب . ويرشدهم إلى مواضع الصواب فى القول ، فقد رُوى أنه لما حضر خَراج العراق ، خرج مع مولى له يَمَد الإيل ، وهى تفوق الحَمَّر ، فقال له عمر : كذبت ليس تفوق الحَمَّر ، فقال له عمر : كذبت ليس هذا هو الذي يقول الله فيه : « قُلْ يَفَعَّلِ الله وَبِرَحْتِهِ فَيَدَّلِكَ فَلَيْفُرْحُوا » يقول بالهدي وبالسنة والقرآن فبذلك فليفرحوا : « هُوَ خَيْرٌ مِّنَّا يَجْعَمُونَ » .

وأثنى أمامه رجل على رجل في وجه ، فقال له : عَقَرْتَ الرجلَ عَقَرَكَ اللهُ .

وسم رجلا يقول : إنى أُنفق مالى ونفسى فى سبيل الله ، فقال عمر : أو لا يسكت أحدكم ، فإن ائتُدلَى صبر ، و إن عُرفِيَ شكر

وأراد أن يستمين برجل فى عمل ، فسأله عن اسمه ، فقال : ظالم بن سَرَّاق ، فقال : تظلم أنت و يسرق أبوك ، ولم يستعن به

وكان عمر فى حديثه مع الناس يحاسب نفسه على اللفظ ، ويتحنب مآخذ القول ، فقد أقبل على قوم يوقدون ناراً ، فقال السلام عليكم يأهل الشوء ، وكره أن يقول : يأهل النار .

Ä.

ولمسر غير خطبه كلمــات سامية ، وعبارات تدلّ على سموّ خياله ، فقد قال : لو كنت تاجرًا ما اخترت على السطر شيئًا ، إن فاتنى ربحه ، لم يفتنى ريحه .

وسمع سائلاً يقول: من يسشى السائل، فقال عمر: عشوا السائل، ثم سممه ثانية نم قال: ألم أقل لكم عشوا السائل ؟ فقالوا: قد فسلنا، فأرسل إليه، ، فإذا جرابه مملوم خيرًا ، فقالى له: لست سائلا، بل أنت تاجر،

وسمِع نادبة تنوح فضربها وقال: إنها لاتبكى بشجوكم ، ولنكنها تُهرَيق دمعها

الأخذ دراهمكم ، إنها تؤذى أمواتكم فى قبورهم ، وأحيادكم فى دورهم ، إنها تنهى عن الصبر وقد أمر الله به ، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه .

وكان إذا سم رجلا يتلجلج فى كلامه قال : خالق هذا وخالق عرو بن العاص واحد . ومرّ بِدّير راهب فناداه فأشرف عليه ، فجعل عمر يَبكى و يقول : ﴿ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ تَمَشَّى فَارًا عَلِمَيَةٌ ﴾ .

ورأى رجلا يحمل ابناً له ، فقال : مارأيت غُرابًا أشبه بغراب من هذا بهذا .

ومن كلامه قوله : ثلاث يثبتن لك المودة فى صدر أخيك : أن تبدأه بالسلام ، وتوسم له فى المجلس ، وتدعوه بأحب الأسماء إليه .

وقوله : كنى بالمرء غَيَّا أن تكون فيه خَلَّةٌ من ثلاث : أن يعيب شيئًا ثم يأتى مثله، أو يبدو له من أخيه ما يخنى عليه من قسه ، أو يؤدى جليسه فيا لا يَعْنيه .

ورؤى وهو يهنأ ببيرًا من إبل الصدقة ، فقيل له : هلا قام بذلك عبد من عبيد الصدقة ، فقال : وأيّ عبد هو أعبد مني ! !

ومرٌ عمر بينيان بينى بَآجُرٌ وحِصٍ ، قال : لمن هذا ؟ فقيل لعاملك على المبحرين ، قال : أَبْتِ الدوامُ إِلاَّ أَن تُخْرِجَ أَعناقِها .

A

ومن حَمَّه قوله الأحنف بن قيس : من كثر ضحكه قلَّت هيبته ، ومن مَزَّتُ استُخِفُّ به ، ومن أكثر من شيء عُرِف به ، ومن كثر كلامه كثر سَقَطَه ، ومن كثر سَقَطَه قلَّ حياؤه ، ومن قلَّ حياؤه قلَّ وَرَحه ، ومن قلَّ ورعه مات قلبه . ومن حَمَّه : من عرَّض فسه التُّهَمَة فلا يَلُومَنَّ من أساء به الظن . من كثم سرّه

ومن حكمه : من عرّض فسه لتهمّه قلا كِلوبَنَّ من اساء به الظن · من لـتم سرّه كان الخيار بيده .كني بالمرء سَرَةًا أن يأكل كُلَّ ما اشتهاه . الطمع فقر والبأس ضِّى ،أعقل الناس أَغَذَرُهُمْ الناس . أشقى الوِلاَةِ مَنْ شَقِيَتْ به رميته . لا تُؤخِّرْ عمل يومك لِفَوْكَ . من لم يعرف الشَّرَّ كان جديراً أن يَهَمَّ فيه .

ă.

ومن آثار عمر الأدبية شمر پرويه بسض الناس له وينكره آخرون ، هن قوله يوم فتح مكة :

> أَمَّ تَرَ أَنَّ اللهَ أَغْهَرَ دِينَهُ عَلَى كُلِّ دِينِ قَبْلَ ذَلِكَ عَالِدِ وَأَشْلَبَهُ مِنْ أَهْلِ مَكُمَّ بَعْدُ مَا تَنْاعَوْ إلِى أَهْرِ مِنْ النَّيْ عَلَيدِ عَدَاةَ أَجَالَ الْمُلْيِلِ فِي عَرَصاتِهَا مُسَوِّمَةً بَيْنَ الرَّهُيمِ وَخَالِدِ فَاهنَى رَسُولُ اللهِ قَدْ عَزِّ فَشْرُهُ وَأَسْتَى عِدَاهُ مِنْ قَدِيلٍ وَشَالِ وَهَالِدِ

و إن فاته قول الشعر لم يفته التمثل به فى كلِّ مقام ، فقد قال الأصميمى ما قطع عمر رضى الله عنه أمرًا إلا تمثل فيه بييت من الشعر .

قيل خرج عمر وعليه مُحلَّة قطن ، فنظر الناس إليه نظراً شديداً ، فتمثل ; لاَ قَيْءُ رِمِّنًا يُرَكِى تَبِقِى بَشَاشَتُهُ مَنْ يَبْقِى الْأَلِهُ وَيُودَى لَلَـالُ وَالْوَالَةُ

Ä

أما ترسله فهو فى الكثرة يجارى فتوح عمر ، فقد كان من حرصه على فوز جنوده لا يكاد يتركها من غير نسيحة بتعبئة أو هجوم أو توقف ، كماكان يطالب قوّاده وُنحَاله بُوافاته بالأخبار ، وما تمّ من أمورهم أوّلا فأوّلا ، فكانت الكتب لا تنقطع بينه وبينهم .

كذلك لم يكن يُشِبّ الناس خطابة ، فكان يقوم بها فى مواعيد الصلاة وغيرها كلما بدت له عظة يريد النفع بها ، أو رأى بدعة يريد حمل الناس على تركها ، أو أثاد خبر عن فتح يريد إعلائه للقوم . ونرى أنه إذا أحمى كلّ ذلك ، وجم شتيته من كتب الأدب والسير كابن مته أثر جليل القدر ينتفع الناس بتداوله .

وسننقل هنا شيئًا من رسائله وخطبه التي لم يسبق لنا إيرادها آلمًا .

خطب عر فقال : أثبها الدّاسُ : إنّا كُنّا نَشْو فُكُمْ إِذْ كَيْنَ أَفْهُرُ فَا رَسُولُ اللهِ ، والفَّمَلَ وَإِذْ كَيْنَ أَفْهُرُ فَا رَسُولُ اللهِ ، وَإِذْ كَيْنَ مِنْكُمْ خَيْرًا اللهِ ، والفَّمَلَ الْوَسْمُ مَنْذَذَ ذَهَبَ رَسُولُ اللهِ ، والفَّمَلَ اللهِ مَنْ أَفْهَرَ مِنْكُمْ عَلَيْنَا اللهِ عَلَيْنَا إِلَّهِ خَيْرًا فَلَيْنَا إِلَهُ مِنْ أَفْهَرَ مَنْكُمْ مِنْ أَفْهَرَ مَنْكُمْ مَنْ اللهِ عَلَيْنَا لهِ شَرًا وَأَبْهَمُ فَلَا وَمَنْ اللهُ مِنْ اللهُ مِنْ وَمَا اللهُ مِنْ وَمَا اللهُ وَاللهُ مَنْ وَمَا اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ وَمَا اللهُ اللهُولِ اللهُ الللهُ الللهُ اللهُ اللهُ

وشكى إليه جامة من صاله فأمرهم أن يوافره بالموسم ، فلما حضروا قام فحمد الله وأننى عليه ، ثم قال : أيتها الرَّعِيَّة ، إنَّ العالمي حُسَنَ النصيحة بالنيب ، والماؤنة على الحيد ، أيتها الرَّعَلَّة : إنَّ الرَّعِيَّة ، إنَّ العالمي حَمَّا . الحلوا أَنَّهُ لاَ حَبِّم أَحبُ إلى اللهِ تعالى ولا أَعَمَّ من جهل إمام ووحُره . الحلوا أن من يَأْخَذ بالعافية (⁽⁷⁾ فيمن بين ظَهْرَيْه (⁽⁷⁾ يُورَق العافية مِمَّن هُورَة وَدَّه العافية مِمَّن مُؤدَّنة ، ولا أَعَمَّ من جهل إمام هُورَ دُونة .

وكان إذا بعث أمراء الجيش أوصاهم بتقوى الله ثم قال عند عقد الألوية : باسم الله ، وعلى عون الله ، واشغوا بتأييد الله والنعير ، ولزوم الحقّ والصبر ، وقاتلوا ف سبيل الله مَنْ كَفَرَ بْأَلْتِهِ ولا تَعْتَدُوا إِنَّ اللهَ لا يُصِبُّ للمتذبن . ثم لا تَجَبُّنُوا عِنْد

⁽١) أي أخيرا .

 ⁽٣) المانية : وقاع الله عن للرء . والمنى فى قوله بأخذ بالمافية أن يترك فة حقوله عند الناس يولاها جل شأه .

 ⁽٣) تُلْتَيْة ظهر على الفياس، وقد ينال هو بين ظهرانيهم أو أظهرهم والمراد بينهم

الَّقَاءَ ، ولا تُمَثَّلُوا (1) عند التُنْدُرَةِ ، ولا تُسْرِفُوا عند الظّهورِ (٢ ، ولا تَشْكُلُوا (٢ عند الظّهورِ اللهِ عند الشّهورِ اللهِ اللهِ اللهُ عَلَى اللهُ عَمَّلُوا اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ عَمَّلُ ، وَتَوَقَّوْا تَعْلِم إِذَا اللهِ اللهُ وَاللهُ اللهُ وَلا تَشَكُلُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ ولا تَشُلُوا عِند الفنام ، وَزَمَّلُوا الجهاد عن عَرَضِ الدّنيا . وَأَبْشِرُوا اللَّارَاتِ (٢ فَي اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ عَمَّو الْفَوْزُ السليمُ ،

ومن رسائله ما كتبه إلى معاوية عامله على الشام : أما بعد ، فألزَم الحَقَّ مُنْزِلُكَ، الحَقِّ مَنازَلَ أهلِ الحق يوم لا يُقْضَى إلا الحقّ ، والسلام .

ومها وصيته الخليفة من سده ، قال ابن عمر : رفع إلى ّ أبي كتابًا ، فقال : إذا اجتمع الناس بعدى على رجل ، فارفع إليه هذا الكتاب وأقرئه منى السلام

أوسى الخليفة من بعدى بتقوى الله ، وأوصيه بالماجرين الأولين الذين أُخْرِجُوا من دبارهم وأموالهم يَبْتَغُونَ فضلاً من الله ورضواناً وَيَنْصُرُونَ الله ورسوله ، أَنْ يَعْرِفَ حقهم ويمفظ لهم كوامتهم ، وَأُوصِيه بِالْأَنصار خَيْرًا اللّذِينَ تَبَوَّعُوا (*) النّالز وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِيُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلاَ يَجِدُونَ في صُدُورِهِمْ صَاجَةً (*) يُمْ أُوتُوا في الْأَمْرِ ، وأوصِيه بنمة الله وزمِّة بحد صلى الله عليه وسلم أَنْ يُوفِيَ بعدم ، ولا يُكَلِّدُوا في الْأَمْرِ ، وأوصِيه بنمة الله وزمِّة بحد صلى الله عليه وسلم أَنْ يُوفِيَ بعمدم ،

 ⁽١) التميل: النمريه . (٢) التلهور: العلبة .

⁽٣) نكل (كنصر وعلم) نكس وجبن . (٤) الأرباح : جم ريح ·

⁽a) تبرو وا الدار: أى سكنوا و توطنوا للدينة وعطف الاعدان على الدار على مينى وأخلصوا الإيمان كفول الدائر ع علمها بنيا وماء باردا » أى وسفيتها ، أو المين دار الهجرة ودار الايمان وتدكون آل قد ناست مقام المشاف إليه فى دار الهجرة ويكون المشاف اليه قد نام مقام المضاف فى دار الإيمان .

 ⁽٢) أي شيئا من حمد وخد وقبل حاجة بمنى محتاج اليه : أي ولا مجمدون في أنسم طلب
 محتاج إليه بمنا أولى المهاجرون

Å

و بعد : فوسائله وخطبه وحكمه وكلّ ماعرف له من قول يتجلى فيه خشية الله والإخلاص له ، والعمل على وضائه ، ثم هو بعد من الجهة اللغرية ، نقّ اللفظ ، سامى الفرض ، لاتكلف فيه ، ولا محاولة العباهاة به ، أو للساملة بفساحته ، وذلك شأن رجال هذا العصر لم يستوقفهم اللفظ فيتأشوا في اختياره ، ولا شغلهم شيء غير إفهام الخاطب حكتهم التي كانت ذوب قلوبهم .

كان الشعر فى الجاهلية سمة العرب التى بها يعرفون ، وَهِيْرَاهم التى بها يَتْهَبُّون ، وكان حجيم على الفضل ، ودليلهم على النبل ، وسجل أيامهم الشهورة ، وأعمالهم المأثورة . وكان الفراغ وخار البال والانطلاق من قيود الدين تجملهم يهيمون به فى كل واد : فن غزل لا يتحرّرون فيه من ذكر الثافلات المقصورات فى خدورهن إلى هجاء ومدح مبناها للبالفة والكذب . كذلك كانت العصبية تسيطر فى الشعر على جلة أغراضه ، فهى التى كانت تهيج الفخو وللباهاة ، وقصل على إثارة الفخال وتأديث العلوات والتحريض على القتال . حتى كانت الجزيرة العربية تنووا ينفخ فيه الشعواء ويحضّرن بماولهم نيرانه . ومن هذا استطبع أن ندرك مقدل حرص القبيلة على أن يكون لها شاعر ، ينافح عنها و يسجل مفاخرها ، وأنها كانت لاتزال متطامنة منكسة يكون لها شاعر يناف عام ، فيتباشر أهلها ، ويأنها الهنثون بنبوغه .

جاء الإسلام بالجد" الذي لم يعرفه العرب في العمل للدنيا والآخرة ، فاستلأت أوقاتهم بالمساعى النافحة في تحصيل الدّين أو نشر كلته ، جاء بابطال كثير من أمور الجاهلية . وأولما العميية التي كانت قاضية على اجتاعاتهم ، مبددة لشعلهم ، وكذلك قيدم بالحدود لايتمدّرنها في دين أو أدب ، فحرم عليهم الكذب وحاسبهم على الهمز

واللمر. و إشاعة الفاحشة فى الناس، وقلف المحصنات. فكانوا جديرين أن تتعطل المتهم و بين الشعر ريثا يصلحون أوتارها. و يغيرون تفتها. فقد حيل بيبهم و بين ما يشتهون من نخوة الجاهلية، وفحرها الكاذب، والوقوع فى الأعراض، وذكر السورات، وتأريث المداوات. لذلك نرى الشعر فى بده هذا المصر قد قدرت حركته بمثلان أغراضه القديمة للميهم، ولما رأوا من بلاغة القرآن الذي حرف نظرهم بلاغتهم وضاءل فصاحتهم. وإن من شعرائهم من وصل به الانبهار من بلاغة القرآن والشكوف على تذوّقها وتزويد النفس من محاسنها م أن القطع عن قول الشعر كلميد (وهو من الحجلين بين شعراء الجاهلية) ، فلم يقل فى الإسلام إلا بيتًا واحدًا هو :

الْخَمَدُ لله إِذْ لَمَ يَأْرَنِي أَجَـــــــلِي حَتَّى اكْنَكَيْتُ مِنَ الْإِسُلاَمِ سِرْبَالاَ ومن حديث نبيد أن صر أرسل إلى عامله على البصرة أن سَلْ لبيداً والأغلب ما أحدثا فى الإسلام؛ قال الأغلب :

أرجزاً سألت أم قصيدا فقد سألت هيئاً موجودا

وقال لبيد : قد أبدلني الله بالشعر سورة البقرة وآل عمران ، فزاد عمر في عطائه فبلغ به أثمين ، فلما وُلَى مماوية قال يا أبا عَقِيل : عطاؤك رعطائي واحد ، لاأراني إلاسأحطّك قال : أو تدعني قليلا ثم تضمّ عطائي إلى عطائك ، فتأخذ العطاءين جميعاً

وأمّا من لم ينقطع منهم عن قول الشعر فقد تركت فيه مفاجأة القرآن أثراً من النصف جليًّا أجم النقدة للشعر على لمُسه و إحساسه ، ومن هؤلاء حسَّان بن ثابت الندى كان في إسلامه ثام الخصوع لأواس الدّين ، فلم يَهْجُهُ إلا أعداء الإسلام ، ولم يفخر إلا بالقدار للباح ، ومن الشعراء من أسلم ولكنه كان وقيق الإسلام فلم يتقيد بقيوده ، ولم يتحرَّج عن منهياته كالمُمليّنة فإنه ظلّ يهجو ويُشَبِّبُ ، ولعله لم يكن يَمفيل بالاستاع لقرآن كثيراً حتى يتأثر بأذبه وأسلوبه . لذلك ترى شعره في الإسلام بمثابته في الجاهلية ، ولقد بلغ من تمسك الحليثة بجاهليته أن استمرَّ يهجو حتى حبسه عمر ابن الخطاب لهجانا للزِّرقان بن بلو، ثم أحضره لقطع لسانه ، فلم يُنْجِه إلا شفاعة الشفعاء

وتو يته وأخذُه المهيد نملي تلسه ألا يمود إلى هنجاء أحد ، فأعفاه عمر من قطع اللسات ، واشترى منه أغراض السلمين بثلاثة آلاف درّع .

وتمن هنجاً فأفحش في هذا المصرغير الحطيئة فحبس مثله ، ضابي بن الحلوث اللَّوْ يُحِيَّ ، فإنه كان قد امتمار كلباً من بعض بني جَرُّول بن تَهْتَل ، فطال مكثه عنده، غلما طلبوم امتدم عليهم ، فمرضوا له وأخذو منه فغضب ، ورمى أمهم بالكلب وقال : "

تَجَشَّم نحوى وَفَدُ قُرَّان شُقَّة تَقَلَّلُ بِهِا الوجْناء وهي حسير فَاردقتهم كليًا فراحوا كأنّا جبام بتاج الهُرْمُوان أميرُ وقلتهم ما لو رميت متالماً به وهو مُشَــيَّرٌ لكان يعلير فيا والكمور تدور فيا والكمور تدور فيان كلب قد ضريت بما ترى سميم لما فوق الفراش بصدر إذا عشت من آخر الليل دُحْنة يبيت لها فوق الفراش هر بر فاستمدوا عليه عنمان فجسه وقال: لو أن رسول الله حي لأحسبته نزل فيك قرآن وفرا أيت أحدا رمى قوما بكلب قبلك ومثل هذا قول زهير وقد رمى قوما بمحل إيل

ولولا عسب لرددتموه وشرّ منيحة اير سُمار إذا طمحت نساؤكمو إليه أشظ كأنه مَسَـــُدٌ مُثار

Å

ولا ينورن بخلد أن إهمال النبي لإقامة وزن الشعر ، وقول الله تعالى : « والشُّمْرَاء يَتَّبِهُمُّمُ الْفَاوُونَ » قد كان لهما أثر في هذه الفترة التي حدثت في الشعر أوَّل هذا المصر ، فقد عرفت سبها كما عرفت أن النبيّ وإن لم يتم وزن الشعر كان يحسن استهاعه ، ويسجب به ، ويثيب على قوله ، ويدعو لقائله ، وأنه القائل : « إنَّ مِنَّ الشَّمْرِ لَحَكَمَةً » ، وهؤلاء خافاؤه ومتبعو سنته لهم من الشعر أقوال مأثورة ، وطالما دعوا إلى العناية به ، وحلوا على الحرص عليه ، وأخد النس، من أولاد العرب بأديه ، فهذا عر بن الخطاب يقول : « رَوُّوا أُولادَكُم ما سار من المثل وحَسُنَ من الشهر » ، وكتب إلى أبى موسى الأشعرى : « مُرِّ مَنْ قِبَلك بتعلم الشهر ، فإنه يدل على معالى الأخلاق ، وصواب الرأى ، ومعرفة الأنساب » ، ويروى عن السيدة عائشة أنها كانت تعفظ جميع شعرلبيد ، وكانت تقول «رَوُّوا أُولادُكُم الشعر تَقَدُّبُ أُلستهم». ولم يكونوا يحرصون على الشعر ويدعون إليه لمحض اللهو به ولما فيه من تأديب للنفس فحسب ، بل لقد كانوا يجدون تعلمه ضروريًا لفهم القرآن . فقد قال ابن عباس : « إذا قرأتم شيئًا في كتاب الله فلم تسرفوه فاطلبوه في أشعار العرب » .

蟲

تقول فى لفظ الشمر وأسلوبه ما قلناه فى الكتابة والخطابة ، من هجر الحوشى، وعنو بة اللفظ ، وحسن السبك ، وإذا كان فرق بين النثر والشعر فى شىء من هذا ، فهو الفرق بين البديهة والروية ، لأن الخطيب منهم لم يكن فى غالب أمره يحفل بإعداد المبارة خلطابته ، وكذلك المترسل يكتب أو يملى على كاتبه من غيرتخير الفظ ، أما الشعر فإنه غالبًا جياً قبل إلتائه ، فلذلك ترى فيه دائما أثر العناية وسها التنوق .

ونستطيع أن ندلك على بعض أمثلة كان الشعراء فيها متأثرين أسلوب القرآن ، سالكين نهجه ، فهذا حسان يقول فى الرّدّ على أبى سفيان حين هجا النبيّ : أَتَهْجُوهُ وَلَسْتَ لَهُ بِكُفْهِ فَشَرْ كُما خِلْقِيكُما الْفِدَاءِ

فإنه ينظر إلى قوله تعالى : « وَإِنَّا أَوْ إِنَّا كُ^{*} اَمْـلَى هُدَّى أَوْ فِي صَلَالٍ مُبينٍ » . ويثول فى رثاء النبيّ :

عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَعِيدُوا عَنِ الْمَذَى حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا

فهو من قول الله تعالى : ﴿ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَيْثٌمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمُ ۚ بِالْمُوْمِنِينَ رَّعُوفُ رَحِمْ ﴾ ، وقوله :

وَهَلْ يَشْتَوِي صُلَالٌ قَوْمٍ تَسْفُوا عَمَى وَهُــــَدَاةٌ يَهْتَدُونَ بِمُعْتَدِي واستعمال هل يستوى أسلوب تكرّو في القرآن كثيرًا

و يقول النابغة الجَمَّديّ :

الْحَنَدُ فِيهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ مَنْ لَمَ كَفُلَهَا فَنَفُسَتُ طَلَمَا اللَّولِيْمُ النَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَفِي النَّيْسِ لِ نَهَارًا يُنْرَّجُ النَّلْلَا شل أفناظ البيتين من القرآن كما يعرف ذلك حُقَاظُهُ .

ويقول مَعْنُ بْنُ أَوْس :

كَا زِلْتُ فَ لِيِّنِي لَهُ وَتَشَلِّنِ عَلَيْهِ كَا تَحَنُّو عَلَى الْوَلَدِ الْأَمُّ وَخَمُّ فِي الْقَرَابُةُ والرَّحْمُ وَخَمُّ فِي الْقَرَابُةُ والرَّحْمُ فِينَا الشَّرِ مِنْ وَلِهُ تَعَالَى: « وَاخْفِضْ لَمُنَا جَنَاحَ النَّالُ مِنَ الوَّحْمُ ، »

هذا الشعر من قوله تعالى: « وَاخْفِضْ لَمُنَا جَنَاحَ النَّالُ مِنَ الوَّحْمَةِ ، »

Å.

ولقد زاد الإسلام فى أغراض الشمر وقمس . فأما الذى زاده فهو الإكثار من الحكمة وضرب المثل لـكثرة مارد من هذين فىالقرآن وللحصافة التى صار عليها عقل العربي من دراسة الدين . وللتجاريب التى استفادها فى حياته العملية الناشطة . كلّ أولئك أجرى لسانه بالحكمة وأحضر أماها صورة للثل .

وبما قاله شعراء هذا العصر من ذلك قول الحطيئة :

مَنْ يَهْتَلِ الْمَلَيْرُ لَا يَبَدَّمْ جَوازِيهُ لَا يَنْحَبُ الْفُرْفُ يَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ وقول حسان :

وَإِنَّ أَمْرًا ۚ يُمْمِي وَيُصْبِحِ سَالِنًا ۚ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَـعِيدُ

رُبَّ حِـلْمٍ أَضَاعَهُ عَدَمُ اللَّ لِ وَجَعْلِ غَلَّى عَلَيْهِ النَّمْمُ وَوَلِي عَلَيْهِ النَّمْمُ وَوَلِ كَشِّ بِن رَهِيرِ :

مَثَالَةُ الشَّـــوهِ إِلَى أَهْلِهَا أَسُرَعُ مِنْ مُتُعَدِرٍ سَائِلِ وَمَنْ دَثَا النَّاسَ إِلَى ذَمَّهِ ذَشُوهُ بِالْحَقَّ وَبِالْبِلطِّــلِ وقول النابغة الْمِنْدى :

وَلاَ خَيْرَ فِي طَمْ إِذَا لَمْ ۚ تَكُنْ لَهُ ۚ بَوَادِرُ تَصْمِي صَغْوَهُ أَنْ يَكَدَّرَا⁽⁾
وَلاَ خَيْرَ فِي جَمْلٍ إِذَا لَمَ يَكُنْ لَهُ ۚ حَلِمْ ۖ إِذَا مَا أُوْرَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا⁽⁾
كذلك زاد في الشعر حديث الورع وتقوى الله ، والتزهيد في الدنيا ، وذكر البعث والجنة والنار .

يقول بجير أخو كمب بن زهير :

إلى الله (لاَ الذِّرَى وَلاَ اللَّاتِ) وَحْدَه فَتَنْجُونِ إِذَا كَأَنَ النَّجَاهُ وَنَسْلَمُ لَكُونَ وَنَسْلَمُ لَكُونَ وَنَسْلَمُ التَّلْبِ مُسْلِمُ التَّلْبِ مُسْلِمُ مُنْدِينُ زُدَّيْدٍ (وَهُوَ لاَ فَيْءً) بَاطِلْ وَدِينُ أَبِي سُلَمَ عُمَّمٌ مُعَرَّمُ وَيْنِ أَبِي سُلَمَ عُمَّمٌ مُعَرَّمُ وَيْنِ أَبِي سُلَمَ عَلَى مُعَرَّمُ وَيْنِ أَبِي سُلِمُ اللَّهُ وَيْنِ أَبِي سُلَمَ عَلَى مُعَرَّمُ وَيْنِ أَبِي سُلَمَ عَلَى مُعَرَّمُ وَيْنِ أَبِي سُلَمَ عَلَى اللَّهِ وَيْنِ أَبِي سُلَمَ عَلَى اللَّهِ وَيْنِ اللَّهِ وَيْنِ اللَّهِ فَيْ بِعَلَى اللَّهِ وَيْنِ أَنْ اللَّهُ وَلَا أَنْ اللَّهُ وَلَيْنَ اللَّهُ وَلِي اللَّهِ وَلَا أَنْ اللَّهُ وَلَا أَنْ اللَّهِ وَلَا أَنْ اللَّهُ وَلَيْنِ اللَّهُ وَلَيْنِ اللَّهِ وَلِينَ اللَّهُ وَلِينَ اللَّهُ وَلِينًا إِنْ وَيْ يَعْلَى اللَّهُ وَلِينَ اللَّهُ وَلِينَ اللَّهُ وَلِينَ اللَّهُ وَلِينَ اللَّهُ وَلَا أَنْ وَقُولُ أَنِو وَلَا أَنْهُ وَلَا اللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَلَيْنَ اللَّهُ وَلِينَا إِلَّا اللَّهُ وَلَا لَهُ وَلَّ اللَّهُ وَلَّا لَهُ وَاللَّهُ وَلَا لَهُ وَلَّ اللَّهُ وَلَيْلُ اللَّهُ وَلَّهُ إِلَّا لَهُ وَلَا أَنْهُ وَلَيْ لِمُنْ إِلَّا لِنْ فَيْ إِلَّهُ وَلِمُ اللَّهُ وَلِينَا أَنْهُ وَلَا أَنْهُ وَلَا أَنْهُ وَلَا أَنْهُ وَلَا أَنْهُ وَلَا لَهُ وَلِي اللَّهُ وَلَا أَنْهُ وَلِيلًا أَنْهُ وَلِي اللَّهُ وَلِيلًا أَلْمُ اللَّهُ وَلِيلًا أَلْمُ اللَّهُ وَلِيلًا أَلْمُ وَاللَّهُ وَلَا أَلَالِهُ وَاللَّهُ وَلِيلُولُ أَلْمُ اللَّهُ وَلِيلًا أَلْمُ وَاللَّهُ إِلَّا لَهُ وَلَا أَلْمُ اللَّهُ وَلِيلًا أَلْمِ وَلَا أَلْهِ وَلَا أَلْمُ لِلْمُؤْلِقُولُ أَلْمُ اللَّهُ إِلَيْنِ اللَّهُ أَلِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

أَبَا عُبَيْدٍ رُفِيعَ ٱلكِتِئَابُ ۚ وَٱقَاتِبَ الَوْعِدُ وَالِحْسَابُ وتلك هي مادة علم العربي التي أفادها من الإسلام .

ولقد بان فى شمر هذا المصر فهم الشعراء لحقائق كانوا بسيئون فهمها ، فأحركوا حقيقة الفضاء والقدر ، وأن الآجال محدودة ، لا يستقدم للره ساعة ولا يستأخر ، ولو كان فى برج مشيد .

⁽١) البوادر : جم بادرة وهي مايبدر من النضب والحدة .

 ⁽٧) أورد الإبل أنى بها الماء ، وأصدرها : أعادها بعد العبرب .

وهذا قول زهير بن أبي سلمي على كونه من أعقل العرب ومع شهادة النبيّ له بأن حكمته من كلام النبوّة يقول :

رَأَيْتُ الْلَاكَا خَبْطَ عَشْوَاء مَنْ تُصِبْ فَيَنَّهُ وَمَن تُخْطِئ يُمَنَّو فَهَرَم. ويقول

لَوْ كُنْتُ أَنْجَبُ مِنْ شَيْءُ لَا تَجَبَي سَتَى الْفَقَى وَهُوَ خَجُوءً لَهُ الْقَدَرُ يَشْقَى الْفَقَى لِأَمُورِ لَيْسَ يُدْرِكُما فَالْنَفْسُ وَاحِدَةً وَالْمَمْ مُنْشَرِ (١١) وَلَمْرُهُ مَا عَلَى مِن الأَغراض فهو ما أبطله الإسلام من وصف الحرد لأنه حرّم شربها وفي وصفها دعوة إليها كذلك الفزل القاحش الذي يتناول اسم محبوبة بذاتها ويصف تقاها والخلوة بها بما لا ببيحه الشارع إلا في زواج شرى .

وقد ورد فى كتاب: [طبقات الشعراء] أن كسب بن الأشرف من شعراء المدينة اليهود شبب نساء النبي والمسلمين ورفح تتلى بدر من الكفار ، فأمر رسول الله ، محمد امن مسلمة ورهماً من الأنسار أن يقتلوه فتعلوا .

لفطك ترى حسانًا وكعب بن زهير وغيرها أنشدوا النبيّ والخلفاء غزلا ، ولكنه عفيف ليس فيه قصد إلى امرأة بعينها حتى يكون ذلك قدفا لها . ثم هو بعدُ خال من كلّ ما ينكره الدّين ، وليس فيه إلا وصف للخلق ، أو جمال الأعضاء الظاهرة التي لا تحرم رؤيتها :

ا. . قال کب بن زهیر :

بَانَتْ سُمَادُ كَقَلْنِي الْيَوْمَ مَتْبُولُ مُنَيِّمٌ إِثْرَهَا لَمْ أَبْقَدُ مَكْبُولُ (*)

⁽۱) متفرق

 ⁽٧) الأثر من كل عنى : فينه ، والدن لاعوت المراء حنى نتجى كل بنية من عمره
 (٣) تبله الحب : ذهب بشله . وتامت المرأة قلب الرجل وتبيعه : عبدة وظاعه / كبله : قيده

إلاَّ أَفَنَّ غَضِيضُ الطَّرْف مَكْحُولُ () . وَمَا سُمَادُ غَدَاةً الْبَيْنِ إِذْ رَحَالُوا . لاَ يُشْتَكَىٰ قِصَرٌ مِنْهَا وَلاَ مُلُولُ مَيْعَالُهُ مُقْبِلَةً عَجْزَالُهُ مُدْبِرَةً كَأَنَّهُ مُنْهَلُ إِلزَّاحِ مَعْسَالُولُ مِثْلًا : تَجِلُو عَوَ ارِضَ ذِي ظُلْمٍ إِذَا ابْتُسَمَتْ مَوْ عُودَهَا أَوْ لَوَ أَنَّ النَّصْحَ مَعْبُولُ إِغَالْمَا خُــِلَّةً لَوْ أَنَّهَا صَدَقَتْ كَمَا تَلَوَّنُ فِي أَثُوَّاهِا الْنُولُ فَمَا تَدُومُ عَلَى حَالِ تَسَكُونُ بِهَا إِلاًّ كَا يُمْسِكُ لَلَاء الْفَرَابِيلُ وَلاَ تُمَسَّكُ بِٱلْوَعْدِ الَّذِي زَعَمَتْ إِنَّ الْأَمَانِيُّ وَالْأَعْلاَمَ تَصْلِيلُ فَلَا يَفُو الْكُ مَا مَنَّتْ وَمَا وَعَدَتْ وَمَا مَواعِيبُ دُهَا إِلاَّ الْأَبَاطِيلِ (٢٠) كَأَنَتْ مَواعِيدُ عُرْقُوب كَمَا مَثَلاً ويسمى الشاعر الذى شهد عصرى الجاهلية والإسلام نحضرما (إذا كان شعره قد تأثر بالإسلام) .

فسان بن ثابت وكسب بن زهير، ومعن ُ بن أوس مخضرمون لظهور أثر الإسلام ف قولهم .

ولكن لبيداً والخنساء غير محضرمين لامتناع الأول من القول في الإسلام ولبقاء صبغة الجاهلية في شعر الخنساء لأنها لم تقل في غير الفخر والرثاء قبل الإسلام و بعده .

وكلة محضرم من الألفاظ التي استعملها الإسلام هذا الاستعمال ، وأصلها على رأى الأخفش من قولهم ماء خفر م : أي متناه في السعة والكثرة ، فنه سمى الذي شهد الجاهلية والإسلام تحفر ما كأنه استوفى الأمرين . وهي في رأى الأصمى من الحضرمة أي قطع آذان الإبل في موضع غير الذي كانت تقطع منه في الجاهلية ليكون ذلك علامة إسلامهم ، فسمى كل من أحوك المصرين تحققر كما ، ثم خص اللفظ بالشعراء أو هي من خضر عطيته إذا قطعها ، فسمى الشعراء خضر مين لأن مرتبهم في الشعر

 ⁽١) الأغن : الطبي ، لأنه يخرج صوته من خيفومه وتلك هي الفنة . غضين الطرف : فائر
 النظر ، كمل العين (كن ونصر) وكحلت العين (كفر) الحودت منابت أهدابها خلفة .

 ⁽٣) العارش : السن في مقدم اللهم . الطلم : بريق الأستان .
 (٣) عرقوب : رجل من العالمين يضرب ثثلا في خلف الوعد .

قمحت فى الإسلام ، و بعضهم بجيلها تتحضّرِمًا (بالحاء) من الحضرمة وهى الخلط لأن الشاعر, خلط الجاهلية بالإسلام .

ومن هؤلاء : حَسَّانُ بن ثَايِتٍ . وَكَشِّ بن زَهَيْرٍ . وَمَثْنُ بْنُ أَوْسٍ، وَأَبُو ذُوَيْبٍ الْهُذَائِ ، والِنَّرُ بن تَوَلَب ، والنابغة الْجَدِيثُ .

وسنثبت لك بمض تراجم هؤلاء الشعراء بين إجمال وتفصيل :

أبو ذؤيب الهذلى

[اسمه ونسبه]: هو خُو مميل بن خالد بن تحكر"ث بن تَخْزُ ومرٍ. ينتهى نسبه إلى نزار .

[حياته]: عاش جاهليته وصدراً من إسلامه بالبادية . وقد أسلم ولم ير النبيّ، حتى إذا سم أنه عليل قدم للدينة وقد مات رسول الله ، فضر مبايمة أبى بكر فى السقيفة ، شم شهد الصلاة على النبيّ ودفنه . شم عاد إلى قومه ولبث بالبادية حتى خلافة عمر ، فقدم عليه ، ورغب فى الجهاد ، فأغزاه عمر حتى مات وجيش للسلمين عائد من فتح إفريقية فى خلافة عيمان سنة ٣٦ هجرية .

وكان له خسة بنين هاجروا قبل ذلك إلى مصر ، فأصيبوا في عام واحد بالطاعون، فرئاه بقصيدته المشهورة :

أَمِنَ النَّوْنِ وَرَيْنِهِمَا نَتَوَجَّمُ ۖ وَٱلنَّمْرُ لَيْسَ بِمُثْتِ مِنْ يَجْزَعُ

أ منزلته فى الشعر]: سئل حسان من أشعر الناس ؟ فقال: حَيًّا أم رجلا؟ قالوا:
 حَيًّا، فقال: هذيل، وأشعر هذيل غير مدافع أبو ذؤ يب

كان فصيحاً كثير النريب ، للزومه البادية ، وقصيدته السينية فى بنيه الحسة ، جليلة القدر ، تبلغ ثمانية وستين بيتاً ، وهى قديمة الشهرة . يقال : إن المنصور لما انصرف من دفن جغر ابنه قال للربيع : ابنى من أهل من ينشدنى : أمن المنون . . . حتى أتسلى عن مصيبتى فلم يجد الربيع فيهم أحداً يحفظها ، فعاد إليه ، فقال النصور : والله لمسيتى بأهل بيتى لا يكون فيهم أحد يحفظ هذه القصيدة الذا رغبتهم فى الأدب أعظم من مصيبتى بابنى ، ثم قال : انظر ، هل فى القواد أو العوام من يحفظها ؟ فوجد شيخاً مؤديًا يحفظها ، فجاء به ، فلما قال : (وَاللّه هُرُ لَيْسَ بِمُشْسِو مَنْ يَجَزّعُ) . قال صدق والله ، أنشدنى هذا الشطر مائة مرّة ، وما زال الرجل ينشده حتى شفى فحسه وأذهب منه حزنه .

ومن شهرتها: أن عبد الله بن عباس استأذن على معاوية فى مرض موته ليموده ، قام، معاوية أن يُقتد ويُشتَدَ ، وقال : الذنوا له ليسلم قائمًا وينصرف ، ظما سلم عليه ووتى أنشد معاوية قول الهذلى :

وَتَجَسَدُهِي لِشَّامِتِينِ أُدِيهُمُ أَنَى لِرَيْبِ النَّمْ لِأَلْمَنْضَعُ فأجابه إن حباس عَلَى القَوْر :

وَإِذَا اللِّيَّةُ أَنْشَبَتْ أَطْفَارَها أَلْشَيْتَ كُلُّ تَمِيمَةٍ لاَ تَنْفَعُ ف خرج من الدار حتى سمم الناعية عليه .

وفى هذه القصيدة وصف أبو فؤيب حاله بعد موت أبنائه ، ثم وصف الحمار الوحشى وطيب عيشه ، وكثير حذاره وطيب عيشه ، وكثير حذاره وبعد مراتمه ، ثم هو مع ذلك إلى الفناه ، ثم وصف ثور الوحش ، وأن مصيره إلى الموت ، ثم الكمى الذي ضاعف الدروع ، واستلأم فى الحديد ، ثم نازل القرن على عاية من الاستمداد والحذر ، فل ينجه ذلك من الموت .

أول قصيدته المينية :

أَمِنَ النَّوٰنِ وَدَيْنِهِا تَتَوَجَّمُ وَاللَّمْرُ لَبْسَ بِمُنْسِ مِنْ يَعْزَعُ (1)

(١) يقول الأخفش : التون جم لاواحد له ، ويقول الأصمى : واحد لا جم له ، وهو

مُنْذُ أَبْتَذَلْتَ وَمِثْلُ مَالِكَ يَنْفَعُ (١) قَالَتْ أَمَيْمَةُ مَا لِجِسْمِكَ شِكَحِياً أَمْ مَا لَجِنْبِكَ لاَ يُلاَثُمُ مَصْحِمًا ﴿ إِلَّا أَقَضَّ عَلَيْهِ ذَاكَ الْمُشْجَمُ (٣٠ فَأَجَبْتُهَا أَنْ مَا لِجِشِي أَنَّهُ أُوْدَى بَنِيٍّ مِنَ الْبِلاَدِ فَوَدِّعُوا^(٣) أَوْدَى بَنِيٌ فَأَغْتَبُونِي حَسْرَةً بَعْدَ الرُّقاد وَعَبْرَةً مَا تُقْلُمُ فَتَغُرُّهُوا وَلَكُلُّ جَنَّبِ مَصْرَعُ (١) سَبَقُوا هُوَى وَأَعْنَقُوا لِهُوَاهُمُ وَإِخَالُ أَنَّى لاَحِقْ مُسْتَتَبَّمُ (١٠) فَغَبَرْتُ بَمُدَعُمُ بِمِيْشِ فَأَصِبِ وَإِذَا الْمِنيَّةُ أَقْبَلَتْ لاَ تُدْفَعُ وَلَقَدْ حَرَصْتُ بِأَنْ أَدَا فِعَ عَنْهُمُو وَإِذَا لَلَنَّيْهُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَهَا أَلْفَيْتَ كُلَّ تَمْيَةِ لاَ تَنْفَعُ فَالْمَيْنُ بَعْدَهُمُ كَأَنَّ جُفُونَهَا سُمِلَتْ بشَوْكِ فَهْيَ عَوْرًا تَدْمَعُ (١٠) أَنَّى لِرَيْبِ ٱلدَّهْرِ لاَ أَتَضَعْضَمُ وَيَجَـــــُدى لِلشَّامِتِينَ أَرِيهُمُ حَتَّى كُأنَّ لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ بَصْفَا الْشَـفَّرِكُلَّ يَوْمٍ تُقْرَعُ ٢٠٠ لاَ بُدَّ مِنْ تَلَفِ مُقهِرٍ فَأَنْتَظَرْ أ بأرْضِ قَوْمِكَ أَمْ يِأْخُرَى الْمُصْعِمُ وَلَقَدُ أَرَى أَنَّ الْبُكُاءَ سَمَاهَةٌ وَلَسَوْفَ يُولَمُ إِأَلَبُكَا مَنْ يُفْتِمُ

يذكر ويؤلث ، وسمى الموت منونا ، لأنه يمنّ المره : أى يتممه . رب المنون : ماياتى به من الفواج . الإعتاب : فمل مايرضى العالب .

 ⁽١) اجذل الرجل (بالبتاء للهاعل) : عمل عمله بنف. . وقوله : ومثل مالك ينفع أى فى همراء السيد وقيامهم بالعمل بدلك .

⁽٢) أقض عليه المضجع : أى امتلا قضيضا (حصى) والراد أنه أرق ولم يهدأ .

 ⁽٣) أن هنا محقفة من الثقيلة ، أى أحبتها أن الذي حصل لجسىأن أولادى هلكوا . وتركوني

⁽٤) أصل هوي هوأى (لغة هذيل تلك ألف المصور فيهذه الحالة ياء وتدنجها في ياء المتكلم) أعظوا: ساروا سيرا فسيحا سيها ء والمراد أنهم ماتوا في مقتبل الممر فوصلوا إلى الطاق قبل غيرهم . تخرموا : أخذوا واحدًا بعد واحد .

 ⁽a) غبرت : بقيت . مستتبع : لاحق ، من قواك : استنبعني فلان ، أى جعلني أتبعه .

⁽١) ويروى كأن حداقها وذك بناسب لفوله سملت : أى قلمت وعورا مقصور عوراء .

 ⁽٧) المروة : الفطمة من أصلب الحبارة . الصفاء: جم صفاته وهي الحبر الصلد الضخم . المفقرة
 حصر، بالسم من .

وَلَتَأْتِينَ عَلَيْكَ يَوْمُ مَرَّةً أَيْبَكَيَ عَلَيْكَ مُقَنَّمًا لاَ نَسْمَعُ إ والنَّفْنُ رَاعْبَةٌ إِذَا رَغَّبْتُهَا ﴿ وَإِذَا ثُرَدُّ إِلَّى قَلِيكِ لَقُنْعُ ﴿ كَ مِنْ جَمِعِي الشَّمْلِ مُلْتَثِيمِ الْمُوَى كَانُوا بِعَبْشِ نَاعِم فَتَصَدَّعُوا فَلَانْ بِيمْ خَلِمَ الزَّمَانُ وَرَثْبُهُ إِنِّى بِأَهْلِ مَوَدَّنِي لَلْمَقَّ مُ أَكُلَّ الْمَسِيمَ وَطَاوَعَتْهُ سَمْحَتْجُ مِثْلُ الفَّنَاةَ وَأَرْعَلَتْهُ الْأَمْرُعُ شَبَب أَفَرَّتُهُ الكلاب مُرَوَّعُ فإذا يَرَى الصُّبْحَ للصدِّق يَفْزَعُ شَغَفَ الكلابُ الضاريات فؤاده مُستشـــعر حلق الحديد مقنع والدهرُ لا يبقى على حدثانه من حرَّها يوم الكريهة أسفع حميت عليه الدرع حتى وجهه وقال في موت النبي :

وَتَضَمَّفُضَتْ أَرْكَانُ بَعَلْنِ الْأَبْطَحِ كَسَفَتْ لِلصَّرَعِهِ النَّجُومُ وَبَدُرُهَا وَزَعْوَعَتْ أَجْهَالُ يَثْرِبَ كُلُهَا وَتَخْيِلُهَا لِلْأُولِ خَطْبِ مُعْدَحٍ ()

النابغة الجعيدي

[اسمه ونسبه]: هو حسان بن قيس بن عبد الله الجمدى العامرى ، ويكنى أَمْ لَيْلِي وَيُلْتُبِ بَالنَابِنَةِ ، لأَنَّهِ قال الشَّمر في الجاهلية ، ثم أجبل حينًا . قيل ثلاثين سنة ثم نبغ فيه في الإسلام كما ذكر حماد الراوية .

⁽١) جون السراة: أسود الظهر . جدائد : أن جافة التدى .

⁽٢) الجُمِّ : النبات الطُّويل . ٱلسبحج : الأثان الطويلة . أزعلته : نشطته . الأمرع : جم مرغ وهو السكان الحصب

 ⁽٣) الهبب: التور السن - أفرته: استخته وأفزعته -

 ⁽٤) قال أفدح الرجل الأمر إذا وجده فادحا ..

[حياته]: نشأ فى الجاهلية ، وهو أقدم من النابغة الذبيانى ، لأنه أدوك المنذر ابن تحرّق، ولم يدوك النابغة الذبيانى إلا ابنه النصان وفى ذلك يقول الجمدى :

تَذَكَرُّتُ شَيْتًا قد مَعَنَى لِسَبَيْهِ قَمِنْ عَاتَمَ لَلْعَرُونِ أَنْ يَتَذَكَّرًا

نَدَاتَاىَ عِنْدَ لَلْنَسَنِيرِ بن تحرّق أَى الْيَوْمَ مِنْهُمْ ظَاهِرِ الْأَرْضَ مُتَقْورًا (١)

كَوُلُ وَفَيْمَانٌ كَانً وَجُوهَهُمْ تَنَافِيرُ كِمَّا سِيقَ فِي أَرْضِ قَيصَرًا

وكان فى جاهليته قد حرّم الحر على نسه ، وهجر الأوثان ، ووحد الله وعبده على دين إبراهيم ، ولما جاه الإسلام وفد على النبي فأسلم وأنشده ، فاستحسن شعره ودعا له .

وقد وفد على عمر فأنشده :

تَبِسْتُ أَنَامًا فَأَنْتَتِهُمُ وَأَنْتَبَتُ بَنْدَ أَنَاسٍ أَنَامًا فَكَرَّةُ أَهْلِينَ أَنْتَتِبُمُ وَكَانَ الْإِلَّهُ هُوَ لَلْمُنْتَلَمَا[™]

خال له عمر : فكم لبثت فى كلّ أهل ؟ قال : ستين سنة . و إذا علمنا أنه مات فى خلافة عبد لللك صحّ ما ذكره ابن قتيبة من أنه عاش مائتين وعشرين سنة ، إذ للدّة بين عمر وخلافة عبد لللك تتم هذا للقدار فيكون قد أدرك ثلاثة عصور .

ولقد كانت ضلع الجمدى مع على " فحارب معه فى صفين ، وأعانه بلسانه ، ونال من معاوية . فلما صار الأمر إليه خشى لسانه ، فلم يعاقبه على ماكان منه ورد إليه ماكان بدأ بأخذه منه من مال وولد وذلك على معاوية و إنشاده :

قَانِ تَأْخُذُوا أَهْلِي وَمَالِي بِظِنَّةٍ فَإِنِّى كُوَّابُ الرِّجَالِ مُجَرِّبُ^(٣) مَسَــبُورٌ كَلَى مَا يَكُمْرُهُ لَلَوْء كُلِّهِ سِوى الْظُلْمِ إِنِّى إِنْ ظُلِنْتُ سَأَغْضَبُ وقد شايع بعد ذلك ابن الزبير حين خروجه على يزيد ومروان وعبد الملك .

⁽١) الندمان : يطلق على الأسيف كالنادم وعلى النديم كالمنادم وجمه فيهما ندامي .

⁽۲) الستآس : الستعاش من الأوس ، وهو العطية عوشا .

⁽٣) حربه : سلبه وحراب صيغة مبالنة .

وقد مات بأصبهان في رحاته إلى الأمصار الفتتحة بمد ما عمر ما عمر .

[شعره] : لم يعرف عنه أنه كان يهذب شعره فى جاهلية ولا إسلام بل كان يقوله عفو الخاطر لذلك كان منه الجيد والردى، والمتوسط حتى قال الأصمى : (وكان معجباً به لذلك) عنده مطر^{نى(1)} بالاف . وخمار بواف⁽⁷⁾ . فخالف بذلك زهيراً والحطيثة ، ووافق الذبيانى الذى كان مِثْلَهُ لا يَتَظُرُ فى شعره حتى يسمه من المغنيات فيدرك ما فيه من إقواء (7) وغيره فيصلحه .

وقد ذكروا أنه كان مثلبًا ما هاجي أحدًا ولا نافره إلاغلب . هاجي أوس امن مغراء . وكس من جبيل . وليل الأخيلية فنلموه جبيهًا .

ونرى أن السبب فى ذلك ما كان فى طبعه من كرم و إسجاح . يتجلى ذلك فى ميله إلى التوحيد أيام الجاهلية و إملاقه عنان الشعر لا يتكاف له ، فلم يسستطع مجاراة من ظلب على نفسهم الشر ، واشتملت صدورهم بالأحداد ، ولقد كان إذا عرف أن منافرة أدبى عليه أسرع بالاعتراف بالهزيمة ، لا يكابر ولا يمارى ، فإنه سمم قول أوس

لَمَتْوُكَ مَا تَبْلَى مَرَابِيلُ عَامِرٍ مِنَ اللَّوْمِ مَا دَامَتْ عَلَيْهَا جُلُوهُما فقال: لقد غلب أوس .

ولقد أجاد فى الفخر والرئاء والهجاء والمدح ووصف الخيل . وكان أحد ثلاثة أجادوا وصفها وهم : طفيل الفنوى ، وأبو داود ، والنابغة الجمدى .

⁽١) الطرف (مثلثة الم): ثوب من خز مربع ذو أعلام .

⁽٢) لواقى : هو أفرع قدر درغ وكث .

⁽٣) هو اختلاف حركة الروى المطلق بالكسر والهم مثل قول حسان :

لا بأس بالقوم من طول ومن قصر جسم البغال وأحسلام المصافير كأنيم قَصَتُ جَفَتْ أسافك مثقّت فنعة الأعاصيرُ

شـــــعره :

لهل أشرف شهره قصيدته التي ملح بها رسول الله ، وهي طويلة تبلغ مائتي بيت:
خَلِيسَ لِمَّ عُوْمِهَا سَاعَةً وَتَهَجَّرًا وَلُوتَا قَلَى مَاأَخَدَتُ الشَّهُرُ أُوْذَرَا (()
وَلاَ تَجْزُكُمَا إِنَّ الْمَلِياةَ ذَمِيسَةٌ فِيْقًا لِرَوْقَاتِ الْمُوادِثُ أَوْثُورًا (()
وَإِنْ جَاءَ أُمْرُ لاَ تُعْلِيقًانِ دَفْمُهُ فَلاَ تَجْزُكَا عِلَى قَفَى اللهُ وَاصْبُرَا
أَلْمَ تَرِيا أَنَّ للْلاَمْسَتَ فَمْهُا فَلَيلٌ إِذَا مَا الشَّيْء وَلَى وَلُورًا
تَهِيمُ الْبُكُمُ وَالنَّذَاتَةَ ثُمَّ لاَ تُنْفِرُ شَيْئًا غَيْرَ مَا كَانَ فَدُورًا
تَهْبِيمُ الْبُكُمُ وَالنَّذَاتَةَ ثُمَّ لاَ تُنْفِرُ شَيْئًا غَيْرَ مَا كَانَ فَدُورًا
فَدُورُا اللَّهُ اللّهُ اللّهُ وَلَا الشَّوْء وَلَى وَلُورًا اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللّهُ ا

4

أَنْيَتُ رَسُولَ اللهِ إِذْ بَاءَ بِالْمُدَى وَيَقْصَلُو كَتَابَا كَالْمَجَرَةِ بَيْرًا أَثْرِمُ عَلَى النَّقُوى وَأَرْضَى بِنِيثَالِهَا وَكُنْتُ مِنَ النَّارِ اللَّغُوفَةِ أَخْصَدَرَا⁽¹⁾ خَلِيسَانٌ قَدْ لاَقَيْتُ مَا لَمَ ۚ تُلَاقِياً وَسَسِيَّرَتُ فِي الْأَخْمَاءَ مَا لَمُ تُسَيِّرًا تذكرتوالذَّ كُرَى تَهِيجُلِنِي الْمَوَى ومِنْ حَاجَةِ الْعُورُونِ أَنْ يَتَذَكّرَا

ومنها في الفخر :

وَتُشْكِرُ ثِوْمَ الرَّوْعِ أَلْوَانَ خَيْلِنَا مِنَ الطَّنْنِ حَقِّ نَفَسَبُا لَجُونَ أَشْقَرَا^(*) وَتَحْرِثُ أَنَّاسٌ لاَ نُمُودُ خَيْلَنَا إِذَا مَا النَّقَيْنَا أَنْ تَحْيِهِـــــَ وَتَشْرِّرًا وَمَا كَانَ مَثْرُوفًا لَنَا أَنْ نَرَّدُهَا صِلَحًا ولا مُشْتَشْكُرًا أَنْ نُشَقِّما^(*)

⁽١) تهجر : سكن وقت الهاجرة : وللراد هنا مجرد اللبث .

 ⁽٣) قر أَلْكسر أَسْرَ مَن وقر (كوعد) بمن رزن وبالفتح أمر من قر (كر) وخلفت بهذف احدى الراءين وبهما قرئ قوله ثنال : ﴿ وَقُرْنَ فِي بُيُوكَكُنَّ ﴾ .

⁽٣) لإيصبح المني إلا إذا فهم من تنبر معني تحدث .

 ⁽٤) أحذر : تفضيل من حذر .
 (٥) تسكر : نجهل . الجون هذا الأبيش . أشفر : أحر .

 ⁽٣) المدرد تحميح وسماح (بالفتيح) والجميع صلى (بالكسر) . المقر : ضرب قوائم الدابة لتمتع من الحركة مقدمة فديمها . فارادة مبنى الذيم من المشر مجاز .

بَلَمْنَا الدَّيَاء تَجْدُنَا وَسَـــــــنَاوُنَا وَإِنَّا لَنَرْجُو فَوْقَ ذَٰلِكَ مَظْمِرًا فقال له الديّ : فأين للظهر يا أبا ليلي ؟ فقال الجنة . قال له الديّ إن شاء الله .

ومنها في الحكم :

وَلَا خَيْرَ فَى حُمْمٍ إِذَا لَمَ ۚ تَكُنْ لَهُ ۚ بَوَادِرُ نَمْسِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَذَّرُا وَلاَ خَيْرَ فَى جَمْلِ إِذَا لم يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إِذَا مَا أُورَدَ الْأَمْرَ أَصْدَرَا فقال له النبيّ : لا يفضض الله فاك ، فأتت عليه مائة سنة ولم تسقط له سنّ ، ثم كان إذا سقطت له سنّ نبتت غيرها ، وكان فُوه يثلاًلا و وبرق .

ومن حكمه أيضًا :

المسره یهوی أن یبیسش وطول عبش قد یضرّه وتَتَابَسعُ الأیام حستی ما یری شسیناً یسرّه تفنی بشاشسسته و یبستی من حاو المیش مرّه کم شامت بی إن هلکست وقائسل لله دَرْه

معرب بن أوس

[اسمه ونسبه] : هو معن بن أوس بن نصر بن زيادٍ ينتهى نسبه إلى مُزَّيَّنَة بنت كَلْب بن دبرة .

[حياته] : عاش بدويا أيام جاهليته و إسلامه ، ووفد على عمر بن الخطاب فى خلافته مستميناً به فى بعض شأنه ، وخاطبه بقصيدته التى أوّلها :

نَأُوَّيَهُ طَيْفٌ بِذَاتِ الجَرَاثِمِ فَنَامَ رَفِيقَاهُ وَلَيْسَ بِنَائِمُ ِ ورحل فى بعض أيامه إلى البصرة ليمتار منها ويبيع إبلاله ، فتزوّج امرأة ذات جمال ويسار، وأقام معها حولا ، ثم حنّ إلى موطنه ، فأذنت له أن يقيم سنة يصلح فيها من شأنه ويدبر ماله ، فلم يعد بعد العام ، ثم خرجت حاجة فمثرت به فى الطريق ، وقد أضل إبلا له ، وحملها على المقام بوطنه فلم تقبل ، فطلقها وندم ، فقال :

فَتُولاً لِلَّهِلَ عَلْ تُمُوَّضُ نَادِيّاً لهُ رَجْمَةٌ كَانَ الطَّلَاقَ تَمَاذِحًا وقد كُنْ بصره في آخر حياته .

منزلته في الشمر:

كان مماوية يفضل مزينة في الشعر ويقول : كان أشعر أهل الجاهلية منهم ، وهو زهير ، وأشعر أهل الإسلام منهم ، وها كسب ابنه ومعن بن أوس .

وقد شهد له بالسبق عبد الملك بن مروان حين كان عنده عدّة من أهل بيته وولمده ، قتال : ليقل كلّ منكم أحسن شعر سمم به ، فذكروا لامرى القيس والأعشى وطرفة فأكثروا حتى أثوا على محاسن ما قالوا ، فقال عبد الملك أشعرهم الذى يقول : وفرى رَحِم لَمَلْتُ أَشْفَارَ مَيْسَفْنِهِ بِحِلْمِي عَنْهُ وَهُو لَيْسَ لَهُ حِمْم اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللهُ اللهِ اللهُ ا

وقد حضر مرِّبد البصرة وأنشد فيه ، فمرَّ به الفرزدق وهو بالمِرْبَد ، فقال : يامعن ، من القائل :

لَّنْ وَلَا مَنْ يَنْهُ وَهُمُّ مَشْنِ إِلْخَافِ يَطَأَنَ وَلاَ سَسنامٍ^(٢) فقال معن: أتعرف يافرزدق الذي يقول :

. لَمَسُولُكَ مَا تَمَيمُ أَهْلُ فَلْجِمِ بِأَدْرَافِ اللَّهِ لِيَ كَلِمِ^(٢) قال الفرزدق: حسبك أنا جرّبتك. قال قد جرّبت وأنت أهل، فانصرف وتركه .

⁽١) الرحم : الفراة : الأفشار : جم غفر بنستين أو ضم فسكون، وأما كسر الطاء مع سكون الثاء فلفة دانة .

 ⁽Y) أي ليس لم مغة الأخفاف في الدوس ولا شرف الأسنمة في الارتفاع.

 ⁽٣) الأرداف : جم ردف وهو الرديف الذي يكون خلف الراكب على هابة واحدة .

وقد تجلت في شمر ممن عبارة رصينة وقول جَزْل في حكته البارعة ، ومدحه ، وفخره ، وهائه .

قال في صفة ابن عمه :

بِحِيلْمِيَ عَنْهُ وَهُوَ لَيْسَ لَهُ حِلْمُ وَذِي رَحِم كَلَّتُ أَغْلَارَ صَعْنِهِ وَكَالْمُوْتِ عِنْدِي أَنْ يَعُلُ بِو الرغْمُ (١) بُحَاوِلُ رَغْمِي لاَ يُحَاوِلُ خَسَيْرَهُ وَلَيْسَ لَهُ إِلْصَّقْحِ عَنْ ذَنْبِهِ عِلْمِ فَإِنَّ أَعْفُ عَنْهُ أَغْضِ عَيْنًا مَلَى قَذَّى سِهامَ عَلُو يُسَمَّاضُ بِهَا الْتَظْمُ وَإِنْ أَنْتَصِرْ مِنْهُ أَكُنْ مِثْلَ رَايْشِ صَبَرْتُ عَلَى مَا كَانَ تَيْنِي وَتَيْنَهُ ۗ وَمَا تَسْتَوَى حَرْبُ الْأَمَارِبِ وَالسَّلْمُ عَلَى سَهِمْهِ مَا دَامَ فَ كُنِّهِ السَّهُمُ وَ إِدَرْتُ مِنْهُ النَّأَى وَالْمَرْهِ قَادِرٌ وَلَيْسَ لَهُ عِنْدِي هَوَانٌ وَلاَ شَمْ وَيَشْتُمُ عِرْضِي فَى الْفُكِبُ بَجَاهِدًا تَطْيِعَتُهَا يَالُكُ السَّفَاعَةُ وَالْإِنْمُ (٥) إِذَا شُمُّتُهُ وَصْلَ الْقَرَابَةِ سَامَنِي وَيَدْعُو لِحُكْمِ جَاثُر غَيْرُهُ الْحُكُمُ وَإِنْ أَدْعُهُ لِلنَّمْفِ يَأْبَ وَيَعْصِى رِعَايَتُهَا حَقٌّ وَتَعْطِيلُهَا ظُلْمُ فَـــ لَوْلاً أَتَقَاء أَلَيْهِ وَالرَّحِمِ الْتِي بوَسْمَ شَنَادِ لاَ يُشَاكِهُ وَشُرِهِ إِذَنْ لَمْسَالَاهُ بَارِينِ وَخَطَّنْتُهُ

⁽١) الرغم: النسر والاذلال .

 ⁽٢) أغضى عينه : أطبق جفنها . القذى : مايهم فى العين فيؤذبها .

 ⁽٣) راش السهم: وضع فيه الريش ليكون أسد له وأسوب. هان العظم: كسره بعد جبر وفقه أشد وأنكى .

⁽٤) بادر العيء : سبق إليه . التأى : البعد .

⁽٥) سامه الفي. : كافه إياه .

⁽٩) النصف مثلثة : العدل ، اسم من الاقصاف .

⁽V) خطمه : شرب خطمه (أقه) .

وَلَيْسَ الَّذِي يَنِنِي كَمَنْ شَأْتُهُ الْمُدَّمُ وَيَسْتَى إِذَا أَنْهِى لَيَهْدِمَ صَالِحِي يَوَدُّ لَوَ أَنَّى مُمْدِمٌ ذُو خَصَاصَةٍ وَأَكْرَهُ جُمْدِى أَنْ يُخَالِطَهُ ٱلنَّذُمُ (١) وَمَا إِنْ لَهُ فِهِا سَــنالِهِ وَلاَ غُيْرِهِ وَيَمْتَذُ غُنَّا فِي الْحَوَادِثِ نَـكُنبَقِ عَلَيْهِ كَمَا تَعْنُو عَلَى الْوَلَدِ الْأَمْ فَى زَلْتُ فِي لِينِي لَهُ وَتَعَلَّفِي لِتُدُّنِيَهُ مِنِّى الْقَرَابَةُ وَالرِّحْمُ (٢) وَخَفْيض لَهُ مِنِّي الْجَنَاحَ تَأَلُّفًا أَلاَاسْلَمْ فِدَاكَ انْغَالُ ذُو الْمَقْدِ وَالْمَمْ (ا) وَقُوالَى إِذَا أَخْشَى عَلَيْهِ مُصِيبَةً وَصَارِى عَلَى أَشْسِياء مِنْهُ تُرْبِبُنِي وَكَقَلْمِي عَلَى غَيْظِي وَقَدْ يَنْفَعُ الْكَظَمْ وَ(٥) وَقَدُّ كَانَ ذَا صَغِن يَصَيْنُ بِهِ الْجُرْمُ (٢٧ لِأَسْتَلَّ مِنْهُ الصِّغْنَ حَتَّى أَسْتَلَاتُهُ ۗ بر فْنِي أَخْيَانًا وَقَدْ بُرْقَمُ النَّالُهُ رَأَيْتُ أَشُلامًا بَيْنَنَا فَرَتَمَنَّهُ ۗ بِي أَمِي كَا يَشْنَى بِٱلْأَدُوبَةِ الْكَارُ وَأَبْرَأْتُ غِلَّ الصَّدْرِ مِنْهُ تَوَشَّمًا فَهُدُنا كَأَنَّا لَمْ يَكُنْ رَبِّننا صَرْمُ (٧) فَهَاوَيْتُهُ حَـــنَّى أَرْ فَأَنَّ نَفَارُهُ وَأَطْفَأْتُ نَارَ الْخَرْبِ كَيْنِي وَبَيْنَهُ وَأَصْبَحَ بَعْدَ الْحَرْبِ وَهُوَ لَنَا سِلْمِ (١٥) ومن أحكم شعره وأعفّه :

لَمَثْرُكَ مَا أَهْوَيْتُ كَنِّى لِرِيبَةٍ وَلاَ خَلَتِنِي غَوْرَ فَاحِيَّةٍ رِجْلِي وَلاَ قَادَنِي سَفِي وَلاَ بَسَرى لَمَا ۖ وَلاَ دَلْنِي رَأْلِي عَلَيْهَا وَلاَ عَقْلِ

الحساسة : الفقر أو كل خلل أو خرق في باب أو خوه . الجهــد بالفتح المشفة وبالضم المقتة أو الطاقة .

⁽٢) السناء : العمرف . وبانتصر الصوء .

⁽٣) الرحم: بالكسر لفة في الرحم.

 ⁽٤) الفداء بالكسر ممدود ويقصر ، والفدا بالفتح مقصور لاغير فهي في البيت صالحة لها وأن
 تكون أيضًا قبلا . الفقد : السهد .

⁽٥) رابني الأمر وأرابني : جعل في قلمي ربيا أي شكا .

 ⁽٦) يروى الحلم والحزم وما ظاهران ، وأما الجرم فمناه الجسم والحلق .

⁽٧) ارفأن : سكن . صرم : قطيعة .

⁽٨) سلم: عن هنا عني سالم .

وَأَحْسَلُمُ أَنِّى لَمُ تُصِيْقِي مُعْنِينَةٌ مِنَ النَّهْرِ إِلاَّ قَدْ أَصَابَتُ كَنَّى قَبْلِي وَلَسْتُ بِمَاشٍ مَا حَبِيثُ لِمُشْتَكَرِ مِنَ الْأَمْرِ مَا يَبْشِي إِلَى مِثْلِي مِثْلِي وَلاَ مُوثْرًا نَشْنِي كَلَى ذِي قَراتِنِي وَأُوثِرُ ضَنْفِي مَا أَقَامَ عَلَى أَهْلِي ومِنْ أَمْثَالُهُ السَّالُوةَ قُولُهُ فِي ابْنُ أَخْتِه :

أُعَلَّهُ الرماية كل يوم فان استد ساعده رماني وكم علمت المنافق فلما قال قافيسة جماني

الخنساء

[اسمها ونسبها]: هى تُمماضِرُ بنت تَحْرِو بن الشَّرِيدِ الشُّلَمِيّ من أهل تجد وكنيتها أم خموه ، ولتبت بالخنساء لجالها تشييهاً لها بالبقرة الوحشية ، أو لجال أنها ، لأن الخنس^(۱) من جمال الأنف . وكانأ بوها من سادات سُلَيم .

[حياتها]: نشأت الخنساء جيلة تزينها وفرة عقلها ، وتتمتع بشرف أبيها الذي كان أحد سادات العرب العشرة الذين أوقدهم النصان على كسرى

وكان لهـا أخّوان : صخر ، ومعاوية .كان أبوهما يأخذ بيديمهما فى للنوسم ويقول : أنا أبو خيرى مضر ، فمن أنكر فليفير ، فلا يغير ذلك عليه أحد .

وقد رَآجًا دُرَيْدُ مِن الصُّتَّة فارسُ هَوَ ازِنَ تَهَنَّأُ سِيرًا لَمَىا فَلَكُهُ جَمَالُما ، وخطبها إلى أبيها فلم تقبل ، وآثرت الزواج في قومها وقد حياها صند رؤيتها بقوله :

عَيُّوا كُمَّ اَضِرَ وَأَرْبَعُوا عَمْنِي وَتَغُوا وَبَنَّ وُتُوْفَكُمُ عَسْنِي ٣

⁽١) هو تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأربة .

⁽٢) ربع (كنم) وقف وانتظر

مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلاَ سَمِنتُ بِمِثْلِهِ ۚ كَالْيَوْمِ طَالِيَ أَيْنُقِ جُرْبِ() مُتَهَذَّلًا تَبْدُو تَحَاسِكُ يَضَمُ الْمِنَاء مَوَاضِعَ النُّقْبِ ٣٠ أَخْنَاسُ قِدْ هَامَ الْفُوَّادُ بِكُمْ ۚ وَاعْدَ اللَّهِ مِنَ الْخُبِّ فَسَسِلِهِمُ عَنِّي خُنَاسُ إِذَا خَمِنَّ الْجَبِيعُ هُنَاكَ مَا خَلْبِي تزوَّجت في قومها ، وكان زوجها متلافا ، فشاطرها أخوها صخر ماله مرَّات ، وفي كلُّ

مرّة يعطيها خير الشطرين : وكان صخر أخاها لأبيها .

كانت الخنساء في أوَّل أمرها تقول البنت أو البيتين ، فلما مات أموها وأخواها هاج الحزن عليهم طبيعة الشعر في نفسها ، فأتت في رثائهم بما لم يعهد كثرة وجودة . وقد وفدت مع قومها وهي مجوز عني النبيّ ، فأسلت وأعجب النبيّ بشمرها ، . فكان يستنشدها ويقول : هيه يا خناس ا ويومي بيده .

وكانت مع إسلامًا تلبس الصِّدَار (٥) ، وقد كلتها مائشة رضي الله عنها فيه الأنه منهى عنه في الإسلام ، فقالت : إن سببه أن أخاها شاطرها مرة ماله وخيرَّها فيها تأخذ فلامته امرأته وقالت : أما كفاك أن تقسم مالك حتى تخير فقال :

واللهِ لاَ أَمْنَتُهُمَا شِرارَهَا وَمُي حَصَانٌ قَدْ كَفَتْنِي عَارَهَا (٥) وَلَوْ أَمُوتُ مَزَّقَتْ يِغَارَهَا وَجَتَلَتْ مِنْ شَسَمَر صِدَارَهَا فَأَ خَذَتُ الشَّمَارِ تصديقًا له . والله لا أنزعه حتى أموت .

قال لها عمر رضي الله عنه يوما وقد رأى ندوبا في وجهها: ما هذا ياخنساء ؟ فقالت

⁽١) ثامة على وزن نسلة بالتحريك ، تجمع الله على أصل فيقال أنوق وقد يستثقلون العبمة على الواو فيقدمون الواو فيقولون أوتل وقد يموضون من الواوياء فيقولون أيني .

 ⁽٣) الهناء : الفطران ، النقب بالفتح أو النم : الجرب . . (٣) يقال غمر المكان (بالبتاء للهاعل) إذا امتلاً باللوم. وقد أسند النسل هنا لأهل المكان مجازا.

⁽٤) الصدار : شعر الرأة الحزينة تجزه ثم تليسه في صدرها .

⁽٥) فنراز : جم مربر ككريم وكرام . حصان : عنيفة .

من طول البكاء على أخوى ، فقال لها : أخواك فى النار ، فقالت : ذلك أطول لحزنى وإنى كنت أبكيهما من الثار . فأنا اليوم أبكيهما من النار .

و بقدر جزعها على أخوبها فى الجاهلية كانت رابطة الجأش فى أمر بنيها الأربعة الذين حضرت معهم حرب القادسية ، وحرّضتهم على القتال بقولها :

يا بنى ": إنكم أسلمتم طائمين وهاجرتم محتارين . والله الذى لا إله إلا هو إنكم يَبَنُو رجل واحدكما أنكم بنو أمرأة واحدة . ماهجنّت حسّبَكم . ولا عَيْرَتْ نَسَبَكم ، واهلموا أن الدّار الآخرة خير من الفانية . اصروا وصابروا وا تقوا الله لملكم تفلمون . فإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها ، فيتسّوا وَطِيسَها ، وجالدوا رئيسها عنسد احتدام حَيسها تَفْفَرُوا بالنّمُ والسكرامة في دار الخاود وللقائمة (أن

فقاتل أبناؤها حتى قتلوا جميعاً ، فلما نَسُوا إليها قالت : الحمد لله الذى شرَّفنى بموتهم وأرجو أن يجمعنى بهم فى مستقرّ رحمته . وقد أعطاها عمر أرزاق أبنائها طول حياته .

وقد ماتت الخنساء بالبادية في خلافة معاوية سنة ٥٠ ه .

[منزلتها فى الشعر]: عرف قدرها فى الشعر جاهلية و إسلامًا ، فقد حضرت سوق مكاظ ، فضلها النابغة ، (وكان له الحكم فى الشعر) على كلَّ من حضر السوق إلا الأحشى، فياج ذلك غضب حسان .

وسئل جرير من أشعر الناس ؟ فقال : أنا لولا الخنساء ، وكان بشار يقول : لم تقل امرأة الشعر إلا ظهر الضعف فيه ، فقيل له : وكذلك الخنساء ؟ فقال : تلك غلبت الفحول ، وقد فضاها معاوية على الأخطل ، وهو حاضر عنده للإنشاد ، فأقرّ لها الأخطل بالفضل ، وإذا ثبت أن النبي قال عنها إنها أشعر الناس في ردّه على عدى الأخطل بالفضل ، وإذا ثبت أن النبي قال عنها إنها أشعر الناس في ردّه على عدى الناس حاتم لما وفد عليه وقال : فينا أشعر الناس . وأسخى الناس . وأفرس الناس ص

⁽١) المقامة بالشم : الاعلمة .

⁽٢) أشعر الناس : امرؤ العبس ، وأسخام : رحاتم . وأفرسهم : عمرو بن مقدى كرب .

وأغلب شعر الخنساء فى رئاء أبيها وأخوبها ، وما تبع ذلك من فحر بالكرم ، ووصف للشجاعة ، ولشعرها وقع فى القلب ، وهزّة فى النفس ، والنساء أشجى الناس وأشدّهم حزنا على هلك .

ويقول قندة الشعر: إن شعرها لم تتغير صبفته سد الإسلام ، ولم تمدل به عن موضوعه القديم من البكاء على أخويها وأربها . ونرى أن ذلك لأنها أمرأة لا تجول مجال الوجال فى تملم الدين ، ومخالطة رجاله ، ودراسة القرآن ، وآثار النبيّ ، ثم هى لم تدرك الإسلام إلا مجوزا لاهمة فيها لشىء من ذلك .

شـــــرها :

فضلها جرير على جميع الشعراء بقولها :

إِنَّ الزَّمَانَ وَمَا يَهُنَى لَهُ عَجَبُ أَبْنَى لَنَا ذَنَبًا وَامْنَوْفُسِلَ الرَّاسُ أَبْنَى لَنَا كُلَّ مَجْوُلِ وَجَهُمَا إِلَّهُ اللِينَ فَهُمْ هَامٌ وَأَرْمَلُ (⁰⁰ إِنَّ الْجَدِيدَيْنِ فِي طُولِ أَخْتِلاَضِياً لاَيْشُكَانِ وَلْسَكِنْ يَفْسُدُ النَّاسُ وَفَسَلَا اللَّاسُ وَفَسَلا اللَّاسُ وَفَلا الْأَعْمَى لِلْوَلْمَا :

فَذَّى بِينْيَنَكِ أَمْ بِالتَهْنِ مُوَّارَهُ أَمْ ذَرَفَتْ أَنْ خَلَتْ مِنْ أَمْلِهَا الدَّارُ^{٣٥} كَانَّ دَهْمِي لَنِي كُرَّهُ إِذَا خَعَلَرَتْ فَيَعْنُ يَسِيلُ عَلَى الخَدَّيْنِ مِذْرَارُ تَئْبِى لِمَسَعْرِ مِى الْمَثْرِى وَقَدْ وَلَمْتْ وَدُونَهُ مِنْ جَدِيدِ الدّبِ أَسْتَارُ تَئْبِى لِمَسَعْرِ مِى الْمَثْرِى وَقَدْ وَلَمْتُ إِذْ رَابَهَا اللّهُورُ إِنْ اللّهُورَ مَنَّ الرّهُ

وبئها :

وَإِنَّ مَتَغْرًا لَكَافِينَا وَسَــيَّدُنَا وَإِنَّ صَغْرًا إِذَا نَشْــــثُو لَنَمَّارُ

 ⁽١) الحاملون : الذين يحسلون المنارم من القترم أنن الأسياد . هام : جم هامة ، يقال فلان هامة اليوم أو الفد: أى هوميت اليوم أو غدا . الأرماس : جم رسى وهو الفير .
 (٧) الفذى : مايض فى الدين فيؤديها . المو أو ز: "كل ما أهل الدين .

وَإِنَّ صَخْرًا لِتَنْدَامُ إِذَا رَكِبُوا وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا بَاهُوا لَتَقَّارُ⁽⁽⁾ وَإِنَّ صَخْرًا إِذَا بَاهُوا لَتَقَّارُ⁽⁽⁾ وَإِنَّ صَحْرًا لَقَائَمُ الْمُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَّمُ فَا كُنْ عَلَى مَا اللهِ عَلَّمَا اللهُ الْوَيْعَةِ فَيْهَادُ أَنْدِيَةٍ لِلْجَنِيْسِ جَرَّارُ وَمِنْ وَلِمَا فَى صَحْراً لِفَا :

أَمِنْ حَدَثُ الْأَيَّامِ عَيْمُكُ تَهْلِلُ نَبْكِيٍّ عَلَى صَخْرٍ وَقَ الدَّهْ ِ مَذْهَلُ (٢٣) أَلاَ مَنْ لِمَيْنِ لاَ تَمِيْتُ دَمُوعُهَا إِذَا قُلْتُ أَفْنَتُ تَسَمَّلُ فَصَفْلِ (٢٣) عَلَى مَاجِدٍ صَخْمِ السِّمِيعَةِ بَارِعِ لَهُ صُورَةٌ فِي قَوْمِهِ مَا تَعْوَّلُ (٢٠) فَلَ بَلَنَتُ كَلَتْ الْهِرِي مُعَنَّلُولاً مِن اللَّهْدِ إِلاَّ وَالَّذِي نِلْتَ أَمُّولُ وَلاَ بَلَنَ اللَّهُونَ لِللَّهِ مِلْحَةً وَإِنْ أَطْنَبُوا إِلاَّ اللَّذِي فِيكَ أَفْضَلُ ومن أجل البيتين الأخيرين فضاها معاوية بمحضر الأخطل، وأقرِّ لما الأخطل بالفضل.

ومن جيد رثائها لصخر :

يُذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَخْرًا وَأَذْكُرُهُ لِكُلَّ غُرُوبِ كَمْسِ (°) فَسَلَا غُرُوبِ كَمْسِ (°) فَسَلَا كَرُهُ لِكُلَّ غُرُوبِ كَمْسِ (°) فَسَلَا كَرَةُ الْبَاكِنَ تَوْلِي عَلَى إِخْوَالِهِمْ لَقَتَلَتُ مَنْسِ (°) وَلَا كَنْ تَنُوعُ لِيَوْمِ فَمْسِ (°) مُعَلَّى لَا أَزَالُ أَزَى تَجُولًا وَنَائِعَةً تَنُوعُ لِيَوْمِ فَمْسِ (°) مُعَلَّى مَشِيعًة دُرْثِهِ أَوْ خَبَّ أَمْسِ مُعَلَّى مَشِيعًة دُرْثِهِ أَوْ خَبَّ أَمْسِ

 ⁽١) الشر : ضرب قوائم الهابة التسقط على الأرض وتنتع حركتها ، وهو عنده مقدمة النحو فاستماله في النح مجاز .

 ⁽٣) حملت الدين (كَشرب) كاثر نزول دمها . للنمل : هنا مصدر مين: أى النمول اوالمني
إن الدهم في ذمول عنك لايهم أمرك ولا يردّ إلى بالبكاء ثاننا .

 ⁽٣) استهل للطر : بدأ نزوله . حلت السباء (كضرب) كثر مطرها .

⁽٤) الدسيمة : الجدنة . أو المائدة الكرعة . برع : ثم في كل فضل وكال .

 ⁽٥) تقول أذكره في أول النهار لأنه الوقت الذي كان يخرج في الغارة وأذكره في المساه لأنه الوقت الذي يتجمع فيه الضيفان في فنائه . كذا ذكره في الكنامل .

 ⁽٣) العجول : التكلّى والواله من النساء والابل لسبلتها في حركتها جزع :

وَمَا يَبْكِينَ مِثْلَ أَخِى وَلْكِنْ أَسَلِّى النَّفْسَ عَنْسَهُ إِلَّتَأَمَّى (١) فقد وَدَّعْتُ مِرْآ أَخِى وَلْكِنْ أَسِي حَسَّاتَ الْذَانِي وَأَنْسِي فَقَدْ وَدَّعْتُ أَنِّي النَّسِحُ فِي الفَّرِيمِ وَفِيدٍ يُمْسِي وَمَن قولما : وقد تسابق أبوها وأخوها فسسبق أبوها ، قتيل لها : الذن مدحت أباك لقد هجوت أخلك ، فقالت : وتخلصت من للوقف أحسن تخلص بجمل سبق أبيها ليس عن عجز أخيها ، ولكنه اعتراف بجفة وتسليم لكبرسنه .

جَارَى أَبَاهُ فَأَقْبَلَا وَمُمَا لَمِ يَشَاوَرَانِ مُلاَءَةَ الْمُضْرِ '' حَقَّ إِذَا نَرَتِ الْقَلُوبُ وَقَدْ أُرْتَتْ مُنَاكُ الْمُذْرُ بِالْمُدْرِ '' وَعَلاَ هُمَافُ النَّاسِ أَيْهُمَا وَمَلاَ مُعَافُ النَّاسِ أَيْهُمَا وَمَن مَلَى غَلَوْالُهِ عَمِيهُ وَجْهِ وَاللّهِ وَمَشَى عَلَى غُلَوَالُهِ يَحْرِي ('' أُولَى فَأُولَى أَنْ يُسَاوِيَهُ وَلاَ جَلالُ السِّن وَالْسَرِيْرِ ('' وُمُ وَقَدْ بَرَرَا كَأَنْهُمَا مَشْرَانِ قَدْ حَظًا إِلَى وَكُر

حسان بن ثابت

[اسمه ونسبه]: هو حَسَّان بن ثابت بن النُّذَور بن حَرَام بن زَيْدِ مَناةَ بن عَدِئ ابن عَمْرو بن مالك بن النجار وينتهى إلى الخُرْزج .

٠ (١) التأسى : اتخاذك الناس أسوة إلى (أشباها) في للصيبة .

⁽٢) الحضر والإحضار ؛ السرعة .

 ⁽٣) نزت : تحرك واضطرت . نزه به . ألصقه به . العنو بسكون الذال : المصر الذى طئ
 كاهل الشرس . أو أصلها العسفر بضمين فتسكون جم عفار ومو جاب اللعبة أو ماوهم
 علمه من اللحاء .

⁽٤) الناواء : الناو .

⁽o) الكبر: الصرف والعظمة .

ويكنى أبا الوليد ، وأبا للضرب ، وأبا الحُسَام ، وأبا عبد الرحمن ، وابن الفُريْشَةَ وأمه القريمة أحركت الإسلام ، فأسلمت .

[حياته]: ولد حسان بالمدينة قبل عام الفيل بثمان سدين (قبل الهجرة بنيف وستين عاما⁽¹⁾)، فلما شب وحصف عقله انطاق يقول الشهر وقد اشتهر أمره فى الجاهلية. فانتجم بشعره الملوك وقبل عطاياهم. وقد مدح النصان بن المنذر ملك الحيرة كما مدح النساسنة ملوك الشم، وكانت بينه وبين أهل يثرب واشجة نسب، وأكثر ماكان مدحه لجبلة بن الأيهم آخر ملوكهم، حتى اشتهر قوله فيه كما اشتهر عطاء جبلة له، قلد أقسم جبلة لا يطيف به ذكر حسان إلا أوسل إليه، ولا يمر به غاد أو رائح إلى المدينة إلا بيث معه ما يطرف به حسان .

دخل الإسلام للدينة وعمر حسان قرابة ستين سنة ، فأسرع إلى الإسلام ، وألمى فيه بلسانه بلاء حسنًا ، فقد تصدّى لهجاء قريش وذكر مثالها ، فكان قوله كما يقول وسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ أشدٌ مِن وَقع الحسام في غَبَشِ الظلام ﴾ .

لم يبدأ بهجائهم حتى أنى أبا بكر وهو أعلم العرب بأنساب قريش ، فجل يلمله على عوراتهم ، فيقول له : كفت عن فلانة ، واذكر فلانا ، وكفّ عن فلانة . واذكر فلانة . وذذكر فلانة . وذلك لموضع رسول الله من قرابة قريش ، فجعل يتم فى أعراضهم ما شاء غير مترس لآل الذي ، واستله منهم استلال الشعر من السجين كا يقول .

ومن شعره فى هجاء أبنى سفيان وقد تمثل فيه حذقه لنسب قريش بمـا علمه أبو بكر حتى قالت قريش لقد قال: ابن أبى قحافة الشعر بعدنا ، قوله :

وإنَّ سَنَام البغدِ مِنَ آل هَاشِمِ بَنُو بِنِت تَخْرُوم ِ وَوَالنَاكَ السَبْدُ ٢٠٠

 ⁽١) كان عام الفيل قيسل الهجرة بثلاث وخمين سنة وشهرين وعمانية أيام وهو العام الذي وأد
 قيه رسول الله صفيار الله عليه وسلم .

يه رسون الله تعلق الله سيد وسم . (٧) بنت عزوم هي خاصلة بنت عمرو وهي أجمع الله (جدة رسولياتة) . والعبد يريد به الحرث ابن عبد الطلب (أبو أبي سلميان) وكانت أمه أم ولد . وأيناه زهرة يريد آنسة وهالة (أم حزة وصفية) وها زهرجان فهما بنا وهب بن عبد مناف بن زهرة .

وَيَنْ وَلَدَّتُ أَبِنَاءَ زُهْرَةً مِنْكُمُ كَرِامٌ ولم يَلْخَقْ عِبَائِرَكَ الْمَجْدُ وَإِنَّ أَمِنَا كَانَتُ سَكِيْتِ عَبَائِرَكَ الْمَجْدُ وَالْمَانَ الْمَالَا الْمَالَا الْمَالَا الْمَالَا الْمَالَا اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ عَلَى اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهُ الللّهُ اللّهُ الللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللللللللللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ

كان حمان موضع الرضا منذ دخل فى الإسلام . فقد وهب له النبيّ سيّرين أحت مارية أم المؤمنين ووافدة إبراهيم ابن الرسول عليه الصلاة السلام . وأعقب حسان من سيرين ابنه عبد الرحمن ، كذلك وهب له رسول الله كيّركنى ، وهو قصر بالمدينة كان لأبي طلحة فصدتى به على آل النهيّ .

كذلك عرفُ الحلقاء لحسان فضله تقرضوا له العطاء الكافي من بيت المال .

ولما شاع حديث الإفك كان حسان أحد الذين خاضوا فى عرض السيدة عائشة رضى الله عنها ، وكانوا خسة : عبد الله بن أبى بن سلول . وزيد ابن رِفاعة وحسّان . وحسّنة بنت بحشن (١) ، وَمِسْطَح بن أثاثة وقد تاب حسان فلم يحد ، وبزل فيه قوله تعالى : « إلاَّ اللهِ عَنْونُ رَحِيمُ » .

ولا نستبعد حدوث ذلك من حسان، فهو شاعر يسرع إلى تصديق الوهم، ويجرى وراء الحيال ، ويؤيد خوضه في هذا الحديث ما جرى له من صغوان بن للمطل حين اعترضه فضر به بالسيف . كذلك شعر حسان فى الاعتذار للسيدة عائشة بقوله : حَصَانٌ رَزَانٌ تَمَا تُرَنُّ مريبَسةً و رَتُشْبِعُ غَرَثْي مِنْ كُوم الْقُوَافلُ^(٧)

^{.. (}١) حمنة : هي أخت زينب زوج رسول الله .

⁽٢) حصان : عليفة . رزان : ملازمة موضها . ترن : تتهم . غرثي : جومي

َ وَإِنْ كُنْتُ قَذْ قُلْتُ اللَّذِي قَذْ رَعَمْتُهُو فَلَا رَفَعَتْ سَـــوطِي إِلِيَّ أَنَامِلِ. وَكَيْفَ وَوُدِّى مِنْ قَدِيمٍ وَنَصْرَفِي لِآلِ رَسُـــولِ اللهِ زَيْنِ النَّحافِلِ وَإِنَّ اللَّذِي قَدْ قِيـــلَ لَيْسَ إِلاَيْطِي وَلُـكِنَّهُ قُوْلُ أَشْرِي فِي مِن مَاحِلُ (٢٠٥ فلما أنشدها السيدة عائشة قالت له: ولكنك يا حسان ما تصبح عَرْقَانَ من لحومن .

Æ.

وقد ذكروا عن حسان الجبن ، لأنه لم يشهد رخاً ولا غزوة . وكان يقيم مع الأطفال والنساء في الحصون ، فقد حد أث عبد الله بن الزبير قال : كانت صفية بنت عبد المطلب في قارع حصن حسان يوم المختلف ، وكان حسان مع النساء والأطفال في المحمن ، فرا يهودي فيمل يطوف بالحسن ، فحشيت صفية أن يعرف اليهودي موضعهم فيدل علهم اليهود وأهل الحسن بحيث لا يشيهم المسلمون لاشتفالهم عنهم ، فقالت له : انزل فاقتل اليهودي فقال لها : يغفر الله لك يابنة عبد للطلب !! ما أنا بصاحب هذا ، فنزلت هي فقتلته ورجمت إلى الحسن ، ثم قالت : ياحسان انزل فاسله فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل . قال مال إلى سلبه حاجة .

و پزوی أنه أنشد رسول الله :

لَقَدْ غَدَوْتُ أَمَامَ الْقُوْمِ مُنْقَطِقًا بِمِعَادِمٍ مِثْلِ لَوْنِ الْلِمْحِ فَطَلَّع ؟
تَعْفِرُ عَلَى كِانِ الشَّعْفِ بِالْقَاعِ ؟
تَعْفِرُ عَلَى كِانَ الشَّعْفِ سَابِغَةُ فَضْفَاضَةٌ مِثْلُ لَوْنِ النَّعْفِ بِالْقَاعِ ؟
خبتم رسول الله فا تكسر حسان لظنه أن تبسم رسول الله لوصفه قسه بالشجاعة مع
جبته، ونرى أنتهمة الجبن واقعة على حسان لأنه أكثر من الفخر بشجاعته ، ولم تعرف

⁽١) لائط: لائق . ماحل : ممام . يقال محل به إلى السلطان : أي مدى وم ،

 ⁽۲) متطفا بسارم: أي خاملا له مطفا في منطقق .

⁽٣) تحفز : تدفع . النهني : التدير .

له مواقع شهدها لا فىجاهلية ولاإسلام، فعلل ذلك على أنه يستر بالقول عاراً لاحقابه، على أن شهود الغزوات مع النبي كان شرقاً كبيراً للصحابة فكانوا يحرصون على شهودها و يتفاضلون بقدار ما حضروا منها ، فقد حكوا عن عر أنه حضر مع النبي جميع غزواته، وأن عنها شهدها جميماً إلا تبوك ، فلو أن حسان ليس جباناً وعواعا لشهد ولو واحدة منها . ولقد ذكروا أنه كان يخضب شار به ومقلم لحيته بالحناء ، فإذا قبيل له : لم تقمل ذلك ؟ قال لا كون كأنى أسد والنم فى دم . هوما نرى ذلك إلا تضليلا الرأى فيه وتمويم لجبنه .

و إن نشأة حسان بالقرى واشتغاله فى جاهليته بزيارة الملوك فى شرق وغرب لتجعله جيداً عن مواقف الشجاعة النى تقتضيها حياة الخشونة والغارة .

وقد عمّر حسان فى الإسلام ستين سنة أخرى ، فتم ّ له مائة وعشرون سنة قضى معظمها موفور الصحة تام الحواس ، ثم وهن فى آخر أيامه ، وكف ّ بصره ، ومات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ ه .

منزلته في الشعر:

قال المبرد فى الكامل: « وأحرق قوم كانوا فى الشعر آل حسان ، فإنهم يعدّون ستة فى نسق ، وكلهم شاعر ، وهم : سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت بن المنذر ابن حرام » . فهو إذا شاعر مطبوع يضرب بعرق بعيد فى الشاعرية . المنك لم يكن معروفاً بتنقيح شعره . وموقفه من وفد تميم شاهد عدل على قورة سليقته . فإنه فوجي بأن طلب منه النبي الرد على الزيرقان بن بدر شاعر الوفد ، فارتميل قصيدته :

إِنْ النَّوَائِبَ مِنْ فِيْرِ وَإِخْوَتَهُمْ قد بَيَّنُوا سُنَّةً للناسِ تُنَبَّعُ وهي من خيرقصائده .

ولقد ذكروا أن حسان كان شاعر الحضر فى الجاهلية . ونحن نعلم أن شعر الحضر دون شعر الوبر . لذلك كانت منزلته وسطًا بين الشعراء ، فلم يسام الحجيدين، ولم ينحط إلى درجة للقصرين . وفى القصة الآتية بيان لمكانة حسان بين شعراء الجاهلية . وفد على عرو بن الحرث من ماوك غسان ، فوجد عنده النابغة النبيانى ، وهقمة ابن عَبَدة ، ققال له عرو : إنى باعث إليك بصلة سنية ، ولا أحتاج إلى الشعر ، فإنى أخلف عليك هدذين السبعين أن يفضحاك ، وضيحتك فضيحتى ، (لأنه بمت إليه بالنسب) ، قتال حسان ، لا بدّ من القول ، واستأذن الشاعرين في الإنشاد ، فأنشد :

أَسَأَلْتَ رَمُّمَ الدَّارِ أَمْ لَمُ ۚ نَسُأْلِ يِينِ الجوابِي فَالبَّفَتَيْمِ لَحُومَلِ فكان شعره دون شعر النابغة وعقمة ، ولكنه حسن معدود .

وفى الإسلام زمن البعثة ارتفع شأنه ، لأنه لم يكن فى أصحاب رسول الله ، ولا فى أعدائه شاعر, مثله ، فصار الشاعر للقد"م عند النبيّ ، وطارت له شهرة عظيمة ، ونال ... من إكرام النبيّ كثيرًا ، فقد قال له : « اهجم وجبريل ممك » ، وقال له أيضًا : « شنّ الفارة على بنى عبد مناف ، فوالله لشمرك أشدٌ عليهم من وقع الحسام فى غبش الفارة على ينمس له منبرًا فى للسجد ويسمع هجاده لأعدائه .

فهذه الشهرة والشعر الكثير الذى قاله جلاه بحق شاعر البيانية فى الإسلام . و بقيت منزلته دون منزلة الصحول من المضربة .

[أغراض شمره] :كان موضوع شعره فى الجاهلية التشبيب ووصف الحقر والهجاء . والمدح والفخر بنسبه وشجاعته وفصاحته . فلما جاء الإسلام بطل من أغراضه التشبيب . .ووصف الحقر، وانصرف هجاؤه إلى أعداء رسول الله ، واقتصر مدحه على النبيًّ . .وأصابه ، و يتى قحره بنسبه وشجاعته و بلاغته ، وزاد عليه الفخر بالإسلام .

غذره كذلك أنه أدرك الإسلام كبيراً قد زايلته همة الشباب وسورته ، وأنه أكثر من التول ، ومن التمو يل على البديهة في أغاب للواقف ، فبان في شعره الضعف واللين وللقول في ضعف شعره في الإسلام تفصيل اهتدينا إليه من كثرة ترديد الطرف في كل ما قاله في الإسلام. وذلك أننا نرى أنّ ما قاله في الدفاع عن النبي "أقوى وأرصن، وأسد" قواف ، وأحسن سبكا مما قاله في أغراض أخرى ، ولا نرى لذلك من سبب إلا وعد النبي له بأن روح القدم يؤيّده ما كافح عنه في قوله عليه الصلاة والسلام ، هران روح القدس لا يزال يؤيدك ما كلفت عن الله ورسوله» ، فهو في هذا كان ملهما مؤيّداً ، فكان لا ينزع عن قوسه ، ولا يرى من كنانته ، وسترى برهان ما قانا فها نوضه عليك من غنار قوله .

رأى النقاد في شعر حسان

ننقل لك فى هذا المتام آراء النقاد فى شعر حسان كما وردت مجملة مفرّقة فى كتب الأدب ليكون فى كلّ رأى منها شبه الدليل على منحى من مناحى قولنا الذى فصلناه. فى الحكم على شعره .

قال أو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاث :كان شاعر أهل يثرب في الجاهلية ،. وشاعر النبيّ فى النبوّة ، وشاعر النمن كلها فى الإسسلام ، وقال : اجتمعت العرب على. أن حسان أشعر أهل المدر .

قال الأصمى : حسان أحد فحول الشعراء ، فقال له أبو حاتم : تأنى له أشعار لينة . قال : تنسب إليه أشياء لا تصح عنه (١١) ، وقال الأصمى مرّة : الشعر نَكِدُ يقوى في.

⁽١) وقد أتى على بسن النحول لحسان ابن هفام صاحب البيرة انبروة فاه اختصر سيرته من سيرة ابن اسحق وكان همـــفا ضيف النقد الشعر فدس عليه أهل للدينة شيئا ولمسوه إلى. حسان . فــكان ابن هفام إذا أورد شيئا منه به على أه منحول فيقول مرة (وأهل العلم. بالشعر ينكرونها لحمان) أو يقول (وتروى هذه الأبيات لفلان) ومكذا .

الشرّ و يشتدّ ، فإذا دخل فى الخير ضمف ولان . هذاحسان قمل من فحول الجاهلية ، ظما جاء الإسلام سقط شعره ،

وقال أبو الفرج الأصبهانى : حسان فحل من فحول الشعراء ، وقال النابغة الذبيانى لحسّان يومًا : إنك لشاص .

وشهد الأعشى له (وكان صديقه) بالشاعرية، وقال الحطيثة حين احتصر: أبلغوا الأنسار أن شاعرهم أشعر العرب حين يقول :

يُشْتَـــوْنَ حَقَّى مَا تَهِرُّ كِلاَجُهُمْ لاَ يَشَأَلُونَ عَنِ السَّـــوَادِ الْقَبْلِ ومن حكم حسان على نصه أنه قيل له : لان شعرك أو هرم فى الإسلام ؟ قتال القائل : بإبن أخى ، إن الإسلام يحجز عن الكذب .

ووقف الحطيثة على حسان وهو ينشد شمراً ، فقال له حسان وهو لا يعرفه : كيف تسمع يا أعرابي ، فقال : ما أرى بأساً ، فقال خسان : اسمعوا لقول الأعرابي ! ! ما كنيتك؟ قال أبومُكَلِّكة ، قال : ما كنت قط أهون على منك حين تكنيت بامرأة، في اسمك؟ قال : الحطيثة . قال : فامض بسلام .

غتار قوله :

أنشد حسانُ عَمْرَو بن الحرثِ بمضرة النابغة وعُلْقَمَة بن عَبَدة :

أَسَأَلْتَ رَسُمَ النَّارِ أَمْ لَمْ تَسْأَلِي نَيْنَ الْحَوَابِي قَالِبُعَسَيْمِ فَوْتَلِ فَالْمَنْ مَرْجِ الصُّفَّرِينَ فِلِيمِ فَلَيْارِ سَلْى دُرُساً لَمْ تُحْلَلِي وِمَن مُنَاقَبُهَا السَّالِحُ دَوَارِسٌ وَلَلْمُجِنَاتِهُ مِنَ السَّالِ الأَعزل اللهِ دارُ لقــــومِ قد أرام مَرَّةً فوق الأَعِرَّةِ عِرَّهُمْ لَمْ يُمُثَلِ

⁽١) للمحنات : النيوم للمطرة . السياك فى السياء صماكان أحدهما أغزل والتائى رامح ، وسمى الرامج رائحا لأن له شماها مستطيلا منه كالرمح . أما الأعزل فلا شعاع له . ومن فى قوله للمحنات من السياك السبية : أى بمطرات بعب السياك لأن سقوطه أو طلوعه كان عندهم سبب للطر .

يَوْمًا بِجَلِّقَ فِي الزمانِ الْأَوَّلِ (١) الله دَرُ عِصَابَةٍ الْمَشْهُمُ يَمْتُونَ فِي الْحَالَ الْمُفَاعَفِ نَسْجُهَا ﴿ مَشَّى الْجَالِ إِلَى الْجَالِ البُّزَّلِ ٢٠٠ ضَرْبًا يَعَلَيْحُ لَهُ بَنَانُ الْفُصِل^{٣٢} الضاربُون الكَبْشَ يَبْرُقُ بَيْضُهُ والمُنْمِئُونَ عَلَى الضَّمِيفِ الْمُرْمِل وَانْكَالِطُونَ فَقِيسِيرَ مُمْ بِنَيْتِهِمْ قَبْرِ ابْنِ مَارِيةً الْكَرِيمِ الْفَضْلِ⁽¹⁾ أَوْلَادُ جَنْنَے ۚ حَوْلَ قَبْرِ أَيِهِمُ لا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّــوَادِ الْعَبْلِ (٥) يُنْشَـــوْنَ حَتَّى مَا نَهُرُ كِلاَبُهُمْ بَرَّدَى يُصَغَنَّهُ بِأَلرَّحِينِ السَّلْسَلِ⁽¹⁾ يَسْــقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيصَ عَلَيْهُمُ بِيفُ الْوُجُوهِ كَرِيمَةٌ أَحْسَابُهُمْ شُمَّ الْأَنُوفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ ٢٠٠ فَلَبَثْتُ أَزْمَانًا طِلْ وَالْأَ فِيهِمُ ثُمُ أَدُّ كَرْتُ كَأَنَّنِي لَمْ أَفْلَ تَتَمَعُنَّا فَأَمْشَحَ كَالثَّنَّامِ اللَّحْوِلِ (١٠ أَوْمَا تَرَىٰ رَأْسِي تَنَسِيرَ لَوْنَهُ فِي قَمْرِ دُومَة أو سَوَاء الْهَيْكُل وَلَقَدُ يَرَانِي مُوْعِدِيٌ كَأَنَّنِي مَهْبَاء صَافِيَةً كَطَعْمِ الْفُلْفُلُ⁽¹⁾ وَلَقَدُ شَرِبْتُ الْخَمْرَ فِي حَانُونِهَا فَيُعَلِّنِي مِنْهَا وَلَوْ لَمْ أَنْهِلَ (١٠٥ يَسْمِ عَلَى بَكُامِهَا مُتَنَطَّفَتُ

⁽١) جاتى : دمفتى .

⁽٣) الْبِرْلَ : جمع بازل ، وهو الجُثل بلغ تسع سنين .

 ⁽٣) الكوش : سيد الفوم ، البيش : الحوذة ، يطبح : يتفصل بعيدا .

⁽٤) حول قبر أيهم ، كناية عن الاستقرار وأنهم دائمو الحمب لايرتحلون .

⁽٥) هرير السكلب: صوته دون نباحه من قلة صبره على البرد . والمراد هنا مطلق الصوت .

⁽٦) البريس : فرع من بردى . يصفق : يخلط . الرحيق : الحر البيضاء .

 ⁽٧) الطراز : كله طرسية الأصل ، صناها الخدير المستوى . والمدى هنا من الفكول الجيدة .
 وشم الأهم كناية عن السيادة ، إذ كانت الأمة العربية مكونة من صنفين : صيد وأسياد
 وميزة السيد فطس الأنوف وميزة الأحرار شمها .

 ⁽۸) وفى رواية :أما ترى، وبرد على الأولى حذف النون.من ترى بالا موجب ويرد على التالية عدم
 أو كيد اللسل مع الرب تأكيد. هذا من الوجوب

⁽٩) الحانوت : دكان الخَار , صبهاء : متخذة من عنب أبيض . كطعم الفقل : لاذعة .

⁽١٠٠ متملف : لابس النطقة (كميزة) وهي الفرط . النهل : الهمرب الأول أو المطش

إن التي نَاوَلَتَـــــــــنِي فَرَدَدُتُهَا قُتِلَتْ قُتِلْتَ فَاتَهَا لَمْ تَقْتَلُ^(١) كلتاها حَلَبُ التصيديرِ فَعَاطِنِي يَزْجُاجَةٍ أَرْخَاهُما لِلْمُفْصِلُ ٢٠٠ وللد تُقَلُّونَا التشيريُّ أمرها وَنَسُودُ يومَ النائباتِ وَنَعْلَى وَيَسُودُ سَيِّدُنَا جَعَاجِحَ سَادَةً وَيُصِيبُ قَائِلُنَا سَـــوَاء الْمُصِلِّ وَتُعَاوِلُ الْأَمْرَ اللَّهِمَّ خَطَابَةً فِيهِمْ وَتَفْصِلُ كُلَّ أَشْرٍ مُتْضِلِ وَتَزُورُ أَبْوَابَ لُلُــُكُكِ رِكَابُنَا ۖ وَمَتَى نُحَكُّمْ فِي الْبَرِيَّةِ ضَلِّلَ

وفد على رسول الله وفد بني تميم سنة الوفود بعد فتح مكة ودخلوا المسجد ، وتادوا ً رسول الله من وراء الحجرات ، فتأذى رسول الله ، ثم خرج إليهم ، فقالوا : يا محد جِتْنَاكَ تَفَاخُرُكُ ، فَأَذَنَ لَشَاعُرُنَا وَخَطْيِبَنَا ، فَأَذَنَ لِخَطْيِهِم ، فَقَامَ مُطَارِد بن حاجب ابن زُرارة ، فأمر رسول الله ثابت بن قيس ، فرد عليه ، ثم قام الزُّبْرِقان بن بَدْرِ شاعرهم فقال :

نَحْنُ الْكَرَامُ فَلَا حَيٌّ يُمَادِلُنَا مِنَّا اللَّهُكُ وَفِينَا يُنْسَمُ الرُّبُحُ وَتَعَنُ نُفْمِمُ عِنْدَ الْنَنْعُطِ مُطْمَعَنَا مِنِيَ الشُّواء إِذَا لَمْ يُؤْلِّسِ الْقَرْعُ ثُمَّ تَرَى النَّاسَ تَأْتِينَا سَرَاتُهُمُ مِنْ كُلُّ أَرْضِ هُو يًا ثُمَّ نَصْطَلِيعُ وكان حسان غائبًا ، فأوسل إليه وسول الله فحضر ، فلما فرغ الزُّبْرِ فَانَ أَمْ رسول الله حسان بالرود عليه ، فارتجل حسان :

إِنَّ الدَّوَائِبَ مِنْ فِيلِ وَإِخْوَا مِمْ ﴿ قَدْ مَيِّنُوا سُلَّةً اللَّاسِ تُنَّبَّمُ (١)

والمراد هنا الثاني: أي يسقبني منها ولولم أكن عطفان. علَّ (كشرب واسم) لازم ومتعد عنى شرب بند شرب، أو سقاه مرة بعد مرة .

⁽١) قتلت : مزجت بالماء فذهبث سورتها . (٢) كلناهما : كلا المياء والحمر . والمني في البيت أن المياء والحمر نامجان عن عصر هي، فالمياء عن عصر السمائيُّ وَالْحُوعَنُ عصرَ الشب أَه

 ⁽٣) جماح : جم جميح ، وهو السيد . سواه الدى : وسطه .
 (٤) الدوائب : جم ذؤابة وهي ألهي الدى . فهر : أسل قريش وهو فهر بن ظالب .

يَرْضَى بِهَا كُلُّ مَنْ كَانَتْ سَرِيرَتُهُ لَا يَقُوى الْإِلْدِ وَبِالْأَمْرِ ٱلَّذِي شَرَعُوا قَوْمٌ إِذَا حَارَبُوا ضَرُّوا عَدُوَّهُمُ ۚ أَوْ حَاوَلُوا النَّفْعَ فِي أَشْيَاعِهِمْ نَفَعُوا⁽¹⁾ سَجِيَّة وَلْكَ مِنْهُمْ غَسِيرٌ مُحْدَثَة إِنَّ الْفَلَاثِينَ فَأَعْلَمُ شَرُّهَا الْبِدَعُ٣٥ لأَبَرُ قَمُ النَّاسُ مَا أَوْهَتْ أَكُنُّهُمُ عِنْدَ النَّفَاعِ وَلاَ يُوهُونَ مَا رَفَّمُوا إِنْ كَانَ فِي النَّاسِ سَبَّاتُونَ بَعْنَدُهُمُ ۚ فَكُلُّ سَبْقِ لِأَدْنَى سَبْقِيمْ نَبَعُ وَلاَ يَضِنُّونَ عَنْ مَوْنًى بِنَصْلِهِمُ ۖ وَلاَ يُصِيبُهُمْ ۚ فِي مَطْمَمِ طَبَعُ(٢٠) لاَ يَجْهَـٰدُونَ وَإِنْ حَاوَلْتَ جَهْلَهُمُ ۚ فِي فَضْلِ أَخْلَامِهِمْ عَنْ ذَاكَ مُنَّسَمُ · أَعِفَةُ ذُكِرَتُ فِي الْحَيِّ عِنْتُهُمْ لِأَ يَطْمَوُنَ وَلاَ يُرُّرِي بِهِمْ طَمَعُ (D) َكُمَّ مِنْ صَدِيقِ كَمُمْ نَالُوا كَرَّالَتَهُ ومِنْ عَدُوٍّ عَلَيْهِمْ تَجَاهَدٍ جَدَّعُوا^(٥) أَعْطُوا نَبِّي ٱلْمُدَى وَالبِّرِ طَاعَتَهُمْ ۚ فَا وَنَى نَصْرُهُمْ عَنْهُ وَمَا نَزَّعُوا إِنْ قَالَ سِيْرُوا أَجَدُّوا السَّيْرَ جُهْدَهُمُ أَوْ قَالَ عُوجُوا عَلَيْنَا سَاعَةً رَبَعُوا ۖ أَهْلُ الصَّلِيبِ وَمَنْ كَانَتْ كُمُمْ بِيَعُ وَ(١) مَا زَالَ سَيْرُهُمُ حَتَّى اسْتَفَادَ كَمُمْ وَلاَ يَكُنْ مَمَّكَ الأَمْرُ الَّذِي مَنعُوا خُذْ منْهُمُ مَا أَتَى عَنْوًا إِذَا غَضِبُوا َ وَإِنَّ فِي حَرْبِهِمْ ۚ فَاتْرُاكُ عَدَاوَتَهُمْ ۚ شَرًّا يُفَاضُ عَلَيْهِ الصَّابُ وَالسَّلَمُ ^(A)

⁽١) أشياع : جم شيمة ، وهي قواحد والجم ، تقول فلان شيمة على وهؤلاء من شيمته .

 ⁽٧) الحلائق : جم خلفة، وهي الطبع .

 ⁽٣) الطبع : الدنس والسب وكل شــين في دين أو دنيا . وفي الحديث « نسوذ بافقه من طنع يهدى إلى طبع».

⁽٤) أعفة : جمَّ عفيف. أزرى به كذا : جابه وألجق به الثمس .

 ⁽٥) الواكراسة : مقلوب عن قال كرامتهم وهذا مايؤهم وبدل عليه السپاق . جاهد : مجتهد جدعوا : قطموا .

^{.(}١) ربع بالكان : أقام به مر

 ⁽۷) استفاد (مطاوع ثاد) یحنی ذل وخضع . البیم : جمع بیمة (کشیم جمع شیمة) وهی متعبد النصاری .

[﴿]٨) الِمابِ والسلم : شجران مران .

ظما فرغ حسان قال الأقرع بن حابس (أحد رجال الوفد) : والله إن هـــــذا الرجل (يريد محداً) كَوَّتَى (كه عَلَم الله عَلَم الله المنطب من خطيبنا ، ولَشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أعلى من أصواتنا ، ثم أسلموا ، وجوزهم رسول الله ، فأحسن جوازهم .

ومن قصيدة له أوّلها فى الجاهلية وآخرها فى الإسلام ، يصف فى أوّلها الحز ، ويهجو فى آخرها أبا سفيان ^(ه) :

عَمَتْ ذَاتُ الْأَصَابِـمِ فَالْجِواهِ إِلَى عَذْراه مَنزلَمَا خَمــــٰــــــٰـلاَهُ^(٢) ديارٌ من بنى الْمُسْعَاسِ قَفْرُ ثُمُغَيِّبــــا الروايسُ وَالسَّاهِ⁽¹⁾

 ⁽١) خور : جم خو ار على غير قباس لأن قباسه أن يكون جم أخور . وجزع : جم جزوع .
 (٣) مكتنج : قريب دان . بينة : من أهمال مكة بما بلي النين على خس مراحل منها . وفي وادى بيئة شجر كثير الأسود . اللهدع : عوج المفاصل .

⁽٣) شمعوا : لم يجدوا . والشمع : الطرب والضحك والمرح ، والفعل كنع .

 ⁽٤) فلان مؤتى أه : سهل الأمر ، من أثبت الساء : إذا سهلت سبيله .

⁽٥) وردت هذه الفصيدة في سيرة ابن هفتام بسنوان أنها قيلت في فتح كذ ، والظاهم أنها قيلت في منذ العالم المحرى في الفتح، بل فيها التوادة لمل ماجرى في الفتح، بل فيها التوعد بدخول مكة منوة، وفيها سب الأبي سفيان وكان تدأسلم بمنافئت الخلائيل بسه وبدليل أن الذي لما رأى النماء يلطمن الحيل قال الأبي بكر ماذا قال حمان؟ يريد قوله في القصيمة : يظل جيادنا متعطرات تطلمهن بالحي النساء .

⁽٣) ذات الأصابع، والجواء، وعذراء: مواضع . ومنزلها، أي منازلها لم لأن الفرد المضاف يعم.

 ⁽٧) الحدساس: قوم من بن النبار . تضمياً : تعمو كالت حيارواس : الرياح التي ترمس
 الآثار (تسترها) . السياء هذا : الطر . [ترفيق]

١- سا- و المنظم

وكانت لا يَزَالُ بِهَا أَنِيسٌ خِسَلَالُ مُرُوحِهَا مَتُمْ وَشَاهُ (١) فَتَعْ هَذَا وَهَبَ السِّلَهِ فَتَعْ هَذَا وَهَبَ السِّلَهِ فَقَ مَنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهِ مَنْ السِّلَةِ مَنْ اللَّهِ مَنْ اللَّهُ وَمَاهُ (١) وَمَا اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ الللْهُ الللْهُ اللْهُ الللِهُ اللْهُ الللْهُ الللْهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ الللْهُ الللْهُ الللْهُ الللْهُ اللَّهُ الللْهُ اللْهُ اللَّهُ اللَّهُ الللْهُ الللْهُ اللِهُ اللَّهُ الللْهُ اللَّهُ اللْهُ اللْهُ اللَّهُ ا

4

عَـــدِشْنَا خَيْلْنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا تُنْبِيرُ النَّفْعَ موعدُها كَدَاهُ (٢) يُنَازِغْنَ الأَسِنَّةَ مُصْنِياتِ على أكتافها الأَسَـلُ النَّلَماهِ (٢) يَنْلَلُ جِيادِنَا مُنْمَطِّــرَاتِ تُلْطِّمُونَ بِالْخُبُرِ النَّسَاهِ (١) فإنّا تُمْرْضـــوا عنّا أعتمرنا وكان الفتخ والكشف النِطاه

 ⁽١) شاه : جم شاة ، وهي للمذكر والمؤتث من الغنم ، أو منها وسن للمزى وغيرها، وأصل شاه شاه ثلبت الهاء هزة .

 ⁽٧) شمثاء ': اسم أمرأة وكانت احدى زوجات حمان ، وقد قبل إنه لمهشقى كغيره مزالشعراه وإنماكان يلكر نماءه في شعره ، وفي البيت الثان تقوله تبعته بعد قوله في البيت قبله يؤولني.
 (٣) المبعد : الحق للمقائد بعدى أسد : مه ضد بالشاء معمده والحق اذا فد مناه مع و في مسا.

 ⁽٣) السيئة: الحر المشتاة. يبت رأس: موضع بالنام مفجوربالحر، إذا رفع مزاج مع رة مسل
 تـكون الجلة خبر يكون واسمها ضدح الفان، وإذا نصب يكون فلك ضرورة.

 ⁽٤) ألام الرجل : فعل مايلام عليه فهو مليم بمنى ماوم . المنث : اللتال والمعر . اللماء والملاحاة :
 المحارضة بالسان .

 ⁽٥) نبهنهها : بردها .
 (١) كماء : الثنية الدايا بكلا ، وهي التي دخل منها الني فاتحا .

 ⁽٧) سنى منازعة الحَمْلِ اللَّاسنة: أنالقارس يضجعرعه تتكون شباته بمساماة رأس الفرس فيجرى عاولا سبق الربح . الأسل : جم أسلة وهى الربح . الظهاء جم أطمى : أى أسمر ، يقال رمح أظمى، وشفة ظمياء : أى صمراه .

 ⁽A) تعطر الفرس: أسرع. تلطمهن النساء بالحر: أي ينفض ماعليها من النبار بضربها بالحر .

 ⁽۱) پقال فلان عرضة حرب: أي يصرش له كثيرا فهو مرضة الحرب، والحرب عرضته كلاها عرضة للآخر .

 ⁽۲) نفكم: غنم وزدت.

⁽٣) عد الدار : بطن من قريش كانت له المثابة واللواء والحياة والرفادة . وفي فروة أحد قال لم م أو سلبان إلكم صبح اللواء وم بدر فادفسوه إلينا فنضبوا وإنحا أواد أن بصلهم على الصبر، وكان قد أخذه منهم طلمة بن أي طلمة قفطه على ثم أخذه مئين ابنه قفطه حرة ثم سعيد بن أي طلمة فقطه حسد بن أي وقاس ومازال اللواء ينتقل حتى أخذه صد لهم يسمى صوايا فقتل فأخذته امرأته . فهذا ما أشار اليه حسان في قوله 2 سادتها الاماء » ويسمح أن تقرأ سادتها فعلا فتكون تاؤها ساكنة ، أواسما فتكون الناء مضمومة والوزف يجز الأمرين .

 ⁽٤) أن أن دسان البيد ال الحاضرون: هذا أنصف بيد الله العرب. وأنت تعلم أله احتفاء لتموله تمالى (وإذا أرياك لعلى هدى أو فى ضلال مبين) .

السطف في قوله و عدمه على تقدير من: أي ومن بمدمه الأن المادح غير الهاجي .

فَإِنَّ أَبِى وواللَّه وعِـــــرْضِى لِمِرْضِ عَـَــــدِ منكم وِقَاءُ (١) لِـــانى صادمُ لاعيبَ فيــــه وَبَحْرِى ما تُــكَدُّرُه الدَّلاَهِ (١) وقال يذكر يوم أُحُد ويفخر بنصر قومه لرسول الله :

4

اتصل عطاء آل جُمْنة بحسان حتى بعد أن أسلم وتنصروا . فقد أرسل إليه جَبَلة

⁽١) المرض هنا: يمني النفس .

 ⁽٧) الدلاء : جمّ دلو ، والسن أن بحره واسع كثير للماه بعيد الفور ، يريد أنه كثير الشعر فصيح اللسان .

 ⁽٣) سنجين: كناية عن قريش الأمها كانت تكثر من أكل السنينة ضيرت بها ، وقد مازج معاوية الأحض بن قيس، قفال له: ما الدىء الملف فى البجاد؟ قال السخينة يا أمير المؤمنين . أشار معاوية لمل وطب الهبن يلف فى الصوف وكانت تميم (قوم الأحنف) تعبر بحب الأكل قال المفاص :

إذا مامات سن من تميم فسراد أن يبيش غي براد بخبر أو بسر أو بسن أوالهيء الملف في البجاد

 ⁽٤) الحج : للماء الحار . الضريع : طعام أهل النار ، وقبل أن هــ قد السكلمة لم يكن العرب يعرفونها قبل الفران .

ابن الأيهم بعد أن ار تدّ عن الإسلام ، ولحق بهرِّقُل قيصر الروم خسيانة دينار وخمسة أثواب ديباج ، ظما صارت الهدية إلى حسان قال :

وقال يرثى رسول الله :

مَا بَالُ عَيْنِكُ لا تَنَامُ كَأْتُمَا كَيْلَتْ مَآقِيها بِكُفُلِ الأَرْتَدِ
جَرَعًا على الْهَذِي أَصْبَحَ ناويًا ياخِيرَ مَنْ وَعِلِي الْمُقْمَى لا تَبْعَدِ
وجعى يَقِيك اللَّذِبَ لَمْنَى لَيْنَتِي غُينَتْ قبلك فى بقيع الدَّرْقَدِ
بأبى وأتى من شَهِدْتُ وَقَانَهُ فى يوم الأثنين النبيُّ المهتدى
فَطُلِتُ بسِد وفاته مُتَنَلًا مُتَسِسِلَدًا يا لينني لم أُولَدِ (٢٠)

موازنات بين أقوال حسان وغيره من الشعراء

يقول حسان :

إذًا انصرفتْ قسى عن الشرّ لمَّ تَكَدُّ إليه بوجــــــهِ آخَرَ الدهر، تُعْبِلُ ويقول من بن أوس البيت بألقاظه ، ولكنه يجعل كلة الشيء بدل الشرّ . ولاتحاد

⁽¹⁾ الحرطوم : الحجر .

⁽٢) الغرقد : مقبرة المدينة .

⁽٣) متبلعاً : حيران . متلدداً : كثير التلفت .

البيتين فى جميع لفظهما لم تبق موازنة إلا بين كالتى شرّ وشى. ، ونرى أن بيت حسان صار بكلمة الشرّ أحكم وأليق بارعواء المسلم وتقواه . أما بيت ممن ، فقد صيرته كالم « الشىء » جاهليًا ينبئ من ركوب الرأس ، والتمادى فى السناد ، واطراح التعقل .

ويقول حسان :

لُو يَلِيبُ الحُوْلِيُّ مِنْ وَلَدِ النَّرْ رِ طيها لأَنْدَبَهُما الْكُلُومُ ويقول أمرؤ القيس :

من القاصر ان الطَّرْف ِ لَوْدَب عُول من الذَّرْ فوق الإثْب منها لأَثراً الوست حسان خديد من بيت أمرى القيس ، فإن المبالفة فيه مقبولة ، إذ جل دبيب النمل على ظاهر الجلد ، فكان من المقول أن يحصل التأثير ، ولكن أمراً القيس غلا وأحال بإثبات التأثير مع صيانة الجسم بالإتب . على أن في بيت حسان تفصيلا التأثير بذكر إحداثه المكارم ، وهو مجل في بيت أمرى القيس ، ولا شك أن الوصف برقة البشرة يناسبه ذلك التفصيل .

وقال حسان :

ما إِنْ مَدَحْتُ محداً بمقالتي لُسكِنْ مَدَحْتُ مَقَالَتِي بُحُمَّدُ وقد سبق كلّ الشعراء إلى هــذا للمنى ، ولم يأت بعده من زاد فيه ، بل لا يزال بيت حسان خيراً فيا ضلم من كلّ بيت سرق منه .

فهذا التنبي يقول :

الطَّيبُ أنتَ إِذَا أَصَابَكَ طِيبُهِ وللمَّاهُ أنت إِذَا اغتسلت الناسلُ ولا شـــكُ أن الفظ في بيت حسان قد حاز الفضيلة لأنه قد تيسر له من غير تكلف ذلك النوع البديمي للسمى بالعكس .

وكذلك قد سرقه أبو تمام في قوله :

وَلَمْ ۚ أَمْدَحُكَ تَفْخِياً لشعرى ولكَّنَّى مدحتُ بك للديما

وهو يحاول تحقيق المكس ، فيأبى عليه اللفظ ، إذ جعله كلة «المديحا » بدل الشعر منع من ذلك .

ولقد ذكروا أن حسان لما أنشــد النابفة بسوق عكاظ ، ففضل عليه النابغة الخنساء غضب وقال :

أنا والله أشعر منها ومنك ومن أبيك، قال النابغة: حيث تقول ماذا ؟ قال: حيث أقبل:

لَنَا الْمُفَتَاتُ النُّوْ يُمْتَثَنَ فِي الضَّعَى وأَسيافُنا يَفْلُونَ مِنْ نَجَلَنَوْ دَتَا وَلَنَا النَّبِا وَكَا وَلَدُمْ بِنَا النَّبَا وَلَا النَّبَا وَلَا أَنْ كُورُ مِنا خَلاً وأَكُرُمْ بِنَا النَّبَا

قال النابغة : لقد قلت جفانك وأسيافك ، وفخرت بمن ولدت ، ولم تعخر بمن ولدك . وقالت الخنساء : تقول ، يلمسن بالضحى ، وكان حقه بالدجى ، ليحكون أكثر طراقا ، وقلت الغر" ، وكان حقه البيض ، ويقطرن ، وكان الأجل يسلن أو يفنن . . و بعض هذه الماخذ حسن مقبول ، ولكن منها للتكاف الذي يصح أن يكون مدسوساً على هؤلاء العرب الأقمال الذين لا يعرفون هذه المناقشات الفظية التي لا تدل تكرتها إلا على فساد الذوق . وأرى أن كلة يقطرن لا خبار عليها ، وليس الفيضان ولا السيولة بأبلغ في الدلالة على الشجاعة ، لأن السيف مهما كثر القتل به ، فإنه لا يزيد على أن يقطر الله م.

وقد روى بعض الكتب هذه القصة بزيادات لا شك أنها مدسوسة ، كقولهم : إن الخنساء عابت كلة نجدة ودما ، وقالت : لوقال نجدات ودماء لكان أبلغ ، وهو قول ظاهر، النساد ، فإن نجدة مصدر ، والدم اسم جنس ، وهما يدلان على الكثير والقليل سواء .

هــذا وديوان حسان رضى الله عنه مطبوع فى مصر وغيرها ، ومشروح بعدّة شروح ، ونرى أن اليقها وأقربها إلى الصحة والضبط، شرح الأستاذ الجليل عبد الرحن البرقوق ذى الآثار الأدبية الـكثيرة .

الحطشية

نشأ الحطيئة لا يعرف له نسباً صريحاً ينتمى إليه ، وكان كلما سأل أمه عن نسبه خلطت عليه القول وموّهت ، فحقد عليها من أجل ذلك كما حقد على أبيه ، لأنه يعوف أن صراحة النسب في العرب شرف لا يعدله شرف . ولكنه لم يستطع مداراة هذه الفضيحة البادية ، فكان يصرّح بقوله : أنا موضوع النسب . سأل أمه مرة عن أبيه ، فلطت عليه ، وكان اسمها الضراء ، قتال :

 ⁽١) يقال مبلته أمه : أى تكتنه ، والفياس أن يقال في الدعاء هبلت (بالبناء للمجهول) الأنه إصا يدعو عليه أن تشتكه أمه و لكن صاحب لسان العرب غل عن إين الأعرابي أنه يقال في اللحاء هبلت (بالبناء للعاعل) .

اعترفت أنها اعتلقت بالحطيثة من أوس . . و إنما ذكرنا هــــذا لنريك كيف أن الحطيثة اتخذ من هذا التاريخ وسيلة لإشباع طمعه ، و إرضاء نفسه الحريسة على المــال فإنه قام يطالب بميرائه من نواح كثيرة : طالب ابنى أوس بنصيبه ممــا خلقه أوس ، فامتنا وقالا : أقم ممنا ونواسيك ، فلم يرض حكهما ، وقال بهجوهما :

أَامَرُ ثُمَانِي أَنْ أَقْرِمَ عَلَيْتُكُمَا كَلاَّ لَمَثُو أَبِيكُمَا الْحَبَّاقِ⁽¹⁾ عَبْدَانِ خَيْرُهُمُ يُشَـِلُ الْمَبَاقِ اللَّهِيرِ فَلَاَيْمِ الرَّرَاقِ الرَّرَاقِ الرَّرَاقِ

ثم لحق بإخوته من الأقتم وسألهم ميراثه ، وتملقهم أوَّلا بالمدح ، فقال :

فأعطوه نخلات سميت بعدُ نَخَلاتِ أم مُلَيْكَة ، وهى أَمَاتَهُ امرأة الحطيثة . ثم لم تقمعه النخيلات ، وقد قام فيهم زمانا ، فسألهم ميرائه فلم يعطوه ، وضر بوه فقال :

كَنَّنْتُ بَكْرًا أَن يَكُونُوا هِمَارَتِي وَقَوَى وَبَكُوْ شُوْ تَلْكَ القبائِلِ^(٥) إذَا قلتُ بَكُوى نَبَوْتُمُ هِمِكِتِي فياليتنى مِنْ غيرِ بَكُو بنِ وائِلِ^(١) وغاضهم فعاد إلى بنى عبس وانتسب إلى أوس بن مالك .

⁽١) الحباق: الكثير إخراج الربح .

 ⁽۲) يشل : يطرد . الضبع : وسط السند . الوراق : صاحب الورق ، وهو المال: من ابل ودرام وغيرها .

⁽٣) الفرية : موضع بالبيامة مساكن بني ذهل .

⁽٤) نهن البقل: استوى على سوقه، يقول: إذا أجدب الناس ضمن هؤلاء المدوحوف لجارهم وضيفهم ماله ، لايعندى عليه ء ولا مهلك الجدب حتى يهود الخصب .

⁽٥) الصارة : أصغر من القبيلة .

⁽٦) نبوتم : تباعدتم .

ذلك هو الحطيئة الذي كان متداضاً فيه بين قبائل العرب، يأوى إلى هذه إذا غسب على تلك ، و يصحح " نسبه من واحدة إذا عتب على الأخرى .

å

اجتمع على الحطيئة اختلاط النسب، (وهى شنعة ما بعدها شسنه)، وقبح الخلقة إذ كان قصيراً ، (وقيل إنه سمى الحطيئة: لقصره) قريباً من الأرض دميا ، وسير السينين مضغوط اللحيين: وانضم إلى ذلك حرص منه على المال ، وشدة نهم إليه ، حتى كان أحد بخلاء العرب المشهودين ، وهم فيا عدوا أر بعة : الحطيئة ، وحميث الأرققل ، وأبو الأسود الدؤلى ، وخالد بن صغوان . كان الحطيئة يطرد أضيافه ، فقد مرّ به رجل ، وهو في غنم له ، فقال الرجل : بإصاحب الغنم ، فرفع الحطيئسة العصا وقال: إنها تخيراه أأمن سمّاً ، فقال : الرجل إلى ضيف ، فقال الضيفان أعددتها ، وقيل من به ابن الحامة ، وهو جالس بغناء بيتسه ، فقال : السلام عليكم ، فقال : قلت مالا ينكر ، فقال : إلى خرجت من أهلى بغير زاد . قال ما ضمنت لأهلك قراك . قال انعرف وكن ابن أي طائر شئت .

ونستطيع أن فسر بهذه الصفات التى قدّمناها بين يديك كثرة تعرضه للطلب من الناس ، وكثرة جشمه ، وقلة اقتناعه بمايسل إليه منهم ولجوءه إلى الهجاه من أجل منهم أو اعطائهم المصرّد ، فقد ذكروا أنه قدم المدينة والناس فى سنة بجدبة ، وفى خضة من خليفة ، فشى أشراف أهل المدينة بعضهم إلى بعض وقالوا : قد قدم عليناهذا الرجل وهو شاعر ، والشاعر يظن فيحقق ، وهو يأتى الرجل من أشرافكم فيساله ، فإن أعطاه بجَهَد هسه بَهَرَها ، وإن حرمه هماه ، فأجمع رأيُهُم على أن يجعلوا شيئاً ممثًا يجمدونه بينهم ، فكان أهل البيت من قريش والأنصار يجمعون المشرة والمشرين

⁽١) نات عقد . (٢) يطل .

والثلاثين دينارًا، حتى جموا له أر بصائة دينارًا، وظنوا أنهم قد أغنوه ، فأتوه فقالوا : هذه صلة بنى فلان ، وهــــنـه صلة بنى فلان . . فأخذ جميع ذلك ، ثم إذا هو يوم الجمة قد استقبل الإمام مائلا ينادى من يحملنى على بغلين وقاه الله كَبَةٌ جهنم .

وفى أخباره : أنه مضى إلى عُتيبة بن النَّهَاس ، فسأله قتال له : ما أنا على عمل فأعطيك ، ولا فى ملى فضل عن قومى ، قتال له : لا عليك ، وانصرف ، ثم لام عتيبة قومُه ، وقالوا : هذا الحطيثة ، وهو لابد هاجينا أخبث هجاء ، فقال : ردّوه ، ثم أرسل ممه وكيله إلى السوق ، وقال له : لا يطلب شيئًا إلا اشتريته له ففسل حتى قضى أربه ومضى ، وفها عتيبة جالس فى نادى قومه إذ أقبل الحطيثة ، فلما رآه عتيبة قال : هذا مقا المائذ بك يا أبا مُليكة من خيرك وشرّك ، فقال : إنى قد كنت قلت بيتين فاسمهما ثم أنشأ يقول :

سُمِيْتَ فَلَمْ تَبْتَغَلْ وَلَمْ تُشْطِ طَائِلاً فَسِيسَيِّانِ لاذمٌ عليكَ ولا خَدُ وأنتَ امرؤُ لا الجودُ منكَ سَعِيِّةٌ فَشْطَى ولا يُعْذِي على النائل الوُجْدُ⁽⁽⁾ ثم ركس فرسه وذهب .

وحديثه مع الزبرقان بن بدر يدل على الشره وقلة الوفاء ، فأما الشره فلأنه تسجل عطاء بمنيض ولم ينتظر الزبرقان حتى يمود إليه كما وعده ، وأما غدره فلأنه ترك جوار الزبرقان من غير إساءة لحقته من الرجل ، ولم يكتف بذلك بل هجاه من غير أن يكون منه إليه منع ، ولكنها النفس الشريرة كالنار تكمن فى الحطب فيؤججها عود ثقاب ، وإليك قصته مم الزبرقان ترى فيها نفس الحطيثة ودناءته وشدة جشمه .

قدم الزبرقان على عمر ليؤدّى صدقات قومه ، فقيه الحمليثة بَقَرْقَرَى^(۲۲) ، وهى أرض باليمامة ، وكان مع الحمليثة ابناه أوس وسَوْدة و بناته وامرأته ، فقال له الزبرقان :

 ⁽١) أعداء طى الأحر : ساعده عليه . الوجد : المنبىء ومعين لا يمدئ هما النائل الوجد ، ليس الننى
 مو الذى يعين المرء على السطاء . بل لا جدله من أن يكون الكرم طبعا فيه حتى يعطى (٣) أرض بالعمامة فعها قرى ومزارع ونحيل .

وقد عرفه ، ولم يعرفه الحطيئة : أين تريد ؟ قال العراق ، فقد حطمتنا هذه السنة . قال : وما تصنع بها ؟ قال : وددت أن أصادف رجلا يكفيني مئونة عيالي وأصفيه مدحي^(١) أبداً ، فقال الزبرقان : قد أصبته ، فهل لك فيه يوسمك لبناً وتمراً ، ويجاورك أحسن جوار وأكرمه ، فقال له الحطيئة : هذا وأبيك الميش قال قد أصبته عندى . قال : ومن أنت ؟ قال : أنا الزبرقان بن بدر . قال : وأين محلك ؟ فدله عليه وكتب معه كتابا إلى أمه أو زوجه لتحسن إليه ، فلحق الحطيئة بمنزل الزبرقان ، ولتى الإكرام والإحسان ، وكان للز برقان قوم ينازعونه الشرف ، وهم بغيض و إخوته ، وكانوا أشرف من الزبرقان إلا أنه استملام بنفسه ، فأعملوا الحيلة ليحوَّلوا الحطيئة إليهم ، ووعدوه وأطمعوه ، ودسوا إلى امرأة الزبرقان أن الزبرقان يريد أن يتزوَّج ابنة الحطيثة ، وكانت جميلة كاملة ، فظهرت من المرأة جفوة ، وهي في ذاك مدارية ، وكانت الأطماع من بني أنف الناقة قد اعتلجت بنفس الحطيئة ، فلما احتاج أهل الزبرقان النجعة ، قال لهم الحطيئة تقدموا وأنا لاحق بكم ، ثم لحق ببغيض وقومه ، فبالفوا في إكرامه وأعطوه لقاحًا وكسوة ، فلما قدم الزبرقان سأل عنه فأخبر بقصته ، فجمع قومه وركب فرســـه ، وأخذ رمحه ، ووقف بنادى القوم وقال : ردُّوا على َّ جارى ، فقالوا : ما هو لك بمجار ، وقد تركته بمَضيمة ، وألم أن يكون بين الحيين حرب ، فضرهم أهل الحجا من قومهم وانتهى الأمر بأن خيروا الحطيئة ، فاختار بنيضًا وقومه ، فجاءه الزبرقان ، فقال له : يا أبا مليكة أفارقت جواري عن ذمّ وسخط ؟ فقال : لا ، فتركه وانصرف .

فلو أن فى ضم الحطيثة بقية من وفاء لمدح بنيضاً ، ولم يهج الزبرقان ، فقداعترف له آنفا بأنه لم يترك جواره عن سمخط أو ذم ، ولكنه كان مع طمعه دنى، النفس ساقط للروءة لا يرى الندر إلا أمرًا هيئاً ، فقال يمدح بنيضاً ويهجو الزبرقان : وَاللهِ عَلَم مُنْ مُنْ مُنْكَم مِنْ مُنْكَم مُنْ مُنْكَم مُنْ مُنْكَم مُنْ مُنْكَم مُنْكم مُنْ

⁽١) أجله غالما له .

قوم هم الأنف والأدناب غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

 ⁽١) مرى الناقة بمريها: مسجد عها. الدوة: الله: المسح: إمرار اليد طي الضرع. الإبداس:
 التلطف الناقة بأن يثال لهما بس بس لتسكن ويدر لبنها.

 ⁽٣) المتح : نزع الماء من البئر . أمرس الحبل : أعاده إلى مجراه بعد أن يكون قد نشب چن
 البكرة والعلمو .

⁽٣) المون: الذل . الأرماس : جمع رمس، وهو النبر .

 ⁽a) أنكاس: جم تكس، وهوأصف السهام، وكان العرب إذا أسروا أسيرا خيروه بين التخلية
 مع جز الناصية وبين الأسر، فإذا اختار التخلية جعلو شعره المجزوز في كنائهم فإذا
 افتخروا أخرجوه، فهذا هو المراد بلوله « مجدا تلبدا »

فقلب اللقب من ذمّ إلى مدح ، وقد كانوا يطأطئون رءومهم لهذه الكلمة ، فصاروا إذا سئل أحدهم عن نسبه قال : أننيّ بملاً بها فه .

وسبب تلقيمهم بهذا اللقب أن جدّه قريعاً نحر ناقة ، فقسمها بين نسائه ، فبشت جفراً أَمُّه فَاتِى أَباه ، ولم يبق إلا رأس الناقة ، فقال له شأنك بهذا ، فأدخل يده في أُهم والله عنه ، فسمى أفف الناقة .

وما زال الحطيئة نازلا بالقوم حتى أحيوا ، وكانوا قد وعدوه إذا أصابهم الحيا أن يسطوه مائة من الإبل ، فجموها له ودضوها إليه مع راعيين ، فرحل عنهم وقال : لا يُبقدُ الله و رَدَّ وَدَّ أَرْضَهُم الله عَمْ وَعَلَى عَبْرُهُ الله وَ وَمَعْ مَا الله مِعْ وَالله لا يُبقدُ الله و وَمَنْ يُعْلِى الجزيل ومَنْ يَعْبُو الجليل وما أَكْدى ولا نسكدا (١) لا يُبقدُ الله من يُعْلِى الجزيل ومَنْ يَعْبُو الجليل وما أَكْدى ولا نسكدا (١) ومن تأكوي الجزيل ومن يُعْبُو الجليل وما أَكْدى ولا نسكدا (١) لا يَعْبُه لَهُ وَمَنَا الله وم ومن تأكوي المحتلف ذاك عَدا (١) إلى والله الله ورقي ورافظ عَيْبَهُ إِنْ غَلَمْ أَو شَهِدًا ويظهر أن الله را الذي غدره الحطيثة كان الإيزال يحز في ضميره ، فإنه أتى ابن عباس ، وقد كف بصره والناس حوله يستمون له ، فقال يابن عم رسول الله أفتنى . قال : فم ؟ قال : أي الله ورجل فظلمته ، وشتينى فشتمته ، وقصر بي فقصرت فوعدنى وغرفى ومنانى ، ثم أخفنى واستخف بحرمى ، أيسمنى أن أهجوه ؟ قال لا يصلح الهجاء ، لأنه لا بد أن تهجو غيره من عشيرته ، فتظلم من لم يظلمك ، وتشم من لم يشتمك ، وتبنى على من لم ينه عليك ، والبنى مرتمه وخيم ، وق الغو ما قد من لم يشتمك ، وتبنى على من لم ينه عليك ، والبنى مرتمه وخيم ، وق الغو ما قد من لم يشتمك ، وتبنى على من لم ينه عينه عالم ك ، وقسم من لم يشتمك ، وتبنى على من لم ينه عليك ، والبنى مرتمه وخيم ، وفي الغو ما قد من لم يشتمك ، وتبنى على من لم ينه عليك ، والبنى مرتمه وخيم ، وفي الغو ما قد

 ⁽١) يحبو : يسلى . أكدى الرجل : حتر فصادف الكدية (الصبرة العظيمة) ويقال سأله فأكدى: أي وجده مثله: ويقالماً كدى الرجل يمنى بخل. نكد: منع العظاء أوأعطى قليلا
 (٢) اجرهدت الأرسى : لم تنبت . الصفا : جم صفاته وهي الصيغرة العظيمة لاتنبت . صلد: صله .
 (٣) ثلبنا : فرحا مبتهبا .

علمت من الفضل . قال الحطيئة : صدقت و بررت ، ثم لم يلبث الحطيئة أن عرف ، فقال له ابن عباس : أجرول ؟ قال : نمم . قال ابن عباس : لله أنت أى مردّى قذاف (٢٠ ، وذائد عن عشيرة ، ومثن بعارة تواها يا أيا مليكة ، والله لوكنت عَرَّكْتَ بَعِنبكُ بعض ما كرهت من أمر الزبرقان كان خيراً لك ، ولقد ظلمت من قومه من لم يظلمك ، وشتمت من لم يشتمك . قال : إنى والله بهم لعالم ، ثم أنشأ يقول :

أَنَا أَثُنَّ بَمِدَتَهِمْ عِلْمَا وَتَجْرِبَةً فَسَلْ بِسِتْدِ نَجِدْنَى أَعْلَمَ النَّاسِ^(۲)
سفدُ بن زيد كثيرٌ إِنْ عَدَدَتْهُمُ وَرَأْسُ سَفْد بن زَيد آلُ سَمَّاسِ اللَّمْ عَلَى اللَّمْ عَلَى اللَّمْ عَلَى اللَّمْ عَلَى اللَّمْ عَلَى اللَّمْ عَلَى أَبَا الشَّاسِ كَالَوَّاسِ وَالزَّبْرِ عَلَى اللَّمْ عَلَى اللَّمُ عَلَى اللَّمْ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّمْ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللِّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهِ عَلَى اللْهِ عَلَى اللَّهُ عَلَى اللْهُ عَلَى اللَّهُ عَلَى الْعَلَمُ عَلَى الْعَلَمُ عَلَى الْعَاعِمُ عَلَمُ عَلَى اللْعَلَمُ عَلَى اللْعَلَمُ عَلَمُ عَلَمُ

Æ.

أما موقع قول الحمليثة من الزبرقان ، فقد كان شديداً جدًا كان حملًا لكرامته وسلباً لمروءته ، فهم ذلك الزبرقان من قوله : « واقعد فإنك أنت الطاعم الكامى » ، عرف كا يمرف كل خبير بالأسلوب العربي أن مراده أنك ضميف الحمة ، زيرالمروءة (٥٠ لا مطمع لك في الحياة إلا أن تكون آكلا كاسياً . ذلك هو منتهى أملك ، ومرتقى سميك ، فلست للرياسة ، ولا للدفاح من المشيرة ، فكأنه قد سلبه بهذه الكلمة جميع صفات المجد ، وحلى الشرف ، وهو خبث من الحطيثة ، ولؤم ضريبة ، ومعوفة بمواطن صفات المجد ، وحلى الشرف ، وهو خبث من الحطيثة ، ولؤم ضريبة ، ومعوفة بمواطن الإيلام من النفوس ، يأتبها من أيسر الطرق بلاجلبة ولا ضوضاء ، أثراء كيف جل

⁽۱) المردى : حجر يرمى به ، ويقال للشجاع هو مردى حرب أو مردى قذاف .

 ⁽٧) البيدة : الأصل ، وياطن الدىء ، والصسراء ، ويقال : أنا ابن بمشها : أى العالم، بها والضدر المحراء .

 ⁽٣) الماء في «يسمد» يمسى عن كفوله تعالى «سأل سائل بعذاب والهي» . وسعد :هي الفييلة
 الكبرى التي يرجم اليها آل شماس والزبرةان

⁽٤) زمر المروءة : قليلها ، ويمال فلان زمر الشعر : أى قليله ، فزمر عسى قليل.

هجاءه فى صورة نصح يسديه إلى هذا الذى يعنّى نفسه فى طلب المجد ، وهو غير قادر عليه ولا يملك أدواته من كرم وشجاعة وغيرها ، فيقول له فى لهجة الناصح :

دَع الْمُكَارِمَ لاَ تَرْحَدُلُ الْبُغْيَةِ] وَأَصُدُ كَافِلْكَ أَنْتَ الطَّاعِمُ الْكَامِي ويلك على سناعة هذا الهجاء أن عر لما اشتكى إليه الزبرقان قال : ما أرى هجاء وهو العالم بموضع الإيداء في الكلام ، ولكنه يريد أن يدرأ الحدود بالشبهات ، ثم حكم الشعراء ، فكان منهم إجماع على فحس هدذا الهجاء ، فإن حسان قال : لم يهجه ولكن سلح عليه وقال لبيد : ما يسرني أن لى مُحْرَالتَّمَم، وأنه قد قيل في هذا البيت . ولم يعرف الحمليثة موقف لم يُصِيخ فيه إلى داعى شرهه إلا حين طلب منه هجاء

ولم يعرف للحطيئة موقف لم يضيخ فيسه إلى داعى شرهه إلا حين طلب منه هجاء أوس بن سُمُدى ، وكان النصان قد أقدم إليه وفود العرب وقال : أحضروا غداً فإنى ملبس أكرمكم حلة ثمينة فتخلف أوس ، فلما جلس القوم لم ير النصان أوسا فيهم ملبس أكرمكم حلة ثمينة فتخلف أوس ، فلما جلس القوم لم ير النصان أوسا فيهم فطلبه ، فلما حضر ألبسه الحلة ، فسده قوم من أهله وقالوا للحطيئة : اهجه ولك ثلثانة تاقد ، فتما قال : كيف أهجو رجلا لا أرى في بيتي أثاثاً ولا مالا إلامن عنده ، ثم قال :

كيف الهجاء وما تنفك صالحة من آل لأى بظهر الغيب تأتيني

ä

وقد رأيت أن الحطيفة على هجنة نسبه وقبح منظره ، و إلحافه في السؤال كان مهيبًا مخشى الجانب ملتى بالإكرام من كل من عرفه ، والاعتذار من كل من سبقت إليه منه جفوة ، وماذلك إلا لأنه كان سفيهًا حقير الشأن لا يتحرج من عيب ، ولا يترف عن خسيسة فهو يهجو ، وقد أمن أن يهجى و يؤذى الناس في أعراضهم على حين لاعرض له يحرص على تفاوته ، ولو قال الناس فيه لذهب قولهم هباء . هذا هو السر الذي جمل الحطيفة يخلم عذاره ، و يطلق لسائه في أعراض الناس لا يبالى أبن وقع ولو رأى الناس له عرضاً برى لوجلوا مكان القول ذا سمة ، فهو كما قال القائل :

نَجَا بِكَ لُوْمُكَ مَنْجِي الذُّبَا بِ خَتْهُ مَقَاذِيرُهُ أَنْ بُصَادًا

Å.

كان الحطيئة فاسد الدّين ، وقد تميلي هذا الفساد فى ارتداده بعد وفاة رسول الله وتهكمه بأبي بكر حين ولى الخلافة ، وقد قال فى ذلك :

أطمئنا رَسُولَ اللهِ إِذْ كَانَ بَيْنَنَا فَيَالَسِادِ اللهِ مَا لِإِّبِي بَحَصِرِ أَيُورِثُهَا بَكُرًا إِذَا مات بعده و رَبِّكَ لَمو اللهِ قاصمة الظَّهْرِ كا يتجلى ذلك الفساد أيضاً فى نهشه الأعراض ، وقد نهى الدين عنه وفى عودته للمجاء بعد أن تاب على يد عمر وعاهده ألا يعود . فلما مات رجم إلى ما كان فيه من سب الناس كا ترى ذلك ظاهراً فى حديثه مع ابن عباس ، فإنه بعد أن أفتاه بحرمة المجاء لم يبرح مجلسه حتى هجا الزبرقان ، وإنك لترى فى وصيته وقد احتضر أن جمل للإناث من أولاده مثل حظ الذكور ، وفى بعض الوايات أنه حرمهن ، فلما قيل له : إن هذا غير ما قضى الله . قال : لكنى هكذا قضيت .

Å,

لم يكن الحطيئة صادقاً فى قوله حتى يصح أن تنخذ قوله فى كل أحواله دليلا على ذات نفسه ، فقد اختلف قوله وناقض ضلّه فى كثير من الأمور ، ولمل السبب فى ذلك أنّه ولع بالمبانفة فى للدح رجاء لما فى أيدى الناس كما بالغ فى الهجاء ، وادعى على الناس ما ليس فيهم حين يئس من عطائهم ، ومن أمثلة تلك المناقضات التى وقست فى شعره ، وخالفت فعله قوله :

ولستُ أَرَى السادةَ جُمَ مالِ ولكنَّ النَّتِيَّ هُوَ السَّعِيدُ وَمَا لاَ بُدَّ أَنْ يَأْتِي فَرِيبٌ ولكنَّ النَّدى يَمْفِى بَمِيسَدُ فإنك إذا قست هذا القول بما تعلم من جشمه وبخله وفساد دينه تجد أنه يقول بلسانه مالا يوقن بجنانه ، و إلا فحا الذي حله على جم المال وهو ينتقد أن السمادة في غيره . ١٥ - أدب - ١٠

وهو الذي يُعَدُّ له من حكمه قوله:

مَنْ يَفْسَلِ الْحَقِيرَ لا يَعَدَّمْ جَوَالَوِيَهُ لاَ يَذْهَبُ الْمُرْفُ يَقِنَ الله والنَّاسِ (١) ثم نِفْسَ الله والنَّاسِ (١) ثم لا نشر له في أخباره على عارفة أسداها أو كلة طيبة يرجو ثواب الله عليها حتى إنه في وسية وقاته. قالوا له : هما تقول في عبيدك و إمانك ؟ قال : هم عبيد ماعاقب الليلُ النهاز ، وقيل له أوص الفقراء بشيء ؟ مقال : أوسيهم بالإلحاح في المسألة ، فإنها تجارة لاتبور .

وقال رجل: دخلت على الحطيئة، وهو مضطجع على فراشه و إلى جانبه سودا. قد أخرجت رجلها من تحت الكساء، وقال له: و يحك! أنى رجلك خف ؟ قال: لا والله ولكها رجل سودا. ، أندى من هى؟ هى والله التى أقول فيها:

وَآثَرْتُ إِذْلَاحِي على ليل حُرَّةً فَضِيمٍ الْخَشَا حُسَّانَةِ للتُجَرَّدِ^(٢) تَفُرَّقُ بَالمَدْرَى أَثِيثًا نَبَاتَهُ عَلَى وَاضِحِ الدَّفْرَى أَسِيلِ الْتَسَلَّدِ^(٢) والله لو رأينها يا أخى ما شربت الماء من يدها . فانظر كيف وصفها بالحسن مع موضعها من الفتح وسوء رأيه فيها .

ومن كذبه يمدح نفسه بالكرم ، وقد علمت مقدار بخله .

وقد عليت هندُّ على النأي أُنَّنى إذَا عَدِموا يُشرًا لَفِيمَ للُمُكَلَّفُ ُ أَرْدُ الخَاصُ البُزْل والشمسُ عَيَّةُ إلى الحَىِّ حَي يُوسِع التَّسَيَّفُ⁽¹⁾

 ⁽١) قال الزخميرى في أساسه : الجوارى ألطاف الله وأسباب رحمه وأنشد هذا البيت ثم قال:
 أو أواد جم جازية بمني الجزاء .

⁽٣) الادلاج: السر أول الليل والادلاج (بتشديد الدال) السير آخره (وزيادة المبنى تدل على زيادة المبنى . مضيم الحنا : دولية الحصر . حسانة : شديدة الحمن . التجرد : مصدر ميمن الجمرد ، أواسم مكان يمين الجمس ، وكل ذلك بنتج الراء المشددة . وقد تكسر الراء على معرز السر الماعار وبراد به الجمس .

الراه على معنى أم الفاعل وبراد به الجسم . (٣) المدى : المنط. الأثيث : الكتيف ، والمراد به النسر . الذفرى : العظم النابت خلف الأذن ، وهدير الكلام على عننى واضع الذفرى .

⁽٤) الهذف : الابل الحوامل، أو المشار التي أن عليها من خلها عصرة أشهر، والواحدة خلفة

وكنتُ إذا دارتْ رَحَى الأَمْرِ رُعْتُهُ بَمْغُلُوجَةِ فيها عن السجز مَصْرَفُ^(١) .

شـــــــــــره

أساس القول في شعره أن تقول: إنه تلميذ زهير وراويته وراوية آله من بعده ، وقد علمنا أن زهيراً كان ينقح شعره ويصفيه ، وأن له الحوليات التي لم يكن يظهرها حتى يأتي عليها الحول وقد ورث عن زهير خير ما يرث تلميذ عن مصله ، فإن تتوافيه أسر قوافى زهير ، ولقوله نقاء قول زهير ، وخارة من للماظلة والتعقيد ، ثم له حكمته الشي شاعت شيوع حكمة زهير ، حتى قال أبو عمرو بن الملاء : إن أصدق بيت قالته العرب أ

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس فقيل له فقول طَرَفة :

سَتَبْدِی لَکَ الْأَتَّامُ مَا كُنْتَ جاهلاً وَيَأْتِيكَ بِالْأُخْبَارِ مَنْ لَمُ ثُرُوّدِ فقال من يأتيك بها ممن زودت أكثر ، وليس ببت قائنه الشعراء إلا وفيه مُطمَن إلا قول الحطيثة هذا .

وقد مر بك من حكمته قوله : (ولست أرى السمادة جم مال) .

و إنك لتراه فى كلّ مجال قوى اللفظ مجتمع ، شريف للمنى بارعه ، لم يمدّ عليه الناقدون كما عدوا على غيره ، بل لقد عقبوا أقواله بأحكام تجملها فى الذروة من كلام المرب ، فلقد قال حماد الراوية: سمت أبى يقول ، وقد أنشد قول الحطيثة الآنى أماإنى ما أزعم أن أحداً بعد زهير أشعر من الحطيثة ، وهذا قوله :

ينتح فكسر (واستعمال المفرد (ادر) . البزل: جم بازل وهو الجل ، أو النافة في السنة التاسمة وليس بعده سنّ تسمى . أوسع الرجل : سار ذاسعة . المتضيف (بصيفة الفاعل) الضيف ، من قولهم: تضيفته أي نزلت ضيفا عليه .

⁽١) الْحَاوِجة : النزيمة . مصرف : معبدر ميسي يمني الانصراف .

وَفِيْهَانِ صَدْق مِن عَدِيّ عَلَيْهِمُ صَفَائْحُ بُصْرَى عُلِّمَتْ بالعَوَاتِق (١) إذا ما دُعُوا لم يَسْأَلُوا مَنْ دعاهمُ ﴿ وَلَمْ يُمْسِكُوا فَوْقَ القَاوِبِ الْحُوافِقِ وطاروا إلى الجُرْد العتاق فأَكْبَوُا وشَدُّوا على أوساطهم بالمناطق أُولئك آبَاء الغريب وَغَاثَةُ الْســـــَصَريحِ وَمَثْوَى الْمُرْمِلينَ النَّرَادِقُ (٢٠) أَحَاوا حِياضَ لَلُوْتِ فَوْقَ جِبَاهِمِمْ مَكَانَ النَّوامِي من وُجُوهِ النَّوَابِقِ (٤٠ وكان ابن شُرُّمَة يقول : أنا والله أعلم بجيد الشعر ، ولقد أحسن الحطيثة حيث يقول في آل كُمَّاس قوم بغيض :

وقد جُزْنَ غَوْرًا واستبانَ لنا نَجْدُ أَلاَ طَرَ قَتْنَا بِعَدَ مَا هَجَمُوا هِنْدُ على غضاب أنْ صَلَدُتُ كا صَدُّوا وإن التي نَكَنْبُهُما عَنْ مَعَاشِرِ أتاهم بها الأحلامُ والحَسَبُ العِدُّ⁽⁶⁾ أتتْ آلَ شَمَّاسِ بن لَأْيِ وإنمـا فَإِنَّ الشَّقِيُّ مَنْ تُمَادِي صَدُورُكُمْ وَفُو الْحِدُّ مَنْ لَانُوا إِلَيْهِ وَمَنْ رَدُّوا ِ يَسُوسُونَ ۚ أَحَلامًا سِيدًا أَنَاتُهَا ۖ وَإِنْ غَضِبُوا جَاءِ الحَفيظةُ والجِدُّ⁽¹⁾ أولئك قومُ إِنْ بَنَوْا أَحسنوا البنَّي وإنْعاهدوا أَوْفَوْا وإِن عَقَدُوا شَدُّوا (٢٠) وإنْ كانت النَّشاء فيهم جَزَوًا بها وإن أَسْمُوا لاَ كَدَّرُوها ولا كَدُّوا⁰⁰

⁽١) السدق : الشدة في التتال . بسرى : مدينة بالشام . وصفائح بسرى : الدروع .

⁽٢) الناطق : جم منطقة (بكسر الم) وهي مايفد على الرسط .

⁽٣) غالة: جم غالث . الصرخ : طالب النصرة . المرمل : التقير . العرادق : جم دردق وهو العبي النقير .

⁽٤) عبارة حياض الموت: ممناها للتية . السواجى : جم ساجى، وهو الجواد .

⁽٥) المدّ: القدم . (٦) الحيظة : الحية .

 ⁽Y) عقدوا : أي عقدوا الألوة للمرب . شدوا : اشتدوا في الحلة .

⁽٨) الضبير في كدروها للتممة الفهومة من ألسوا . والمراد تكديرها بللن . وكدوا : أي أتمبوا، والراد أتعبوا المتم عليه بطب الشكر .

و إن قال مولاهم عَلَى جُلَّ حادِثِ من الدهمِ رُدُّوافَصْلَ أَحَلامِكُمُ رُدُّوا مطاعين فى الهيجاء مكاشيف للدجى بنى لهم آباؤهم و بنى الجَسسد وقد بكى عمر من شدَّة الثأثر حين أنشد الحطيثة ، وقد أحضر من سجنه للمحاكمة فى أمر الزوقان :

ماذا تقولُ لأقواخ بندى مَرَخ وَخْف الحواصلِ لا مانه ولا شجو (() أُقيت كاسِبَهُم في قَشْ مُثْلِلَة في الفنو عليك سلامُ الله يا مُحَر (() أُنت الإمامُ الله يا مُحَر في المنت الإمامُ الله يا مُحَر في الله الله يَوْثِرُ وَكَ بِهَا إِذْ قَدَّمُوكَ لَما لَكُنْ لأَنْشَهِم كانت بها الأنتر (() فائن على صنية بالرَّفل مَسْكَهُم بها الكِنْ لأَنْشَهِم كانت بها اللهَر (() فائن على صنية بالرَّفل مَسْكَهُم من يعن الأباطى تَنشاهُم بها القرر (() أُفل في فنداولة كمّ بيني وينتهم من عرض داوية تعلى بها المُبُر (() لقد حاول الحقيقة أن يؤثر في نفس عمر والتس كلَّ ذرائم التأثير الذي عرف أن البشر يفسون لها ، قوصف حال بنيه من صفر وقتر ، ثم التمن التأثير بالمدح الذي يملأ النفس كبراً وعقله . ولكن عمر لم يتأثر من كلَّ هذا إلا بوصف الصبية ، فإن دموهم استهلت عند قوله : ماذا تقول لأفراخ ، وهذا عهدنا بسر . ولو أن خليفة من بني أمية استهلت عند دولسة عده الدولة ، وبيان مقدار غرام خفاتها بالملدح .

وقال الحطيئة بمدح بغيضاً ، وما أكثر ما قال فيه وفى قومه ! حتى قال المتقدمون : إن الحطيئة استفرغ شعره فى بنى قريم . قال :

⁽١) مرخ: وإد بالحباز . زغب : جم أزغب، وهو الفرخ يعاوه الريش الأصفر .

 ⁽٢) الظلمة هنا : البئر، وكان الحطيئة قد حيس فيها .

 ⁽٣) الماليد : جع مقلاد كنتاح وزنا وسنى . أألهى : جع نهية ، وهى المقل، أو النهى مقرد.
 يمنى المقل أيضا .

⁽٤) أَلاَثُرَ : جُمَّ أَثرة وهي الفضيل .

⁽٥) القرر : جَمَّ قرة وهي البرد .

⁽٣) الهاوية : الصحراء الراسة . الحبر : جم خبير، وهو العالم بالفيء .

تَرُورُ فَقَى يُعْطِي عَلَى الحَد مَالَهُ وَمَنْ يُنْظِي أَثَمَانَ المحامد يُحَدِّدِ الرَّورُ فَقَى مِن يُنْظِيهِ اليومَ نائلا بِكَدِّيْهِ لا يَتْنَمَّهُ مِن نائلِ النّدِ مَعْلِدُ وَهُو الْمَارَةُ لَلْهَالِمُ النّدِ مَعْلِدُ وَهُو اللّهَ مَا اللّهُ مَاللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ مَا اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللهُ اللهُ

نُشَبُّ لِقُرُورَيْنِ يَصْـــــطَلِياتِهَا وباتَ عَلَى النَّارِ النَّدَى والْمُعَلَّنُّ حتى قال الحطيثة : منى تأته . . . فأخل ببت الأعشى .

A

لم يمرّ بك من قوله فى الهجاء إلا ماجاء فى حديث الزبرقان ، أو النهكم بأبى بكر ، ولكنك تستطيع أن تتمثل حقاً إغراقه فى الذمّ وروحه الخبيثة فيه من تصويره لبخيل فى قوله :

كَدَحْتُ بأطفارى وأعملتُ مِثْوَلى فسادفت جُلُوداً من الصخر أملسا^(۲۲)
تشاخل لما جئتُ فى وجه حَاجتى وأطرَقَ حَى قلتُ قَدْ مات أوصى وأجستُ أن أشاهُ حين رأيتهُ كَيْوَتُ ثُواقَ الوتِ حَى تَنَفَّسا⁽¹⁾
وقاتُ له لا بأس لستُ بعائد فأفرَح تعلوه الدَّيادِيرُ مَلْبسا^(د)
وغريب أن يكون هذا من شاص جلعلى ، وهم لم يعرفوا بغير بساطة الفطرة وسسذاجة الفكرة ، قالبعد في الخيال إلى هذا الحدّ بجسل هذا البخيل قد مات من خوف الاستجداء ،

⁽١) مفيد : مستفيد : أي كاسب . متلاف : مضيع . "بهلل : قرح واسلبصر .

⁽۲) تىشو : تاسىد .

 ⁽٣) كدح: كد واجتهد .
 (٤) أجم : عزم . العواق : ما يأخذ المت عند الاحتضار .

 ⁽٥) أَفْرِخ: سكن وهداً. السادير: ضف البصر، أو في، يتراءى للالسان من ضف بصره عن سكر أو دواد .

وأنه أجمع أن يشسيع فى الناس موته ، وأنه بعد ذلك ننفس فتركه ليستعيد روحه ، فذلك ما لا نعرفه إلا لمن كان كابن الرومى من شسحراء الدولة العباسية ، وقد نشأ فى لملدنية ، وتقلسف بدواسة آراء الحكماء .

ومن أمثلة شعر الحطيئة التي تجمع نقاء اللفظ ، وجزالة التركيب ، ودقة الوصف قوله يصف أعرابيا جواداً صاحب صديد ألوظ للغلوات ، ويصف ما كان من نزول الضيف به وحيرته لعدم وجدانه ما يطعمه ، ثم ما كان من سسسنوح حمر الوحش! واصطياده منها وسروره بتوقعه لإكرام ضيفه :

وطاوى ثلاث عاصب البعلن مُرْمِلِ

بِيَبِدَاء لَم يَشُوفْ بها ساكنُ رَسْمَا()

أخى بَجْوة فيه من الأنس وَحْشَةُ

وأفرَ في شيب عَبُوزاً إزاءها

ثلاثة أشباح تَعَالَمُهُم بَهَا()

وأفرَ في شيب عَبُوزاً إزاءها

خلة عراة مااخت ذَوا خُبْز مَلَة

ولا عرفوا للرِّر مَد خُلِموا طَشَا()

وقال عَيَا رَبُّهُ ضَيْتُ ولا قِرِي

غلل ابنسه له لم رآه بحَيْرة

ولا تعتلر بالمُدْم عل الذي طَرَا

ينان لنا مالاً نيُوسِمَنا ذَمًا(ه)

ولا تعتلر بالمُدْم عل الذي طَرَا

ينان لنا مالاً نيُوسِمَنا ذَمًا(ه)

ولا تعتلر بالمُدْم عل الذي طَرَا

⁽١) الطاوى : الجائع . علات : أي ثلاث ليال .

⁽۲) أخى جفوة : صاحب جفاء .

⁽٣) الشعب : الطريق فيالجبل . البهم: اسم جنس واحده مهمة. وهي ولد الضأن ذكرا أوأنق

⁽٤) الملة : الرماد الحار .

⁽ه) طرا : مسهل من طرأ : أى آتى . يقال وسع الرجل المسكان (بجمل الرجل فاعلا) على سبيل الفلب والأصل وسع المسكان الرجل . ومنى الأول يقال أوسع فلان الرجل المسكان فيصدى الفسولين ، ومنه قوله: يوسمنا ذماء بجمل « نا » مفسولا أوّل، فإن اعتبرت مفسولا ثانيا خرج السكلام على الأصل .

فيينا هم عَنَّ على البُعْلِ عانَةً قد انتظبت من خَلْف مِسْعَلها تَظْمَا (١) عطاشاً ثريدُ للماء فانساب نحوتها على أنَّهُ منها إلى دَمِها أَظْمَا فَأَمْنَهَا حَق تَرُوَّتُ عطاشها فَأَرْسَلَ فيها مِنْ كَنَانَتِهِ سَهْمَا فَحُرَّتُ عَمُوسُ ذَاتَ عَجْشِ سَمِينَةٌ قد اكتنزتُ لحَا وقد طُبِقَتْ شَعْما (٢) فيا يشرَّهُم كَمَّا رَأُوا كُلْهَا يَدْمَى وبالوا كراما قد قَصُوا حق صَيْفِهِمْ وما غَرِمُوا غُرْمًا وقد عَلَيمُوا غُمْنا ووبات أبوهم من بَشَاشَتِهِ أَبَّا لِضَيْفِهِمُ والأَمْ مِنْ يَشْرِها أَمَّا ووبات أبوهم من بَشَاشَتِهِ أَبَّا لِضَيْفِهِمُ والأَمْ مِنْ يَشْرِها أَمَّا والله المربى وإننا بوجود هذه اقصة السجيبة في شمر الحليثة نرد على من يرعم خاق الشعر العربي من القصيص ، فهذه قصة لاينكر منكر انساقها وتسلسل معانبها ، وهو ما يطلبون تحققه في القصيص .

å.

ونحن و إن كنا قد روينا ظمأك من شعر الحطيئة ، وجعلناك تلمُس فيه أنه مدّاح هجاء وصّاف متين فى كلّ للمانى والأغراض يتناولما أحسن تناول ، لا نحب أن نختم قولنا فى الحطيئة ، حتى تطلمك على هذه القصيدة فى وصفه للجيش وعظمه ، ومقدار بلائه فى المدوّ ، وذلك فى معرض مدحه الوليد بن عُقّبة أخى سيدنا عبّان بن عفان ، وقد جم جيشاً للقتال :

أَبِّي لِاَبْنِ أَرْوَى خَلَتَانِ اصطفاها قتالُ إذا يَلْتِي السَّدَّ ونائلُهُ ٣٠

⁽١) (عنَّ كَشَرَبُ وتَسَرَ) ظهر. النالة: الفطيع من حر الوحش، للسحل: الحار الوحمى .

 ⁽٢) التحوس: الأثان الى لا ولد لهاء أوالى منها السن من الحل . الحيش : ولد الحمار .
 اكتنز : امتلا لحل .

 ⁽٣) أورى: هى أمثيان والوليد، وهى بنت كرز بن ريمة . والسكلام فيالبيت يحتاج إلى تتمة
 وهى منسول أبى وهديره : اللهم . يسى أن هاتين الحلتين : الثنال والنائل أبنا قوليد أن
 يلمخه عليه ذم .

سنانُ الرَّدَيْنِيِّ الأَضِّ وعاملُه (⁽¹⁾ فتی علاً الشَّیزَی ویَرْوَی بَکَفَهٔ يُصِعُ السبيعَ جَرْسُهُ وصواهل يَوْثُمُّ العدوَّ حيثُ كان بِجَمَّغَلَ إذا حان منه منزلُ الليل أَوْقَلَتْ ﴿ لَأَخْرَاهُ فَى أَهِلَ اليَّفَاعِ أُوائْلُهُ (٢٦ بِشِبْعِ من السَّحْلِ العتاقِ منازلُه (٢) تَرَى عافياتِ الطايرِ قِد وَثِقَتُ لَمَـا يُتَوِّدُن بِالْأَسْطَانِ ضُخْمًا جِعَافُلُهُ (١) بناتُ الأغرَّ والوَجِيهِ ولاَحِقِ يقي حاجيه ما تُثير قَنَابِلُهُ^(٠) يظلُّ الرداء العَمْبُ فوق جبيته وكمَّ مِنْ حَمَانِ ذاتِ مِل تَرَكَّمَا ﴿ إِذِ اللَّيْلُ أَدْجَى لَمْ تَجَدْ مَنْ تُبَاعِلُهُ ﴿ وذى سَعَةٍ فى داره أنتَ ناقله وذِي عَجَز في الدار وسعت دارَه رَجَاءَ الربيعِ أُنبتَ البقلَ وابلُه وإنَّى لأرجوه وإنَ كان نائيًا لِزُغْبِ كَأُولَادِ الفَطَارَاتَ خَلْقُهُا ﴿ عَلَى عَاجِزَاتِ النَّهْفَى مُمْرِ حَوَاصُلُهُ ﴿ ۖ عَلَ هذه هي حياة الحمليثة ، ويظهر أنه قد عاش طويلا ، لأنهم يقولون: إنه عمر في الجاهلية وبتي في الإسلام حيناً ، فإذا علمنا أنه مات في خلافة معاوية سنة ٥٩ ، وأن حياته في

 ⁽١) الشيزى : الفصيمة . الأصم : المصبت (شير الأجوف) . عامل الرمج : صدره ومقدمه.
 والرمج يماله له رديني أو سمهرى . وردينة وسمهر كانا رجسالا وامرأته يسلان في تثقيف الرماح فلسبت إليهما .

⁽٢) اليفاع: مفرد بمسى التل

⁽٣) العافيات : جم عافية بمسى طالبة الرزق . السغل: جم سخلة ، وهي ولد العبَّان ماكان .

 ⁽٤) الأغر والوجية ولاحق: خيول مفهورة. الأشطان: جم شطن، وهو الحبل.

 ⁽a) السمب : من برود البن . التنابل : جم قنبلة بنتج الفات ، وهى الطائمة من الحيل أوالناس.
 (٦) أنت الخله : أى من السمة إلى الضيق .

 ⁽٧) رات : أيشاً . وقوله راث خلفها : أى أبطأ كبرها لضف غذائها . النهض : الغهوض .
 الضبير في حواصله عائد إلى الحلق . والمني أنى أرجو هذا السكريم الأولادى الذين يشبه أحديم فرنم اللطا الذي أبطأ تسكر نه فسير عن النهوض .

أضفنا إلى ذلك أنه راوية زهير، وأن زهيرًا علش حتى أظله الإسلام ومات فى طريقه إلى النبى وهو شيخ فانِ ، فلابدً أن يكون قد شارف للـائة أو زاد عليها .

وله ديوان شعر قد طبع فى مدينة لبسك سنة ١٨٩٣ م قامت بطبعه الجمعية الألمانية الشرقية ، ثم طبع فى مصر والشام بشروح مختلفة ، وله شرح خطئ فى دار الكتب للمكتبة المصرية ، وتجد أخباره فى ديوان مختارات ابن الشجرى ، وفى طبقات الشهراء لابن تعيبة ، وفى الأغانى ، والمقد الفريد ، والمستطرف وخزانة الأدب ، وجهرة أشعار الوب وغيرها .



العصالأموئ

13 - 771 4

كان قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه فتحاً لباب فتنة ظل السلمون بقاسون جرائرها أمداً طويلا. فإن آل بيته وهم بنو أمية امتنموا عن مبايعة الخليفة الذي بايعه جهور المسلمين ، وهو على بن أبي طالب رضى الله عنه . وكان السبب الظاهر الذي يبديه معاوية كبير الأمويين ووالى عر ، ثم عثمان على الشام ، أنه يجب قبل تولية خليفة لمسلمين أن يبحث عن قتلة عثمان فيقتلوا به ، فكان من ذلك حجاج فقتال بين على ومعاوية ، ثم تبع ذلك خروج جاعة من رجال على عليه على أثر السيسة التي دشها معاوية ورجاله من رفع للصاحف على الرماح والمطالبة بتحكيم كتاب الله ، وكان على يرى خطأ هذا الرأى ، ويعلم مبعث تلك الفتنة ، فلم يقبل التحكيم أو لا ، ثم رضى به إيساداً لباب من أبواب الشر، وإطفاء لجانب من فتنة اندلعت الستها من كل ناحية ثم كان من تمام المسيسة أن ادى معاوية الخلافة لأن صاحب على من الحكين خلع عليًا وصاحب معاوية أقر معاوية : واستمر على يقاتل حى اغتاله أحد الخوارج في الذي بايعه أصحاب أبيه إلا التسليم العاجل لمعاوية - لأنه لم يكن من الحسن على الن على الذي بايعه أصحاب أبيه إلا التسليم العاجل لمعاوية حقناً للدماء وإخادا الثورة . وكان ذلك في أواخر ربيع الأول سنة ٤١ ه .

الخيلانة والملك

التلبت ولاية السلمين من خلافة إلى ملك ، فكان من آثار ذلك أن عادت السعبية الجاهلية جذعة قنية واسمة النطاق متعددة النواعى ، فهى من ناحية بين بنى هاشم آل النبي وأحق الناس بولاية أمر الناس من بعده ، وبين بنى أمية أندادهم فى شرف الجاهلية الذين لم يكن لهم فى بده الإسمام نصيب من الشرف وللكافة تتأخرهم عن تلبية دعوته . فاتضلوا من قتل عثمان سبيلا إلى استبدادهم بالأس ، وزحزحة الماشميين عن مقام يقرهم عليه جمهور الناس . . . ثم هى من ناحية أخرى بين الينيين ، ومنهم الأنسار الذين رأوا أن يبقوا على عهد رسول الله بنصرة آل بيته ، و بين المضريين الذين يتألف منهم جيتر معاوية بالشام .

كان من هم معاوية أن يمهي المصبيسة التي عمل النبيّ وخفاؤه على قتلها ، لأنه يرى فى حياتها صرفاً للمرب عن التفكير فى اغتصابه للسيادة ، ثم خضدًا لشوكتهم بجمل بأسهم بينهم ، وفاقرا بعد ذلك باصطناع من يريد اصطناعه منهم . وكذلك فعل فإنه لم يقتم بانحياز المضرية إليه حتى ضمّ قبيلة كلب من الينية إلى حظيرته بأن تزوّج منها بحقار أم يزيد ابنه .

وكان فى حياة هذه العصبية حياة لكثير من أمور الجاهلية من المهاجاة والفاخرة . وفاحش الغزل والاجتاع فى الأسواق بظاهر الكوفة « الكُناســـة » ، أو بظاهر البصرة « للرتبد » .

ألا جِل اللهُ البيانين كلَّهُمْ فِدَّى لقتى الفتيان يحبي بن حَيَّان

ولولا عُرَيْقٌ فَى من عسبيةٍ لقلت وألفاً من مَمَدّ بن عدنان ولكنّ نسس لم تطب بشيرتي وطابت له نسسي بأبنا. قسطان

وقد قوى أمر هذه العصبية حتى صار فى كل " بلد من بلاد الإسلام حزبان : مضرى و يمنى يتازعان المنزلة بتقلب الأحوال ، واختلاف العمال ، و بلغ من شأن هذه العصبية أن حملت فى توليسة الخلفاء والأمراء ، فقد نصرت اليحنية الأمو بين بعد موت يزيد ، وطلبت الحلافة لابنه خالد ، ولكن كبار بنى أمية رأوا تولية مروان بن الحكم على أن يكون الأمر بعده خالد ، فلم يك مروان له . وظلت اليمنية تناصر الأمو يين حتى كانت أيام هشام ، فكانت القيسية نصيرته ، واستمر الحال كذلك إلى آخر أيام الدولة .

ولماً مات يزيد بن الوليد أقامت القيسسية مووان بن محمد خليفة لأنه كان يطالب بدم يزيدمستجديًا بذلك عطف القيسية ، وكانت أم يزيد منهم .

وكما أعانت العصيبة الأمويين أيام دولتهم ، كانت سبب التضاء على ملسكهم ، فإن شــــيمة بنى العباس إنما كانت من اليمنية ومن انضر " إليها .

وكان معاوية يتفس اللموائم لاستتباب ملكه ، والجتاع الأمر بيده ، فكان يملم على أعدائه فيقبل من العلوى أو العلوية التجبيه فى مجلسسه و بين أمرائه ، و بمسم من حجابه ، ثم لا يكون منه إلا إجزال العطية والحل على أوطأ مركب وهو القائل لمعرو ابن العاص فى بيان سياسته : ولوكان بينى و بين الناس شعرة ما انقطعت .

قال عموه : وكيف ذلك يا أمير للثومنين ؟ قال : إن هم شدّوا أرخيت ، وإن م أرخوا شددت .

كذلك عد إلى الألسنة تقطعها بالمال ، فكان يصل المطاء أو يقطعه و يزيد فيه أو ينقص على حسب ما تقضى السياسة ، حتى لقد جمل عطاء الحسين والحسين ماثتى ضمف لما كان علية أيام عمر بن الخطاب تقدكان خسة آلاف درهم فجلماً ألف . وقد صار الحجاز ، وهو موطن أبناء المهاجرين والأنصار مثابة للهو والترف لمكثرة ما أغدق عليهم معاوية وخافاؤه من المطاء ليوقعوهم في أسر اللهو وليشغلوهم عن للطالبة بالخلافة .

ولقد تعمدوا أن يملئوا عليهم المدينة بأسباب الفساد . فتهاونوا فى إقامة حدود الشرع بهة حتى شربت الحتر، وارتكبت الفواحش، وصارت أكثر بلاد المسلمين محنثين ومغنين، ومنها انتشر الفناء فى المملكة العربية .

ولم يقف معاوية وخلفاؤه فى أمر مال السسلمين عند توزيعه بنير العدل بين مستحقيه بل لقد تعد يوم إلى من الايستحق ذلك المال بمن لم يشهد موقعة ، ولا كان من أبناء المجاهدين ، فجعاوا للشعراء نصياً فى ييت مال المسلمين ، وتلك بدعة ابتدعوها ليقطعوا بها ألسنة هؤلاء وليلقوا لأنفسهم الرعب فى قلوب الناس بما يبالغ به هؤلاء فى وصفهم ، و يرفعون من شأنهم : وما زال الشعراء يأخذون أعطية من يبت المال حتى ولى عربن عبد العزيز ، فأبعل ذلك فها أبطله من مظالم بنى أمية .

ولقد كان للمصبية التي عم أمرها في هسذه الدولة أثر عظيم في احتفاظ بني أمية بالصبغة العربية لا يبدلون بها غيرها ، ولا يحاولون الخروج منها ، بل لقد زادوا تعلقاً بحياتهم الأولى ، فأنشئوا أولادهم بالبادية ، وتقتوه برواية الشعر ، وعقدوا المجالس للسعر به ، وأرساوا في طلب رجاله ليسألوا أحدهم عن بيت أو قصيدة ، وأكثر من كان يفسل ذلك هشام بن عبدالملك ، ثم أجزاوا العطاء على ذلك ، فشدت إليهم الرحال ، وتنافس الناس في الزلني إليهم بطريف الأخبار ، ونادر الرواية ، ووجدت آداب الجاهلية سوقا نافقة ، وحن الشعراء والخطباء إلى جزالة الجاهلية . بل لقد أحيوا مازهد فيه الترآن من الحوشي والغريب . وهذا الفرزدق برى تقاد الشعر أنه أحيا ثلث السربية في شعره . كذلك كان من أثر هذه المصيية ، وترفع العرب عن أهل البلاد الفتوحة وعدم تعويلهم على غـــــير العربى ، أن اجتهدوا فى تحويل الدواوين فى كلّ الأمصار إلى. العربية ، فكانت الدولة عربية فى كل مظاهرها من جيش وولاة وعمال ، وتركوا محاقر الأمور ، (وهى فى نظرهم الزراعة والصناعة) إلى الموالى وأهل البلاد الفتوحة ، ظم يكن عمل العربى إلا السياسة والرياسة .

انتشار اللغة في عصر بني أمية

تم على أيدى الحلقاء الرشدين الفتح لأغلب للممور من الدنيا ، وصاحب الفضل في. ذلك هو حمر بن الخطاب الذي كانت جيوشه تقاتل في المشرق وللغرب ، فوصلت شرقاً إلى نهزى السُّلد، وجيمون ، وفتحت في الغرب مصر و بلاد الشام متوغلين في شمالهـا .

وفى أيام بنى أمية وصلت الفتوح إلى الهند والصين شرقا . وشملت جميع بلاد الأندلس غربًا . ووصلت إلى السودان جنوبًا ، وبلاد سيبريا شمالا ، وملكوا كذلك جزر البحر الأبيض المتوسط بأساطيلهم ، وحاول معاوية فتح القسطنطينية كما حاوله سليان بن عبد الملك ، فامتنعت عليه لمتانة أسوارها ، وشدّة فعل النيران الإغريقية بسفن العرب .

و إلى أغلب هذه البلاد نزح العرب من جزيرتهم تاركين حرّ الصحراء وفعطها الى بلاد أكلها دائم وظلها ، فأقاموا متوطنين ، وعمّروا الأمصار ، وخالطوا أهل البلاد بالتعامل فى الأسواق ، وتبادل للتاجر وللصاهرة والنسرّى ، فكان العربي يعقد على الأمجمية أو يملكها بحكم الفتح ، فيقب منها الأولاد الهجن (١) الذين لاتخلص عربيتهم.

⁽١) في القاموس الحيط جم المدين هبن (بشم فلتم) وجم المدينة هبن (بشم فسكون) والهبين من أبوه عربي وأسه غير عربية . وعكسه القرف (بشم لليم وسكون الفاف وكسر الراء) وهو من أبوه أنجسى وأمه عربية .

لحمياتهم رطانة أمهاتهم ، أو حواضهم الروميات ، أو الفارسيات ، أو القبطيات ، فينشأ ناشئهم ملتاث اللهجة مشطرب لللكة ، فكان هذا وَهُنّا دخل على اللغة لم تسهده أيام انزواء أهلها في جزيرتهم .

و إلى جانب هذا الفساد الذى طرأ على لللكات استفادت اللغة أبساراً ، وكثر عدد المتكلمين بها ، فإن هؤلاء الأعاجم كان لابد للم أن يتعلموا لغة أسياده بحكم للماشرة والمخالطة تقربا إليهم وزلق ، على أنه لم يقف أمر هؤلاء الأعاجم عند حذق التخاطب باللغة ، بل إنهم تعلموا العربية دراسة ، وقرموا القرآن وزاولوا علومه ، وقرصوا الشعر ليستفيدوا بما يدره الحلفاء من جزيل العطاء على العلماء والشعراء ، على أن الدين كان من عوامل نشر اللغة أيضا فان جميرة البلاد المفتوحة كانوا يدخلون فى الإسلام نفضيلا بله على وثنيتهم أو دياناتهم القديمة ، أو فراراً من أداء الجزية التى يدفعها من يبق على دينه من أهل البلاد المفتوحة ، فكانوا يتعلمون العربية لفهم الدين وأداء الصلاة .

و إن هذا لفوزٌ للمر بية لم تفلفر به لغة من الفنات منذ عمرت الدنيا ، فإن الإسكندر الأكبر مثلاقد استولى حقا على أكثر العمور فى زمنه ولُـكن ملكه لم يلبث أن تقلص فلم يكن للغته تفلب على اللماخلين فى سلطانه . على أن سلطان المسلمين قد زال عن بعض المبلاد المفتوحة ، و بقيت فيها اللغة العربية مصاحبة الدّين .

🐪 🦠 قيام اللغة بمقتضيات الملك والسياسة

لقد كانت دولة بنى أمية ملكاً عضوضاً لم يقم على أساس التقوى ، وتوزيع المدالة بين الناس وإعلاء كملة الله كما كان الشأن فى الخلافة أيام الحلقاء الرائســـدين الذين اجتهدوا فى ترسم آثار النبي ، والحيلولة بين العرب وبين التورط فى مفاسد الدنيا وعاجل ضيمها ، بل إن بنى أمية إنما طلبوا الملك إشباعا لنهمتهم إليه ، واستعادة لنصيبهم من الرياسة الذى كان لهم فى الجاهلية ، فحرمهم منه تأخر إسلامهم إلى حين الفتح ، فان أبا سفيان كبيرهم وأولاده ، ومنهم معاوية ظاوا على الكفر حتى لم يجدوا من الإسلام بدا . لذلك لم يكن أبو بكر يثق بينى أمية ، فحال ينهم و بين الولايات والأعمال وجعل ذلك من نصيب للهاجرين الأوّلين ، ولقد شكوا إليه حالهم ، فقال لهم : « لقدجتم الإسلام متأخرين ، فأدركوا إخوانكم بالجهاد » فجاهدوا في حرب الرّدّة . .

ولمـا تولى عمر عرف ما فى نفوسهم من التطلع إلى السيادة ، فرى بهم الروم ، ورغبهم فى الشام . واستممل يزيد بن أبى سفيان ثم أخاه معاوية على الشام ، فعادت إلى بنى أمية الرياسة التى كانت لهم فى الجاهلية .

فكانوا جديرين وقد حسارا على الخلافة أن يجيلوها ملكاً عنبوضاً ، فاستكثروا من الحجاب والحرّاس ، ولم يظهروا للناس إلا في المواكب الحافلة بالجند تحفّ بهم ، وقد شهرت السيوف وشرعت الرماح . وكذلك أنشئوا الأساطيل تقاتل في البحر (١٦) المواعدة جيوشهم في البرّ حتى لقد قلدوا الفرس في اتخاذ الموسيقي للجيش تفخياً لأمر الملك وإرهاباً بسلطانهم . وكذلك اتخذوا البريد لتسرع الأخبار من أطراف الملكة ، وأوّل من اتخذه معاوية وجل مقرّه دمشق ، ثم ينفرج عنها إلى نواحى المملكة . كذلك ضربوا النقود ، وأنشئوا ديوان الخاتم ، وديوان الخراج إلى غير ذلك من مظاهى الملكة التي كانت على أيامهم يقتبسكونها من فوس وروم ومصريين ، لا يتحرّجون من شيء منها ، ولا يتناهون عن بدعة فيها لم يصلها السلف الصالح .

لقد استشيرت اللغةالمربية في تسمية هذه المستحدثات والمحالحات ، فنهضت بما طلب منها . فن ألفاظ في تمييزالجند من مرتزقة ومتطوّعة ومهاجر وأعرابي إلى أسماء لأنواع

⁽۱) لما ألح ساوة هلى عمر أن يأذن له في ركوب البحر ورغب في الشئمة من وراه فاك كتب عمر إلى عمرو بن العاص أإن يسف له البحر فكتب إليه: إن رأيت البحر خلفا كيما يركه خلق صغير ليس إلا السياء والمساء . إن ركد أحزز الفلوب ، وإن المر أثر أزاع المقول نزداد فيه اليمين فلة والشك كثرة ، عم فيسه دود على عود ، إن مال غرق وإن مجا برق د مين برق : تمير لايطرف، أو دهم أنظم يصر وبابه غرح أو اصر » .

الأدوات المستعملة في الحرب ، كالدَّبالة ، والكبش ، والعَرَّادة ، والنجنيق ؛ وأسماء الحَمَلات ، كالشواتي ، والصوائف ؛ إلى مصطلحات الدواوين ، كقولهم : الثغور ، والعواصم، والأقاليم ، والقصــــبات ، والعمل ، والولاية ، والحكومة ، والسُّكة ، والتوقيم ، والوظيفة ، والمرصد ، ودار الضرب ، والدفاتر ، والجرائد ، والحرائط . كما عرَّ بوا ألفاظاً سموها من جيرانهم ، وكانواعتاجين إليها في معيشتهم، فمن ذلك الطُّست، والطبق ، والقيروز ، والباور ، والكُمُّك ، واللوز ، والدولاب ، والميزاب ، والجاموس ، والفرسيخ ، والبند ، والشُّكُّر ، والطُّنبور . والغالبة (١٦) . ولقد كان من نهوض اللغة بمتضيات الملك أن حوالت دواوين الخراج إلى العربية ، وكانت منسف عهد الخلفاء الراشدىن تكتب في المراق بالفارسية ، وفي الشام بالرومية ، وفي مصر بالقبطية . ففي أيام عبد الملك بن مروان تمكن الحجاج من تحويل ديوان المراق إلى المربية على يد صالح ابن عبد الرحمن مولى بني تميم ، وأبوه من سبي سجستان . وكان صالح يكتب بالمربية والفارسية لزادان فروخ بن بيرى كاتب الحجاج . فلما قتل في فتنة ابن الأشهث وهو خارج من موضم كان فيه إلى منزله استكتب الحجاج مكانه صالحًا ، فأبدى للحجاج أنه يستطيع نقل الديوان إلىالمر بية ، فعزم عليه الحجاج أن يفعل . فقال له الفرسالذين خافوا القطاع أرزاقهم من هذا العمل : كيف تصنع بدهويه وششويه ؟ فقال : أكتب عُشْرًا ونصف عُشْر، فقيل له : وكيف تصنع بوَ يُد؟ فقال أكتب: أيضاً فقال له قائلهم : قعلم الله أصلك من الدنيا كما قطمت أصل الفارسية ، وبذلت له الفرس مائة ألف درهم على أن يظهر المجز عن ذلك ، فأبي إلا نقل الديوان فنقله . فكان عبد الحيد بن يحيى يقول : الله در صالح ما أعظم منته على الكتاب (أي من العرب) .

⁽١) نوخ منالطيب ، وأول من مماه هوسليان بن عبد الملك .

الرسائل سليان بن مسرور ، فقال : لو شئت لحوّات الديوان من الرومية إلى العربية ، فقال افعل وأنظره سنة ، فلما وقف سُرّجُون على عمل سليان ، قال لـكتاب الروم : اطلبوا الرزق من غير هذه الصناعة فقد قطعها الله عنكم .

أما ديوان مصرفقد كان بالتبطية ، وحوّل فى أيام الوليسد بن عبد الملك على يد عبد الله بن عبد الملك بن مروان أمير مصر ، فصرف عنه أنتناش ، وجعل عليسه ابن ير بوع الفزارى من أهل حمس .

و بذلك خلصت أعمال الدولة للمرب ، وقد كان ديوان الجند والرسائل ، وجميع مرافق الدولة عربية لم يكن ينقصها إلا ديوان الخراج حتى حوّل .

طروء اللحرب على اللغة

تعتاز اللغة السريسة من بين أغلب اللغات بميزة الإعراب ، وهو مراعاة أواخر المكانات ، وتغيير حركاتها باختلاف الأساليب . وتلك للراعاة دقيقة لا تتم إلا لملكة سليمة لم تشبها شائبة ، وهي سليقة العرب الخلص الذين سلموا من المخالطة ، وعاشوا في وسط الجزيرة آمنين لوثة الألسنة ، متجاهين عن مخالطة القرس في ريف العراق أو الروم في تشارف (۱) الشام ، أو المند في البحرين ، أو القبط على حدود مصر . فتغلب و بكر جاوروا الفرس ، وعبد القيس وأزد ممان خالطوا المنسد ، واللخميون وقضاعة وضان عاشروا الروم ، فكانت لغاتهم غير هية لأثر الجوار ، أماقريش وتقيف وهذيل وكنانة وغَطفنان وأسد وتم ، فهم أقصح العرب وأصرحهم لغة لبعده عن الخالطة ، وكنانة وغَطفنان وأسح من الخالطة ، وهؤلاء هم الذين سلمت لنتهم من اللحن ولم يجرب على أحدم خطأ ، ولذلك قيل : إن العرب إن المصيح لا يخطئ ، لأن الاعراب جزء من لهجته لا ينفص عنها . وقد قال العرب العرب المناسبة لا ينفص عنها . وقد قال

 ⁽١) مثارف الثام: قرى من أرض العرب تدنو من الريف منها السيوف المصرفية .

ابن جنى فى الخصائص: إذا اتفق شىء من مخالفة الوجوه للمروفة فى الاعراب ، فإن كان العربية فلا مصدة على الاعراب ، فإن كان العربي فصيحاً حمل ذلك على أنه قد وقع إليه من لفة قديمة قد طال عهدها وعفا رسمها وتأبّدت ممالها . وقد قال أبو عرو بن الهلاء : ما انتهى إليكم بما قالت العرب إلا أقسسله . وقال : إنما نحن بالإضافة إلى من كان قبلنا كبقل فى أصول رَقْل (نخل طويل) .

و إذا كان قد وقع لحن على أيام النبيّ ، فإنمـا ذلك على ألسنة قوم طارئين على العرب من الموالى وللتمرّ بين ، كسّلمان الفارسى ، وكان يرتضخ لـكنة فارسية ، و بلال مولى أبى بكر وكان يرتضخ لـكنة حبشية ، وصهيب ، وكان يرتضخ لـكنة رومية

فقد حدث أن رجلاً لحن بحضرة النهيّ ، فقال : « أرشدوا أخاكم فقد ضلّ » ، كا حدث أن كاتب أبي موسى الأشمرى كتب عنه كتابا إلى ابن الحطاب فلحن ، فأرسل إليه عمر أن قنع كاتبك سوطاً . وكان ما كتبه هو قوله فى أوّل الكتاب : « .. * أن مدمور .. . » .

كان ذلك قليلا معدوداً في أيام الحلقاء الراشدين لقلة اختلاط العرب وقرب عهدهم بالبداوة ، وسلامة لللكات ، فلما انساحوا في البلاد ، وخالطوا أعلها ، ونشأ أولادهم من السبايا بسمون مجمدة أمهاتهم وحواضهم ، وكثر الساخلون في الإسلام من أهل البلاد للفتوحة ، وأقبلوا على العربية يتعلمونها ليرهنوا أسيادهم من العرب ، وليقرءوا بها القرآن و يقيموا المسلاة ، فشا اللمن ، وتعدى الأعاجم وأبناءهم إلى العرب الخلص لكثرة ما كانوا يسمعون من الخطأ ، فنسلت ملكاتهم حتى كان الخلقاء وكبار الدولة يدرءون هذا السبل الجلوف ، والمديب اللاحق عن أينائهم بتنشئتهم في الصحراء ، أو إحضار للملين من أفسح الناس وأعلهم ليروضوهم على الفصاحة منذ الحداثة .

وما زال رجال هذه الدولة يرون اللحن عاراً لازماً لا تمحى سوءته ولا تزول سبته . لفلك قال عبد لللك بن مروان ، وقد سئل عن سبب إسراع الشيب إليه : شيبنى ارتقاء للنابر وتوقع اللحن . وهو القائل : الإعراب جال للوضيع وهجنة للشريف . وكانت جماهير العرب تحضر مجلسه ، وتنادى كلّ طائفة باسم قبيلتها ، فيقال مثلا : لتقم همّدان ، ولتقم تميم : أى من حضر من رجال هــــنــــنه القبائل . فكان عبد الملك يستسقط من يلحن .

واستأذن عليه رجل من علية أهل الشام ، وبين يديه قوم يلمبون بالشَّطْرَ نَج ، قتال : يا غلام غطّها ، فلما تكلم الرجل لحن ، فقال عبــــد الملك : يا غلام اكشف عنها النطاء . ليس للاحن حرمة .

ولقد عدّوا من اللحّانين: عبد الله بن زياد وكانت أمة فارسية . والوليد بن عبد الملك أشفق عليه أبوه ، فلم يرسله إلى البادية ، فتربي بالمصر، وتملّم العربية بالصناعة فعرض لكلامه اللحن، وخالد بن عبد الله القسرى ، وكانت أمه نصرانية ، وكان من أبلغ الناس وأخطيهم ، ولكن عدّ عليه بعض اللحن .

كذلك كانت السلامة من اللحن شرفا عظها يعد مناخر الرجل ، ولقد ذكروا أن أربعة لم يلحنوا فى جد ولا هزل : الشعبي ، وعبد الملك ، والحجاج ، وابن القراية ، وكان الحجاج أفصحه ، على أنه قد نسب للحجاج لحن فى بعض المواطن ، فقلد قال للشعبي يوما : كم عطاوك ؟ فقال أفهين . قال الحجاج : ويحك ! كم عطاؤك ؟ قال ألفان ، قال الحجاج : فل خلت فها لا يلحن فيه مثلك ؟ قال : لحن الأمير فلحنت ، وأعرب فام بت ، ولم أكن ليلحن الأمير فأعرب أنا عليه ، فأكون كالمقرع له بلحنه ، وللستطيل عليه بفضل القول .

وكان اللحن يقع فى محادثتهم وحوارهم ومعتاد كلامهم ، فكان محتملا مع الفضاضة وقد أسرعوا بوضع النحو لتلافيه ، فلما طنت للصيبة بوقوع اللحن فى القرآن ، ولم يكن وضع النحو كافياً لتسمداركه ، أعملوا الحيلة ، فاهتدوا إلى ما سنبينه فى موضوع الشكل والإعجام .

أمثلة من اللحن وضعف الملكة

كان الوليد بن عبد الملك لحانة ، فدخل عليه أعرابي ، فقال له الوليد : من خَتَنَكَ ؟ قال : رجل من الحلي لا أعرف اسمه ، فقال عمر بن عبد العزيز : إن الأمير يقول : من خَتَنُك ؟ فقال : هو ذا بالباب ، فقال الوليد لممر : ما هذا ؟ قال : النحو الذي كنت أخيرتك عنه ، فقال : لا جرم لا أصلي بالناس حتى أتسله .

سمع أعرابي رجلا يقول: أشهد أن تحداً رسول الله ، فقال: يفعل ماذا ؟ وجاء رجل إلى زياد ، فقال: إن أبينا هلك ، وإن أخينا غصبنا ميراثنا من أبانا ، فقال زياد ما ضيعت من نفسك أكثر مما ضيعت من ميرائك ، فلا رحم الله أباك حين ترك ولها مثلك .

اختصم وجلان إلى عمر بن عبد العزيز فجملا يلحنان ، فقال الحاجب : قــا فقد آذيتمــا أمير المؤمنين ، فقال عمر : أنت والله أشد إيذاء لى منهما .

وقال بشربن مروان (وعنده عمر بن عبد العزيز) الملام له : ادع لى صالحاً ، قتال الغلام : يا صالحاً ، فقال : بشر ألق منها ألف ، فقال له عمر : وأنت فزد في ألفك ألفاً .

صعد يزيد بن عبد الملك للنبر ، فقال فى سبّ على : لُصّ بن لُعبيّ ، فقال أعرابى كان تحت المنبر : فى قوله أنجو بتان ، أنه رمى عليًّا بأنه لصّ ، وأنه بلغ من ججله أن ضمّ لام لمصّ . وقال الوليد بن عبد الملك لأبيه : يا أمير المؤمنين . اقتل أبي فُدَيك (١٠) ، وقال مر"ة لفلامه : يا غلام ردّ الفرّسان الصادان عن الميدان .

وخطب يومًا فقرأ فى خطبته : ليتها كانت القاضيةُ (بالرفع) ، فقال عمر بن العزيز : عليمنا وأراحنا الله منك .

. قال يوسف بن خالد التيمى لمسرو بن عبيد: ماتقول فى دجاجة ذبحت من تفاتها؟ ققال له عمرو: «أحسن» . قال من تفاؤها ، قال «أحسن» ، قال من تفاءها ، قال له من عنّاك هذا ؟ قل من تفاها واسترح وسمع يوسف هذا يقول حتى يشِجه ، وهى مضمومة ، وكان يقول : هذا أحمر من هذا يريد أشد حمرة منه .

وقال رجل لبعض الأعراب : كيف أهليك (وكسر اللام) ، فقال قبلا بالسيف إن شاه الله . فهم العربي أنه يسأله عن موته ، ولوقال « أهلُك » لأجابه .

وقيل إن أوّل لحن سمم بالبادية قولهم: هذه عصاتى ، وأوّل لحن سمع بالعراق : حىّ على الفلام بكسر الياء وهي مفتوحة .

ومن ضمف الملكة والعجز عن تأدية للمنى بألفاظه للوضوعة له ، وذلك أنكى من اللحر وأدل المنكوب المحرب وأدل المنحوبة ، قول عبد الله بن زياد يوما للجند : « افتحوا سيوفكم ، وقد عيّره بذلك يزيد بن مُفَرَّخ ؟ بقوله :

و يوم فتحت سيفك من بعيد أضت وكان أمرك الضياع ومثل ذلك ما وقع لخالد بن عبد الله القسرى ، فقد عدّوا عليه أنه قال مرّة : أطمعونى ماء ، وقد عيّره بذلك يحيى بن نوفل ، إذ يقول :

بلّ المنابر من خوف ومن وهَلِ واستطعم الماء لما جدّ فى الهرب وألحن الناس كلّ الناس فاطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب وقال المبرّد عن خالد القسرى «كان متقدما فى الحطابة ومتناهياً فى البلاغة، فخرج

⁽١) أحد الحوارج تنسب إله طائفة العديكات.

 ⁽٢) مبي مفر" عا آلاه راهن على أن يصرب عما من ابن فصر به حتى فرغه .

عليه المنيرة بن شُمْنة بالكوفة في عشرين رجلا فمطمطوا به ، فقال خالد وهوعلى المنير : أطمعوني، ماه فعير بذلك ، فكتب إليه هشام في رسالة يعيره بذلك ، وقال يحيي بن نوفل:

لأعلاج ثمانية وعبـــــــد لئيم الأصل فى عدد يســـير هتفت بكل صوتك أطمونى شرابًا ثم بلت على السرير

وذكر عن يزيد بن اللهلب أنه لم تؤخذ عليه زلة فى لفظ إلا واحدة . فإنه قال على المنبر (وقد ذكر عبد الحبيد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب) ، فقال هذه الضّبُّمة العرجاء ، فاعتدت عليه لحنًا ، لأن الأنثى ضَبُّم والذكر ضِبْفان

وبسبب من العمن وضعف الملكة تلك المكنة ، وهى العجز عن وضوح اللهجة وصحة مخارج المروف ، فقد حكوا أن زيادا النبطى وكان شديد اللسكنة دعا غلامه ثلاثا، فلما أجابه قال : « من لدن دأوتك ، فقلت لبي إلى أن جثنى ماذا كنت تصنأ » ، يريد دهوتك وتصنع . وكانت أم نوح و بلال ابنى جرير أعجمية ، فقالت يوما : « يا نوح جردان دخل في عجان أمك » ، تريد أن الجرذ أ كل عجينها . وأهدى إلى زياد حار وحشى ، فقال له مولاه أهدوا لنا هار وهش ، فقال زياد : « أي شيء تقول » . قال زياد الثاني شرة من الأول .

وقال بعض الشعراء في أمَّ ولد له يذكر لكنتها :

أكثر ما أسمع منها في السحر تذكيرها الأنثى وتأنيث الذكر

• والسومة السوآء في ذكر القمر •

ومن لكنة عبيد الله بن زياد أنه أملى على كاتب له ، قتال : اكتب الهـا صل ألف كر ، فكتبها بالمـا با أن فلن الله على الكاتب ، فلما فلن كر ، فكتبها بالمـاء كا لفظ على المجتمعة على الجهل ، قال : أنت لا تهسن أن تحكتب ، وأنا لا أهسن أن أملى أكتب الجاصل أنف كر فكتبها بالجيم .

وضبع النحو

يمدّ العرب أسبق الأمم إلى وضع قواعد النحو ؛ فإن الرومان واليونان والفرس وغيرهم لم يفكروا فى مثل ذلك إلا بعد قرون مرّت على انتقالهم من البداوة ، والذى حدا بالعرب إلى هذا الإسراع هو ما امتازت به لنتهم من حركات الإعراب ، فإن الفساد إلى هذه أسرع لدقة فروتها ولكثرة دواعيها .

بدأ العرب بوضع النحو ولم يقفوا في الإسلام إلا نصف قرن . و يروون في أحر وضمه روايات مختلفة ، فيعضها يدل على أن عليا كرم الله وجهه هوالذي فكر في ذلك إذ يذكرون أن أبا الأسود دخل عليه ، فوجد في يده رقعة ، قتال له : ما هـ نم المير المؤمنين ، فقال : إلى تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحراء ، لا يعنى الأعاجم » ، فأردت أن أضع شيئاً يرجعون إليه ، ويستمدون عليه ، ثم ألقي الوقعة إلى أبى الأسود ، فإذا فيها : الكلام كله اسم وضل وحرف . فالاسم ما أنياً عن المسمى والقعل ما أني به والحرف ما أفاد معنى . ثم قال على الأبي الأسود : المح هذا النحو ، وأضف إليه ما وقع إليك . واعلم يا أبا الأسود أن الأسماء ثلاثة : ظاهر ومضو والم لا ظاهر ولا مضمر ، وأراد بذلك الاسم المجم . قال أبو الأسود : ثم وضعت بابى السطف والمستما ، إلى أن وصلت إلى باب إن وأخواتها ، فلم أذ كر والست ، ثم بابى التحو من قال على على عليه السلام أمرنى بضم لكن إليها . وكنت كلال لكن يحت على النحو من ذلك .

ومن هذه القصة نرى أن عليًّا يمدًّ واضع النحو ، لأنه أوَّل من أ لأبي الأسود طريق الوضع بقسيمه الكلام والإسم إلى أقسامها و يذكرون غير ذلك وهو أن ينتاً لأبي الأسود نظرت فى الساء ، ثم قالت لأبيها : ما أحسنُ الساء ؟ فقال : نجومها ، فقالت : إنما أردت أن الساء حسنة ، فقال لها : قولى ما أحسنَ الساء ! ثم لما أصبح دخل على على كرام الله وجهه ، فقص عليه قسة ابنته ، وقال : إننى أخاف أن يفسد لسان العرب بمخالطة هذه الحراء . فأذن له على " فى أن يضم النحو، فكان أوّل ما وضعه أبوالأسود الدوّل باب التعجب ، ثم أتبعه بكثير من الأبواب سدًا لما كان يسع من الحطأ ، فوضع باب العطف و إن

وذكر ابن الأثير فى المثل السائر: أن أبا الأسود دخل على ابنته بالبصرة ، فقالت أنه : يأبت ماأشدٌ الحرّ ؟ فقال أما ألك. أنه يا أجد الله أما ألك. فأتى عليًّا كرّم الله وجهه ، فقال له : ذهبت لفة العرب ، ويوشك إن تطاول عليها الزمن أن تضمحل ، فقال له : وما ذاك ؟ فأخيره بالخير ، فقال : هلمٌ جميفة ، ثم أملى عليه : الكلام لا يخرج عن الم وطل وحرف .

ويقال إنه أتى زياد بن أبيه ، وقال له : إنى أرى العرب قد خالطت الأعاجم ، وتغيرت ألسنتها أفتأذن لى أن أصنع ما يقيمون به ألسنتهم ؟ فقال لا ، فلما خرج من عنده دخل رجل على زياد ، فقال : أبها الأمير : مات أبانا وخلف بنون ، فقال زياد : ردّوا على أبا الأصود . وقال له : اصنع ما كنت نهيتك عنه .

وعلى هذه الروايات يكون أبو الأسود هو صاحب علم اننحو ، لأنه أوّل من فكّر فيه ، ويكون علىّ عليه السلام بمكان المساعد إن صحّ أنه قال له : الكلمة اسم وضل وحرف ، وعلى هذا فانح يا أبا الأسود .

ومما روينا نرى أن الفضيلة فى وضع هذا العلم ترجع إلى أحد رجلين عرفا بالفضل : فأما أحدها وهو على فهو إمام مشهور بسله ، وقد دعا له رسول الله حين أرسله إلى العين قاضياً ، فقال : « اللهم اهد قلبه وثبات ليسانه ، ، وهو حلال المشكلات فى الفقه ومسائل الميراث ، والذى يقول عنه رسول الله : « أَتْضَا كُمُ عَلِيْ » ، ويقول عنه عمر ابن الخطاب رضى الله عنه : « لَوْ لاَ عَلِي ۖ كَمَلُكَ عُمَرٌ » ، كما يقول : « لاَ يُعْتِينُ أحد والتسجيد و تملي حاضر " . وأما تانيهما : فهو أبو الأسود النؤلى المشهور بالذكاء المشارك في كلّ فن من فقه وشعر وحديث و بديهة حاضرة ودها، مشهور . فليس بكثير عليهما أن يتعاونا في وضع النحو ، وهو الذي حفرت إليه ضرورة فساد اللسان ، فأقست على ولاة الأمر ، مضاجعهم خوفاً على القرآن ، ولسنا بحاجة إلى أن نقول ما يدعيه بعض من أن أبا الأسود لم يضع النحو إلا بعد أن عاشر السريان بالعراق وتعلم لفتهم ، وتقل معنى أن أبا الأسود لم يضع النحو إلا بعد أن عاشر السريان بالعراق وتعلم لفتهم ، وتقل السب القريب بين اللفتين ، مستداين بأن أقسام المكلمة في جميع اللفات واحدة السريانية ، وهسندا هو والله السجب! ! فإن أقسام المكلمة في جميع اللفات واحدة الا يختلف ، ولو أن أبا الأسود تقل نحو السريانية إلى الموبية لوجب أن ينقله جلة ،

ولم يقف أسر الوضع فى النحو عند ما ضله أبو الأسود ، فقد أخذ عنه جماعة ، منهم : عنبسة الفيل ، وسيمون الأقرن ، ونصر بن عاصم ، وعبد الرحمن بن هرمز ، ويحيى بن يممر وكلهم من البصرة ، فنشأ علم النحو بصريًا ، ودرس فى مساجدها ، ونشأ فيا حولها ، حتى ألف فيه عبد الله بن أبى إسحق الحضرى كتابًا فى الهمز ، وكان رئيس الناس وواحدهم فى هذا العلم فى عصره .

و بقيت الكوفة لا تشتغل بالنحو حتى أغللت القوم الدولة السباسية ، فظهرت فى الكوفة طبقة أخذت عن أبى عمرو بن العلاء ومعاصريه من البصريين .

وقد غلا ابن فارس غلوًا قبيحًا حين زعم أن العرب العاربة كانوا يعرفون النحو والعروض بمصطلحاتهما ، وكان ذلك بتوقيف من قبلهم حتى ينتهى الأسر إلى الموقف الأول ، وهو الله سسسبحانه وتعالى الذى علم آدم الأسماء كلها . قال ثم أتت الأيام على هذين العلمين ، وقلا فيأيدى الناس حتى جدّد النحو أبو الأسود ، وجدّد العروض الخليل بن أحمد .

وهذا قول ظاهر البطلان لا يستحق الاحتفال الحضه.

الشكل

لم يكن الخطر الذى وصل إلى العرب مضبوطاً بالحركات والسكنات ، بلكان خلوا منها ، فكلمة حمل مثلا تصلح أن تكون فعلا أو اسماً ، وكان التميز بالقرائن ودلالة السياق .

ولما انتشر الإسلام واختلط العرب بالسجم ، ونشأت النابتة من الهجناء وللقرفين، وخشى أن يتطرّق الخطأ إلى القرآن ، فكروا في تدارك هذا اللسان قبل استفحال النساد . وحدثت عدّة حوادث استفزتهم إلى النهوض لصيانة القرآن واللغة . فوضع أبو الأسود الدؤلى النحو بمعونة سيدنا على" . وتعلم من أبى الأسود كثيرون ، منهم : يحيى بن يَعْشِرِ ، ونصر ابن عاصم ، ولكن ما وضعه أبو الأسود من النوابط لم يصدُّ التيار الجارف ، فطلب زياد بن سُمَيَّة أو ابن أبيه أو ابن أبي سفيان كما كان يكنيه بنو أمية ، وكان عامل البصرة من قبل معاوية ، طلب من أبى الأسود أن يضع طريقة لإصلاح اللسان ، وقال له : إن هذه الحراء قد كثرت وأفسدت من ألسنة العرب ، فلو وضمت لنا شيئًا يصلح به الناس كلامهم ، ويعر بون به كتاب الله ، فامتنع أبو الأسود أن يضع ذلك ضنًّا بمـا يعرف ، ولأنه موتور من بني أمية لعزله عن البصرة بعد موت على وضى الله عنه ، وكان من شيعته وواليه عليها . فاحتال زياد على أبى الأسود بأن جمل رجلاً يتمد في طريته ، ويتعمد اللحن في القرآن ، فعمل الرجل ذلك ، وقرأ : « إِنَّ ٱللَّهَ بَرِي، مِنَ الْمُشْرَكِينَ وَرَسُولِهِ ﴾ (بكسر اللام) ، فاضطرَّ أبو الأسود أن يجيب زيادًا إلى طلبه ، وقال له : الجنى كاتبًا ، فأرسل له ثلاثين اختارهم واحدًا ، وقال له : خذ صبغًا يخالف لون المداد ، فإذا رأيتني فتحت شفتي بالحرف فانقط واحدة فوقه ، و إذا كسرتهما فانقط واحدة أسفله . وإذا ضمتها فاجعل النقطة بين يدى الحرف . (وكان الساكن يترك بلا نقط) ، فإذا أتبعت شيئًا من هذه الحركات غنة ، فانقط خطتين ، وما زال يقرأ بتأنّ ، والكاتب يسمل بمــا أمره حتى أتمّ القرآن . وكان الصبغ الذى اتخذه الكاتب أحمر ، ولون للداد أسود .

واتبع الناس طريقة أبى الأسود ونوّعوا فيها ، فكانوا إذا رأو الحرف الذي بعد المتوّن حرف حلق وضموا تقلقين إحداها فوق الأخرى علامة على أن النون مظهرة و إلا وضموها متجاورتين علامة على الإدغام أو الإخفاء . وهذا مثال يبيّن لك طريقة أبى الأسود في الشكل . :

سَلَام .. قولاً من رب رحيم

هذا كلّ ما عمله أبو الأسود فى ضبط الحروف بالشكل ، وقد زاد أهل المدينة للمحرف الشدّ د علامة على شكل القوس طرفاه من أعلى هكذا : () يوضع فوق الحرف المنتوح ، وتحت المكسور ، وعلى شمال المضوم ، ويضمون نقطة الفتحة فى داخل القوس والمكسرة تحت حديثه والضمة على شماله هكذا : (ت ب ب) ثم استغنوا عن النقطة ، وقلبوا القوس مع الضمة والمكسرة ، وأبقوه على أصله مع الفتحة (ت ب) .

ثم زاد أتباع أبى الأسود علامات أخرى ، فوضعوا السكون جرّة أفقية فوق الحرف منفصلة عنه (_) .

هذا هو ما انتهى إليه تصوير الشكل فى عهد الدولة الأموية ، ثم حدث تغيير فى صورة الشكل على يد الخليل بن أحمد فى الدولة العباسية .

ولم تشتهر طريقة أبى الأسود إلا فى للصاحف ، أما الكتب والرسائل فكان شكلها نادرًا ، لأن المكتوب إليهم كانوا يسدّون ذلك تجهيلا لهم حتى قال بعضهم : شكل الكتاب سوء ظنّ بالمكتوب إليه .

وفى دار الكتب الملكية بالقاهرة مصحف كوفى عثر عليه فى جامع عمرو بن العاص. وهو من أقدم المصاحف فى العالم ، مشكول على طريقة أبى الأسود .

الإعمام

الإعجام تمييز الحروف التشابهة بوضع قط لمنع اللبس بين التشابه منها ، كالباء والتاء والثاء مثلا، فالهمرة فيه للسلب: أى إذالة المجمة . والمشهور أن اختراع الإعجام كان في زمن عبد الملك بن مروان ، والتحقيق أنه كان قبل الإسلام ، فقد روى ابن عباس : أن عامر بن جَدَرة هو الذى وضع الإعجام . ونحن نجد للباء والتاء والثاء مع اختلافها في النطق صورة واحدة ، وكذلك الجيم والحاء والحاء والدال والدال الخ ، ويمد كل البعد أن تكون الحروف موضوعة من أوّل أمرها على هذا اللبس الذى لا تستطيع القرائن تميزه بسهولة . على أنه عثر على كتب كتبت قبل زمن عبسد الملك فيها إعجام بعض الحروف كالباء وما يشجهها .

و يمكن التوفيق بين الرأبين بأن للراد بمدوث الإعجام فى زمن عبد لللك أنه تكامل ووصل إلى التمـام .

فكان الناس إلى أيام الحباج بالبراق بعد أن مضى على مصاحف عنان بنف وأربعون سنة يصحفون القرآن ، ويحرّفون كثيراً من الآيات عن مواضها ، فنهم من يقرأ : وما يجحد بآياتنا إلا كل جبار كفور ، والأصل : ختار . ومنهم من يقرأ : علنهي أصيب من به من أساء ، والأصل : أشاء . وقرءوا : هم أحسن أثاثاً وزيّا ، والأصل : ورئياً ، كذلك قرءوا : والذين كفروا فى غرّة وشقاق ، والأصل : فى عزّة ، وقرءوا : وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أباه ، والأصل : إياه . ففزه وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها أباه ، والأصل : إياه . ففزه والحباج إلى كتّابه ، وسألمم وضع علامات التمييز بين الحروف ، ودعا نصر بن عاصم ويمي بن يممر تلميذى أبى الأسود لهما الأمر . وقد قرّروا بعد البحث والتدوّى والاقدام والاحبام إدخال هذا الإصلاح ، وهو تمييز الحروف المتشابهة بإمال بعض

ولما كان هذا الإصلاح يستدعى اشتباه نقط الشكل بنقط الإعجام قرَّروا أن يكون نقط الشكل بالمداد الأحركا ضل أبو الأسود ، ونقط الإعجام بلون المداد المستعمل فى كتابة الحروف . وقد توقف الناس فى قبول ذلك العمل كما توقفوا قديما عن العمل بإصلاح أبى الأسود ، ولكن شدَّة الحجاج جعلتهم يخضعون لرأيه ، وعمَّ الإعجام جميع المكتابة فى القرآن وغيره حتى عد إمماله خطأ يلام عليه فاعله ، وفى دار الكتب أيضاً مصاحف اجتمع فيها شكل أبى الأسود ، وإعجام نصر بن عاصم .

تدوير العساوم

مضى زمن النبي وعصر الخافاء الراشدين ، ولم يكن العرب قيدوا شيئاً من العلوم غير القرآن الكريم . ويرجم امتناعهم عن ذلك إلى أسباب :

أوّ لها: أنهم يرون فى القرآن غنية عن كل شىء، فقد قيل: إن صرو بن الساص لما رأى مكتبة الإسكندرية أرسل بخبرها إلى عمر، فقال له: إن كان فيها ما يوافق كتاب الله فنى كتاب الله عنه غنى، و إن كان فيها ما يخالفه فلاحاجة إليه، فتقدّم باعدامها، فأحرقها عمرو.

وثانى هذه الأسباب: أنهم كانوا منصرفين إلى الفتح ، و إعلاء كلة الله ، على أن الضبابة من عليم الجاهلية وأشهارها أغفلوها كذلك ، لاشتغالهم بالدعوة إلى الدين النسبة من عمل ما المجاهلية وأساده الشهر علم القوم ، ولم يكن لهم علم أصح منه ، فياء الإسلام ، فتشاغلت عنه المرب بالجهاد وغزو فارس والروم ، وَلَمَيت عن الشسور وروايته . فلما كثر الإسلام ، واطمأنت العرب في الأمصار راجعوا رواية الشعر ، فلم يتو بوا إلى ديوان مدون ، ولا كتاب مكتوب ، وألفوا ذلك وقد هلك من العرب من هلك بالموت والقتل ، فقط عنهم أكثره .

وأما ثالث الأسباب: فهو أنهم لقرب غهدهم من البنداوة كانوا ذوى ملكات

سميحة وحوافظ قوية ، فلم يشعروا بالحاجة إلى التدوين ، وهذا هو شأنهم الذى غبروا عليه مدّة جاهليتهم يحفظون أنسابهم وأخبارهم وأشعارهم لا يستمدون فى ذلك إلا على قوّة حفظهم .

وتضار بت أقوال المؤرّخين فى بيان رأى رسول الله وأسحابه فى التدوين ، فنهم من ينقل أقوالا يستنبط منها حظوه على السلمين ، ومنهم من ينقل ما يؤيد الدعوة إليه والحثّ عليه . فقد روى أسحاب الرأى الأول عن ابن عباس أنه صلى الله عليه وسلم نهى عن الكتابة ، وقال : إنحاضل من كان قبلكم بالكتابة كما ورد أنه رأى فى يدعمر ورقة من التوراة ، فغضب وقال : ألم آنكم بها بيضاء فتية ، والله لوكان موسى حيًّا ما وسعه إلا اتباعى .

و يروى أصحاب الرأى الثانى أن رسول الله لما فتح مكة قام فحطب، فقال له رجل من اليمن يقال له أبو شاة : يا رسول الله اكتبوا لى ، فقال رسول الله : اكتبوا لا يه شاة كا يروى عن عبد الله بن عمرو قال : كنت أكتب كل شيء أسمه من رسول الله أريد حفظه ، فتهتنى قريش عن ذلك وقالوا : أتكتب كل شيء تسمه ورسول الله يتكلم فى الرضا والنضب ، فأمسحت عن الكتابة ، ثم ذكرت ذلك لوسول الله ، فأوماً بأصبعه إلى فيه وقال : اكتب فوالذى قسى يبده ما يخرج منه الإحق .

A

تعليم عشرة من أولاد المسلمين الكتابة . أما ما حدث من تحريح الصحابة والثابعين عن كتابة الحديث فإنما كان مبالغة منهم فى توفى الابتداع وخوفًا من اختلاط الحديث بالقرآن . فلما شاعت الفتن ، واجترأ الناس على رسول الله ينسبون إليه مالم يقل ، لم ير الأثمة بدًا من الإذن بتدوينه ، وقد أمن اختلاطه بالقرآن .

العلوم المدوّنة في هذا العصر

لقد ذكروا أن معاوية استدعى رجلا من النين اسمه تعبيد بن شَرَّيَة الْمُرْهِيّ ، فَسَالُهُ عَنْ أَجَار القدماء وملوك العرب والمجم وتبلبل الألسنة ، فأجابه عن كلّ ذلك ، فأم معاوية أن يدوّن ذلك وينسب إلى عبيد ، فكان هذا أوّل كتاب ألّف في التاريخ ، وقد عاش الرجل إلى أيام عبد لللك وعمل كتبًا أخرى منها : كتاب الأمثال، وكتاب للعرك الماضين كما ذكروا أن وهب بن مُنتَّه للتوفي سنة ١١٦ ه وضع كتابًا في نسبه ومثالب العرب ، في الأخبار كذلك يتال : إن زياد ابن أبيه أنف كتابًا في نسبه ومثالب العرب ، ودفعه إلى ولد وقال : استظهروا به على العرب فإنهم يكتون به عنكم .

وقميل : إن واصل بن عطاء المتونى سنة ١٣١ هـ له كتاب فى الرجئة ، وآخر فى التو بة ، وكتاب فى خطبته التى أخرج منها الراء ، وكتاب معانى القرآن .

كذلك أنّف يونس الكاتب كتباً فى الأغانى ونسبتها إلى للفنين ، وقد أخذ الفناء عن مَفْبَد وابن سُرَيْج . وفى علم النحو وضع عبد الله بن إسحق الحَفْشرى ّكتابًا فى الهمزكان يمليه على تلاميذه .

أما الحديث فل يدوّن إلا في أيام عمر بن عبد العزيز . استخار الله أربعين يوما ثم أصر ابن شهاب الرُّعْرى ، أو ابن جُرَيج ، أو أبا بكر بن حزم بجيم الحديث وتدويد ، . فكان ذلك ، و بث بما جم إلى الأمصار ، ثم ققد هذا للدوّن ولم يوقف له على أثر. وكان الدافع لعمر إلى تدوين الحديث هو ما كان من اجتراء الناس على رسول الله ياختلاق الأحاديث لا بطال حجة خصومهم أو لا كتساب تأييد العامة فيا يحتاجون فيه إلى تأييد . وقد ذكروا أن للهلب بن أبى صفرة وضع أحاديث كثيرة ليشد بها أزر المسلمين ، ويضعف أسر الحوارج مع أنه معدود من الأتقياء ، ولعله كان يعد ذلك من خداع الحرب ، وهى يباح فيها ما لا يباح في غيرها ، وأمثال ابن للهلب كثير و بعض مختلق الحديث كان يفسل ذلك نكاية في الإسلام . فقد ذكروا أن عبد الله بن المقفع اعترف بأنه دس على المسلمين أو بعة آلاف حديث كما ذكروا أنه لما أخذ عبدالكريم ابن أبى العرجاء أحد وضاع الحديث لتضرب عنقه ، قال : قد وضعت فيكم أر بعة آلاف حديث أحرة من سبعة آلاف ، فيها ثلاثة آلف حديث ، وقد تجرد الملماء لمبيان الصحيح والفاسد من آلف مكردة من ستانة ألف حديث ، وقد تجرد الملماء لمبيان الصحيح والفاسد من

أما علم التفسير فقد ظلّ الصحابة والتابعون يتناقلون ما سمعوه عن النبيّ من بيان مشكل القرآن ، وتوضيح غامضه ،وتمييز ناسخه ومنسوخه إلى نهاية القرن الأوّل .

ولابن عبّاس المتوفى سنة ١٨ ﻫ تقسير مدوّن ، وفى دار الكتب الملكية للصرية بضع نسخ منه ، ولكن يظهر أنه إنما نقل عنه بالرواية ولم يدوّن فى أيامه ، وللشهور أن أوّل من دوّن التفسير مجاهد للتوفى سنة ١٠٤ ﻫ .

ولم تقف همتهم فى هذا العصر عند العلوم العربية أو الدينية ، بل إنهم ترجموا فى العلب والكيمياه ، مقد ذكروا أن ما سَرَجَوَيَه السرياني الهودى متطبب البصرة قل كتاب أهرون بن أعين من السريانية إلى العربية ، وكان ذلك فى الدولة الأموية. كما ذكروا أن خالد بن يزيد بن معاوية ، وكان يدعى حكيم بنى مروان كان فاضلا فى نفسه ، وله همة وعبة للعلوم شغل نجسه بطلب الكيمياء ، فأفنى فى ذلك عره وأسقط نفسه ، وله كلام فى صناعة الكيمياء والعلب وكان بصيراً بهذين العلمين متقالاً لهما ،

أن يكون من العرب في حسنا السهد من يستغل بهذه العلوم . قال في مقدمته عن على الكهياء: « ورجما نسبوا بمضالمذاهب والأقوال فيها إلى خالد بن يزيد بن مساوية ربيب مروان بن الحكم ، ومن المعلوم البين أن خالداً من الجيل العربي والبداوة إليسه أتوب ، فهو بسيد من العلوم والسناعات جعلة ، فكيف له بصناعة غريبة المنحى ، مبنية على طبائع المركبات وأمزجتها ، وكتب الناظرين في ذلك من الطبعيات والعلب لم تظهر بعد ولم تترجم » ، واستغراب ابن خلدون لا موجب له ، فإن الذي ننفيه عن العرب في ذلك المصر إنما ينفي عن جاتهم وجهرتهم ، وقيام فرد بالإقبال على علم أو علوم غريبة تشفف بها النفس غير مستبعد خصوصاً إذا كان القائم بذلك له من ذات يده وفراغ باله ما يكنه من عاولته على يد معلم ماهم كما خالد الراهب ، والأمراء في كل عصر لا بد كم من اشتغال بعلم أو لهو تزجية الوقت وقتلا للسأم .

وصف الكتب المدونة في هذا العصر

ولم تكن تلك الكتب التي عرفت في هــذا المصر على الحالة التي ترى عليها الكتب اليوم ، أو على ما صارت عليه في المصر العباسي من التقسيم والتبويب ، وحسن التنسيق ـ التسمية والمنونة _ ولكنها كانت محض روايات الأثرفيها للاستنباط أو الاستدلال ، ولا عمل للمؤلف فيها إلا الجمع لما وصلت إليه يله وانتهى إليه سماعه ، فالحديث الذي دون في أيام عمر بن عبد المريز كان مجموعة أحاديث بســندها ليس لما نعبيب من التبويب الذي عرفناه في البخاري ومسلم اللذن عا من عمل اللمولة الساسية فيا بعد . فالذي كان يطلق عليه المركتاب في ذلك المصر هو مجموعة من الأساسية في بعد . فالحد كان يطلق عليه المركتاب في ذلك المصر هو مجموعة من الأوراق في موضوع واحد لا صبغة لما إلا الواية والمند في حديث أوغيره .

و بعض هـ ند الكتب بقيت إلى عهود متأخرة ، فابن النديم صاحب الفهرست للتوفي سنة ١٨٥٥ هـ يقول : إنه رأى سحف أبي الأسود الدؤلي في النحوكما رأى كتاب عَبِيد بن شَرْيَة . وابنُ خِلِّكان التونى سنة ٦٨١ يقول : إنه رأى كتاب ابن مُنبَّة فى تاريخ البمين .

عنابة الخلفاء والامراء باللغة والادب

إن المصبية التى بنيت عليها سياسة الدولة الأموية قد عادت على اللغة والأدب بأجل تمع ، فإن من آثارها أن أغرم رجال هسند الدولة بحديث آبائهم من العرب يرفعون من ذكرهم ، ويمجدون أعمالهم ، ويعد دون أيامهم ، ويسجلون مفاخرهم . ولم يكن من سبيل إلى ذلك إلا رواية شعرهم ، وإحياء ما درس من أخبارهم .

وكان الإسلام قد شغل العرب عن ذلك أيام النبئ والحلفاء الراشدين ، فاقطع ماكان متصلا من رواية هذه الأخبار ، وكاد ينسى ماكان محفوظاً من تلك الأقوال. فكان عمل الخلفاء والأمراء جهاداً كبيراً ، وسمياً مشكوراً فى سبيل إحياء ما درس ، وتأبّدت ممالمه من تلك الآداب ، فبذلوا المعاء الكثير لمن أحيا لهم منها شيئاً برواية قسيدة ، أو تحقيق كلة ، أو نسبة بيت لقائله .

ولقدكان الخليفة أو الأمهر يأرق ، فلا يخطر بياله إلا شيء من ذلك ، فينطلق حاجبه ينادى في الناس لعله يرى طلبة سيده ، أو يرسل الشرط في جوف الليل إلى فلان الراوية ليأتوه به من ساعته . أو يطلب بالبريد من عامل على أطراف ممكمته حمل ذلك الأديب الذى يؤمل فى علمه ردّ شبهته ، فإذا اطمأنّ الرجل بمجلس الخليفة وسأله فروّى ظمأه ، أجزل له العطاء وقرب منزلته .

فن أجل ذلك كان العلماء لا يأفرن جهداً فى إحياء أدب هذه الفنة بالمدارسسة والبحث ، ومشافهة الأعراب واستخبارهم ، يتلقونهم بالبصرة أو الكوفة ، أو يخرجون إليهم فى البادية ، فما يدعون صبياً ، ولا شمسيخاً ، ولا فتاة ، ولا عجوزاً إلا حاوروهم واستنشدوهم ، ثم يرجعون وقد امتلأت جابهم بالعلم الذى يؤملون رواجه والإثراء به عند رجال هذه الدولة .

ولقد كان الخلفاء والأمراء أنفسهم علماء مُليِّين ، ورواة ثفات أيعلون إ جلساءهم ما يجهلون و يرشدونهم إلى ما لايفهمون . وقد أعد والحملة المذاكرات مجالس يحشدون لها السلماء والأدباء ، وتجرى بين أيديهم مناظراتهم ، ويكون لهم الرأى إنى تصويب وتخطئة ، ولكنهم لم يكونوا يكتفون بهذه المجالس . بل لقد امتلأت كتب الأدب بما يدل على أن هسند الله وآدابها كانت موضوع سمرهم ، وحديث موائدهم ، بل هى ألينم ملأ أوقات فراغهم وشفلهم ، لا يصدهم عنها غضب ، ولا يلهيهم طرب ، المنصر الذي ملأ أوقات فراغهم وشفلهم ، لا يصدهم عنها غضب ، ولا يلهيهم طرب ، ولم يكتفوا بأن يهبوا في سبيلها المال الجزيل والجاه العظيم ، بل لقد وهبوا الأرواح لأصابها لأدب راعهم ، أو شحر ترغت له أعطافهم ، فيؤمنون الخائف ، و يرفعون السيف عن المقتول ، و ينقلب حنقهم عليه صفحاً ورضاء .

 وهشام بن عبد الملك ، وكل منهم حكم زهاء عشرين سنة ، فكان مجوع مدّتهم ثلاثة أرباع عمر هذه الدولة .

أمثلة من عناية الخلفاء والامراء بالادب واللغة

 أنشه عبد الملك بوما قول عِمْرَان بن حِطَّان (١) يمدح عبد الرحن بن مُلْعِبَم فاتل على كرَّم الله وجه :

يا ضَرْبة من كَريم ما أواد بها إلاليَبْلُغُ من ذى العرش رِضُوانا إلى لَالْكِبْلُغُ من ذى العرش رِضُوانا إلى لَأَفْكِرُ فيه ثَم أُحْسِبه أَوْ في البَرِيَّة عنسد الله مِينانا الله مقال لَجلسانه : من يعرف قائلها ؟ فسكت القوم جيماً ، فقال لرَوْح بن زِنْباع : سل ضيفك . قال نم أنا سائلهم ، وما أواها تخفي على رجل فيهم ما سائله من شيء قط إلا وجدته به عالما . فلما راح إلى ضيفه ذكر لهم البيتين ، وكان عِمْران بن حِمان من ضيوفه يكتم خبره خوفا من الخليفة ، فقال له : قائلها عِمْران بن حمان في ابن مُلْبتم قاتل على قال له : قال نه :

للهِ دَرُّ الْمُرَادِيِّ اللّٰمِي سَفَكَتْ كَفَّاهُ مُتَّجَةً شَرَّ الْحَلْقِ إِنسَاناً أَمْسَى عَشِيْهً غَشَرًا الْحَلْقِ إِنسَاناً أَمْسَى عَشِيْهً غَشَاهُ بِضَرْبَتِهِ عَجَّا جَنَاهُ مِنِيَ الْآكَامِ عُرْيَاناً أَمْسِحَ ثُمْ أَتْبِع البِيتِين بقوله : صلوات الله على على "، ولمن الله عِمْران وابن مُلْجَم ، فلما أصبح رَوْح خذا على أميرللؤمنين فأخبره بالحديث ، فقالله ضيفك هذا هوعِمْران بن حِمَّان ،

⁽١) حمران بن حطان السدوسي" شاعر فصيح من المعراة ودعاتهم والمتدمين فيهم ، وكان في آخر أيامه من اللعسدة الأن عمره طال فضيض عن التمثال فيكان يدعو بلسائه . وهو من البصرة فلسا اشتهر بالمتروج طلبه الحبياج فهرب إلى الشام ثم طلبه عبد الملك فهرب إلى عمان وما زال يتفل حق مات .

 ⁽۲) فكر (من باب ضرب) كأفكر وثفكر . حسب بمنى الظن (كفرح) والمضارع بالوجهين

فقل له : إن الخليفة أمرنى أن آتيه بك ، فأظهر عمران السرور بذلك ، ثم فرّ حوفًا من. عبد الملك لأنه كان خارجاً عليه .

٢ - تَضَد عبد الملك يوما المواقد يطهم الناس ، فجلس رجل من أهل العراق على بعض تلك المواقعة ، فقل العراق : دعنى بعض تلك المؤتنف و المؤتنف و المؤتنف به ، ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة ، فقال من القائل :

إِذَا الْأَرْطَى تَوَسَّدَ أَبْرَدَيْهِ خُدودُ جَواذِي الرَّمْلِ عِين (١) وما معناه ؟ ومن أجاب فيه أجزناه . والخادم يسمع ، قتال العراق للخادم : أتحب أن أشرح لك قائله وفيم قاله ؟ قال نسم . قال : يقوله عدى بن زيد فى البطيخ الرَّمْسِيق . فقال ذلك الخادم . فضحك عبد الملك وقال له : من دلك على هذا ، قال : هذا العراق فل الله به ، فقال عبد الملك للعراق : أنت لقنته هـــذا ؟ قال : ضم ، لأنه كدر على طمامك بازدرائه لى ، ثم قال له عبد الملك : فكيف العسواب ؟ قال يقوله الشَّمَاخ (٢) ابن ضرار النعلقاني في صفة البقرة الوحشية قد جزئت بالرطب عن الماء ، قال صدقت وأجازه ، ثم قال له ما حاجتك ؟ قال : تنعى هذا عن بايك فإنه يشينه .

٣ - قال حماد الراوية : كنت منقطماً إلى يزيد بن عبد الملك . فكان هشام

⁽۱) الأرطى: شير أحر السيقان. الأبردان: المثل والني أو النماة أو العملى. الجوازئ : المكتلية بالسب الأخضر عن الماء ، الدين: جمع عيناء وهي التي عظم سواد عينها في سعة (ظائمة) كما تقصد السرب بالأبردين القبل والني أو النداة أو السمل تقصد بالأيضين اللبن والماء أو الحيز والماء أو القسم والذين . وبالأحرين الحمر واللسم . ويكون تقدير البيت إذا توسعت خدود البتر الأرطى في الفسطة أو السمل " . . . ويكون نصب أبرديه على المثلونية . وبعد البيت :

بشت إليك راحلي تفكي هزالا بعد مخدها السين والمجدد: السام.

 ⁽٢) أَلْمَاخ : شَاعر خُضر وهو أَحد من هبا قومه وعشيرته ومن طيم بالفرى . قال قيه الحليثة إنه أشسر غلقان ، وكان يجيد وصف الفوس والجنار الوحدى ، وكان أرجز الناس على البديهة

يهفونى لذلك ، ظلا أقضت الخلافة إلى هشام ختسه ، فكشت فى بيتى مدة لا أخرج إلا لمن أثق به من إخوانى سراً ، ظلا لم أسمم أحدا يذكرفى سنة أمنت فحرجت فصليت الجمعة ، فإذا شرطيان يقولان : يا حاد أجب الأمير يوسف بن عر ، فقلت فى نقسى : من هسذا كنت أحذر ، وحاولت أن آنى أهلى أودعهم فلم يمكنانى ، ظلا صرت إلى الأمير يوسف رمى إلى كتابا فيه : بسم الله الرحن الرحم من عبد الله هشام أميرالمؤمنين إلى يوسف بن عر أمابيد : فإذا قرأت كتابى هذا فابث إلى حاد الراوية من يأتيك به غير مُروع ولا مُتمتع ، وادفع إليه خسائة دينار وجلا يسير عليه إلى دمشق . ظلا صرت إلى هشام استدنانى فدنوت ، ثم قال لى : أقدرى فيم بشت إليك ؟ قلت لا . قال بشت إليك لبيت خطر ببالى لم أدر قائله . قلت وما هو ؟ قال :

فَدَعُوا بِالصَّبُوحِ يُوما فَجَاءِت قَيَّنَةٌ فَي بَيْنِهِ إِلَّهِ إِلَّهِ وَمُ فَلَّلُتُ هَذَا يَعْوَلُهُ عَلِينًا مِنْ أَيْدٍ (١٠ في قصيدة له . قال فأنشدنها ، فأنشدته :

بَكْرَ الساذِلُونَ فَى وَضَحِ الطَّبْسِعِ يَقُولُونَ لِى الْأَ تَسْغَيْقُ وَيَّوُلُونَ لِى الْأَ تَسْغَيْقُ وَ وَيَلْعُونَ فِيكِ يَا بُنَةَ عَبْدِ اللهِ وَالْقَلْبُ عِنْدَكُمْ عَوْقُ فَى لَمُ سَدِيقُ السَّاءُ وَيَا إِذَا كُثَرُوا السَّلْرَافِمِ الْحَلُو يَلُومُنِي أَمْ صَدِيقُ فَلَمُوا السَّالِحَ اللهِ عَمَارِ كَمَيْنِ اللهِ دِيكِ صَنَّى شُلَوفَا الرَّاوُونُ (٣) وَنَدَّ عَلَى اللهِ عَمَارِ كَمَيْنِ اللهِ دِيكِ صَنَّى شُلوفَا الرَّاوُونُ (٣) وَنَدَّ اللهِ عَمَارِ كَمَيْنِ اللهِ دِيكِ صَنَّى شُلوفَا الرَّاوُونُ (٣) وَنَدَّ اللهِ عَمَارِ كَمَيْنِ اللهِ دِيكِ صَنَّى شُلوفَا الرَّاوُونُ (٣) وَنَدَ اللهِ عَمَارِ كَمَيْنِ اللهِ وَيَكَ اللهِ وَيَعْلَى الرَّاوُونُ (٣) وَنَدَ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ الرَّاوُونُ (٣) وَنَدَ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الل

⁽١) عدى بن زيد: شامر جاهلي لصرائى قروى كان من أهل البيامة ثم تمو"ل جده إلى الحيرة لهم أصابه فى بلاده . وفيها نشأ مدى واتصل بماركها حتى لقد كتب فى ديوال كسرى . بالعربية وكان يعرف الفارسية ، وليس من اللسول قالوا عنه: إنه بين الشعراء كسهيل فى النبوم يعارضها ولا يجرى معها .

⁽۲) العبوح: هراب العبح.

⁽٣) المقار : الحر لماقرتها (ملازمتها) العن أو لمفرها شاربها: أي قيدها إياه عن المعي .

وطَّفَا ۚ فَوْتُهَا ۚ فَتَاثِيعُ ۖ كَالَّذُ ۚ رِ صِــَّفَارٌ بُنْيِرِهَا التَّمْنْنِينُ ۗ (٢) مَا لَلْزَاجُ ماء ســحابِ لا صَرَّى آجنُ ولا سَلْمُونُ ۖ

فطرب هشام ، ثم قال أحسنت : فسل حاجتك كاثنة ما كانت ، قال حماد فقلت : إحدى الجاريتين لجاريتين كانتا واقفتين في خلمة الخليفة ، قتال : هما لك ، ثم بت في ضيافة الخليفة ، فلما أصبحت إذا بعدة من الحدم بيد كل منهم بَدْرة (٢٦ ، قتال لى أحدهم أمير المؤمنين يقرئك السملام ، ويقول لك : انشع بهذا المال فأخذته والجاريتين وانصرف .

كال عبد اللك يوما لجلساته ، وكان يتبخب غير الأدباء: أى المناديل أفضل ،
 مثال قائل منهم : مناديل مصر كأنها غرقة البيض ، وقال آخر : مناديل العين كأنها أأنوا الربيع ، فقال عبد الملك : ما صنعتها شيئاً أفضل المناديل كما قال أخوتمم ، يعف عبدة من الطبيب :

كَ نَوْلُنَا نَصْبُنَا طِلِّ أَخْبِيَتِ قَالَ لِلْغَوْمِ بِاللَّعْمِ الْرَاجِيلُ وَرْدُ وَأَشْمَرُ مَا يُؤْلِيهِ طَاجِهُ مَا غَيْرَ الْعَلَى مِنْهُ فَهُوَ مَا كُولُ⁽¹⁾ مُثَمَّتَ شُمَّا إِنَّى جُرْدٍ شُوَّمَتْ أَغْرَاهُمْنَ لِأَيْدِينَا مَنادِيلُ

قال فى الكامل: وإنما أخذ الشاعر هذه الأبيات من بيت أمرى القيس ، فإنه جمع ما فيها فى بيت واحد مع فضل التقدّم :

مَنْ بَأَعَرَافَ الجيادُ أَكُفُنًا إِذَا تَعَنَ قَنَا عَنْ شِواءَ مُفَنَهِّتُ وَالشَّعِبُ اللَّهِ لِمُ يُكُولُكُ . والشهب الذي لم يُكُولُكُ .

 ⁽١) القتاليم : هنان صغار مستديرة تتولد من مزيج الحر بالماء واحسنتها فقاعة . التصفيق مزج الحر بالماء .

⁽۲) السرى: ألماء يطول كنه. آجن: متنياللون والطم. المطروق: الذي خوضته الابل وبولت فيه (۳) البدرة : كيس فيه ألف أو عصرة آلاف درع. أو سبعة آلاف دينار .

 ⁽ء) ماؤيد : أي يؤخره حتى بيانم أماء : أي إدراكه، والعرب لاتضيخالهم لاستسبالها للضيف ولأن ذلك مستحب عندها . الورد : الأحمر . الأشفر ! الذي بين الحمرة والساض .

۵ -- كتب الحجاج إلى عبد الملك بن مروان يسظم أمر تعلّري بن العُجاءة المازنى ، فكتب إليه عبد الملك : أوصيك بما أوصى به البكرى زيداً ، فقال الحجاج لحاجبه : ناد فى الناس من أخبر الأمير بما أوصى به البكرى زيداً فله عشرة آلاف درم ، فقال رجل المحاجب : أنا أخبره فأدخله عليه ، فقال له : ما قال البكرى لزيد ؟
عال : قال مومى بن جار البكرى لابن عه زيد :

أَقُولُ إِنَّ فِيدِ لا تُتَرَّرُ وَ فَإِنَّهُمْ مَ يَرَوْنَ للنايا دونَ قَطْلِكِ أَو قَطْلِي (٢) فَالْمُ وَقُودَ اللَّهُ وَقُودَ الْمُرْبِ بِالْحَسْفَ الْمُرْلِ (٢) فَإِنْ أَبُوا فَالْمَ وَقُودَ الْمُرْبِ بِالْحَسْفَ الْمُرْلِ (٢) فَإِنْ عَضْتَ الْمُرْبِ مِثْلُكَ أَو مِثْلِي (٢) فَقُونَ عَضْة الرَّالُومِينِ عُرْضَة الرالحوب مثل أو مثله .

٣— جيء إلى الحجاج بالأسرى بعد حرب ابن الأشست ، فوقتوا بين يديه ، وجل يقتلهم ، ثم صاح به رجل : « والله يا حجاج اثن كنا قد أسأنا بالذنب ، فحا أحسنت بالعفو ، ولقد خالفت الله فينا وما أطبته ، قتال له : «كيف ؟ و يلك ! » . عال : لأن الله تعالى يقول : « وَإِذَا لَتَبِيمُ اللّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرَّقَابِ حَتَى إِذَا أَكْنَيْمُ اللّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرَّقَابِ حَتَى إِذَا أَكْنَيْمُ مُنْ اللهِ تَعْلَى المَّذَا بَعْدُ تَوَلِقا فَذَاكُ حَتَى تَضَعَ الْمَرْبُ أُوزَارَهَا » ، وقد شاكنو الوَتَاقَ فَإِمَّا مَنَّا بَعْدُ تَوْلَقا فَذَاكُه حَتَى تَضَعَ الْمَرْبُ أُوزَارَهَا » ، وقد شات فاكنت حتى تجاوزت الحد ، فامن ولا تقتل ، قتال الحجاج : « و يلك ! ألا كان هذا الكلام قبل هذا ؟ » ، ثم أمر رفع السيف وأمن الناس .

 لا - فر الكُمَيْتُ الشاعر التشيّع لبنى هأشم من سجن هشام ، فكان شديد الحنق حليه تشيمه وفراره من سحبه ، ثم احتال الكميت حتى دخل على هشام ،
 خال له : ياكيت ، ألست القائل :

⁽١) الترترة : التزلزل والتقلقل ، وهي أيضا استريناء في الكلام والبدن .

الوقود بالنتح والضم : شبوب الثار . وبالفتح خاصة : الحطب كالوقيد والوقاد .

 ⁽٣) يقال هوعرضة لذلك : أي تعرف له قوى عليه . وجلته عرضة لذلك: أي تصبيته له، والمشيان مناسبان هنا : أي نحن تقاوم فر الحرب ، أو نحن معرضون لهما .

فَقُلُ لِبَنِي أُمَنِّكَ تَمَيْثُ حَلُوا وإِنْ خِفْتَ الْهَنَّةَ وَالْتَطْلِيمَا ۗ الْمُنَا وَالْتَطْلِيمَا ۗ ا أَجَاعَ اللهُ مَنْ أَشْبَعْتُمُوهُ وَأَشْبَعْتَ مَنْ يَجُوْرُكُمُ أَجِيمًا يَمُرْضِيَّ السَّياسَةِ هَاشِمِيٍّ يَكُونُ حَيًّا الْإِنْتِيْدِ رَبِيمَا فقال: لا تقريب يا أسهر للؤمنين ، إن وأيت أن تمحو عنى قولى الكاذب . قال : هـاذا ؟ قال: جَولى الصادق :

أَوْرَثَقَهُ الْحَمَّانُ أَلَمْ هِشَامِ حَسَبَ ثَاقِياً وَوَجُمَّا نَسْهِرَا اللّهِ وَتَمَاطَى بِهِ أَبْنُ عَالَشَتَ أَلْبَدْ رَ فَاشْسَى لَهُ رَقِيباً نَطْبِ بِرَا وَكَسَبَهُ أَبُو أَنْكَارِمِ لَلْأَثُورَا وَكَسَبَهُ أَبُو الْخَلَامِ لَلْأُورَا إِنَّ سَبَاء لَلكَارِمِ لَلْأُورَا إِنَّ سَبَعَةً لَهُ مَمَانًا وَدُورَا (٢٠ وَكَانَ هُمُ مَمَانًا وَدُورَا (٢٠ وَكَانَ هُمُ مَمَانًا وَدُورَا (٢٠ وَكَانَ هُمُا مَمَكِنًا فاستوى جالسًا وقال: همكذا فليكن الشعر، ثم قال: رضيت هنك يا كيت، قبل يده، وأمر له بأر سين ألف درهم وثلاثين ثوبا شاميًا ، وكتب إلى خالد ابن عبدالله القسرى عامله على العراق ينهاه عن التعرض للكيت، ويأمره المؤخلاه سبيل المرأته، وأن يعظيها عشرين ألقًا وثلاثين ثوبًا .

٨ -- وصفت لمبد الملك جارية لرجل من الأنصار ذات أدب وجال ، فساومه فيها ، فأحب بها المنتفع وامتنعت ، ثم أضف لصاحبها الثن وأخسنها على كره منها ، فأعجب بها عبد الملك ، وأمرها بازوم مجلسه والقيام على رأسه ، فبينا هى عنده ومعه ابناه الوليد وسليان ، وقد أخلاها للمذاكرة إذ أقبل عليهما ، فقال : أي بيت قالته المرب أمدح ؟ فقال الوليد : قول جو بر فيك :

أَنْشُتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ لَلْطَآيًا ۚ وَأَنْدَى الْمَالِيَنَ بُخُونَ رَاحِ

⁽١) القطيع : السوط أو الفضيب تتخذ منه السمام ويصبح لدادة العنين .

 ⁽۲) أم مشام، هى بنت إسماعيل الحنزوي، وهى زوج عبد للك وكانت له أيضًا طلقة وهىبئت طلمة التميي وقد ولدت له أبا بكر واسمه بكار .

البطاح : أواد بها الأماكن اللهدسة : أي الكتبة وما حولها . المان : المباءة والمنزل .

وقال سلبان : بل قول الأخطل :

تُشمَّسُ الْمَدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَعْلَامًا إِذَا قَدَرُوا فقالت الجارية : بل قول حسان :

يُمْشَوْنَ حَتِّى مَا تَهِوْ كِلاَبَهُمْ لاَ يَشَأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْتَبْلِ فأطرق عبد اللك ، ثم قال : وأى بيت قالته العرب أرق ، فقال الوليد قول جرير : إِنَّ الْمُنْيُونَ الَّتِي فِي خَوْفِهَا حَوَرٌ فَتَكُنْنَا ثُمَّ لَمَ يُمْشِينَ قَتْلَانَا فقال سليان : بل قول عربن أبي ربيمة :

حَبِّـــــذَا رَجْهُمُا إِلَيْهَا يَدَيْهَا مِنْ يَذَى دِرْمِها تَحُلُّ الْأَزْرَا قالت الجارية: بل يبت حسان:

لَوْ بَيْتِ الْمُولِيُّ مِنْ وَلَدِ النَّرْ رِ عَلَيْهَا لأَنْدَبَهُمَا الْكُلُومُ ثم قال عبد الملك : أى بيت قالته العرب أشجع ؟ فقال الوليد قول عنترة : إذْ يَتَقُونَ بِيَ الْأَسِيَّةَ لَمَ أَخْمُ عَنْهَا وَلْكِنِّي تَصَالِبَنَ مَعْدَى

خال سليمان : بل قوله :

وَإِذَا لَلَئِيَّةُ فِي لَلُوَاطِنِ كُلُهَّا ۚ فَالَمُوْتُ مِنِّى سَابِينُ الْآجَالِ فقالت الجارية : بل بيت كتب بن مالك :

نَعْسِلُ الشَّيُوفَ إِذَا قَصُرْنَ عِنْفُونًا ۚ قُدُمًّا وَنُلُحِثُهُمُ إِذَا لَمَ ۖ تَلْتَقَّقِ قال عبداللك : أحسنت ، وماترى شيئًا فى الإحسان إليك أبلغ من ردَّك إلى أهلك ، فأجل كسوتها ، وأحسن صلتها ، وردَّها إلى أهلها .

٩ - ضمّ عجلس مبد الملك جماعة من خواصه وسمّاره ، وكلهم من أهل الأدب ، لأنه كما علمت كان يتجدب غيرهم فى مجالسه . فقال « أيّسكم يأتيني بحروف للمجم فى بدنه ، وله على ما مايتيني ، وقال إليه سُسو يد بن غفلة ، فقال : أنا لهما يا أمير المؤمنين ، قبال : قبال : قبال : قبال : قبال : وينا مندك ، فقال :

«أنف . بطن . ترقوة . ثغر . جمحية . حلق خدّ . دماغ . ذكر . رقبة . زند. ساق . شفة . صدر . ضلع . طحال خليم . عين . غُدّبة (۱۲ . فم . تفا . كف . لسان . منخر . نُفتُدُ (۲۲ هامة . وجه . يد . فهذه حروف للمجم ، والسلام على أمير للؤمنين ».

فقام بعض الجالسين وقال: أنا أقولها في جسد الإنسان ثلاثا . فقال عبد الملك: قل وقك ماتخى ، فقال :

لا أنف . أذن . أسنان _ بطن ، بصر ، بز _ ترقوة ، تموة . تبنة (الله . ثنيا . ثنيا . ثنيا . خصر ، خاصرة _ ثني - جعجمة . جنب ، جبهة _ حلق ، حنك . حاجب _ خد . خصر ، خاصرة _ دبر . دماغ ، دُردُرُ (الله) _ ذر كر ، ذقن فراع _ رقبة ، رأس ، ركبة _ زند . زردمة (الله) _ رنس _ ساق ، سرة . سبابة _ شفة . شمر ، شارب _ صدر ، صدغ ، صلمة _ ضلم ، ضنيرة ، ضرس _ طحال ، طراح (الله) طرف _ ظهر ، ظهر ، ظهر ، ظهر ، ظهر ، ظهر ، مناه _ مين ، عبق ، وقت _ منكب ، منخر _ نشته من مناه _ كتف كتف من _ كسب _ لسان ، لحية ، لوح _ موفق ، منكب ، منخر _ نشته مناه كان منوغ ، ثاب ، تا من ، يسار ، يافوخ ، ثاب ، تا من ، يسار ، يافوخ ، ثاب ، تا من ، يسار ، يافوخ ، ثاب منه مسرها وقبل الأرض بين بدى عبد للك ، فقال أعطوه ما تتمى .

⁽١) الندية : لحة غليظة تحت لهازم الانسان .

⁽Y) النتام : اللحبة في الحلق عند اللهازم .

⁽٣) التينة: الدر.

⁽٤) الدردر : منارز الأسنان في العبي .

 ⁽a) الزردمة : الغلصمة ، أو موضع الاجادع.

⁽٦) الزغب : منار الثمر .

⁽٧) الطرة : الناصية .

⁽٨) الظلم : بريق الأسنان .

⁽٩) الفرج.

⁽١٠) الشر الشعيف .

بجامع العلم والآدب

أما مجامع الأدب فكانت زاخرة بالشهر والرواية عن العرب تزدحم فيها الأقدام ، ويجرى التنافس ، ويذكيها اشتراك الحلقاء فيها ، ومساجتهم لرجالك ، وإغداقهم على للبرّزين منهم وإذا كانت مجامع العسلم ، وهي حلقات الدوس في مساجد الأمصار، وفناء الكعبة ، وسيحد رسول الله بالمدينة ، فإن مجالس الأدب هي دورالحلقاء والولاة والساجد ، وكذاسة الكوفة ، ومهد البصرة والساجد ، وكذاسة الكوفة ، ومهد البصرة والساجد ، وكذاسة الكوفة ، ومهد البصرة والساجد ، وكذاسة الكوفة ،

مجامع العسلم

لما كثرت البلاد المفتوحة ، واستقرّت فى يد العرب ، وكانت كثيرة الخيرات وفيرة المفيرات رغب العرب فى التنوح إليها للاستمتاع بخيراتها . فكان من ذلك أن انبث فى البلاد أصحاب رسسول الله الذين عقلوا عنه الدين ، وضهوا معانى العرآن ، وأحصوا حديثه ورأوا فعله ، فالتف وحولهم الناس يتلقون عنهم ، و يرهفون آذانهم لما فاتهم من حكمة رسسول الله وأدبه ، وكانت الأمصار إذ ذلك هى : للدينة ، ومكة ، والبصرة، والمكوفة ، ودمشق، والقسطاط . وقد أتاح الله لكل مصر من هذه الأمصار علما أو حاماء كانوا هداة أهلها ، وخلوا فيها تلاميذ لهم اقسلوا بارائهم ، واصطبغوا بعبنتهم ، وشاعت فى كل مصر آزاء ، أو راجت عسلوم توافق النزعة التي امتلز بها بعبنتهم ، وشاعت فى كل مصر آزاء ، أو راجت عسلوم توافق النزعة التي امتلز بها

ذلك الصحابي والتابي الذي كان محدَّث الناس بهذا المصر .

كان للمدينة ومكة الشأن الأول بين الأمصار فى نشر الدّين . فأما مكة فلها شرف البيت وفشأة الذي والإسلام بها وكونها شابة الحاج وأما المدينة ، فلكونها عاجر النبي ، وجم مركز الحلافة أيام أبي بكر وحبّان ، ولمكن المدينة كانت أعظم شأفًا من مكة (على عظم شأنها) إذ كان بالمدينة جلّ الصحابة الذين سموا من الرسسول ، وحضروا غزواته ولازموا مجلسه ، قمد بقوا بالمدينة لم يعرحوها ، ولم يعد إلى مكة من كان بها من للهاجو بن . تحرجا من ذلك واتماسًا للاركة بملازمة للوضع الذي شرف برسول الله حيًّا وميتًا .

فكانت المدينة ثم مكة أكثر قصاداً من طلاب العسلم لكثرة من بهما من حملة الشرع والذين حضروا التنزيل، فكان من كبار العلماء بالمدينة زيد بن ثابت الذي كان مترسًا في القضاء والفتراءة والعرائض، وكان من فضله أن يأخذ ابن عباس بركابه ويقول: هكذا يفعل بالعلماء والكبراء. ثم من علماء التابعين بها سعيد بن المسيّم. تفيذ زيد بن ثابت، وعروة بن الزبير، وأخيراً أفيت للدينة مالك بن أنس .

وكان من كبار رجال مكة مُعاذ بن جبل الذى خلفه رسسول الله بمكة بعد الفتح يعلم أهلها ويفقههم ، وعبد الله بن عباس أعلم الناس بتأويل القرآن ، ومنهم سســفيان. ابن عيينة الذى أخذ عنه الإمام الشافعى قبل أن يتحول إلى للدينة .

ونزل بالكوفة من أصحاب رسول الله كثيركان من أشهرهم : على " بن أبى طالب ، وعبد الله بن مسعود ، ولكن علي كان مشغولا بالسياسة والحروب فلم يجلس التعليم ، وابن مسعود ، وهو الذي أرسله عر بن الحطاب إلى الكوفة لتعلم أهلها ، فكان له . تلاميذ علموا الناس من بعده ، واجتمع بهم من قدموا من المدينة فيا بعد ، فكانت في المكوفة حركة علمية كبيرة ، ومن علما "ها شريح القاضي والشّعي والأشتر النّشجيّ. ومن علماء الكوفة حركة علمية كبيرة ، ومن علما "ها شريح القاضي والشّعي والأشتر النّشجيّ. ومن علماء الكوفة فيا بعد (في عصر الساسيين) الإمام أبو حنيفة النصان .

وفى البصرة كان أوَّل من علم الناس بها أبو موسى الأشعرى ، وهو يمني قدم مكة.

فأسلم وهاجر إلى الحبشة ، وكان يعدّ من أعلم الصحابة ، وكذلك علم بها أنس بن مالك النبى كان مبديًّا حين قدم النبيّ المدينة وخدمه عليه المصلاة والسلام عشر ســـنوات ، وكان آخر من مات بالبصرة من الصحابة ، واشتهر بالحديث أكثر من الققه ، وإنما أتاه ذلك من ملازمته للنبيّ . ومن تلاميذه الحسن البصرى وابن ســـيرين ، وقد ماتا . في سنة واحدة هي سنة واحدة سنة واحدة سنة واحدة سنة واحدة واحدة سنة واحدة واحدة

وفى الشام : كان مماذ ، وعبادة بن الصامت ، وأبو الدرداء ، وقد أرسلهم عمر حين طلبهم يزيد بن أبى سسفيان لاحتياج أهل الشام إلى من يطهم القرآن ، ويفقهم فى الدّين ، ثم بعث عمر بعسده عبد الرحن بن غنم ، فتخرّج على أيديهم كثيرون من التابعين ، كمسر بن عبد العزيز ، ورجاء بن حيوة والأوزاعى إمام أهل الشأم الذى انتشر مذهبه فى المغرب والأندلس ، ولكن زاحمه فيها مذهبا الشافى ومالك .

وكان فى مصر بمن نزل بها : عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو من أكثراتناس حديثًا من رسول الله ، وكان يدوّن كلّ ما يسمع ، وبمن اشتهر بمصر بعد الصحابة : يزيد بن حبيب وهو نو بى من دهلة ، وكان علمه فى أخبار الفتن والحروب ، وخاصــة ما يتعلق بفتح مصر ، ومن تلاميذه : الليث بن ســمد ، وكان صاحب المذهب الذي اتبعه للصريون ، ثم اندرس كما درس مذهب الأوزامي بالشام .

 ابن الأزرق مولى ابن عمر ، وربيمة الرأى ، وأبو فروج من الوالى ، ويزيد بن حبيب مولى الأزد ، وهو بربرى من أهل دفئلة .

مجامع الادب

أما الأدب فهو الذى بذل خفاء هذه الدولة عنايتهم به ، فراجت أسواقه ، وحفلت عاسمه ، و إعبارها ، ثم رغبتهم فى عجامه ، وإنجبا حملهم على السناية به غرامهم بشعر الجاهلية وأخبارها ، ثم رغبتهم فى الملمح والإشادة بالذكر ، فتنافس الشعراء بالزلق إليهم، وتساوموا إلى الفاية التى ترضيهم. فكانوا يعرضون شعره على نقدة الكلام ليعرفوا موقعه من النفوس ، ولتنظير لهم شهرة يتقدّمون بها إلى الخليفة أو الأمير ، فإذا تم الأحدهم بلوغ هذا الأمل فقد ضمن الرزق الوفير والجاء العريض .

ولقد كان الشاص ينبغ ويتسامع به الناس، فيحرس الحليفة أو الأمير على إشخاصه إليه ليضمه إلى أنصاره وليزيد فى رجاله . واتسد زاد الناس عناية بالأدب أن الحلفاء أقسمهم كانوا يساهمون فى معرفته ، ويسستطيمون تذوّقه والحكم عليه ، بل لقد نصبوا أشسهم لتعليم جلسائهم وإطرافهم بما لم يسموا به . فكان عمل الشاص أو الأديب الراوية يجيم بين الرغبة والرهبة ، لأنه سيقف أمام ناقد بصير برد عليه خطأه ، ويسيب عليه نقصه ، ثم هو بعد دو أريحية تجمله يهتر للحكة ، ويملك سممه اللفظ الجيد، ويستولى على مشاعره للدح البالغ ، فإن استطاع شاص أو أديب الوصول إلى قلب الخليفة من إحدى هذه النواحى لم يبق بينه وبين الشي إلا أمر الخليفة خلدامه أن يحشوا فاد دراً ، أو يمانوا أوعيته تبراً ، ثم يصير من جند الخليفة ، و إن لم بحمل سسلاحا قيكتب في ديوان الجند ، ويستمتح الرزق الذي يجرى عليه كل عم .

فهل يكون هـــذا جزاء الشعر أو الأدب ، ثم يتمد عن التمـاسهما من يستطيع إليهما سبيلا . ولقسد كان للمصبية التى أحياها بنو أمية بين التبائل أثر فيا للأدب من رواج ، فان كلّ قبيلة تتمصب لشاعرها وتنصره ، وتحتج له فيكثر النقاش والجدل، وتتغلّ المحافل والأسواق بالهاضلة التى ربمـا انتهت إلى الخاصمة والقتال .

وكانت مجامع الأدب هى مجالس الحلفاء والولاة ، يجتمع فيها كلّ أديب نابه ، أو شامر نابغ ، ورجمًا بشوا في طلب الراوية من أقصى مكان ليسمع منه الخليفة أو الوالى رأيه فى شاعر ، أو ليستعلم رأيه فى رواية بيت أو مغزاه .كذلك كانت للساجد من مواضع مدارسة الشعر ، لا بل للسجد الحرام نفسه ، فقد ورد بالأغانى ما يأتى :

بينا ابن عباس بالمسجد الحرام ، وصده ناخ بن الأزرق وناس من الخوارج يسألونه إذ أقبل عمر بن أبى ربيمة فى ثو بين مصبغين موردين أو ممصرين (١٠ حتى دخل فجلس: فأقبل عليه ابن عباس ، فقال : أنشدنا ، فأنشد ؛

أَمنْ آل نُعْم إِنت عَادٍ فُبُت كِرُ عَداةً عَدِ أَم واثْحُ فُهُ يَتِّرُ

حق أتى على آخرها ، فأقبل عليه نافع ، فقال له : يابن عباس ، إنا نضرب إليك أكباد الإبل من أقامى البلاد ، نسألك عن الحرام والحلال ، فتتناقل عنا ، ويأتيك غلام مترف من قريش ، فينشلك :

رأت رجلا أمَّا إذا الشمس عارضَتْ فيخُرَّى وأما بالمشيّ فيخْسَرُ فقال: ليس محكذا. قال فكيف قال ؟ قال :

رأت رجلا نیخشر ٔ

فقال نافع: ما أراك إلا قد حفظت البيت . قال: أجل ، بل إن شئت أن أنشدك الم القصيدة . المسيدة .

ومن المجامع الحافلة، والمشاهد الجامعة سوق الكوفة (الكُناسة) وسوق البصرة (المربد)، فكانت تتألف فيهما حقات المناشدة والفاخرة ومجالس الرواية ، وكان كل شاعر يقصد

⁽١) المصر : الصبوغ بالصر ، وهو صبغ أحر .

السوق ومعه رواته للمناضلة عنه . وكان لفحولهم حلقات خاصة أشهرها فى للربد حلقة. الفرزدق وراعى الإبل .

وقد كان بين المكوفة والبصرة تنافس شديد فى العلم والأدب ، ومناظرات بين رجالهما ، ولكن شهرة البصرة كانت باللفة وعلمها من نحو وغيره لفر بهم من البادية التي عرف أهلها بالنصاحة وصلق اللهجة .

4

أما الكوفة فقد اشنهرت بعلم الشعر وروايته ، وقيل فى سبب ذلك : إن المختار الله عبيد الله وقف فى أثناء حروبه بالعراق على أشعار مدفونة تحت القصر الأبيض فاستخرجها ، فكانت فى يد الكوفيين يتنفّلون بها على البصريين ، وكان الذى دفنها فيا ذكروا النعمان بن للنذر ملك الحيرة ، وبقيت الكوفة فى النحو عالة على البصرة ، ولم ينبغ فيها من علمائه أحد إلا فى العصر العباسى .

النثر في العصر الأموي

لقد استفادت اللفة العربية بالإسلام فوالد جليلة تحدّ ثنا عنها فى كلامنا عن العصر الماضى وما كان من تأثير القرآن ، وحـــديث النبيّ فى مادّة اللفة وصفاء أساليبها ، وتعدد مناجى القول فيها : وما تقول فى هذا العصر إلا أن كلّ فللة من تلك الفوائد قد تضاعف أثرها وجلّ شأنها ، وما نشبه ما كان من ذلك إلا بغرس كانت فى أيام الخلفاء الراشدين باكورته ، واليوم تنابع أثماره ، وزادت غلته . فهذا القرآن الكريم كان على عهد النبيّ والخلفاء بعده لا يحفظ الرجل منه إلا الآيات يصلى بها ، وقليل من المسلمين إذ ذاك من حفظ سوراً بأجمها .

قال أنس بن مالك : كان الرجل إِذا قرأ البقرة وآل عمران جدَّ في أعيننا ، وأقام

ابن عرطى حفظ البقرة ثمان سنين ، وكان عبان وابن مسعود وغيرها من القراء إذا تعلموا من النبي عشر آيات لم يتجاوزوها حتى يعلموا مابها من العلم والعمل . والسبب فى ذلا جدائة العهد ، واشتغال الناس بالفتوح ، وضعف وسائل النشر ، ولكنك ترى فى آخر أيام الخلفاء الراشدين أن عبان كتب نسخًا من المصاحف فهرو بعث بها إلى الأمصار ، ولا شدك أن الكتابة فى عهد الأمويين كانت أهم ، فضمن ذلك انتشال القرآن أكثر مماكن . على أن الناس حين هدموا من الفتوح واستراحوا من النتال، جلسوا لتلقى العلم ، فكان ابن عباس بمكة ، وزيد بن ثابت بالمدينة، وغيرهم فى الأمصار يعلمون الناس ، ويشرحون لهم الشكل من آيات القرآن ، ويبينون ناسخه ومنسوخه ، يعلمان الدراسة القرآن سوق أفقى من سوقها أيام صدر الإسلام .

وهكذا الشأن فى حديث رسول الله ، كثرت الحاجة إليه والاستدلال به فى كلّ ماكان يقع السلمين أو يجرى بينهم من خلاف ، فكان المحدّثون يروونه للمامة ، و يلقنونهم إلى ماحواه من أدب وحكمة ، وانتهى الأمر بجمعه أيام عمر بن عبد العزيز.

ولا يفوتنا أن تقول: إن الوعظ و إن كان حاصلا من الحلفاء وغسيرهم في صدر الإسلام لم يصر إلى الكثرة التي كان عليها أيام بنى أمية ، فإن معاوية (وقد اتبعه خلفاؤه) رتب الوعاظ فى المسجد يعظون الناس ، ويذكرونهم بآخرتهم ، ومدار القول جند هؤلاء إنما هو آيات اقرآن ، وحديث النبى ، فهما فيا نرى كاما فى عصر بنى أمية أشيم وأكثر تداولا ، فجدير أن يكون أثرها أقوى وفعهما أجدى .

و إذا عزونا إلى مخالطة العرب نعيرهم واطلاعهم على أحوال الأم فضلا في حصافة عقولهم ، فقد كانت هذه المخالطة أثم ، وذلك الاطلاع أوسع في عصر بني أمية ، فإن العرب فيه أقاموا بين ظهراني الفرس والروم والقبط في البصرة والكوفة بالعراق ، وفي دمشق وما حولها بالشام ، وفي المسطاط إلى بلاد النو بة بمصر ، وعاملوهم وصاهروهم ، ونشأت من نسلهم ناشسة تحمل صفات العرب ومزايا تلك الأمم السابقة إلى الحضارة ، فكان لهذه الناشئة أثر في تقدّم العرب ، ورواج العلم ، وشيوع الحضارة . غير أن هنوات دخلت على اللغة من أثر ذلك الاختلاط ، ولكنها لم تتمد المرض إلى الجوهم، ، فقد لحنوا وغيروا الإعراب ، وهذا لم يكن فى الغالب إلا من المتعربين من الموالى . أما العرب أهسهم فقد قلّ ذلك فيهم . ولقد كان من هؤلاء اللحانين من كان بليغاً قوى الملكة ، بل خطبياً جزل القول بسيد المدى ، فإن الجاحظ يقول عن خالد ابن عبد الله القسرى : إنه كان مولماً بالتشديق فى الحطب ، وما كان الجاحظ يستسيع قبول ما تناقله الناس من لحنه لموضع فصاحته، لولا أن هذا النقل صح عن الوليد ، وكان كذلك فصيحاً رويت له الحلط الرتجالة .

على أن المصرالأموى، أفاد النثر في بعض مناحيه فائدة جديدة، وهي شدة الأسر والمودة إلى صلابة الجاهلية مع هجر عنجيتها، فقد علمت أن الأمويين أحبوا الآداب الجاهلية من شعر ونثر وأخبار، فكان من أثر ذلك أن وجد متعصبون القول العلب، والمبارة الشديدة التي رأينا أهل العصر الأول قد عدلوا عنها كلّ العدول. و إنك إذا ناظرت بين قول الحسن البصرى، أو ابن سيرين، وقول الحجاج، أو زياد، وأيت الفرق ظاهراً، فإن الأولين لنزعتهما الدينية جاريا أسلوب القرآن، فجاء قولهما سهلا لينا، في حين أن قول الحجاج أو زياد غليظ شديد نزعا فيه إلى صلابة الجاهلية ليناسب قولهما علهما في أخذ الناس بالقم والغلبة عليهم بالسلطان.

الكتابة في عصر بني أمية

عرفت ما كان لها فى العصر الماضى من بساطة الظهر ، والإيجاز فى الأغلب الشائع ، والسهولة التى تكاد تنسيك أنها كتبت فى أقرب العصور إلى العصر الجاهلى . كذلك بان لك خارها من التكلف بجميع أنواعه من سجع ، ومحسن لفظى وممنوى ، ولا ما وقع عفو الخاطر . وكان من بساطة مظهرها أن يبدأ الكاتب باسمه لا يتحرّج من ذلك ولوكتب إلى الخليفة، بل لقد كتبوا إلى رسول أنه فقد موا أسماء كما فعل أبو بكر

والعلاء الحضرى وغيرهما . وقد بقيت هذه صورتها حتى كانت أيام الوليد ، فاستنبع ما توغلوا فيه من مظاهر الملك من حجابة وحراسة وقصور أن أنف الوليد أن يكتب إليه مع تأخير اسمه ، فصاروا يكتبون إلى أمير المؤمنين فلان من فلان ، فجرت بذلك السنة إلا ما كان من عمر بن عبد العزيز، ويزيد الكامل فإنهما عملا بسنة رسول الله، ثم رجع الأسم إلى رأى الوليد .

وما زالت الجزالة مظهرها، والإيجاز وصفها النالب فى بده المصر، ثم جملت تعدرج فى اللين والتوسع فى الأساليب بكثرة الترادف على حسب ماصارت إليه الدولة من ضم، وما اقتبس العرب من نظام الفرس فى كتاباتهم . فقد نشأ من الكتاب من حذقوا العربية بعد نشأتهم فى اغتهم ، كما حكوا عن سالم مولى هشام بن عبدالملك أحد الواضعين لنظام الرسائل، وأستاذ حبد الحيد الكاتب ، ولا شك أن من أجاد لغتين استطاع أن يروى اناساً من إناء أناس . وقد ذكروا عن عبد الحيد أنه أول من جعل الكتاب، صناعة عتيدة لها نظامها فى البده والختام ، وتكرار التعميد فى فصول الكتاب، والتوسم فى الأسلوب بالترادف وغيره .

وكما اقتضت الحضارة التفخيم في القول والاتساع فيه، اقتضت كذبك كثرة الأعمال لذى الخلقاء والسال أن يبالفوا في الإيجاز في ردودهم ، أو مايبدونه من رأيهم فها يقدم إليهم من شكايات أو مطالب ، فكثر ذلك النوع المسسمي بالتوقيع (١) يكتبونه في آخر

⁽١) يطلق التوقيع على ممان :

١ --الإماة .

٢ --- رمى لاتباعده ، كأنك تريد أن توقعه على دى .
 ٣ --- الدبر الذي يكون في ظهر إليابة ويقال بعبر موقع .

^{3 —} إقبال السيقل على السيف بجيفته يجلوه . وفى الاصطلاح أن يكتب على حواشى الكتاب أو القصة المرفوعة إلى السلطان ماهيد الاطسلام عليها وإيراد الرأى فيها . وأول توقيع عرف كان لدر بن الحطاب . فقد كتب إلى سعد بن أبي وعاس فى بنيان : (إبن ما يكنك من الهواجر وأنتى المطر) ووقع السرو بن الماس (كن لرعبتك كما تحب أن يكون لك أحبرك)

الرسالة أو الشكاية ليدلوا على أنهم قرءوها ، فيكون رأيهم وانحاً فى تلك الكلمة المجملة التى يذيلون بها الرسالة :

١ - كتب ربيعة بن عسل الير بُوع إلى معاوية يسأله أن يعينه فى بناء داره بالبصرة باثنى عشر ألف جذع ، فوقع على رسالته (دارك فى البصرة أو البصرة فى دارك ١٤) .

 ح وكتب مسلم بن حقبة المرى إلى يزيد بن معاوية بالذي فعل بأهل المدينة فى وقعة الحرّة ، فوقع فى أسفل الكتاب : « فَلَا تَأْسَ طَلَى الْقَوْمِ الْفَاسَقِينَ » .

 حَكَتب قتيبة بن مسلم إلى سليان بن عبد الملك يتهدده بالخلع ، فوقع سليان (الْسَارِقَةُ لِلْمُتَّقِينَ » .

كتب بمض عمال عمر بن عبد العزيز إليه يستأذنه في مرمة مدينته فوقع:
 (انبها بالمدل ونق طرقها من الطلم » .

وكتب إليه عامله على الكوفة أنه ضل فى أمر ضل عو بن الخطاب فوقع
 له: «أُولٰتُكَ الَّذِينَ مَذَاهُمُ اللهُ فَهِهُمُ الْهُمُ أَفْتَدُهُ » .

₩.

ولا تساع الدولة وكثرة أعمال الخلفاء ، لم يستمرّوا يكتبون الرسائل بأيديهم ، أو يماونها على الكتاب ، بل تركوا ذلك إلى من قام به من أبناء العرب ، أو للوالى الذين أجادوا العربية ، وما زالت الكتابة يعظم أمرها حتى صارت فى آخر عهد الدولة صناعة عكمة لما نظامها وقوانينها ، وكثر السكتاب ، وتعدّد رؤساؤهم ، كما تعدّدت الدواوين ، ولم يكن منها فى المصر الماضى إلا ديوان الجيش ، وأوّل من انفذه عمر لما اتسسست الفتوح ، وزاد عدد المقاتلين عن الحصر ، وديوان الخراج ، وقد نشأ فى كل مصر منذ دخول العرب فيه ، وهو ديوان كل عمله حساب ، ليس قيسه أثر الثنوق فى اللهة أو التفاضل فى الأسلوب ، ومع ذلك فقد تبداً كما تعرف فى زمن عبد الملك بن مروان . وقد زاد معاوية ديوان الخاتم ، وهو ديوان يختم فيه الرسائل التي تصدر عن الخليفة حتى لا يطلع عليها إلا من ترسل إليه ، وسبب إنشاء هذا الديوان : أن معاوية أحال رجلا على زياد أمير العراق بمائة ألف درهم ، فمضى الرجل فجسل الممائة مائتين، ظما رفع زياد حسابه إلى معاوية أنكر ذلك وقال : ما أحلته إلا بممائة ألف ، ثم وضع ديوان الخاتم ، فصارت التراقيع تصدر منه مختومة لا يدرى أحد ما فيها ولا يمكن تغييرها .

4

و إننا اندى في هذا المصر مظهراً المكتابة لم نعيده في المصر الماضي وهو الرسائل الإخوانية، وتريد بها تلك الرسائل التي تكون بين الناس في عتاب، أو شوق ، أو شكر، أو استعناح . وذلك أثر لانتشار العلم والكتابة ، ولانساع رقعة لللكة ، وتوزع الناس فيها مع اشتبال للصالح واتصال الأواصر ، وقد كثرت هنا الرسائل في أواخر هذا المصر ، ولا غرو إذا رأيت فيها طرفا من التنوق ومسحة من الابتداع ، فإن التقسيم والازدواج، بل السجع لتظهر فيها واضحة ، وذلك فيها بثنابة إرهاص لما تتابع بعد ذلك، وتزايد في المصر النباسي ، ولا شك أن ختام عصر فأتحة للمصر الذي يليه .

الخطابة في العصر الأموى

فأما حرّية القول ، فقد ضحنها معاوية للناس في قوله : إنا لا نحول بين الناس و بين ألسنتهم مالم يحولوا بيننا و بين ملكنا ، وقوله : إن لم تكن إلا كلة يشتق بها مشتفٍ، جعلتها تحت قدى ودَثر أذفى . وهذه الحرّية التي تسامح فيها معاوية أو اضطرّ إليها اضطراراً لما يعلم من شدّة الشكائم ، هى التى أفسحت الحجال لتكون هذه الأحزاب السياسية ، وأنت تعلم أن الحرب أوّ لهـا الكلام .

نهم، إن الأمويين حاوبوا هذه الأحزاب من شيمة وخوارج وذبيريين وغيرم، ولحكن تتالهم لم يكن إلا بعد استفحال أمرهم واستغلاظ شوكتهم . ولقد كان معاوية وخلقاؤه أعلم الناس بطبيعة العرب، وأنه لايستطيع أن يأخذ عليهم مذاهب القول، أو ليس من هؤلاء العرب من وأى المغيرة بن شعبة يصعد المنبر والياً من قبل أمير المؤمنين معاوية فحصبه !! وليس منهم الذى كان يرد على الخليفة قوله وهو يخطب وحوله الحرس الأشداء والجند المدجمون بالسلاح، حتى اضطر عبد الملك أن يقول، وهو على المبر لن قال له اتن الله: « من قال لى اتن الله بعد يوى هذا ضربت عنه » أو ليس منهم الذى يقول العجاج ، وقد كان منه ما أغضب الأمير: إن صدقناك أرضينا الله ، منهم الذى يقول الحجاج ، وقد كان منه ما أغضب الأمير: إن صدقناك أرضينا الله ، منهال الحجاج رجلا عن أخيه عهد ، فقال الرجل: تركته عظها سميناً ، فقال له: ليس عن هــــنا سألك . قال : تركته غشوما ظاويمًا . قال : أمراه أمرًا منى بالله .

وذكروا أن أعرابيًّا شهد أمام معاوية بشيء كرهه ، فقال له معاوية :كذبت يا أعرابي ، فقال الأعرابي : الكاذب والله متزمّل فى ثيابك ، فقال معاوية وتبسّم : هذا جزاء من عجل .

أما الأس الثاني وهو تمام الملكة، فليس ينكر أنها لم تكن عند الأمويين مثلها عند المسر السابق، ولكن التقص عند هؤلاء لم يتناول إلا العرض وهو الإعراب، فأما قوة البيان، فقد كانت في أوائل العصر شائمة في العرب الخلص، حتى إن منهم من ساموا السابقين في البلاغة وقوة العارضة، على أن الأمويين كانوا يجتهدون في السعو بأخسهم عن للميد إلى ضعف الملكة ، فكانوا يكثرون من للذاكرة لكلام العرب ، وينشئون أولادهم بالبادية ليحتفظوا بالبلاغة المربية إذ كانوا يرونها فحرهم ومينتهم،

وهؤلاء الذين تعدّ هم لحانين لم يكونوا بناقصى لللكة فى التمبير، فإن خالدا القسرى ، والوليد بن عبداللك معدودان من فصحاء الخطباء، وقد مرّ بك رأى الجاحظ فيهما. وقد حدثتكم فكر بن عبد العرز بز الدمشق ، سمحت الوليد بن عبد الملك يقول على للنبر : إذا حدثتكم فكذبتكم فلاطاعة لى عليكم ، وإذا غربتكم فجرّ أنكر المناهة لى عليكم ، فيقول مثل هسدنا الكلام ، ثم يقول لأبيه : يا أمير المؤمنين اقتل أبى فُذَيْك ، وصعد عبد الله بن زياد للنبر بعد موت يزيد بن معاوية ، وحين بلغه أن سلمة بن ذؤيب الرياضي قد جم الجوع بريد خلمه ، قتال : يأهل البصرة انسبونى ، فوالله ما مهاجر أبى إلا إليكم ، وما مولدى إلا فيكم ، وما أنا إلا رجل منكم ، والله لقد وليكم أبى ومامةا تلتكم إلا أربعون ألفاً ، فيلغ بها ما "هو وعشرين ألفاً ، فيلغ بها ما "ها وعشرين ألفاً ، فيلغ بها ما الماس . انظروا رجلا تولونه أمركم ، يكف سفيه كم ، ويجبى لكم فيئكم ، ويقسمه فها المنتم ، فأيما أن رجل منكم ، فإنجال أخذت تضمف فى أواخر بالمحر ، ولكنه ضمف لا يخرج بأسابه إلى السجز والانبهار .

وأما الأسّ الثالث وهو دواعى الخطابة ، فقد زادت فى هذه الأيام باتساع المملكة وتعدد الأحزاب السياسية ، ونشوء الفرق الدينية ، وتكاثر الوفود على أبواب الملوك ، وحاجة الأمة إلى الوعظ لشمف الوازع الدينى ، ولحلهم على الطاعة لأولى الأمر حتى رأينا معاوية أوّل من رتب الوعاظ بالمساجد : كما نشب أمن التابعين قوم أهل ورع وصلاح لم يغبوا الناس وعظاً و إرشاداً كحمد بن سيرين والحسن البصرى .

ولتد بلغ من شأن الخطابة وظهور الحاجة إليها فى هذا المصر أن كانوا يعلمونها الفتيان الناشئين ويدرّبونهم عليها حتى لا يتأخروا عن مواقفها إذا قدموا على أمير أو تَكَلموا فى حفل، والرجل عندهم إنمـاكان قدره فى أسلة لسانه، وقوله دليل جنانه.

حكى الجاحظ في البيان والتبيين. قال ما معناه : مرَّ بشر بن المتمر على إبراهيم

⁽١) التجمير: إطالة التغريب .

ابن جبلة ، وهو يعلّم الفتيان الخطابة ، فوقف عليه وكأنه لم يسجبه كلام إبراهيم ، فدفع إلى الفتيان صحيفة من تحبيره وتنميقه ، فإذا فيها من كلام كثير .

ينبنى للمتكلم أن يعرف أقدار المانى، ويوازن بينها وبين أقدار الستمعين وبين أقدار الحالات، فيبحل لكل طبقة من ذلك كلاما، ولكل حالة مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار للعانى، ويقسم أقدار العانى على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين علىأقدار تلك الحلات، فإن كان الخطيب متكلماً تجنب ألفاظ المتكلمين الخ، فهذا يدلك على أن شأن الخطابة عظم فى هــذا المصرحتى رأوا الحاجة ماسة

إلى تعليها .

ولقد ظهر فى خطابة هذا المصر تلك الموامل التي كانت تتنازع الأمة ، فقد علمت أن دولة بني أمية لم تقم على الدين لعلهم أن مظهره لا يقبل منهم ، وفى الأمة أمثال الحسن والحسين وعبد الله بن الزبير وغيرهم من كبار الصحابة ، لذلك جمل الأمو يون معولهم على السياسة ، فبان ذلك فى خطابتهم ، فلم يحفلوا فيها باقتباس آيات القرآن كما معولهم على السياسة ، فبان ذلك فى خطابتهم ، فلم يحفلوا فيها باقتباس آيات القرآن كما كان يفعل السلف الصالح ، حتى لقد غلا بعضهم ، فترك حمد الله فى أو هما كما نعل خطبته بين من كلام الله ، على حين ثرى النزعة الدينية عند مثل مصحب بن الزبير تحمله على أن يجمل بعض خطبته كاما من القرآن المكريم كما خطب ، فلم يزد على قوله : بيشم الله الرّاضي الرّاضي من الزبير تحمله بيشم الله الرّاضي الرّاضي من الرّاضي من تنافو عمليك من المنسدين الواشيدين المؤسل وتنجما أنها من القران المنافو ينام المن المؤسل وتنجما أنها أن المنافو يمنون عالم في الأرض وتنجما أنها وتنافو الموادي والشار بيده نحو الشام) وتركيد أن تمن المنافو يتحد كن المنافو في الأرض وتنجماكم الواق في الأرض وتنجماكم الواق) . واشار بيده نحو الحباز) وتمكن المنه في الأرض وتنجماكم فرعون والمواد) وتمكن المنه في الأرض وتنجري تمكن المنه في الأرض وتنجري تمكن المنه في الأرض وتنوي تمكن المنه في الأرض وتنوي تمكن المنه في الأرض وتنوي تمكن المنه في المراق) .

وقد تجلت ظاهرة فى خطابة هذا المصر، وهى التوقع فى السبّ والناو فى الشم ، وماجر عليهم ذلك إلا الإمدان فى الخلاف السياسى ، ومطاوعة شهوة الانتقام ، فقد ولم الأمويون بسب على " ، وكان ذلك دينهم لا تخلو خطبة لهم من النيل منه . والعبيب فى ذلك أنهم خلطوا الدين بالسياسة ، فكان سب على ملتزما فى خطب الجم ولم يمدل عنه إلا عربن عبد المزيز، فإنه جعل مكان السب قوله تمالى: « إنَّ الله يَا مُرُونَ وَ الْإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِى الْقُرُّ فِي وَيَنْهَى عَنِ الْفَصْحَاء وَالْمُسْكَمْ وَالْبَعْلَى وَالْبَعْلَى فَلَكُمْ لَمَلَكُمْ لَمَا كُمْ تَذَكَرُونَ » .

أما عادات الحطابة فقد بقيت إلى هذا العصركا كانت فى الذى قبله حتى كان عبد الملك بن مروان يقول : لو أقيت الخيزرانة من يدى لذهب شطركلامى ، وأراد معاوية سحبان واثل على الكلام ، فلم ينطق حتى أتوه بمخصرة فرطلها فى يده فلم تعجب حتى أتوه يمخصرته من بيته فحطب بها .

أشهر الكتاب والخطباء في العصر الأموى

لا نستطيع القصل فى هذا المصريين الكاتب والحطيب ، وذلك بأنّ أغلب من تولوا الكتابة والخطابة كانوا من ذوى الملكات القوية التى تولى صاحبها فى أن أنواع القول، ولم يكن قد أتى بعد ذلك المهد الذى لا يستطيع فيه الكاتب أن يرتمبل القول، اللهم إلا فى أخريات هذا المصر فإنه قد اشتهر قوم بالكتابة وحدها ، ولم تعرف لهم مواقف للمخطابة كعبد الحيد الكاتب، ولملّ ذلك يرجع إلى صنته ، ونوع العمل الذى كان يتغله ، فإن عمل كان فى النظر فى الرسائل وتسويدها ، فلم يغرغ لموقف الحطابة حتى نعرف بلاء فيه .

كذلك كان الحال فى العصر المساضى ، ويرجع ذلك كله إلى تممام الملكة التى تواتى صاحبها فى كلّ ما يمعاول منها ، فأما فى العصر العباسى فاضعف الملكات وحاجتها إلى الاكتساب والمران نرى كتابا لا يحسسنون موقف الخطابة ، وربما كانوا فى نهاية البلاغة ، ولكن طبعهم لا يواتيهم إلا مع الروية ، واستجماع الخاطر ، وذلك خلاف ما تحتاج إليه الخطابة من حضور الذهن والاعتاد على البديهة .

ومن أشهر رجال هـــذا المصر فى الخطابة والكتابة : ماوية ، ويزيد ابنه ، وعبد الملك ، والوليســد ، وسُلّيان ابناه ، ومُحَر بن عبد الفريز ، وسَتَشَان وَاللّي ، والحَجَّاجُ ، ومن الشــيمة : الحَدَّر بن عُبَيْد الله النَّقِيِّ ، والكُمْدَّتُ بُن زَيْدٍ ، ومن الحُوارج : الطّرِمَّاحُ ، وقطري بن النُجّاءة ، وأَبُو حَرْزَةَ الخَارجي ، ومن رؤساء القبائل : صَنْصَمَة بن صُوحان ، والأحنف بن قيس ، ومن بني هاشم : أمثال الحسين أن على "، وابنه على "، وخفيده زيد .

الحجاج بن يوسف

[نسبه] : هو أبو محمد الحجاج بن يوسف الذي ينتهي نسبه إلى تَقْيِف هو أبو القبيلة للشهورة .

وتجد المؤرّ غين كلاما عن ثقيف هذه ، فبعضهم يرجعها إلى مضر، و بعضهم يجعلها من قحطان ، و بعض يقول إنها من بقايا ثمود ، ولملّ هذا القول الأخير لم يقصد به إلا تشنيم اسم الحجاج من الذين كرهوا بعلشه وألصقوا به كلّ قبيح ، ولقد ردّ عليهم الحجاج حين هنفوا بهذا النسب ، فصد المنبر يوما ، وقال : يزعمون أنا من بقايا ثمود ، فقد كذّ بهم الله بقوله : « وَتُمُودَ فَلَا أَبْتَى » ، وكرّ رهذا الردّ مرّة أخرى فقال : لأن كنا بقا عمود لما تجام مسالم إلا خيارهم .

وقيل إن أمه سمته كليبًا على عادة العرب من تسميتهم بكليب وصخر وفهر وحرب ثم لقبته الحجاج تعاؤلا أن يكون ورعا كثير الحج ً .

[أبواه]: أما أبوه فهو يوسف بن الحكم بن أبي مقيل، كان من مشايخ تميف ، وكان نبيلا جليل القدر . يدل على ذلك ما ورد من أنه خرج من مصر ، يريد عبد الملك ابن مروان ، ومعه ابنه الحجاج ، فأقبل سلم بن عمرو قاضيها ، وكان من أروع الناس وأتقاه ، فقام إليه يوسف وقال ، إن كانت لك حاجة إلى عبد الملك فأعلى بها ، فقال له : حاجتى أن يعرنى عن القضاء ، فقال يوسف : والله لوددت قضاة للسلمين كلهم مثلك فكيف أسأله هذا . والذي تقصده من هذه القصة أن نذكر أن الحجاج استنكر أن يقوم أبوه لهذا الرجل ، فقال له أبوه : هذا قاضى أهل مصر وقاصهم ، فقال الحجاج ينفر الله لك يا أبت ، أنت ابن أبي عقيل تقوم إلى رجل من كندة أو تحييه ، فقال له أبوه يا ينفع أبوه يابني ، إني أرى الناس ما يرحون إلا بهذا وأشباهه ، (يريد أنه ورع تق ينضع الناس بصلاحه) .

وهذه القصة تمثل لك مقام أبيه وجلال شأنه ، ويصح أن يكون الحجاج مثالياً بقدر أبيه ، ولكنه لا يفعل ذلك إلا وفى أبيه فضل وله مقام يرضه به الحجاج عن القيام لرجل والسلام عليه ، وفى قصد الرجل لأمير المؤمنين دليل ثان على نباهة شأنه وهذا يجملنا تستبعد ما ولع به الناس من دعوى أن أبا الحجاج كان معلم صبيان ، وأن الحجاج نشأ فى عمل أبيه يعلم معه ، وفي الحجاج يقول الشاعر مشيراً إلى ذلك :

> أَيْشَى كُلَيْبُ زُمَانَ الْمُزَالِ وَتَعَالِيمَهُ مُورَةَ الْسَكُو ْتَرِ رَخِيفُ لَهُ كَالَفُ دَائرُ وَآخَـــــرُ كَالْفَتَى الْأَرْهَرِ

يريد أن خبز للملمين مختلف فىالصفر والسكبر على قدر بيوت الصبيان . وتقد زاد أهداء الحجاج ، فنسبوا إليه أحقر الصناعات ، فقال بصف : كان دباغا ، وقال آخرون : كان بائم زبيب .

أماأمه فقد تمثل في الحديث عنها ماكان يضمره الناس من عداوة الرجل ، فبعضهم

يجملها زوج الحارث بن كَلَدة طبيب العرب الشهنور ، وأنه طلقها لأنه دخل عليها سحراً ، فوجدها تتخلل ، فبعث إليها بطلاقها ، وقال لها : إن كنت بادرت النسداء فأنت شرهة ، و إن كنت بت والطعام بين أسنانك فأنت قنرة ، فقالت كل ذلك لم يكن ، ولكن تخللت من شغاليا سواك ، ثم تزوجها بعده يوسف أبوالحبحاج و بعضهم يقول : إن أمه هي المتمنية ، وكانت تحت المفيرة بن شسسسمبة ، و إن عر طاف ليلة ، فسمع إم أة تنشد :

مَلْ مِنْ سَبِيلِ إِلَى خُرِ قَأْشُرَبَهَا أَمْ مِنْ سَبِيلِ إِلَى نَصْرِ بْنِ حَجَّاجِ فقال عمر : لا أرى معى فى المدينة رجلا تهتف به المواتق فى خدورهن على "بنصْر ابن حَجَّاجٍ ، فأتى به فإذا هو أجمل الخلق وجها وأحسنهم شعراً ، فيترَّ شعره ، وسيره إلى البصرة ، وكانت هذه المرأة زوج للنيرة فعلقها فتزوَّجت يوسف أبا الحجاج .

[منشأ الحجاج]: نشأ بالطائف، وهي مدينة على مرحلتين من مكة ، وكانت واحة كثيرة القواكه طبية الهواء ، ولعل نشأة الحجاج بها هي التي جرّت عليه ما لهج به الناس من وصمه بالدباغة ، أو بيع الزبيب ، أو تعليم الصبيان ، لأن هذه الأحمال هي شأن أهل المدن غالبًا . ولقد أثرت في الحجاج نشأته بالطائف ، فإنها لتوسطها وقر بها من مكة و إحاطة الصحواء والبدو بها حاز الحجاج فضيلة الايانة ، وتمت فيه ملكة الفساحة ، وهي كما تعلم ملكة كانت كاملة فيه ، وقد مرّ بك أنه أحد الأربعة الذين لم يلعنوا في جدّ أو هزل .

عصر الحجاج

لطك تتساءل عن السبب الذي أنشأ الحجاج بهذه المثابة من الفلظة حتى أسرف فى القتل ، فحضح له العراق عشّ النفاق والفدر الذي لم يجتمع قبله إلا لرجل واحدكان أشبه بالحجاج فى الفلظة والشدّة من الصخر بالسخر وهو زياد بن أبيه . هذا الحجاج الذى يقال : إن تتلاه مائة ألف أو يزيدون ، وأنه مات وفى سجنه عشرون ألفاً ، وكان سجنه غير مسقوفصيفاً وشتاء .

ولسنا ننكر أن يكون للمصر أثر ظاهر فى حياة العائشين فيه ، ولكنه ليس فى نظرنا كلّ شيء ، فقد رأينا كثيراً من النابنين لم يكن لمصرهم أثر ظاهر فيهم ، بل كان أحدام ننديج وحده فيا تهياً له ، فقسوة الحجاج يرجع بعضها إلى ما تأثر به من أحوال عصره كما يرجع كثير منها إلى تركيب نفسه والغلظة والقسوة من الأخلاق مثل : الذكاء والبلادة فى النفس تنبع التركيب الذي برأ الله عليه المخلوق يؤثر فى ذلك بالزيادة والنفس ما أفادته الورائة والبيئة .

وإذا كان السصر يؤثر فى نفس الناشئ ، فسنذكر للك من تاريخ الزمن الذى أظل الحجاج نهذاً يجعلك تمحيط به وتعرف جملته .

Å.

كانت ولادة الحباج إبان قيام الدولة الأموية سنة ٤١ وعاش ٥٤ سنة ، فيكون قد نشأ بين صلصلة السيوف ، وخفق البنود ، وحنين القسى ، وجلبة الجيوش ، ولمله إن لم يكن رأى شيئًا من ذلك يكون قد سمع أخباره : والأذن كالمين تو في القلب ما كان .

مضت أيام معاوية لم يكن فيها من انقلاقل ما يزعج . نسم ناوأه الخوارج والشيعة · بالمراق ، فرماهم بالمفيرة بن شعبة فى الكوفة ، ثم زياد بن أبيه فى البصرة وخراسان ، ثم ضح إليه الكوفة فيا بعد ، فاستقام لمعاوية الأسر .

ولكن اتمتنة اشتملت وتطاير لهبها أيام يزيد ابنه ، فإن الخوارج زادت شوكتهم وامتنم عن للبايعة له بالمدينة الحسين بن على " ، و بمكة عبد الله بن الزبير ، وذلك لما عرف الناس عن يزيد من اللهو والغرام بالصيد . وبما زاد الفتنة اشتمالا قتل الحسين فى طريقه للكوفة على يدعمو بن سعد بن أبى وقاص . وفى ههد يزيد انتهكت حرمة للدينة على أثر وقعة الحَرَّة ، وأبيحت ثلاثة أيّام ، وكانت جند الشام تمثل بأشراضا ، وتعلب منهم البيعة ليزيد على أنهم هبيده ومن أبي تقل . وقد كثر عدد التتلى فى هذه الفتن حتى لقد قتل سائب خائر المننى ، واستمظم يزيد هسه ما أتنه جيوشه حين علم أن القتل تناول أمثال سائب . كذلك توجه هذا الجيش إلى مكة ، نخاصرها ورماها بالمنجنيق ، فتصد عت جوانب السكعبة ، ثم ارتد عنها لموت يزيد ، تقويت شوكة عبد الله بن الزبير حتى بايعه أهل مصر مع العراق والحجاز ، ولم يبايع خليفة بنى أمية معاوية الثانى ثم مروان بن الحكم إلا أهل الشام .

جرت هذه الحوادث الأخيرة والحباج شاب ّ ير بى على العشرين ، فكان يعى ما يجرى حوله ، وانضم ّ ذلك إلى غلظته للركبة فى طبعه ، فتست له الأسباب التى هيأته لمـا جرى على يديه .

الحجاج قبل الولاية

كان اتصال الحجاج برَوح بن زِنْبَاع فعمل فى شرطته ، وكان روح من عبد الملك بثنابة الوزير .

أراد عبد الملك أن يخرج لقتال زقر بن الحرث ، وقد دعا لابن الزبير بعد موت يزيد ، فشكا إلى روح ما يلقاه من الجند من توان فى طاعته ، وأنهم لا ينزلون بنزوله ، ولا يحدون برحيسله ، فقال له روح : إن فى شرطتى رجلا لو قلده أمير المؤمنين أمر عسكره لم يرمنهم خلافا أو توانياً ، وهو الحجاج بن يوسف ، فقال عبد الملك : قد قلدناه ، فكان ماحدث به روح ، ولكن قوما من جند روح ، لدالتهم ولموضع سيدهم من أمير المؤمنين كانوا يظهرون خلافا ، فمر الحجاج بعد رحيل العسكر فلم يجدهم ارتحلوا فهدم عليهم خيمتهم وأحرقها بما فيها من أثاثهم ، فشكوا إلى روح ، و بلغ الخسير

عبد الملك فطلبه وقال: من فعل هذا بنامان روح ؟ فتال: أنت يا أمير المؤمنين أمرتنا بالاجتهاد فيها ولينا ، فضلنا ما أمرت و بهذه الفعلة يرتدع من يتى من أهل المسكر ، وما على أمير المؤمنين أن يبوض عليهم ما ذهب ، وقد قامت الحرمة وتم المراد ، فأعجب به مبد الملك ، وأقرَّه على عمله .

طموح الحجاج

كان الحباج عظيم الطموح شديد الرغبة فى السمو" إلى الدرجات الملا ، وقد
تذرع إلى ذلك بالإخلاص فى الخدمة والحرص على رضا مولاه عبد الملك وتعظيمه فى
مشهده ومغيبه ، فقد أوفده عبد الملك مع رجاء بن خيوة إلى زفر بن الحارث يدعوه إلى
الصلح فحضرت العملاة ، فقام رجاء فعملى مع زفر ، وصلى الحباج وحده ، وسئل عن
ذلك ، فقال : لا أصلى مع منافق خارج على أمير المؤمنين ، فلما سمع عبد الملك ذلك
عرف إخلاصه ورفع درجته ، فولاه باداً يسمى تتبالة من أعمال البين ، فلما كان قريباً
منها سأل عنها ، فقيل له إنها وراء هذه الأكمة ، فقال : أف لبلية تسترها أكمة ،
ورجع عنها ، فقيل الثل : أهون من تتبالة على الحباج ، واستعنى عبد الملك من ولايتها
ويق ملازما خدمته .

كذلك تذرَّع الحجاج إلى تحقيق مطامعه من العظمة ورضة الشأن بالإقدام والثناني فى خدمة الخليفة عبد الملك ، فإنه يقال : إن حبد الملك لما فرغ من تتال مصحب بن الزبير ورجع إلى الشام قال : من لعبد الله بن الزبير (وكان ممتنماً بمكة) ، وندب الناس تتناله ، فقام الحجاج وقال : يأمير للؤمنين أنا له ، أبشتى إليه ، فقد رأيته بالمنام كأنى سلخته وجرّدته من جليه فبضه إليه . فكان من الحجاج أن استحل كل موبقة ، واستباح كل معصية فى سبيل إرضاء عبدالملك ، فإنه حاصر مكة وضربها

بالمنجنيق ، وكان ذلك سنة ٧٧ ه ، ولما اشتدت الحال على أهل مكة تفرقوا عن الزير ، وخرجوا بالأمان من الحجاج ، وكان بمن فارق ابن الزير ابناه حمزة وحيب ، ولما رأى ابن الزير أنه لم يبق معه إلا قليل لا يغنون شيئاً دخل على أمه أسما، بنت أبي بكر ، فقال : يا أماه اخلنى الناس حتى ولدى وأهلى ، ولم يبق معى الا اليسير ، ومن ليس عنده خناه أكثر من صبر ساعة والقوم يعطوننى ما أردت من الدنيا ف رأيك ؟ قالت : أنت أعلم بنفسك إن كنت تعلم أنك على حق ، و إليه تلمو فلمض له فقد قتل عليه أحماك ، ولا تمكن من رقبتك يتلسب بها غلمان بني أمية . وإن كنت إنما أردت الدنيا فبئس العبد أنت أهلكت بهدك ومن قتل معك ، ويا أهل الدين من كنت على حق ، فلا وهن أحمابي ضعفت ، فيذا ليس فعل الأحوار ، ولا أهل الدين . كم خلودك في الدنيا ؟ القتل أحسن ، فقال : يا أمي أخاف إن غلبني أهل الشام أن يتألوا بي ويصلبوني . قالديا بي التقل أحسن ، فقال : يا أمي أخاف إن غلبني أهل الشام أن يتألوا بي ويصلبوني . قالت يا بن الشاة لا تتألم بالسلخ ، فامض على بصيرتك واستمن بالله ، فقبل رأسها وقال : هذا رأيي والذي خرجت به دائماً إلى يومي هذا . وأن تستحل حرماته ، ولا أحببت الحياة فيها ، وما دعاني إلى الخروج إلا النضب لله . وأن تستحل حرماته ، ولكني أحبت أن أعلم رأيك فقد زدتني بصيرة .

ثم خرج فقاتل حتى قُتل وصلب ، ولم ينزل إلا بأمر عبدالملك ، ثم كافأ عبدالملك الحجاج بأن ولا والمجاز إلى سنة ٧٥ ه ، وبما يدلك على طموح الحجاج أنه لم ير في ولاية الحجاز إشباعا لأطماعه العظيمة ، فكتب إلى عبدالملك يقول : إنى قد حرت الحجاز بشالى ، و بقيت يميني فارغة ، فبحث إليه عبدالملك بعد المراق .

ولاية الحجاج العراق

لم يكن تيها المجاج فيا مضى من أحماله إلا مقدمة لما تجلى من عدّته وحدقه لأساليب القسع والضرب على أيدى الماثين بالقساد، فإن المراق كان منذ قديم عهده مثار الفتنة ومبعث الشرّ . اجتمع فيه الخوارج والشيعة ، واهستدّت به المصبيات ، وطال من أهله الخروج على الخلقاء والترّد على طاعتهم والطرد لولاتهم . ويشمل العراق بلاد خواسان ، وطالما امتنع بها الولاة والقواد وخلوا طاعة الحلفاء لعلهم بوعورة الطريق إليهم . وقديما أقلقت هسذه البلاد بال معاوية ، فرى أهلها بالمغيرة بن شعبة ، وزياد ابن أبيه المذى كان قلوة الحباج ومثله الذى يحذيه في الشدة وسياسة القهر .

أقبل الحبياج وهو يعلم من أهل العراق كثيراً من خلافهم وعنادهم، وهسدة شكيمتهم ، بقنابهم بالشدة ، واستمان عليهم بالقول الذى زلزل عليهم المجالس حتى سمعوا صلصلة السسبيوف ، اوقبقية الخيول ، وصوت الفارات من بين ألفاظه ، وإن لفصاحة الحجاج لنيداً محمودة الأثر فى تجاحه ، فإن للقول تأثيراً قد يتجاوز تأثير السيف ، و بخاصة فى مثل هؤلاء ، وهم عرب يقيمهم الكلام و يقمدهم .

قصد الحبحاج إلى الكوفة فى أثنى عشر راكبًا على النجائب حتى دخلها فجأة ، وقد انشر النجار ، فدخل السجد مُمْتَمَّ بسمامة خرّ أحمر قد غطى بها وجهه وهو متقلد سيفًا متنكّب قوسًا يؤمّ المذبر ، فقام الناس نحوه حتى صمد المدبر ومكث ساعة لا يتكلم ، فقال الناس بصفهم لبعض : قبّح الله بني أمية تستممل مثل هذا على العراق ، حتى قال مُحمير ابن ضابي البرجى ألا أحصبه لكم ؟ فقالوا أمهل الرجل حتى ننظر ، ظا رأى عيون الناس إليه حسر الثام هن فيه ، ونهض فقال :

خطبة الحجاج بالكوفة

أَنَا أَنْ جَلَا^(٢) وَطَلاَّعُ الثَّنَاكِ مَتَى أَضَعِ الْسِكَةَ^(٢) تَعْرِفُونِى والله يأهل العراق : إنى لأرى رءوساً قد أينت وحان قِطَافُها^(٢) و إنى لصاحبها، وكأنى أظر إلى الدماء بين العمائم واللحى^(٤) ، ثم قال^(٥) :

⁽١) ابن جلا. قال بسن النحاة: إذ فسل محكي وحده أو مع صديد المستز. وبرده أنه لبس قد نسب سميم قائل الشعر من تسمى بهذا الاسم . وقال قوم: إذه وصف بالجلة لمحذوف أى ابن رجل جلا الأمور . وفات مؤلاء أن الجلة لا يوصف بها إلا إذا كان الموسوف "بعضا من منقدم بجرور بمن نحو منا ظمن ومنا أهم أو بين نحو مافي قومه بمضاء: أي أحد، وإلى كان مذا ليس بلازم . والذي يحسن هو أن يقال إن جلا اسم مقصور من الجلاء ، فالمني أنا إن الواضح الأص ويؤهد صفا أنهم بقولون ابن جلا وابن أجلى . وقبل الجلا وأجلى ممناها الصبح. مذا ما يرجمه الشيخ لمارضي رحه افة في هرجه للسكامل . وترى أنه يمكر عليه عدم تنوين جلا ولا موجب لمن المصرف في الكلمة . أنشك قول : لامام أن يكون جلا طماع عكما ، وقد قال صاحب لمان المرب: ابن جلا رجل مدجور بالبتك فيكون سحيم خد قال ذلك على التشهيه : أي أنا كابن جلا في الفارة والشدة .

⁽٣) السامة: من معانها غوقة الحرب. ووضع هناء اما يمين جعلها على الرأس، والمدى أنه الحفا استعد للمعرب ولهى الحوقة رأى الناس منه عبا ، وإما أن يكون يمين خلع ويؤيد هذا السامة السامة المربية وهى أن الرجل إذا قتل له قتيل لاشغطى رأسه ممامة وستر بها رأسه وخرج لطلب التأر وما يزال مكذا مثلًا حتى يأخذ بالنار لييسم أوزار الحرب ومن بينها السامة ويساعد على مذا أن الحباج أنفد البيت وهو يزيخ لئامه من وجهه . قال لعلب : السامة تلهى في الحرب وتوضع في السلم . وعليه يكون المنى من أمنع السامة تعلمون أنى المغباع الذى لم أنم عن تأرى . وقائل هذا البيت هو سميم بن وتيل الرياس شاعر مخضرم عاش في المطهم و الاسلام ه ، سنة .

 ⁽٣) ينع (كذر ومنع) أدرك . شبه رءوس العماة المخالف ين أولياء أمورهم بالثمار الى
 تم نضجها فلم ييق إلا أن تلطف وتزال عن أغصائها .

⁽٤) إنما تكون الهماء بين السائم واللحي من الضرب بالسيوف في الجباء وأحرار الوجوء

 ⁽٥) قال:أى أنشد، لأن فائل منه الأبيات هورويشد بن رميض الدنزى، والشعر مقول في همريح ابن ضييمة غزا البين ففتم وسيا ثم ضل وهو والمجع فسأق بإصحابه سوقا عنيفا حتى تجوا.

طَذَا أَوَانُ الشَّدِ فَاشْتَدَّى زِيمٌ فَدُ لَهُا النَّيْلُ بِسَوَّاقِ مُحَلَّمْ (١) لَيْسَ بِرِاهِي إِيلِ وَلاَ خَنَمْ وَلاَ بِيَزَّارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمْ (٢٥) فَدُ لَنَّهَا اللَّيْسِلُ بِعِصْلَكِيَّ أَوْقَعَ خَرَّاجٍ مِنَ النَّوَّيُّ (١) مُمَاجِدٍ لَيْسَ يَأْهُمْ إِيَّادًا

شم قال (ه) :

قَدْ تَمَرَّتْ عَنْ سَاقِهَا فَشُدُّوا وَجَدِّتِ الْمُرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا وَالْقَوْسُ فِيهَا وَرَّ مُسَـرُدُ مِثْلُ ذِرَاحِ الْبَكْرِ أَوْ أَسْــــُدُ لاَ بُدِّ عِيَّا لَيْسَ مِنْهُ 'بُدُ

إِنَّى وَاللَّهِ يَأَهْلَ الْمِرَاقِ مَا يُقَمَّعُ لِي بِٱلشِّنَانِ (٢٠ ، وَلا يُشْرَرُ جَانِبِي كَتَصْاذِ

(١) زيم : اسم نافة أو فرس . السواق الحلم : الذي لايبتي من السير شيئاً .

(٢) الوضم: ما يضلع عليه اللحم ه الفرمة » والمرادأته لرس بضميف الفأن كأحمد هذين :
 الراعى والجزار .

(٣) الصابي: الشديد الثوى المسب، وزيادة اللام في هملي الدلالة على الفوة . الأروح : الذكر. العرب : الله كرد الصحراء لاحلم بها ولا أمارة وهي متسة تسبع لهما دويا وهو صوت يكون من وقع أخفاف الابل . وجهالة العرب يثلثونه صوت الجن . والدو" : الصحراء ونسبت إلى تصمياً كتولم دهم دوارى أي دوار ، وخارجي مبالثة في خارج أحد الحوارج . والمراد بحراج من اللهوى أنه خراج من كل شدة متغلب على كل صوبة ولاصوبة أشد من الصحراء

(٤) قال فى السان العرب: كل من ألما من العرب بجاديهم أو حواضرهم ولم يلشقوا بالنسبي ولم يتحولوا لملى أمصار المسلمين الق أحدثت فى الاسسلام وإن كانوا مسلمين فهم غير مهاجرين وليس لهم فى الله، تصيب ويسمون الأعراب . وفيسه أيضا قال الأزهرى : المصاجرة خروج البدوى من باديته لمل المدن ، وكذلك كل عثل بحسكته متشل لملى قوم آشرين .

 (٥) لم تنف على قائل مذه الأبيات وهى لاشك لنبر رويشد وليست من تستى الأبيات السابقة وإن كانت مثلها من الرجز ,

(٣) النعقة: صوت الجلود البابث. الثنان: جم شن، وهو الجلد البابس (كسهم وسهام).
 والمراد الأفزع مما الإيمزع ذوى المقول.

التّبين (١) ، ولقَدْ فُورْتُ عَنْ ذَكَاه (١) وَقُتَشْتُ عَنْ تَجْوِبَةٍ . وَإِنَّ أَمِيْرَ الْوَمِينِينَ أَطَالَ اللهُ بَقَاءُهُ ثَمْرَ كَانَتُهُ بِينِ يديه ، فَتَجَمّ عِيدانها ، فوجدني أمرها مُودًا ، وأصَلَبَهَا مَكْسِر (١) ، فرما كم بى لأنكم طالما أوضمُ (١٠) في الفيّنة ، وأصطبحُ في مراقد الطلال ، والله لأخور مَنَّ السّلَمَةُ (٢٥) ولأَصْرِ بَنَّكُمْ ضَرْبُ غَرَائِسِ الإيلِ (١) فإنَّ مُكان الطلال ، والله لأخور مَنَّ كُمْ صَرْبُ غَرَائِسِ الإيلِ (١) فإنَّ مُكان فؤنَّكُم ، وَلَهُ وَقَدِيمَ كَانَتُ آمَنةً مطمئتةً يأتيها رِزْقَهَا رَعَب الم من كلُّ مكان مَكوتُ بأشهر اللهِ فأذاقها الله لباسَ الجوع والحوف بما كانوا يَعْنمون . و إنى والله ما أقولُ إلاّ فَرَيْتُ (١) ، وإنى والله أمير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم ، وأنْ أوَجَهمُكُمْ لحاربة علومَ مع المجلب أبير المؤمنين أمرني بإعطائكم أعطياتكم ، وأنْ أوَجَهمُكُمْ لحاربة علومَ مع المجلب ابن أبي صَمْرَةً ، و إنّي أقسم بالله لا أجد رجيلا تطفّت بعد عطائه ثلاثةً أيام أمرث عقه .

ثم قال : يا خلام أقرأ عليهم كتاب أمير للؤمنين ، فقرأ : باسم الله الرحم الرحم من عبد الملك أمير للؤمنين إلى من بالكوفة من المسلمين : سلام عليكم ، فلَمْ يقل أحد منيًا ، فقال الحياج : أكففُ يا خلام ، ثم أقبل على الناس ، فقال : سلم عليكم

 ⁽١) رواية سبح الأعمى : التين وهو الحية السطيمة ، والتين والحية لينا المصر ، والمراد لست بضيف بن الجاب .

⁽٢) فر الدابة: كشف عن أسنانها . الذكاء : تمام السن أو حدة القلب، والمراد هنا المني الثاني .

 ⁽٣) الكتانة : حببة السهام . عجم المود : عشه ليبلو صلابته . أمر"ها : من المرارة وهي طعم شجر المرار . المكسر : اسم مكان وهو موضع المكسر . وهذه السارة تشيل الإفراغ الفكرة فيسن يختارم أمير لللومنين من الرؤساء الذين بصرتهم الحموب .

⁽٤) الإيضاع: السرعة في السير .

السلمة: شبرة شاكة يسمر خرط ورتها فيشد بسفه إلى بس ثم يضربها الحابط فيتناثر ورقها

 ⁽٣) غرائب الايل : أى الدرية عن مواطعها ، وهى تضرب حين تسخل بين الايل ويكون ضربها بلا
 عندة لأنها لانهم الضارب .

 ⁽٧) خلق الصائع الأدم: قدره لما يريد منه قبل النظم ، والمنى لا أعزم إلا صنَّمت .

أمير الثومنين ، فلم تردّ وا حليه شيئًا هذا أدب ابن نيميّة (٢٠٠ . أما والله لأُودَّدَبَّتُكُمْ غيْرَ هذا الأدب أو تستقيمُتْ ، أقرأ يا غلام ، فلما يلغ قوله : السلام عليكم ، لم يبق في المسجد أحد إلا قال : وعلى أمير المؤمنين السلام ، ثم نزل فوضع الناس أَعْطِياتِهِمْ ، فجسلوا يأخلون حتى أتاه شيخ يُرْعَشُ كِبَرًا ، فقال أيها الأمير: إنى من النسف على ماترى ، يأخلون حتى أتاه شيخ يُرُعَشُ كِبَرًا ، فقال الحجاج : فسل . فلما وتى الرجل . قال قائل أتبدى من هذا أيها الأميرُ ، قال لا . قال : هذا عَمَيْرُ بن ضابى البُرْمُجُى (٢٠٠) الذى يقول أبوء :

هَمْتُ وَلَمْ أَفُلُ وَكِيْتُ وَلَيْنَى تَرَكُتُ مَلَى عَبْانَ تَبْكَى عَلَائِلُهُ وَحَلَى مُنْهَانَ تَبْكَى عَلاَئِلُهُ وَحَلَى هَذَا الشيخ على عَبْنَ مَتُولا فَكَسَرَ ضِكَيْنِ مِن أَضلاعه . قالل الحباج رُدّوه ، فلما رُدّ قال له : عَلاَ بشت إلى أمير للؤمنين بَدَلاً مِع الدّارِ ، إنّ في قتلك أيها الشيخ للمسلاحا للمسلمان المسلمان ، اعتربي في اضرب عنه ، فوقت الرَّحْبَةُ للحبّاج في قلوب الناس ، فكان الرجلُ يضيق عليه أمره ، فيرتعل و يأمر وَلِيّة أَنْ يَلْحَقَهَ براده ، وف ذلك يقول عبد إلله بن الزَّبِة بن الزَّبِة على أسد غريمة المدولة الأموية ، وهو من أسد خريمة لا أسد قريمة .

⁽١) رجل كان على شرطة البصرة قبل الحباج .

 ⁽٣) سابة البرجى شاهركان فى أيام عابن، وهو الذى قدمنا حكاية استمارته المكلب وسبه الاصحابه
 وعقلب عابن فاضطمن على عابن وسلول قدله فقدد عليه عابن المقاب (ساهد التنميس
 وطفات الشعراء).

 ⁽٣) الحول : الذي منى عليه الحول. البلج : جم أبلج وهو الأيس.. وبروى من التلج. والمنى أنه أشد شبهة من الثلج ، وصياغة الصعنيل من الون جل رأى الدكوفيين .

َ فَأَضْعَى وَلَوْ كَانتْ خُرَاسَانُ دُونَهُ ۚ رَآهَا مَكَانَ السُّوقِ أَوْ هِيَ أَقْرَ بَا⁽¹⁾ فَمَا إِنْ أَرَى الْحَبَّاجَ يُشْدُ سَيْفَهُ ۚ مَدَى الشَّفْرِ حَتَّى بِثُوْلَةَ الطَّقْلُ أَشْيَبَا فتتابع الناس على الهلب حتى ازدحوا عنده .

ثم خرج من الكوفة إلى البصرة فحطب مثل خطبته بالكوفة ، فقال :

أيها الناس: من أعياه داؤه ، ضندى دواؤه ، ومن استطال أجلة ضلى أن الحجلة ، ومن استطال أجلة ضلى أن الحجلة ، ومن استطال ماضى عمره قصرت عليه باقيه . إن الشيطان طَيفًا (٢٠) والسلطان سَيفًا ، فن سَقِمَتْ صريرتُه صَت عقو بَتُه ، ومن وضعه ذَنْبه رضه صَلْبه . ومن لم تسعه العافية (٢٠) لم تشق عليه المُلككَة ، ومن وضعه ذَنْبه رضه صَلْبه . ومن لم تسعه العافية (٢٠) لم تشق عليه المُلككَة ومن سبقتُه بادرة فه (٢٠) سبق بدئه (٥٠) بسفك دمه ، إلى أثنر ثم الأأنفر (٢٠) وأحدَّر من المأخر ، وأنوعد ثم الاأعنو، إنما أفسدكم ترفيق (٢٠) والاتكم ، ومن استرخى البه (٨١) من الحزم والعزم طلباني سوطى ، وأبدالاني به سيني ، تقائمه في يلى ، وتماده في عن باب من في عنق ، وذبابه (٢٠) قلادة لمن عصاني ، والله الآس أحدكم أن يخرج من باب من أبواب المسجد فيخرج من الباب الذي يليه إلا ضربت عنقه .

⁽١) دونه : أى دون المهلب : أى قبله أو قريبة منه . السوق : هو سوق حكمة بالكوفة . أقريب منصوب طى أنه ظرف متعلق بخبر هى ، والشدير أوهى كائمة أثرب من السوق أوعلى أنه ملسول. ثان لرأى يمنى ظن ، ويكون قد وضم الضعير المرفوع « هو » فى موضع المتصوب .

 ⁽۲) الطيف: مس الشيطان . وقرئ من إذا مسجم طيف من الفيطان ، أوطائف وأصل الطيف ...
 الجنون أو النضب ومس الشيطان يحدث هذا .

 ⁽٣) المافية : السلامة .

⁽٤) البادرة: مايخرج من اللم عن غير قصد فى غضب أو غيره .

الراد بسبق بدنه أنه يقتل سريها فيكون بدنه إلى الموت أسرع من خروج البادرة من فه .

⁽١) نظره «ككتب» تأتى عليه . وأنظره : أخره .

⁽٧) الترنيق : الضعف في الأمر والمراد النسميل .

الب : مايند في صدر الماية ليمنم استرخاء الرحل .

⁽٩) قباب السيف حدم ،

وفى سنة ٧٩ هـ ولى الحباج عبيد الله بن أبى بكرة سجستان، ومحاربة رُعبيل، وقد كان مصالحا للمرب يدفع لهم خراجا، ولكنه امتنع، فتوغل عبد الله فى بلاده، فأصيب وهلك جنده إلا أقلهم، فرأى الحباج أن يجهز جيشاً كثيفاً، فجهز أربعين أقا جل عليم عبد الرحمن بن الأشمث، فسار حتى دخل بلاد رتبيل، وحاز من أرضه أرضا عظيمة، وملاً يديه من غنائه، ثم حبس الناس عن الوغول فى الأرض، واكننى بما تم عامه هذا، وكتب للحجاج بذلك، فجاءه كتاب الحجاج:

أما بعد ، فإن كتابك أتانى ، وفهت ما ذكرت فيه ، وكتابك كتاب أمرى عب الهدنة ، ويستريح إلى للوادعة . قد صانع عدداً قليلا ذليلا قد أصابوا من المسلمين جنداً كان بلاؤهم حسنا وغناؤهم فى الإسلام عظها ، لتمثر الشيابين أمَّ عبد الرحن إنَّك حين تَكُنْ عن ذلك الهدو بجندى وحدى لستَخِيُّ النفس عن أصيب من السلمين ، إلى لم أعدد وأيك الذى زعت أنك رأيته وأى تكيدت ، ولكنى رأيت أنه لم يحملك عليم إلا ضمنُك ، والتياث وأيك ، فامضي لما أمرتك به من الوعُول فى أرضهم ، خالهدم خصونهم ، وقَعْل مُقالِهم ، وشي ذَرار عَبِمْ

فل يُرْضِ عبد الرحمن هذه الفلظة من الحبّاج ، وخَلَمَ طاعته ، وأخذ البيمة على الناس لقتله ، وصالح رُتْمِيل على أنه إن ظهر فلا خراج عليه أبداً ، و إن هُزِمَ لجأ إليه وحمّاه . ثم خرج ابنُ الأشمث لقتال الحجاج ، فكتب الحجاج إلى عبد الملك يحبره بينه ويستنجده فأنجده ، واتنهت المواقع بهزيمة ابن الأشهمت والتجانه إلى رئيبل ، فكتب إليه الحجاج يهدّده إن لم يسلمه إليه ، فانتحر ابنُ الأشمث بأن ألق بنفسه من قصر عالى ، وضرب رُتْمِيلُ أعناق بضمة عشر من رجاله ، وأرسسل بالردوس إلى الحجاج .

وكان الحبجاج مشفولا كذلك بقتال الخوارج ، وكان يحاربهم قبل توليته على الهواق المهلّبُ بنُ أبي صُغرة ، فحا زال يراسله ويستحثه حتى تغلب عليهم ، وقدم عليه ، فأكرمه الحبجاج وأجلسه معه على السرير وقال : يأهل الكوفة ، أتم عبيد المهلب ، ثم قال أنت والله كما قال لتَبيطُ الاياديُّ :

Æ.

ولذلك هدأت الأحوال ، واستتب الأمر لبني أمية ، ومالأحد من فضل في ذلك مثل ما للحجاج حتى استحق أن يقول عنه عبد الملك : إن الحجاج جلدة مايين عيني ، ثم يقول الوليد بعد أبيه: إن كان الحجاج جلدة ما بين عيني أبي فإنه جِلْدَةُ وجهى كله.

⁽١) يقال : فلان رحب بكفا إذا كان مطبقاً له . اضطلع بالأصر : احتمله .

⁽٢) الريث هنا : اللفدار . يخم : يكسر

 ⁽٣) الرعاء بالنتج : سمة البيش، وبالنم : الريح الينة .

⁽٤) شطر الناقة : بانب ضرعها ، ولها شطران وفي كل شطر خلفان .

 ⁽a) استعراطيل : قوى نتاة . العزر : التنل ممايلي اليدار ومو أقوى 4 . الربرة الحبل . اللهم :
 الكبير السن جداً . الضرع : الصنير السن الضيف .

Å.

و بعد: فهل يحمد للحجاج ما قام به من إزهاق الأرواح و إزاج الآمنين والقتل بالشبعة فى سبيل جم الكلمة للخلفة العربي، بل جمع أمر الإسسلام وحفظه من التسسدة ، فإن الأمر لو ترك لغلا الحوارج والخااصون للطاعة ، فزالت اللواة ولم يقم مكانها دولة أخرى لتشسعب الآراء واختلاف المذاهب ، ولكن صما حمدنا للحجاج سميه ، فإنا لا ننسى أنه قتل الإباء فى الأمة العربية ، فذلت النفوس واسستخذت ، واستعد الأعاجم الذي صاد في العمد فى العصر السامى

أخلاق الحجاج

لا يفوتنا أن ننهى إليك حديثًا عن شىء من أخلاق الحجاج يساعد هلى تصوّر السجاح الذى صار إليه ، فإن الشدة التى اشتهر بها لا تكفى للوصول إلى ما وصل إليه الرجل . فكم من شدّة صاحبها الطيش ، وسوء النظر فى المواقب، فلم تعقب إلا وبالا ، للشك نميل إلى الاهتقاد بأن نجاح الحجاج مدين كذلك لصفات من شأنها أن تنهض بالرجال إلى ما يحاولون من بجد ، وهاهى تلك بمض صفاته .

[الكرم]: حكى أنه لما دخل للدينة فرّق عشرة آلاف دينار، ثم قال: أتيناكم وقد غاض الماء لكثرة النوائب فاعذرونا، فقال رجل: لاعذر الله من يعذرك وأنت أمير المصرين وعظيم القريتين، فقال صدقت، واقترض أموالا من التجار فعرقها في الناس. ولما تولى العراق كان يطمم كلّ يوم على ألف مائدة يجتمع على كلّ مائدة عشرة أفس ، ويطاف به في يحقّة (٢) على ألدى الرجال يشرف على القوم،

⁽١) مركب للنساء كالهودج إلا أنه لا يقبب .

وكان يرسل الرسل إلى الناس لحضور الطعام ، فلما طال ذلك عليه قال : أيها الناس ، رســــلى إليكم الشبس ، إذا طلعت فاحضروا للغداء ، وإذا غربت فاحضروا للمشاء ، فكانوا يفعلون .

[الدهاء]: حكى عبد الله بن ظبيان قاتل ممم بن الزبير قال : كنت يوما واقفا على باب الحجاج ، فإذا به خرج وحده وكانت القائلة ، ما بالباب أحد ، فوقع فى نفسى أن أقتله ، فنظر إلى قال : هل لقيت يزيد بن أسلم يعنى كاتبه ؟ قتلت : لا . قال : الله ، فإن عهدك على الرى ممه ، فطمت وكففت عنه ، وتوجهت إلى يزيد فلم يكن عنده عهد بشيء ، وإنما قال الحجاج ذلك حذراً وشـفلالى عما أردته به . وبني هو وعبد الملك في بعض للساجد بابين ، فوقعت صاعقة أحرقت باب عبد الملك فذا الحجاج ، فكتب إليه إنما مثل أمير المؤمنين ومثلي كمثل ابنى آدم إذ قر قربانا ، فتغيل من أحدها ، ولم يشبل من الآخر .

دخل عليه قاتل الحسسين رضى الله عنه ، فقال له : كيف قتلته ؟ قال دَسَرْتُهُ بالرمح دَسُرُلُ) مَ مَقَرَّتُهُ بالسيف هَبْرًا () ، ووكات رأسه إلى أمير فير وكل ، فقال الحجاج : أما والله لا تعتممان فى الجنة ، وكان قصد الحجاج رضا أهل العراق وأهل الشام ، فحرج أهل الشام يقولون : صدق الأمير لا يجتمع من شق عصا المسلمين ، وخالف أمير للؤمنين هو وقاتله فى طاعة الله فى الجنة ، وقال أهل العراق : صدق الحجاج لا يجتمع والله ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقاتله فى الجنة .

[الحلم] : حكى أنه خرج إلى ظاهر الكوفة منفردًا ، فرأى رجلا فقال : ماتقول فى الحباج ؟ قال : زهموا أنه من تمود وكنى بسوء سيرته شرًا ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمين ، فقال الحباج : أتعرفنى ؟ قال : لا . قال : أنا الحباج . قال الرجل :

⁽١) دسره بالرمح : طمته .

 ⁽۲) هبره بالسيف: قطبه قطباً كباراً .

أتسرفني أينها الأمير ؟ قال لا . قال : أنا مولى بني عامر أجن في الشهر ثلاث مرّات ؛ وهذا اليوم أشدُّ الصّرّع على ً، فضحك من قوله وعفا عنه .

كان عنده بعض ندمائه وقد أدركت الحجاج سنة من النوم ، فتعلّس النديم عطسة مُشْكَرَةً ، فنزع الحجاج وقال : ما أردت بهذه العطسة إلا أن تروّعنى ، فقال : أيها الأمير إنها عادتى ، فقال : والله إن لم تأتنى بشاهد على ذلك ضربت عنقك ، فحرج الرجل ، فأنى بعض أسحابه ، فقال : أيها الأمير ، إنى أشهد بأنه عطس يوما عطسة وقع منها ضرّمه ، فضحك الحجاج حتى استلتى ، وكان قليل الضحك إلا أن ينظ على أمره .

[عجة الصدّق] : روى الجاحظ قال : خطب الحجاج يوم جمة فأطال الخطبة ، فقال رجل : إن الوقت لا ينتظرك ، والربّ لايمذرك ، فأمر بجبسه ، فأتاه أهل الرجل وكلوه فيه وقالوا : إنه مجنون ، فقال : إن أقرّ بالجنون ، فقال : لا ، والله لا أزعم أنه ابتلاني وقد عاهاني ، فلما بلغ ذلك الحجاج أطلق سراحه لمدقه .

ويما يمكي من ذلك أيضاً ما قيل من أنه جلس لقتل أصاب عبد الرحمن ابن الأشهمة ، قتام رجل فقال : أصلح الله الأمير ، إن لم عليك حمّاً . قال : وما حمّك ؟ قال سَبّك عبد الرحمن يوما ، فرددت عليه . قال الحجاج فن يعلم ذلك ؟ قال الرجل : أنشد الله رجلا سمع ذلك إلا شهد به ، قتام رجل من الأسرى فقال : قد كان ذلك أيها الأمير . قال : خلوا عنه . ثم قال للشاهد : وأنت فيا منمك أن تنكر كان ذلك أيها الأمير ، قال : خلوا عنه . ثم قال للشاهد : وأنت فيا منمك أن تنكر كان ذلك أيها الأمير ، قال : قلد ، قل د وغيل عنه لصدقه

أمثلة من كلام الحجاج

كتب إليه الوليد يقول: صف لي سيرتك ، فكتب إليه:

إنى أيفظتُ رأيى ، وأكمّتُ هواى ، فأدنيت السيد المطاع فى قومه ، وولّيتُ الحربَ الحازمَ لأمره ، وقلّاتُ الخراج الْمَرَّقِّ لأماته ، وصرفْتُ السيف إلى النَّطفِ (٢٠ للسىء ، فخاف الْريبُ صَوْلَا العقاب ، وتمسّك المُضينُ بحظه من الثواب .

مات للحجاج ابن اسمه محمد فى غداة يوم الجمة ، فلما كان السشى أناه بريد البمين بوفاة أخيه محمد ، فقرح أهل السراق ، وقالوا : انقطع ظهر الحجاج ، وهييضَ جناحه ، فضيد المنبر، فقال :

أيها الناس : محمدان في يوم واحد . أما والله ما كنت أحبُّ أنهما معى في الحياة الدنيا لما أرجولهما من ثواب الله في الآخرة ، وأيَّم الله كَيُوشِكُنَّ الباقي مني ومنكم أَنْ يَنْفَى والجديدُ أَنْ يَبْنَى ، والحقيَّ منكم ومنى أَنْ يُوتَ ، وأَنْ تُدَال الأَرضُ منا كما أُولِنَا منها فتا كلُ من لحومنا ، وتشربُ من دمائنا كما مَشَدِينًا على ظهرها ، وأكلنا من شمارها ، وشربنا من مائها ، ثم تكونُ كما قال الله تعالى : «وَنَشُرِخَ فِي الشَّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى الشَّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى السَّورِ فَإِذَا هُمْ مِنْ مِنْ اللَّهِ مِنْ مَنْ اللهِ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهِ اللهِ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ اللهِ اللهُ الله

عَزَائَى رَسُولُ اللَّهِ مِن كُلِّ مَيَّتِ وَحَسِّي ثُوابُ اللهِ مِن كُلِّ هَالِكَ إذا ما لقيتُ الله عنّى راضــــياً فإنَّ سُرُورَ النَّفُسِ فيا هَمُالِكِ وأرجف الناس بموته ، فسعد للنبر فقال :

إِنَّ طَائِمَةً من أهل العراق ، أهلِ الشَّقَاقِ والنفاق ، نَرَّغَ الشيطانُ بينهم ، فقالوا مات الحجاج ومات الحجاج فَهُ ، وهَلْ يرجوالحجاج الخبير إلابعد الموت ، والله مايسر في

⁽١) النطف: المتلطخ بالسيب النهم بالربية .

أَلاَّ أُمُوتَ ، وأَنَّ لَىَ الدنيا وما فيها وما رأيت الله وضى بالتخليد إلا لَأِهُونِ خلقه عليه إليس. ولقد دعا الله السبد السائم السائم عقال : « رَبَّ اغْيِرْ لِى وَهَبْ لَى مُلْكُمَّ لا يَنْبَنِي لِأَحْدِ مِنْ بَسْدِي » ، فأعطاه الله فلك إلا البقاء ، فما عسى أن يكون أيها الرجل ، وكلكم ذلك الرجل كأنى والله بكل عي منا مَيْنًا ، وبكل رَطْبِ بابسًا ، وتُقُلِ في ثياب أكفاته إلى ثلاث أذرُع طولا في ذراع عَرْضًا ، وأكلت الأرض لحه ، ومعت صديده ، وانصرف الحبيب من ولده يَقْسِمُ الخبيث من ماله ، و إنَّ الذينَ ومعت يطون ما أقول .

لما قط عبد الله بن الزبير ارتجت مكة بالبكاء ، فصمد الحجاج للنبر فقال :
ألا إن ابن الزبيركان من أخبار هذه الأمة حتى رغب فى الخلافة ، وتنازع فيها ،
وخلع طاعة الله ، واستكن بحرّم الله ، ولوكان شىء مانمًا للمساة لمنع آدمَ مُحْرِمُهُ (٢٠ الجنة
لأن الله تمالى خقه بيده ، وأسجد له ملائكته ، وأباحه جنته . قطا عصاه أخرجه منها
يخطيئته ، وآدم على الله أكرم من ابن الزبير ، والجنة أعظم حرمة من الكعبة .

· خطبــة دير الجماجم^٢

خطب الحجاج بعد وقعة دير الجاجم ، فقال :

يأهل العراق ، إن الشيطان قد استبطنكم (٤٠ غالط اللحم والدم والتصب والمسامع

⁽١) هو سليان عليه السلام .

⁽Y) أَنَّى لُوقِهُ الْجَنَّةُ (وقد كان فيها) من أن يقع عليه غضب ربه حين عمبا ..

 ⁽٣) دير الجاج بظاهر المسكوفة في سبعة فراسخ سنها على طرف البر لمساك إلى البصرة موسمي دير
الجاجم الآنه كانت تصنع به الجاجم وهي الأقدام من الحقب وبهذا الموضع كانت الوقعة بين الحبياج
وعبد الرحزين الأشعث وانهزم فيها ابن الأشعث .

 ⁽٤) استبطن الأمر : دخل باطنه .

والأطراف والأعضاء والشّــناف (١) ، ثم أفضى إلى اليفانح والأمات ، ثم ارتفع فسشّ ، ثم باض فترتح ، فشا كم فقاقا وشقاقا ، وأســـركم خلاقا ، واتحذتموه دليلا منشرت ، ثم باض فقرتح ، فشا كم فقاقا وشقاقا ، وأســـركم خلاقا ، واتحذتموه دليلا وقلمة . فكيف تنفيكم نجبرية أو تسفلكم وقلمة . أو يحضرُكم إسلام ، أو ينفيكم بيان ؟ ألستم أصحابي بالأعواز (٢) حيث رُشَمُ وانا أرميكم بطرق . تتسللون إتراذاً ألكفر ، وظننتم أن الله خذل ديده وخلافه ، وأنا أرميكم بطرق . تتسللون إتراذاً ألكم ، وبرادة الله منكم ، وأكوس (١) الزاوية ا بها كان فشلكم وتنازُكم وتحاذكم ، وبرادة الله منكم ، وأكوس (١) الزاوية ا بها كان فشلكم وتنازُكم وتحاذكم ، وبرادة الله منكم ، وأكوس (١) المراخ ، ثم دَيْرُ الجماجِم وما دَيْرُ الجماجِم ا ا ا ا بها كانت للمارك والملاحم ، بشرب المائم من مقيله (١) ويعشرف الخليل عن خليله ، يأهل العراق ، والكفرات بهد الفترات ، والفذرات بعد المخترات ، والفذرات بعد المخترات ، والفذرات بعد المخترات ، والفذرات ، وان أمنتُم أربعة شمر منافق ولانشكرون نعمة ، أهل العراق : هل استخفى ناكث ، أواستفراك يأوستفراك غاو ، أو شوركم خلك أن فرات من منه بيا المنافق ولانشكرون نعمة ، يأهل العراق : هل استخفى ناكث ، أواستفراك غاو ، أو حكينة ولانشكرون نعمة ، يأهل العراق : هل استخفى ناكث ، أواستفراك غاو ، أو حكينة ولانشكرون نعمة ، يأهل العراق : هل استخفى ناكث ، أواستفراكم غاو ، أو حكينة ولانشكرون نعمة ، يأهل العراق : هل استخفى ناكث ، أواستفراكم غاو ، أو

⁽١) الشغاف : حجاب الفلب أوحبته .

⁽۲) آمره: شاوره.

 ⁽٣) الأهواز: سبح كورأوتس, بين البصرة وخراسان ، لكرام خاس ، ولا يسحى واحدها هوزاء
 ولعل الحباج أراد أفرجها إلى البصرة ، وهو الذي ينلب عليه اسم الأهوازكما في مصور المرحوم
 آمين بك واصف .

⁽٤) اجتمعتم . (٥) اللواذ بالممي. (مثلثة): الاستنارب والاحتضال به ، واللواذ أيضاً المراوغة .

⁽٦) نكس عن الأمر : أحجم ، وعلى عقبيه : رجع عما كان فيه من خير .

متيله : مكانه .

⁽٨) المترة : المديمة .

⁽٩) غل : خان في النتيمة .

استفرَّ كُم عاص ، أو استنصركم ظالم ، أو استعضدكم (١) خالم (٢) إلا اتبعتموه وأكرمتموه ونصرتموه وزكيتموه . يأهل العراق : قلَّا شغب شاغب ، أوتشب ناعب ، أورَّف زافر ، إلا كُنتُم أتباعه وأنسارَه . يأهل العراق : ألم تَهْبَكُم المواعلاً ، ولم تَرْجُر كم الوقائم . ثم التفت إلى أهل الشام ، قتال : يأهل الشام ، أنا لكم كالظليم (٢) الرامح (١) عن فراخه ، يُنفي ضها المدرّ ، و يباعد ضها الحَبَق ، وَيَكُنُّها من العلم ، و يعميها من العلم ، و يأهل الشام : أنتم الجُننَّة والرَّداء ، وأنتم من العُمَّد ، و أنتم الجُننَّة والرَّداء ، وأنتم النكرة أو المُقافاة (٥) .

ومن وعظ الحجاج ما رواه للبرَّد فى الكامل قال :كان الحجاج بن يوسف يقول على للنبر :

أيها الناس: أقدَّعوا هذه الأَقْسُ كَإِنها أَشَالُ شيء إِذَا أَعطيَتْ ، وأَمنمُ شيء إذا شُئلَتْ ، فرحم الله امراً جعل لنفسه خِطامًا وزِمامًا ، فقادها بخطامها إلى طاعة الله ، وعطفها بزمامها عن ممصية الله ، فإنى رأيت الصبر عن محارم الله أيسر من الصبر على عذابه .

وكان يقول : إن امراً أتت عليه ساعة من عمره لم يذكر فيها ر به ، أو يستنفر من ذنبه ، أو يفكر فى ميماده لجدير أن تطول حسرته يوم القيامة .

⁽١) استعانكم . (٢) خالع: ثائر جان .

⁽٣) الغلم : ذكر التمام .

⁽٤) الرامع: الضارب برجله .

 ⁽٥) الحذاء . القدوة ، من حذاه إذا قمل قمله .

الادب في حياة الحجاج

لطك غير ناس مامر" بك من كون الحبواج أحد الأربعة الذين لم يلحنوا فى جدا أو هزل ، كما تذكر بلاء فى إعجام حروف الهجاء العربى وعمله هلى تمحويل ديوان العراق إلى العربية هذا الى ما سنذكره موزعا فى أبواب للذكرة من إحيائه للأدب وسماعه من الشعراء والمبالفة فى مثوبتهم وتوجيههم ، وإرسالهم الى الخليفة مشهفوعين برأيه ، فقد فعل ذلك بجرير حتى صار من شعراء الخليفة ، كذلك سنحد ثلك عن رأيه الصائب وقو يحته النقادة عند ما مدحته ليلى الأخيلية بقولها : غلام إذا هزا الفناة سقاها . فقال. لها : قولى همام لاغلام .

أما الشهادة القائمة على بلاغته وقوّة تأثيره ، فهى خطبه وكتبه التى مرّ بك كثير منها وقد عرفت تأثير هسنده الخطب ، وقلك الكتب فى إلزام الطاعة ، وتهدئة الثورة وهى و إن كانت لا تحتاج فى إثبات فضلها إلى دليل ، ولكنا نسوق لك رأيًا لأحد معاصرى الحجاج تدرك منت كيف كان وقع كلامه واختلابه للألباب؟ . يقول مالك ابن دينار : مارأيت أحداً أبين من الحجاج إنه كان ليرق للنبر فيذكر إحسانه إلى أهل المراق وصفحه عنهم ، و إساحهم إليسه ، حتى إنى لأحسبه صادقا ، وأظنهم كاذبين . ألست ترى أن مالكا يظهر لك حسيرته من تأثير الحجاج بكلامه ، وكيف أنه يستقد ألست ترى أن مالكا يظهر لك حسيرته من تأثير الحجاج بكلامه ، وكيف أنه يستقد غلمه فم و إساءته إليهم ؟ ، حتى إذا سمع كلامه القلب اعتقاده إلى حين . ولا شك أن هذا من فضل البيان كالتصوير البارغ الذى يريك الصورة خارجة وليست بخارجة ، أو داخلة ، وليست بداخلة .

 لغيره مثل قوله : « لأعصبنكم عصبالسلمة» ، و «مايقمقع لى بالشنان» ، و «لأضربنكم ضرب غرائب الأبل ، وكذلك عرف الحجاج بالاستشهاد بالرجز ، والإكثار من رواية غريب الشعر .

عبد الحيد الكاتب

[نسبه] : هو عبد الحيد بن يحيى مولى بنى عامر ، وللموالى فى الدولة الأموية حديث يجب أن تقف عليه لتستطيع فيم ما أحاط بعبد الحيد من ملابسات .

الموالى في عصر بني أمية

هم فى الأصل الذين صاروا سبيا للمرب ، فترّقوهم فى المحاربين يتولون أمرهم ، فيسترقونهم أو يستنونهم ، وينسب المولى إلى أسسياده الذين ملكوا رقه ، فيميش مستغلاً بظلهم ، وتنشأ ذرّيته على ذلك الولاء .

ولقد اقتضت سياسة بني أمية الغض من شأن من ليس عر بيًّا ، فاضطهدوا هؤلا. للوالى حتى حار بوا في جيوشهم بلاعطاء ، أو أعطوهموه مصردًا محسوكا .

ولم يكن جميع الموالى من طبقة واحدة ولا أمة واحدة ، بل كان منهم من القرس والروم ، ومنهم من ينتهى نسبه إلى ملوك الدولين ، أو الأشراف فيهما كما كان منهم الحبش والسودان والتمك والابربر ، وكل من ضع العرب بلادهم . لذلك كان أثر هؤلاء الموالى عظها ، فأفادوا الأمة العربية بما حلوا معهم من نظام ، وحربة ، وذكاه ، وحلم ، وصناعة ، ولو أن بنى أمية أفسحوا المجال لمؤلاء الوالى ، واطمأنوا إليهم ، ولم يقصوهم عن أعمال الدولة لسجاوا للأمة العربية بما كان فى المصر الدباسي الذي كانت سياسية عن أعمال الدولة المجاوز اللاء المؤلاء والإفضاء إليهم بتدبير شئون الدولة .

لقد كان من أثر اضطهاد الأمويين للموالى أن أقبل هؤلاء طى الملم ، يحصلونه ، واللغة المربية يحفونه الله يعصلونه ، واللغة المربية يحذفونها ليجعلوا ذلك زلق إلى أســـادهم ، ولينالوا به نصيباً من عطفهم ، وليستروابه مسبة الرق وعاره ، فكان منهم أئمة الدّين ، ومصابيح المدى ، وأعلام اللغة على حين شغل العرب بالرياسة وتدبير الخلك ، وولاية الأمصار والدفاع عن الملك ، أو القيام بمناهضته .

حياة عبد الحميد

كان أوّل أمره يعلم الصبيان ، ويتنقل فىالبلاد ، حتى عرف فضله مروان بن محمد ، وكان والنياً على الجزيرة وأرمينية ، فاتخذه كاتباً له ، فلزم خدمته ، وأخلص له ، وحرص مروان على الانتفاع به ، فلما صارت الحلافة إليه سنة ١٢٧ ه أبقاه كاتب الدولة اعترافا له بسابقة خدمته ، والتماساً للانتفاع بذكائه و بلاغته . و يروى أنه كان فى مجلس مروان حين وصل إليه خبر الحلافة ، فسجد مروان ومن معه شكراً لله ، ولم يسجد عبد الحيد ،

فقال له مروان : لم لا تسجد ؟ فقال : على أن كنت ممنا فطرت عنا . قال : إذن تطير معى ، فقال عبد الحميد : الآن يطيب السجود ، وسجد .

لبث مروان خليفة خمس سنين عانى فيها كل شدد "ة ، فقد خرج عليه عبد الله ابن معاوية بن عبد الله بن عبد الله من الشيمة عدد عظيم ، ولكن ثورة عبد الله هذا قد أخدها والى العراق عبد الله بن عمر ابن عبد الله ومعدلته .

أما الشام فقد كانت أمصاره دائمة الاضطراب على مروان ، فانتمن عليب أهل حمس ، ثم أهل النوطة ، ثم أهل فلسطين ، فانتصر مروان على كل هؤلاء ، ثم حسن بعض الدحاة لسليان بن هشام بن عبد لللك أن يطالب بالحلافة ، فطالب أهل الشام ، فاتوه من كل وجيب ، وكانت موقعة هائلة بين سليان ومروان ، فانهزم سليان ، وأحسيت الفتلى ، فكانت ثلاثين ألفاً .

ولقد طمع الخوارج فى ضعف الدولة ، فاســـتولوا على الــكوفة ، وكانت لهم مع مروان جولات استمرّت مدّة طويلة .

وفى ربيع الأوّل سنة ١٣٣٪ ه بويع بالكوفة لأبى العباس السفاح أوّل خلفاء العباسيين ، فأرسل الجند تتعقب مروان حتى التقوا على نهر الزاب ، فقتل من جنود مروان كثير وانهزم إلى ،صر ، فتبعه العباسيون حتى عثروا به فى دير بقرية بوصير من مصر ، وقتل اليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة ١٣٧ ه ، وانتهت بقتله دولة بنى مروان .

ولا شك أن عبد الحيد قامي مع مروان حرّ هــذه النار ، فإن ما عرف له من الوقاء جعله لا يتخلى عن خدمته ، وقد طلب منه مروان حين اشــــتد عليه الطلب ، وتناست هزائمه، أن يتحوّل إلى المباسمين ، وقال : إن القوم محتاجون إليك لأدبك ، وإن إنجابهم بك يدعوهم إلى حسن الظنّ بك ، فاستأمن إليهم ، وأظهر الندر بى فاطك تنفعنى في حياتى أو بعد ممــاتى ، فقال عبد الحميد :

أُمِرْ وَفَاء ثُمُ أُفْهِرُ غَدْرَةً فَنْ لَى بِهُذْرِ بُوسِعُ الناسَ ظاهرُهُ

ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن الذي أمرتنى به أخم الأمرين إليك وأقبحها بى ، ولكنى سأصبر حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك . فلها قتل مروان استخفى صبد الحيد ، فغمز عليه عند صديقه ابن القنع ، وفاجأهم الطلب ، وهما فى بيت ، فقال الذين دخلوا : أيكا عبد الحيد ، أيكا عبد الحيد ؟ وقال كل منها : أنا ، خوفا على صاحبه إلى أن عرف عبد الحيد . فأخذ ، وسلمه السفاح إلى عبد الجبار صاحب شرطته ، فكان يحمى طستاً ويضعه على وأسه حتى مات سنة ١٩٣٧ ه .

تعلم عبد الحميد وعمله

نشأ عبد الحيد كما ينشأ أولاد الوالى مقبلين على الدراسة ، فتحرّج فى علام زمانه من قراءة الترآن ، ورواية الشعر ، والإلمام بالحساب والأخبار وتلك عدة الكاتب فى تلك الأيام . وقد استوفى عبدا لحيد كل ما يستعد به أهل زمانه من المرتزقة بالعلم ، وساعده على ذلك طبع مُوّات وذكاء موروث ، وكان أستاذه الذي تفرّج عليه هوختنه سالممولى عشام بن عبد الملك ، وقد عرف سالم هذا بحنق اللغة اليونانية والنقل منها ، وأثن فات عبد الحيد أن يكون عارقاً بغير العربية ، فإنه لم يفته أن يتلفذ لهذا الرجل ، فيعرف منه أسرار تلك اللغي ، ويجرى على يديه ذلك الإبلاع الذي عرف به في تنويع بده الرسائل واختتامها ، ومراعاة فروق تلتزم فيها على تسدد أنواعها ، فيكون لسورة العهد خلاف صورة التولية وللإخوانيات غير ما للديوانيات عما سسسنفصله في موضعه من خلاف صورة التولية وللإخوانيات غير ما للديوانيات عما سسسنفصله في موضعه من هذه الترجة .

وقد سبق سالم تلميذه بشىء من هــذا ، ولكن صل عبد الحيد كان أثمّ وأوفى ، فاستحق أن يقال عنه : « بدئت الرسائل بعبد الحميد . . » .

لما ائتل عبدالحيد مع مروان إلى دار الخلافة اشترك ممه في عمللضي من مناهضة

الواثبين على الخلافة ، وكان يكتب له كتبه إلى للوالين ، وتهديدهإلى الخارجين ، وعهوده الولاة والقضاة .

ولقد ذكروا أنه كتب عن مروان كتابًا إلى صاحب الدعوة بخراسان يدعوه إليه ، وضمنه ما لو قرئ لأدّى الى وقوع الخلاف والقشل فى صفوف المباسيين ، وقال لمروان : قد كتبت كتابا متى قرأه بطل تدييره ، فإن يكن ذلك و إلا فالهـــلاك ، وكان الكتاب لكبره يحمل على جمل ، فلما وصل الى أبى مسلم أمر با حراقه ولم يقرأه ، وكتب على جذاذة منه الى مروان :

عما السيف أسطار البلاغة وانتصى عليك أيُوث الفاب بن كُل كِانِب وكان لإنشاء الرسائل ديوان وفيه كتاب لمكان العمل من الانساع ، ولعبرورة الدولة إلى نظام مسسئة وحل موزع كما هو الشأن فى الأمم التى قطمت فى الحضارة شوطاً . وكان صيد الحيد سيد هؤلاء المكتاب ورئيسهم . وهذه رسالته إلى المكتاب يوصيهم فيها بمرقة كتاب الله والقرائض ، وعلم العربية ، ورواية الأشعار ، وحذق التاريخ ، والحساب ، وتجويد الخطا ، ثم يعطف على أحب النفس بالرفق فى الماملة ، وحسن الصحية ، وسترى ذلك فها نقل إليك منها .

أثر عبد الحميد في الكتابة

يقولون إن عبد الحيد أول من أطال التحميدات فى أوائل الكتب وكررّها فى فصولها. وأنه رسم لها رسوما فى بدئها وختامها ، وجعل للإطناب مواضع ، وللإيجاز أخرى ، فكان بذلك شيخ كتاب الرسائل على الإطلاق .

لقد أطال عبد الحميد التحميدات حمًّا ، فإنه بعد أن كانت صيغة الحمد كما مر" بك ف رسائل المصرالمـاضي تذكر بعبارة واحدة في جملة واحدة ، توسم فيها عبدالحميد حتى صاغها فى عبارات طويلة ، وكذلك كان التحميد مرة واحدة فى الكتاب ، ظها أطال عبد الحيد الرسائل كان يبدئ فيه ويميد ، فيجعله فى أوّل الرسالة ، ثم يميده مرة أو مرّات فى فسولها على حسب طولها . كذلك جعل للكتابة رسوما تراعى ، وهمنه الرسوم لم تكن كلها له بل منها ما كان الممل جارقيًا عليه سابقاً ، ولكن فشل عبد الحيد أن فصل ذلك و بناه على أسس وشرطه بشروط . فكان بدء ولاية السهد غير بدء الأخبار عن فتح ، فالأوّل يبدأ بعد البسطة بقولهم هذا ما عهد ، وهى الدورة التديمة التي كتبها عرى وظلت سنة من بعده، والثانى يبدأ بالحد انتهالا لله على ماوهب . وكان خطاب المسلم الطائم غير خطاب أهل لللل الأخرى . فالأوّل يحمد فيه الله إلى المرابع المدى . وقد نسوا على أن للرسل إليه ، والثانى يقال فيه : سسلام على من اتبع الهدى . وقد نسوا على أن عبد الحيد اخترع صورة التعقب بالحد بعد البسطة مفصولا عنها بأما بعد ، فيقول مثلا : بسم الله الرحم الرحم ، أما بعد ، فيقول مثلا :

كذلك كان الحتام مختلفاً وصورته القديمة والسلام عليكم ورحمة الله و بركاته ، وقد لا تذكر بركاته ، وقد يختم بإن شاء الله ، فيقولون : فإن رأيت أن تفعل ذلك فعلت موضا إن شاء الله أو (فرأيك في ذلك موضاً إن شاء الله أو (فرأيك في ذلك موضاً إن شاء الله) وقد يكون بالحسبلة كقولهم : حسبنا الله وضم الوكيل ، أو حسب الله وضم الوكيل ، وأكثر ما يكون ذلك في المشارطات والمناسبير ونحوها ، وتحتم المعهود بمثل ، وكني بالله شهيداً ، وتحتم العمود بمثل ، وكني بالله شهيداً ، وتحتم العمود يق الإخوانيات بقولهم : إنا لله وإنا إليه راجعون .

كذلك جعل عبد الحميد للإطناب مواضع فجعله فى أخبار الفتوح ، فكانت تبغى على إشباع القول ، وتكثير الألفاظ للتحريف بقدر النصة ، وتفخيم أسر الملك ، كذلك كانت الكتابة تطال فى الحث على النهيؤ العدو" ، فيبسط فيها القول بوصف العزائم ، وقو"ة الهمم ، و إثارة الحمية ، وسرعة الحركة ، وطى المراحل ، وتخييل أسباب النصر ، والوثوق بمعونة الله . وكذلك تطال فى الوحد والوعيد والإحماد والاذمام من الخليفة إلى

من يكتب إليه ، لينشرح صدر المشمر المحسن وينبسط أمله ، وليرهب للقصر ، ويزلزل يه موقفه فيسهل ارتداعه ، و إقراره بالطاعة وعودته إلى الحظيرة .

وكان الإيجاز فى الكتابة إلى نوّاب لللك بالاستيحاش من العدو ، فلا يصد إلى تهويل أمر العدو فتضمف القلوب ، ولا تهوينه فيحصل الاغترار . كذلك يلجأ إلى الإيجاز فى أمر لا يراد إعلانه من مثل هزيمة ، أو تغيير رسم ، أوتكليف رعية ، أو أن تكون الكتابة إلى الوالى أو للرءوس فى أمر أو نهى .

ولسنا نرى فضل عبد الحيد يقف عند هـذا النظام الذى أجراه على الرسائل وقيدها ، فإنه و إن دل على ذكاه وصدق حس و إدراك لحقائق القروق فى التمبير ، فليس يدل على للكة القوية ، وللقدرة الثامة ، وحسن التصوير للمنى ، والوصول به إلى قلب السامع ، وغير ذلك من صفات البلاغة التي تحت في عبد الحيد ، وتجبست له خصائمها و إن أدل على فضل عبد الحيد أن تقول إنه لم يتكاهره لفظ ، ولم يستمص عليه ممنى ، ولم يعتره فور ، بل كانت معانيه وألقائله تجرى جريان العذب على شـفاه الظماى ، وأنك تقرأ له الرسالة فتطول عليك ، وتخشى عليه أن يصير إلى الوهن ، أو ينتهى إلى السقط ، قتراه فى آخرها كثأنه فى أو لما سلاسة وعدو بة وتدفقا فى للمانى ، وتنو يعا فى الأساليب .

هذا هو فضل عبد الحميد الذي جاء فوجد الكتابة مقيدة ، ففك تيودها ومتمرة فأجراها على أذلالها، وضيقة السلن ومنقطة النفس، فأطال من أهاسها ومد من روحها. فهذا هو الاختراع في الكتابة ، وهذا هو الابتداع الذي يصح أن نذكره لمن تريد أن تجعله شيخ الكتاب وسيدهم ، وهو جدير بهذا الوصف بعد ما بان لك أنه استطاع مالم ينعله الأوائل ، وأنه حافظ على فضــــيلة السابقين من الجزالة والأحكام ، وزاد عليها الإسباغ وإطالة الذيل .

و إن الناظر فررسائل عبد الحميد ليرى الرجل واسع التفكير، مستقصيا للعانى مرتباً لها ، متوغلا فى غامضها متناولا لسهلها وصعبها ، وذلك شأن من تثقف أحسن تثقيف وحصف فكره أثم حصافة . ولا يكون ذلك إلا بحواناة الطبع وحدة الدكاء ، ثم بالعلم النظرى الواسع للدى . وهذا ما يحملنا على اعتقاد أن عبد الحيد إن فاته معرفة لفة غير المعربية لم يفت ان وعى كل ما ترجم إليها على يد ختنه أوغيره من النقلة ، وقد كان النقل من اللغات بدأ فى هذه الأيام ، فامن للقفع نقل كثيراً من كتب الفرس ، وأشهرها كليلة ودمنة ، فلم يفت عبد الحيد الاطلاع على كل ما ترجم فى أيامه .

فى كتاب صبح الأعشى جزء ٣ ص ١٨٤ : قال أبو هلال المسكرى : ومن عرف ترتيب المانى ، واستعمل الألفاظ على وجوهها بلغة من الافات ، ثم انتقل إلى لغة أخرى تهيا له فيها من صنعة الكلام ما تهيأ له فى الأولى . ألا ترى أن عبد الحيد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التى رسميا لمن بعده من اللسان الفارسى وحوّلها إلى اللسان الفريى .

آراء الناس في عبد الحميد

كان أحمد بن يوسف يقول: في رسائل عبد الحيد ألفاظ محككة ، وتجارب عنكة. وتجارب عنكة. وقال إبراهيم بن العباس الصولى: كان الكلام ممانا له ما تمنيت كلام أحد من الكتاب يكون لى مثل كلامه . وقال أبو جنفر للنصور غلبتنا بنو أمية بثلاثة : بالحجاج ، وعبد الحيد ، والمؤذّن البعلبكي .

وقال قاضى القضاة ابن خلكان : كان فى الكتابة وفى كل فن من العلم والأدب إماما ، وعنه أخذ المترساون ، ولطريقته لزموا ، ولآثاره اقتفوا ، وهو الذى سهل سيل البلاغة .

وسأله يوما بعض المعجبين بأدبه عن سرّ نبوغه في الكتابة فقال: خظ كلام الأصلم (يريدعليًّا كرّم الله وجهه) ، وقال ابن نباتة (١) في كتابه: سرح العيون ،

 ⁽۱) ابن نباته هو جال الدین عجد بن عجد بن نباته المصرى المتوفى سنة ۷۹۸ هـ وهو شارح الرسالة
 الهزایة لابن رؤسون ، وهو شاص له دیوان شعر مطبوع .

فى شرح رسالة بن زيدون : هو أول من اتخذ التحميم دات فى فصول الكتب، واسمستعمل فى بعض كتبه الإيجاز البليغ ، وفى بعضها الإسهاب المفرط على ما اقتضاه الحال .

نماذج من كلام عبد الحميد الكاتب

ليس لعبد الحيد الكاتب كتاب يجمع رسائله كما هو الشأن في رسائل البلغاء ، كبديم الزمان والصابى وأضرابهما : ولكنك تجدها موزمة في الكتب ، وفي دار الكتب الملكية مجموعة خطية فيها بعض رسائله ، ومن أشهر تلك الرسائل رسالته إلى الكتاب ، وهي برمتها في مقدّمة ابن خلدون فارجم إليها كاملة هناك ، ولكنا نقل إليك بعضا منها فيه غنية .

رسالة عبد الحميد إلى الكتاب

قال فى أوثما : أما جد خفلكم الله ، يأهل صناعة الكتابة وحاطكم ووفقكم وأرشككم ، فإن الله عز وجل جعل الناس بعد الأنبياء والرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمين ، ومن بعد الملوك المكرمين أصنافا ، وإن كانوا فى الحلقة سسواء . وصرفه (٢) فى صنوف الصناعات ، وضروب المحاولات إلى أسباب معاشهم ، وأبواب رزقهم ، فجعلكم معشر الكتاب فىأشرف الجهات ، أهل الأدب والمرومات ، والعسلم والزانة ، يكم تنتظم المخلافة محاسنًها ، وتسسمتهم أمورُها ، وينصافحكم يُعمَّل الله للخلق سلطانهم ، وتعمَّل رُبِهُ إلا منكم ، للهاق ما يوجد كافي (٢٧) إلا منكم ،

⁽١) صرفهم : وجههم -

⁽٢) كاف : قادر على الأمر العش يه .

فموقعكم من الماوك موقع أسماعهم التى بها يسسمعون ، وأبصارهم التى بها يبصرون ، وأنستهم التى بها ينطقون ، وأيامهم التى بها يبطشون ، فأمتعكم الله بما خصكم من فضل صناعتكم ، ولا نزع عنكم ما أضفاه (١) من النعمة عليكم .

ومنهيا

فتنافسوا يا معشر المسكتاب في صنوف الآداب ، وتفهموا في الدين ، واجد وا بعلم كتاب الله عزّ وجل والفرائس، ثم العربية ، فإنها ثقاف (٢٠ ألسنتكم ، ثم أجيدوا الخط فإنه حلية كتبكم ، وارووا الأشعار ، واعرفوا غريبها ومعانيها ، وأيام العرب والعجم وأحاديثها وسيرها ، فإن ذلك مُمِينُ لكم على ما تسمو إليه همكم . ولا تصنيحوا النظر في الحساب ، فإنه قوام كتّاب الخواج ، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع مسسسنية ودريتها ، ومنشاف (٢٠ الأمور وصافرها . فإنها متذلّة الرقاب، مَفْسَدَةٌ المكتاب، ونزّهوا صناعتكم عن الدنايا ، واربئوا بأنفسكم عن السعاية والنيمة وما فيه أهل الجهالات .

Æ

ومن رسائله رسالة الشَّطْرُ تُعِ^(٤) ، وهى ماكتبه عن الخليفة إلى الأمصار يأمر الولاة بالضرب على أيدى للستهترين بهـــنـه اللعبة . وقد شاعت إذ ذاك حتى صرفت الناس عن أمور معاشهم ومعادهم ، وسفنقلها إليك برمتها لأنها غير شائعة فيا بين يديك من الكتب قال :

⁽١) أسبته وأطاله .

 ⁽۲) الثقاف: ما يقوم به الرمح .
 (۳) السفساف: الحقير من الدمور .

⁽٤) في الفاموس أنه بكسر الدينولا تنتج ، وقبل الكسر أفعيج .

رسالة الشّــــــــطُرَنْج

أما بعد ، فإن الله شرع دينه بإنهاج سبله ، و إيضاح معالمه بأظهار فرائضه ، و بعث رسله إلى خلقه دلالة لهم على ربوبيته ، واحتجاجا عليهم برسالته ومقدَّما إليهم بإنَّذاره ووعيده _ ليهلك من هلك عن بينة ، ويحيا من حى عن بينة _ ثم ختم بنبيه صلى الله عليه وحيه ، وقفي به رسله ، وابتثه لإحياء دينه الدارس مرتضياً له ، حين انطمست الأعلام مختفية ، وتشتت السبل متفرقة ، وَعَفَت الآثار دارسة ، وسطم رَهَج (١٦) الفتن وابتدأ قتام الظلم . واستهد الشرك ، وأسدف الكفر ، وظهر أولياء الشيطان لطموس الأعلام ، ونطق زعيم الباطل بسكتة الحق ، واستطرق الجور ، واقطر سُلهب(٢٢)الفتنة ، واستُشرم لقاحها(٢٠) ، وطبقت الأرض ظلمة كفر وغيابة فساد ، فصدع(٤) بالحق مأموراً ، و بلغ الرسالة معصوما وفلج الإسلام وأهله دالا لهم على المراشد، وقائدًا لهم إلى الهداية ، ومنيرًا لهم أعلام الحق ضاحية ، ومرشداً لهم إلى استفتاح باب الرحمة و إعلان عروة النجاة ، موضاً لهم سبل النواية ، زاجرًا لهم عن طريق الضلال عدرًا لهم من الهلكة ، موعزا إليهم في التقدمة ، ضاربًا لهم الحدود على مايتقون من الأمور و يخشون ، وما إليه يسارعون ويطلبون ، صابرًا نهســـه على الأذى والتكذيب، داعيًا لهم بالترغيب والترهيب ، حريمًا عليهم متحننا على كافتهم ، عزيزًا عليمه عَنتُهُم (٥) . رءوفا بهم النعمة عليهم وسلامة أديانهم ، وتخفيف آصار (٢٠) الأوزار عنهم ، حتى قبضه الله إليه.

⁽١) الرهج: النيار .

 ⁽٢) السلهب من الرجال : الطويل ، ومن الخيل ما عظم وطالت عظامه .

 ⁽٣) استضرم: أوقد. لفاح النار: مأعد به من حطب.

 ⁽٤) الفاعل ضبير يسود على النبي .

⁽a) المنت : المثقة .

⁽٦) آمار : جم إصر بمني الذب .

صلى الله عليه وسلم ناسحًا منتصحًا ، أمينًا مأمونا . قد بلغ الرسالة ، وأدَّى النصيحة » وقام بالحقُّ ، وعدلُ عمود الدَّين حتى اعتدل ميله . وأذلَّ انشرك وأهله ، وأنجز الله له وعده ، وأراه صدق أســـبابه في إكماله للسلمين دينه ، واستقامة سننه فيهم ، وظهور شرائمـــه عليهم . قد أبان لهم مو بقات الأعمال ومُعْظِمات (١) الذنوب . ومُبُهِظات (٢٠ الأوزار ، وظلم الشبهات ، وما يدعو إليه فقصان الأديان ، وتستمويهم الغوايات ، وأوضح لهم أعلام (٢٦) الحق"، ومنازل للراشد ، وطرق الهدى ، وأبواب النجاة ، ومعالق المصمة . غير مدخر لهم نصحاً ولامبتغ في إرشادهم غُنا .

فكان فيها تقدم إليهم فيه نهيه ، وأعلمهم سوء عاقبته ، وحـــذَّرهم إصره ، وأوعز إليهم ناهياً وواعظاً وزاجراً الاعتكاف على هذه التماثيل من الشطرنج، والمواصلة عليها. لما فى ذلك من عظيم الإثم ، ومو بق الوزر مع مشغلتها عن طلب الماش ، و إضرارها بالمقول ومنعها من حضور الصلوات في مواقيتها مع المسلمين . . وقد بلغ أميرَ المؤمنين أن ناساً بمن قبلك من أهل الإسلام قد ألهجم (٤) الشيطان بها وجمهم عليها ، وألف بينهم قيها ، فهم متكفون عليها من لدن صبحهم إلى تُمسام مُلهية لهم عن الصلاحات شاغلة لهم عما أمروا به من القيام بسنن دينهم ، وافترض عليهم من شرائع أعمالهم . مع مداعبتهم فيها ، وسوء لفظهم عليها ، وأن ذلك من فعلهم ظاهر, في الأندية والمجالس غير منكر ولا معيب ، ولا مستفظم عند أهل الفقه ، وذوى الورع والأديان والأسنان،منهم فَأَ كَبِر أَمِير للثَّوْمِنين فلك وأعظمه وكرهه واستكبره ، وعلم أن الشيطان عند ما يئس. من بلوغ إرادته في معاصي الله عزَّ وجلَّ بمصر السلمين ، ومجمعهم صُراحا وجهاراً ، أقدم بهم على شبهة مهلكة ، وزين لهم ورطة موبقة . وغرَّهم بمكيدة إرادة استهوائهم بالخدع ، واجتيالهم (٥) بالشبه ، والراصد الخفية المشكلة . وكل مقيم على معصية الله ، صغرت أو

⁽١) أفظع الأمر كفظع (ككرم) . (٢) بهظة الأمر: ثقل عليه ، ولم أعثر على أبهظه ولعله استعملها نزاوجة للظمات .

⁽٣) أعلام : جم علم ، وهو ماينصب في الطريق لهداية السائر . (٤) ألهجهم : جُعلهم يلهجون بها أي يديمون ذكرها ، والراد أنهم مولعون بها .

 ⁽٥) اجتاله : حوَّله عن قصده . ويحدل أن يكون واحتبالهم أي أصطياده .

كبرت مستمحلا لها مُشيداً بها (1) مظهراً لارتكابه إياها ، غير حلر عقاب الله عزّ وجلّ ولا خاتف مكروهاً فيها ولا رَعِب من حلول سطوته عليها حتى تلحقه الدية فنختلجه (⁷⁷ وهو مصرّ عليها غيرُ تأتب إلى الله منها ، ولا مستغفر من ارتكابه إياها . فكم قد أقام على مو بقات الآثام ، وكبائر الذنوب حتى سرّ به نُحُوِّم (⁷⁷) إلهه .

وقد أحب أمير المؤمنين أن يتقدم إليهم فيا بلنه ضهم وأن ينذرهم و يُوعز إليهم ، ويسلمهم ما في أعناقهم عليها ، ومالهم في قبول ذلك من الحفظ وعليهم فيه وتقدم إلى عامل فارّدن بذلك فيهم وأشده في أسواقهم وجميع أنديتهم وأوعز إليهم فيه وتقدم إلى عامل شرطتك في إنهاك (¹²⁾ ألفقو بة لمن رفع إليه من أهل الاعتكاف عليها ، والاظهار للعب بها وإطالة حبست في ضيق وصَنْك . وطرح اسمه من ديوان أمير المؤمنين ورأيه (²⁾ . ولا يجدن أحد عندك هوادة (²⁾ في التقمير في حق الله عز وجل والتعدى الأحكامه فتحل بنفسك ما يسومك عاقبة ومفية . وتعرض به لفير (²⁾ الله عز وجل ونكاله .

صورة تحميد له فی کتاب فتح

الحد لله السلّى" مكانه ، المدير برهانه ، العزيز سلطانه ، للثابتة كمانه ، الشافية آيانه ، النافذ قضاؤه ، الصادق وعده ، اللدى قدر على خلقه بملك (^(A) ، وهز" في سماواته بعظمته ،

⁽١) راقباً سوته .

 ⁽٣) تَرَدعه. (٣) خرّم الدى. وخرمه: فرق أجزا ده، ومنى عزم أيامه: أيامه الفليلة، لأن الجبع
 إذا تصدم قال .

 ⁽³⁾ إنهاك النفوة : المبالغة فيها .
 (0) أى الحسن .

 ⁽٦) الهوادة : اللين والضف .

⁽٦) الهوادة : اللين والضعف .

⁽٧) غير (كسنب) : أحداث الدهن .`

⁽٨) ملك (مثلثة) : أي قدرة .

ودبر الأمور بعله ، وقد قدها بحكه على ما يشاء من عزمه ، مبتدعا لها بإفشائه إياها ، وقدرته عليها واسستصفاره عظيمها . نافذاً إرادته فيها ، لا تجرى إلا على تقديره ، ولا تنتهى إلا إلى تأجيله ، ولا تقع إلا على سبق من حتمه كل ذلك بلطفه وقدرته ، وتصريف وحيه لا معدل له عنها ، ولا سبيل لها غيره ، ولا علم أحد بخفاياها وممادها إلا هو ، فإنه يقول في كتابه الصادق : « وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ النَّيْبِ لَا يَشْهُمُ إِلاَّ هُوَ هَ .

إخوانياته

كتب إلى أخيه في مواود وكان أوَّل ما رزقه الله .

أما بعد : فإنه ليس مما أتعرف من مواهبالله نعمة خصيصت بمزيتها . وأصفييت بخصيصتها كانت أمر لى من هبة الله لى ، ولدا سميته فلانا ، وأملت ببقائه بعدى حياة وذكرى وحسن خلافة فى حُرْمتى و إشراكه لى فى دعائه ، شافعاً لى إلى ربه عند خلواته فى صلاته وحجه ، وكل موطن من مواطن طاعته ، فإذا نظرت إلى شمسخصه يحرك به وجدى ، وظهر به سرورى ، وتعلقت (الله عنه منها أنسة (الله) وتوات عنى وحشة الوحدة . فأنا به جلل فى منيهى ومشهدى ، أحاول مس جسده بيدى فى النظلم ، وتارة أعاقه وأرشِّهُهُ ، ليس يَشدله (الله عندى عظهات الفوائد ولامنقيسات (المائش، الرغائب ، صرفى به واهبه لى على حين حاجتى ، فشد به أزرى ، وجانى من شكره فيه ماقد آدى سرنى به واهبه لى على حين حاجتى ، فشد به أزرى ، وجانى من شكره فيه ماقد آدى

⁽١) تعطف : المطف وأنحني .

⁽٢) الأنبة: الأنس بالعيه .

⁽٣) عدله (كضرب) : ساواه .

⁽٤) هيء منفس كمخرج: يتنافس فيه .

بثقل حمل النعم السالقة إلىّ به المقرونة سراؤها فى العجب بمــا يتداركنى من رقة الشفقة عليه مخافة مجاذبة للنايا إياه ، ووجلا من عواصف الأيام عليه .

فأسأل الله الذي من علينا بحسن صنه (١) في الأرحام ، تأديبه بالذكاه ، وحراسته بالسافية ، وأن يرزقنا شكر ما حمَّلنا فيه وفي غيره ، وأن يجمل ما يهب لنا من سلامته ، وللدَّة في عمره مُرْ صَدَا (٢٠٠ بالزيادة ، مقرونا بالمافية ، محوطا من المكروه ، فأنه المنان بالمهاهب والواهب للمني ، لاشريك له .

حملنى على الكتاب إليك لعلم ماسررت به علمى بحالك فيه وشَرِكَتُك () إلى في كل نسبة أسداها إلى ولى النعم (وأهل الشكر أولى بالمزيد من الله جل ذكره). والسلام هليك .

وكتب عن مروان إلى هشام يمزيه عن امرأة من حظاياه :

إن الله أمتم أمير للثرمدين من أيسته وقرينته متاعا مدّه إلى أجل مسمى . فلما تمت لله مواهب الله وحاربته قبض إليه المارية ، ثم أعطى أمير الثرمنين من الشكر عند بقائها والصبر عند ذهابها أنفس منها فى المنقلب ، وأرجح فى الميزان ، وأسلى فى الموض ، فالحد لله رب المالمين ، وإنا لله وإنا إليه راجون .

وكتب إلى أهله وهو منهزم مع مروان :

⁽١) أي حياطته وصيانته ، وذلك صنع من الله جميل وإحسان كبير .

⁽٢) مفروناً . (٣) شركه (كفرح) شاركه .

 ⁽٤) أفاوبق : جم أفواق وهى جم قيقةً. والفيقة : مأتجم من اللبن بين الحلبتين .

 ⁽٥) جمعت الدابة : غلبت راكبها .

⁽٦) رمحت الدابة: رفست .

والعلير با رحة (1 ك. وقد كتبت والأيام تريدنا منكم بعداً و إليكم وجداً ، فإن تتم البلية إلى أقصى مدتها يكن آخر العد بكم و بنا ، و إن يلحقنا ظفر جارح من أغلفار من يليكم نرجم إليكم بذل الإسار والفل شرّ جار . نسأل الله الذى يعرّ من يشاء ، و يذل ً من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة فى دارأمنة تجمع سلامة الأبدان والأديان، فإنه ربّ العالمين وأرحم الراحين .

ومن أمثلة إيجازه ما كتبه موصياً بشخص: حقّ موصل كتابى إليك (٢٧ كفته على إدياد ما كتبه اليك (٢٧ كفته على إذ جعلك موضا لأمله ، ورآنى أهلا لحاجته ، وقد أنجيزت حاجته فصدّق أمله (٢٧) ومنها ما كتبه إلى أحد عمال مروان ، وقد أهدى إلى الخليفة عبداً أسود ، فأمره بالإجابة ذاما مختصراً ، فكتب : لو وجلت لونا شرًا من السسواد ، وعدداً أقل من الواحد لأهديته .

نمـاذج من خطابة هذا العصر

قدم معاوية للدينة عام الجماعة ، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : أما بعد فإنى والله ما وليتها بمحبة علمتها منكم ، ولا مسرة بولايتى ، ولكنى جالدتكم بسيني هذا مجالدة . ولقد رُضْتُ (١٠) لكم نفسى على عمل ابن أبي تُصافة ، وأرَدْتُها على عمل عمر ، فنفرت من ذلك يفارت على عمل عمر ، فنفرت من ذلك يفارتا على شكتات مها

⁽١) البارح من الطير ماص من ميامنك إلى مياسرك وهو يتشاهم به .

 ⁽٣) البعدلة تسمة تفهم من اللعام، وأصلها حق موصل كتابى إليك عليك: أى إن حقه عليك كقه هلى.
 (٣) أى احمله صادقاً

⁽٤) راض شه على الأصر: حلها عليه .

⁽٥) أردتها: حلتها .

 ⁽٦) سيات عبل : سنواة الشدية والصدير الصطم . فالواوش في السيات البيش وهي نســنوات اشتددن عنى أمل للدينة ، وقبل أيضا أصابتنا شنة جزاء : أي جدب .

طريقاً لى واكم فيه منفعة : مؤاكلة حسنة ومشاربة جيلة " ، فإن لم تجدونى خيركم ، فإنى خير لكم ولاية . والله لا أحمل السيف على من لاسيف له ، و إن لم يكن منكم إلا ما يَسْتَشـــفى به القائل بلسانه ، فقد جلت ذلك دَثِرْ أذنى وتحت قدمى . و إن لم تجدونى أقُومُ بحقكم كله فاقبلوا منى بعضه ، فإن أتاكم منى خير فاقبلوه ، فإن السيل اذا جاء أثرى () و إن قل أغنى () . و إياكم والفتنة فإنها تفسد الميشة وتكثر النعمة .

九

كان آخر خطبة خطبها معاوية أن صعد للنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قبض على لحيته وقال : أيها الناس أنا من زرع قد استخصد وقد طالت عليكم إمرتى حتى مللتكم ومَلاِتمونى ، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراق . و إنه لايأتيكم بعدى إلا من هو شرّ منى كما لم يأتكم قبلي إلا من كان خيرًا منى . و إنه من أحب تناه الله أحب الله تناه . . اللهم إنى قد أحبت تناهك فأحبب لقائى . ثم نزل فيا صعد للنبر بعدها حتى مات .

Ä

لما قتل عبد الملك بن مروان مصعب بن الزبير دخل الكوفة ، فصعد المنبر فحمد الله فيد الله وأثنى عليه ، وصلى على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

أيها الناس: إن الحرب صعبة مرّة ، وإن السيلم أمن ومسرّة (⁽⁷⁾ ، وقد زَبَنَتَمَا⁽¹⁾ الحرب وزبنّاها فرفناها وألفناها. فنحن بنوها وهي أثننا . أيها الناس: فاستقيموا⁽⁶⁾ على سُبُل الهدى ، ودعوا الأهواء المرّدية ، وتجنبوا فراق جاعات المسلمين .

⁽١) أثرى: كثر المال وجعل الناس أغنياء .

⁽٢) أَى أَغْنَى عَنَّ السَّالَةِ .

⁽٣) رواية صبح الأعمى من ومبرة .

⁽٤) دفتنا .

⁽٥) في الكلام حذف والتقدير إذا عرقم حالنا فاستقيموا .

ولا تُكَنَّفُونا أعمال المهاجر بن الأو ابن ، وأتم لا تصادن أعالهم . ولا أغلنكم تزدادون بعد الموعظة إلاشراً ، وان نزداد بعدالإعذار (١) إليكم والحجة عليكم إلاعقو بة ، فن شاء منكم أن يعود لمثلها فليمد ، فإيما مثل ومثلكم كما قال قيس بن رفاعة : من يَمَثُلُ نارى بلا ذنب ولاترَة يَمَثُلُ بنار كريم غَسَيْر غدًار (٢) أنا النسنية برُ لكم متى مجاهرة كي لا ألام على نغمي و إنذار (٢) فإن عَتَمَيْم مقالى اليوم فاعترفوا أنْ سوف تلقون خراً ظاهر العار (١) لتَرْجِعِنُ أحاديثًا مُلَمَّن الله المرادي الله عند من فإنى له رهن إلا تحارف الماري (١) أقيم عو جَدَهُ إن كان ذا عوج كما يقوم في عند عن المنهذ البارى وصاحبُ الوثر ليس الدَّهْ مُدُوكِه
عند حدى وإنّى لدرًاكُ بأوتار وصاحبُ الوثير ليس الدَّهْ مُدُوكِه
عند حدى وإنّى لدرًاكُ بأوتار

444

و يروى أنه لما أتى عبد الله بن الزبير خبر قتل مصمب بن الزبير خطب الناس ،
فحد الله وأننى عليه ثم قال : إنه أتانا خبر قتل المصب فسررنا به واكتأبنا له . فأما
السرور فلما قدّر له من الشهادة وحيزله من الثواب . وأما الكآبة : فلوعة يجدها الحيم
عند فراق حميمه ، و إنا والله ما نموت حَبَعًا (٢٧ كميتة آل العاص ، و إنما نموت والله
قتلا بالرماح، وقصما (٢٧ تحت خلال السيوف، فإن يهلك المُعتب فإن في آل الزبير

⁽١) الإعذار : تقديم مايمذر معه للرء لو عاقب وآخذ وذلك بالنصح والارشاد.

⁽٢) ترة : تأر . يصل نارى : يتعوش لى .

⁽٣) على نهى: أى ترك نهى .

 ⁽عُ) أَمَنةٌ : يَشْهَا كُلُ إِنْسَانَ . الله عِ والله إذ والإدلاج : السير من أول الليل . والادّلاج : السير من أخره . والسرى : اللهني إلا هامة .

 ⁽٥) الإصار : الحروج إلى الصحراء . يقال أنا رهن بكذا أى مرهون له : أى ثابت عليه

⁽١) الحبج: انتفاخ البطن.

 ⁽٧) قميمه : شريه .

盐

خطب عمر بن عبد العزيز يوما ، فكان من خطبته قوله :

ما الجزيم بما لا بدّ منه ، وما الطمع فيها لا يرجى ، وما الحيلة مما سيزول ؟ . و إنما الشيء من أصله ، فتد مضت قبلنا أصول تحن فروعها ، فما بقاء فرع بعد أصله ، إنما الناس فى الدنيا أغراض تنتضل فيهم النايا ، وهم فيها نهب المصائب مع كلّ جرعة شرّق، وفى كل أكلة فَصَص . لاينالون نعمة إلا بغراق أخرى، ولا يُتمثّر مُتشرّد يوما من عرم إلا بيدم آخر من أجله ، وأتم أعوان الحتوف على أنسكم . فأين المؤرب بمما هو كلن ، و إنما نتقلب فى قدرة الطالب ، فما أصغر المصيبة اليوم مع عظيم الفائدة غداً ،

خطبة زياد ١٠٠٠ البتراء

قدم زياد البصرة واليا لمعاوية على العراق وخُرَّاسان وسِيعِيْتنان، والفسق بالبصرة خَاهر فاشِ، غَطب أهلها خطبة بتراء لم يحمد الله فيها ، وهي :

أما بُعد ، فإن الجهالة الجَهْلاء (٢٧ ، والضلالة الصّميّاء (٢٦ ، والذَّىّ الْمُوفَى بأهله على

 ⁽١) ولد زياد للسنة الأولى من الهبرة . وكان منسة صغره ذكيا سديد الرأى استلجقه معاوية بعد
 قتل طى قبله أخاه . وتوفى سنة ٣٠ هـ .

وقيـــال فى نسبه: إن الحارث بن كامة طبيب العرب كانت له أمة تسمى سميـــة وعبد يسمى: عبيــا وكان روميا فزوّج العبد من الأمة فولفت له زيادا . وقد استكتبه أبو موسى الأشعرى والى البصرة من قبل عمرتم ظهر نبوغه . واعترف أبو سفيان بأنه ابنه حملت به أمه وأبوسفيان مصرك ورأى على فيه إياء ولسانا . ثم استلحة معاوية بمد موت على .

⁽۲) الجهلاء : النديدة .

⁽٣) الصياء : التي يسمى فيها الناس ونسبة الممى إليها مجاز عقلى .

النار ما فيه سُفهاؤكم ، ويشتمل عليه خُلَاؤكم : من الأمور العِظام يَنْبُتُ فيها الصفير، ولا يتحاشى عنها الكبير، كأ نكم لم تقرءوا كتاب الله ولم تسمعوا ما أعده من الثواب الكريم لأهل طاعت ، والعذاب الأليم لأهل معصيته في الزمن السرمدي الذي لا يزول ، أفتكونون كمن طرفت (١) عينه الدنيا ، وسدَّت مسامعه الشهوات ، واختار الفانية على الباقية . ولا تذكرون أ نكم أحدثتم فى الإسلام الحدث الذى لم تسبقوا إليه من ترككم الضعيف يقهر ، و يؤخذ ماله ، ما هذه المواخير^(٢) المنصوبة ، والضعيفةُ المسلوبة فى النهار الْبصر والمدد غير قليل ؟ ألم يكن منكم نهاة تمنع النواة عن دلج^(٢) الليل وغارة النهار ؟ قرَّبتم القرابة وباعدتم الدَّين ! تمتذَّرون بنير المذر ، وتُغْضُون على المختلس . كل أمرئ منكم يذب عن سفيه صنيع َ من لايخاف عاقبة ، ولا يرجو معاداً ، ما أتم بالطَّهاء ، ولقد اتَّبعتم السفهاء ، فلم يزل بكم ماترون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرم الإسلام ، ثم أطرقوا ورامك كُنوسا(؟) في مكانس الريب. حرام على الطعام والشراب حتى أسويها بالأرض هدمًا و إحراقًا . إني رأيت آخر هذا الأمر لايصلح إلا إلى صلح به أوَّله : لين في غير ضعف وشدة في غير عنف . و إنى أقسم بالله لآخذنَّ الولى" بالمولى، والمقيم بالظاعن ، والمقبل بالمدبر ، والمعليع بالعاصى ، والصحيح منكم فى نفسه بالسقيم حتى يلتي الرجل منكم أخاه ، فيقول : أنج سمدُ فقد هلك سُمَيد^(ه)، أو تستقيم لى قنا تكم. إن كذبة المنبر بلقاء^{(٧٧} مشهورة ، فإذا تملقتم على" بكذبة فقد حلت لكم مصيتى ، وإذا

 ⁽١) طرفه عن الدي. : صرفه عنه وامرأة مطروفة بالرحال منصرفة عن زوجها الهم . وطرفت عينه
 الدنيا صرفته إليها وإلى زخرفها . وقبل المديي جعاته لاييمسر شيئا أي لايسى بنيرهما .

 ⁽٣) المواخير : جم مأخور وهو ببت الرية .
 (٣) دلج الليل : السير في أوله . والراد مطلق السير فيه ، والكلام كناية عن التلسس .

⁽٤) كنوس : جم كانس وهو الظبي بنسغل كناسه . المكانس : جم مكنس وهو الكناس

مثل يضرب في تتابع المدر. وأصل الثل أن ضبة بن طابخة كان له ابنان سمد وسعيد فنفرت له
إبل غرجا في بنائها فوجدها سميد فردها أما سعيد فائه فلمر به الحارث بن كعب قتتاه وكان
ضبة إذا رأى سوادا بالميل قال أحمد أم سعيد ،

⁽٦) البلق : سواد وبياس وارتفاع النبحيل إلى الفخذين ، والمراد والمحة مصهورة .

سممتموها منى فاغتمزوها في" ، واعلموا أن عندى أمثالها . من نُقب منكم عليه ، فأنا ضامن لما ذهب منه ، فإ يَّاي ودلج الليل فإني لا أوتى بمدلج إلا سفكت دمه ، وقد أجلتكم في ذلك بمقدار ما يأتي الخبر الـكوفة ، و يرجع إليكم فإياى ودعوى الجاهلية^(١) فإني لا أجد أحداً دعا بها إلا قطعت لسانه ، وقد أحدثتم أحداثا لم تكن ، وقد أحدثنا لكل ذنب عقوبة : فمن غرّق قوما غرقناه ، ومن أحرق قوما أحرقناه ، ومن نقب بيتاً نَقَبْنَا عن قلبه ، ومن نبش قبراً دفتاه فيه حيًّا . فكُثُّوا عني ألسنتكم وأيديكم أكفف عنكم يدى ولسانى ولا يظهرن من أحد منكم ريبة بخلاف ماعليه عامتكم إلاضربت عنقه . وقد كانت بيني و بين أقوام إخَنْ ^(٢٦) ، فجملت ذلك دَثْر أذني وتحت قدمي ، فن كان محسنا فليزدد في إحسانه ، ومن كان مسيئًا فلينزع عن إساءته . إني لو علمت أنأ حدكم قدقتله السلّ من بغضى لمأكشف له قناعا، ولمأهتك لهسترا حتى يبدي لى صفحته (٣). فَإِنْ صَلَّ ذَلِكَ لَمُ أَنَاظُرُهُ * فَاسْتَأْنَفُوا أَمْرِكُم ، وأُعينُوا عَلَى أَنْسَكُم (٥٠) فَرُبٌّ مبتثس بقدومنا سيسر ، ومسرور بقدومنا سيبتئس . أيها الناس : إنا أصبحنا لكم ساسة وعنكم ذادة ، نسوسكم بسلطان الله ، ونذود عنكم بنيء الله الذي خوَّلنا ، فلنا عليكم السمم والطاعة فيا أحببنا ، ولكم علينا العدل فيا ولينا ، فاستوجبوا عدلنا وفيتُنا بمناسحتكم لنا. واعلموا أنني مهما قصرت عنه فلن أقصر عن ثلاث : لست محتجبًا عن طالب حاجة ولو أتانى طارةا بليل ، ولاحابساً عطاء ، ولا رزةا عن إبانه ، ولا نُجَمِّراً لكم بشاً فادعوا الله بالصلاح لأثمتكم ، فإنهم ساستكم المؤدَّ بون ، وكهنكم الذي إليه تأوون ومتى يصلحوا تصلحوا ، ولاتُشربوا قلو بكم بغضهم فيشتد لنلك غيظكم و يطول له حزنكم ، ولاتدركوا

 ⁽١) دعوى الجاهلية هي الدعوة إلى العمبية والتفاخر بها وقولهم بالفلان .

⁽٢) إحن : جم إحنة ومى الحقد .

⁽٣) صفحة القيء: جانبه .

⁽٤) أناظره: أعهل عليه .

أى ساعدونا على قيادة أنفسكم وإخضاعها بفهركم لهـا وإحكام أمرها .

حاجتكم ، مع أنه لو استجيب لكم فيهم لكان شرًّا لكم . أسأل الله أن يعين كُلاً على كلّ ، و إذا رأيتمونى أتقد فيكم أمرًا فأهذوه على أذلاله (١١ ، وأثم الله ِ إنَّ لى فيكم لعَرْ عَنى كثيرة ، فليحذر كلّ امرئ منكم أن يكون من صرعاى .

فقام إليه عبد الله بن الأهم ، فقال : أشهد أيها الأمير، لقد أوتيت الحكة وفصل الحطاب، فقال: كذبت ذلك نبي الله داود صلوات الله عليه . ثم قام الأحنف بن قيس لقال: إنما الثناء بعد البلاء ، والحد بعد العطاء ، وإنّا المديني حتى نَبْتَكِلى، فقال زياد : صدقت . ثم قام أبو بلال مرداس بن أميسة ، وهو يهمس ويقول : أنبأنا الله بغير ما قلت . قال الله : وإبراهيم الذي وفي ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإنسان إلا ما سهى ، وأنت تزعم أنك تأخذ البرىء بالسقيم ، والمطيع بالدامى ، وللقبل بالمدبر . فسمعا زياد ، ثم قال : (إنا لا نباغ فيك وفي أسحابك ما تربد حتى نخوض إليكم فسمعا زياد ، ثم قال : (إنا لا نباغ فيك وفي أسحابك ما تربد حتى نخوض إليكم الباطل خوضاً) .

خطبة أبي حمزة الخارجي

دخل أبو حمزة الخارجي مكة ، (وهو أحد نُسَاك الإياضية^(١٢) وخطبائهم) ، فصمد المنبر، توكنا على قوس له عربية ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال .

أيها الناس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لإيتأخر ولايتقدم إلابا ذن الله وأمره ووحيه . أنزل الله له كتابا بيّن له فيه ماياتى ومايننى ، فل يكن فى شك ،ن دينه ولا شبهة فى أمره ، ثم قبضه الله إليه ، وقد علم السلمين ممالم دينهم ، وولى أبا بكر صلابهم ، فولاه المسلمون أمر دنياهم حين ولا مرسول الله أمر دينهم . فقاتل أهل الردة وعمل بالكتاب والسنة ، فضى لسبيله رضى الله تعالى عنه ، ثم وئى عمر بن الخطاب

 ⁽١) أذلال: جمع ذل بالكسر أو جمع لانفرد له. والمعنى على أصله ومجراء .

 ⁽٢) لسبة إلى عبد الله بن إباض من زهماً و الحوارج .

رضى الله عنه ، فسار سيرة صاحبه وعمل بالكتاب والســـنة ، وجبى النَّيْء ، وفرض الأعطية ، وجم الناس في شهر رمضان ، وجلد في الخر ثمـانين ، وغزا العدوّ في بلادهم ومضى لسبيله رضى الله تعالى عنه . ثم ولى عثمان بن عفان فسار ست سنين بسميرة صاحبيسه وكان دونهما ، ثم سار في الستّ الأواخر بما أحبط به الأوائل ، ثم مفي لسبيله رضي الله تمالى عنـــه . ثم ولَّى على " بن أبي طالب فلم يبلغ من الحق قصدا ، ولم يرفع له منارًا ، ثم مضى لسبيله رضى الله تعالى عنه ، ثم ولَّى معاوية بن أبي سفيان لمين رسول الله وابن لمينه اتخذ عباد الله خَو لاً (١) ، ومال الله دُولاً (٢) ودينه دَغَلاً (٣). شم مضى لسبيله فالمنوه لعنه الله . ثم وتى يزيد بن معاوية : يزيد الخور ، يزيد القرود ، ويزيد الفهود . الفاسق في بطنه ، المأبون في فرجه . (ثم اقتصَّهم خليفة خليفة ، فلما انتهى إلى عربن عبد العزيز أعرض عنه ولم يذكره) ثم قال : ثم ولى يزيد بن عبد الملك ، الفاسق في بطنه ، المأبون في فرجه الذي لم يؤنس منه رشد ، وقد قال الله في أموال اليتامى : « وَإِنْ آ نَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا ۚ فَأَدْفَفُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَاكُمْ » ، فأمر أمة محمـــد أعظم . يأكل الحرام ، ويشرب الخر ، ويلبس الحلة قُوَّمَتْ بألف دينار قد ضربت فيها الأبشار (٤) ، وهتكت الأستار ، وأخذت من غير حلها . حَبابة عن يمينه ، وسَلاَّمة (٥) عن يساره تفنيانه حتى إذا أخذ الشراب منه كلّ مأخذ قدَّ ثو به ، ثم التفت إلى إحداها ، فقال : ألا أطير؟ نسم فَطِرْ إلى اسنة الله ، وحريق ناره ، وأليم عذابه .

أما بنو أمية ففرقة ضلالة و بطشهم بطش جَبَرَيّة (٢٠ يَأخذون بالظّنة ، و يقمون

الحول : السيد والاماء وغيرهم من الحاشية لا واحــد له يقال للغرد والجم والذكر والمؤنث . وقبل الواحد خائل .

 ⁽٢) الدولة : السقبة في المسال (تبادلة) والمراد باتخاذه دولا أن يسطى هذا مرة وهذا مرة .

⁽٣) أفدقل : مايدخل فى الأسر، فيقسده ، والمراد أنهم انخذوا دين الله وسيلة للادساد والظلم بدل أن يكون وسيلة للاصلاح والهملل .

⁽٤) الأبشار : جم بصر وهو جم بشرة وهي ظاهر جلد الانسان أو غيره .

 ⁽٥) حبابة وسالامة : منذينان سنذكرهما في باب النناء في آخر الكتاب.

⁽٩) الجبرية خلاف الفدرية ، وقيل التسكين لحن أو هو الصوآب والتحريك للازدواج .

بالهوى ، ويقتلون على النضب ، و يمكون بالشفاعة ، و يأخذون الفريضة من غير موضعها و يفتلون على موضعها و يشكون أشك الصَّدَقَاتُ الصَّدَقَاتُ الصَّدَقَاتُ الصَّدَقَاتُ الصَّدَقَاتُ الصَّدَقَاتُ المَّدَقَاتُ المَّالِينَ عَلَيْهَا وللُوَّلِّقَدِّ فَاسَالُو اللَّهِ اللَّهِ وَاللَّهِ وَاللَّهُ وَلَا اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَلِينَّالِ اللَّهُ وَاللَّهُ وَاللْمُواللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَاللَّهُ وَ

وأما هـذه الشيع فشيع ظاهرت بكتاب الله وأعلنت الفرية على الله ، لم يفارقوا الناس بيصر نافذ فى الدين ، ولا بهل نافذ فى القرآن، ينقمون المصية على أهلها و يعملون إفر الوابها ، يصر"ون على الفتنة ، ولا يعرفون الحرج منها . جفاة عن القرآن ، أتباع كهان ، يؤملون الدول فى بعث الموتى ، و يعتقدون الرجعة إلى الدنيا . قلدوا دينهم رجلا ينظر لهم ـ قاتلهم الله أتى يؤفكون . . ثم أقبل على أهرا الحباز ، قاتل الحباز ؛ يأهل الحباز ، أعيان في أها والله إلى لما بتتابع في يفرك فى معادكم ، ولولا أشستنالى بغيركم عنكم ما تركت الأخذ فوق أيديكم . سباب والله مكنهلون فى شبابهم ، غضيضة من الشر المينهم ، الأخذ فوق أيديكم . شبابهم ، غضيضة من الشر المينهم ، اللهل منحنية أصلابهم على أجزاء القرآن ، كل من أحدهم بآية من ذكر الجنة بكي شوقا إليها ، وإذا من بآية من ذكر الجنة بكي شوقا إليها ، وإذا من بآية من ذكر الجنة بكي شوقا وأنوفهم وجباههم ، واستقلوا ذلك فى جنب الله ، حتى إذا رأوا السهام قد فُوتَت الكتبية بصواعق والرعام قد أشرعت ، والسيوف قد انتضيت (٢) ، وركلت الكتبية بصواعق والرعام قرزق " ، استحفوا بوعيد الكتبية لوعيد الله . وموعد الكتبية بصواعق الموت و برقت " ، استحفوا بوعيد الكتبية لوعيد الله . وموصل الله المناون و برقت " ، استحفوا بوعيد الكتبية لوعيد الله . وموصل الله الموت و برقت " ، استحفوا بوعيد الكتبية لوعيد الله . ومقدى الشاب منهم الشاب منهم الموت و برقت " ، استحفوا بوعيد الكتبية لوعيد الله . ومقود الشوت و برقت " ، استحفوا بوعيد الكتبية لوعيد الله . ومقدى الشاب منهم

 ⁽١) فوئت : ركبت فىالأقواس الرمى .

 ⁽۲) أقرعت الرماح : سندت وصوبت .

 ⁽٣) انتضيت : سأت وأخرجت من أعمادها .

قُدُمًا (١) حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسسه ، وتخضَّبَتْ بالدهاء محاسن وجهه ، فأمر من عين في مناقير طير فأسرعت إليه طير أسهاء ، فكم من عين في مناقير طير طالما بكي صاحبها في جوف الليسل من خوف الله ، وكم من كفّ زالت عن مصمها طالما اعتمد عليها صاحبها في جوف الليل بالسجود لله . ثم قال : (أَوَّهُ أَوَّهُ أَوَّهُ) ، ثم بكى ونزل .

نماذج من كتابة هذا العصر

كتب الحجاج إلى عبد الملك فى شـــأن عروة بن الزبير، وكان عروة عاملا على البين، ولجأ إلى عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإنَّ تَوَذَانَ المترضين بك وحلول الجانحين إلى المكت بساحتك ، واستلاتهم دَمَث أخلاقك ، وســــمة عفوك كالعارض ^{(۲۷} المبرق لأعدائه ، لا يعدم له شائحا^(۲۷) ، رجاه استهاة عفوك ، و إذا أدْنِيَ الناس بالدفع عن الجرائم كان ذلك تمرينا لهم على إضاعة الحقوق مع كلِّ ضال "، والناس عبيد العصا هُمْ على الشدة أشد استباقا منهم على اللّين . ولنا قبِل عُرْوَةً بنَّ الزَّمْيِرِ مالٌ من مال الله ، وفي استخراجه منه قطع لطمع غيره ، فليبث به أمير المؤمنين إن رأى ذلك والسلام .

فكتب إليه عبد الملك :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد : فإن أمير المؤمنين رآك مع ثقته بنصيحتك خابطًا فى السياسة خبط عشواء الليل ، فإن رأيك الذى يسوّل لك أن الناس عبيد العصا هو الذى أخرج رجالات العرب إلى الوثوب عليسك ، و إذا أشرَجَتِ²⁷⁾ العامة بعنف

⁽١) القدم: المضى أمام أمام .

 ⁽۲) المارض : السحاب .
 (۳) المقائم : الناظر إلى البرق أين اتجه .

⁽٤) أحرجت : ضيق عليها .

السياسة كان (أوشك (1) وثوبا عليك عند الفرصة ، ثم لا ينتغتون إلى ضلال الداعى ولا هذاء ، إذا رجوا بذلك إدراك الثأر منك ، ولقد وَلِيَتِ العراقَ تَبْلَك ساسةٌ وهم يومئذ أحى أنوفا (٢) وأقرب من عمياء الجهالة ، وكانوا عليهم أصلح منهم عليك ، وليشدة واللين أهلون ، والإفراط في العقو أفشلُ من الإفراط في العقوبة ، والسلام .

وكتب الحجاج إلى قَطَرَى بن الفَعِاءة :

بسم الله الرحمن الرحيم . من الحجاج بن يوسف إلى قطرى بن الفجاءة .

فأجابه قطري : من قطري بن الفجاءة إلى الحجاج بن يوسف :

سلام على الهداة من الولاة الذين يَرْ عَوْن حريم الله ويرهبون نِقَه ، فالحد لله على ماأظهر من دينه ، وأظلّم (٢٠ به من أهل السفالة وقدّن به من السّلالة ، ونصر به عند استخافك بحقه . كتبت إلى تذكر أنى أعرابي جلّث استطعم السكرشرة وأشتني

⁽١) أوشك: أسرع .

⁽۲) أثوى غشبا .

 ⁽٣) تجرئم الهيء: أخذ سطمه .

⁽٤) صلى الرجل النار : فاس حرها .

 ⁽٥) استثماً الذَّاب الرغ، شمها . والمراد باستنشاء الرباح تمرَّف ماتحمله من دلالة طي الحصب والنبث وذك لما هم فيه من جهد .

⁽٣) النزح : استخراج ماء البار، والمراد هنا استنفاد قوتهم بهجمتين لاغير .

 ⁽٧) الظلے: الغرج، وأطلمه جله يحرج. والمنى أن أهل السفالة غير مستقيمين فى أمورهم كا لايستغيم
 الأهر ج فى مفيته.

بالتمرة ، ولعمرى بإن أم (١) الحجاج إنك لميت في حييلتك ، مُطلَّخِمُ (٢) في طريقتك ، واه في وثيقتك ، لا تعرف الله ولا تجزع في خطيئتك ، يئست واستياست من ريك . فالشيطان قرينك لا تجاذبه وَثاقك . ولاتنازعه خِناقك . فالحد لله الذي لوشاه أبرز لى صَفْحَتَك ، وأوضح لى طَلْمتك . فوالذي تفسُ قَطَرِيّ بيده لَموفْتَ أن مقارعة الأبطال ليست كتصدير المقال . مع أنى أرجوأن يُدْحِضُ (٢) الله حجتك ، وأن يُمتِّتني مهجتك.

كتب عروة بن الزيير إلى الوليد بن عبد لللك يشفع لكَمْب بن قيس :

بسم الله الرحمن الرحيم لولم يكن لكعب من قديم حرمته مايغفر له عظيم جريرته لوجب ألا تحرمه التَّغَيُّوُ بظلال عنوك الذي تأمُّلُهُ القالوب ، ولا تَتَمَلَّقُ به الدَّنوب ، وقد استشع بى إليك ، فَوَتِفْتُ له منك سفو لا يَعْلِطِه سُخْط . فحقق أمله في وصدِّق نسم فيك تجد الشكر وافياً بالنعمة .

كتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر إلى بعض إخوانه :

أما بعد : فقد عاقنى الشك فى أمرك عن عزيمة الرأى فيك ، وذلك أنك ابتدأ تنى بلطف عن غير خبرة ، ثم أعقبتنى جفاء عن غير جريرة ، فأطمعنى أو لك فى إخائك ، وأياسنى آخرك من وفائك ، فلا أنا فى اليوم مجمع لك اطراحا ، ولا أنا فى غد وانتظاره ملك على ثقة . فسبحان من لو شاء كشف بإيضاح الرأى فى أمرك عن عزيمة الشك فيك ، فاجتمعنا على ائتلاف ، أو افترقنا على اختلاف ، والسلام .

وكتب وهو في السجن إلى أبي مسلم الخراساني صاحب الدعوة يستعطفه :

⁽١) نسبة الرجل إلى أمه كناية عن عدم معرفة أبيه : أي انه ابن زنية .

 ⁽٣) اطلخم كاطرخم : يمني كل بصره . والمنيأة ضال لا يصرالهدى والصواب .

 ⁽٣) يَال دَحْضَت الْحَجة : أَى بطلت ، وأدَحْضُهَا أَى أَبطلتها .

عاربة ، والصنائم مرعية . وماالنعم عليك وعلينا فيك عنزور نداها ، ولاعباوغ مداها . فنبه للتفكيرقلبك ، واتق الله ربك ، وأعط من نفسك من هوتحتك ماتحب أن سطيك من هوفوقك : من المدل والرأفة ، والأمن من الخافة ، فقد أنسم الله عليك بأن فوض أمورنا إليك ، فاعرف لنا لين شكر النصة ، واغتفارمس الشدة ، والرضاء بما رضيت ، والقناعة بما هويت ، فإن علينا من سَمُك (١) الحديد ويُقلَه (٢) أذى شديداً ، مع معالجة الأغلال ، وقلة رحمة الممال الذين تسهيلُهم الفلظةُ وتيسيرُهم القطاطةُ ، و إبرادهم (٢٣ علينا الغموم، وتوجيهُهُم إلينا الهمومُ . زيارتُهم الحراسةُ ، وبشارتُهم الأياسةُ . فإليك بعد الله نرفع كربة الشكوى ، ونشكو شدَّة البلوى ، فتى تُكِلْ إلينا طَرْفا ، وتُولِناً منك عَطْمًا تجد عندنا نُصْحًا صريحًا ، ووُدًّا صحيحًا لا يُضَيِّعُ مثلُك مثلًه ، ولا يَنْفِي مثلُك أهله . فارع حرمة من أدركت بحرمته ، واعرف حجة من فَلَجْتَ بمحجته ، فإن الناس من حوضك رواله (1) ونحن منه ظماله . يمشون في الأبراد (٥) ونحن نَحْجل (١) في الأقياد بعد الخير والسعة، والخفض والدعة . والله الستمانُ وعليه التُّسكُلاَن . صريح الأخبار ، مَنْجَى الأبرار ، الناسُ من دولتنا في رَخاء ونحن منها في بَلاه . حين أمن الخائفون ، ورَجَـــم الهـار بون رزقنا الله منك التَّحَنُّن ، وظاهَرَ علينا من التَّدَّنن ، فإنك أمين " مستودَّع ، ورائد مصطلع ، والسلام ورحة الله .

⁽١) السمك : الفلظ والثخانة .

⁽٢) الثمل (كنب): ضد الحقة، أما الثقل (كحمل) فهو هو في السني .

⁽٣) أي مابوردونه علينا وبأتوننا به هو النم .

⁽٤) رواء : جم ريان وكنك ظماء .

⁽o) الأبراد: جم برد، وهوالحة .

⁽٦) الحبل والحبلان : المعي المثارب الحملا .

صفة الإمام العادل

كتب عمر بن عبد العزيز إلى الحسن البصري لما ولى الخلافة . أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل ، فكتب إليه الحسن ، رحمها الله ورضي عنهما :

أعلم عا أمير المؤمنين أن الإمام المادل قوام كلّ ماثل ، وقصد كلّ جاثر ، وصلاح كلّ فاسد ، وقوة كلّ ضعيف ، ونصفة كلّ مظاهم ، ومفزّع كلّ ملهوف ، والإمام المتدل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله الرفيق ، الذي يرتاد لها أطيب المرعى التشدل يا أمير المؤمنين كالراعى الشفيق على إبله الرفيق ، الذي يرتاد لها أطيب المرعى ويندُودها عن مراتم الهلك يا أمير المؤمنين كالأب الحافى على وآلده () يسمى لهم صفاراً و يسلمهم كباراً ، ويحميها من السباع ، ويكنفها من أذى الحرّ والقرّ . الإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحافى على وآلده () يسمى لهم صفاراً و يسلمهم كباراً ، الشفيلة ، البررة الرفيقة بوالدها ، حلته كرّ ها ، وربته طفلا ، تسهر الشفيلة ، البررة الرفيقة بوالدها ، حلته كرّ ها ، وو بته طفلا ، تسهر بسيره ، وتسكن بسكونه ، ثر "ضمه تارة ، وتقطيه أخرى ، وتفرح بمافيت ، و وتفر بسلاحه ، بشكايته . والإمام المدل يا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح ، تصلّح الجوانح بسلاحه ، كلام الله ويتقودكم ، فلا تكن كلام الله ويشعره ، و ينقاد إلى الله ويتمودكم ، فلا تكن كلام الله ويشعره ما وينقاد إلى الله ويتمودكم ، فلا تكن المؤلوا ، والمر المؤمنين أن الله أنزل المقداس حياة لمباده ، والمقام من يقتم الهم ، والم المود ليز عجر بها عن الخبائث والفواحش ، فكيف بها إذا أتاها من يتها ، وإن الله أنزل التصاص حياة لمباده ، فكيف بها إذا أتاها من يتها ، وإن الله أنزل التصاص حياة لمباده ، فكيف بها إذا أتاها من يتها ، وإن الله أنزل التصاص حياة لمباده ، فكيف بها إذا أتاها من يتها ، وإن الله أنزل التصاص حياة لمباده ، فكيف بها إذا التها من يقتم المه ويتماد كر يا أمير المؤمنين

 ⁽١) الوله بالتعريك وبالفم ويالكسر: واحمد وجم وقد يجمع على أولاد. والكانب هنا
 قد استماه جما.
 (٧) الكره بالفم: الكراهة. ويافتح المثقة وهو المراد منا.

الموت وما بعده وقاتة أشياهك (١) عنده وأنسارك عليه فترة دله ولما بعده من النوع المؤ كبر. واعلم بإأمير المؤمنين أن لك منزلا غير مَنْزلك الفنمأنت فيه يطول فيه واؤك، ويفارقك أحباؤك، ويسلمونك في قمّره فريدًا وحيدًا ، فتزوّد له مايضحبك يوم يَهْرُ الله من أخيه وأمه وأبيه وصاحبة وبنيه . واذكر يا أمير المؤمنين إذا تُبثّرُ ما في القبور وحُسُّل ما في الصدور ، فالأصرار ظاهرة ، والكتاب لا يفادر صفيرة ولا كبيرة لا أحير المؤمنين وأنت في مَهَل قبل حلول الأجل ، واقطاع الأمل لا يُحْدَّمُ عا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجاهلين ، ولا تسلك جهم سبيل الظالمين ، ولا تسلك جهم سبيل الظالمين ، ولا تسلك جهم سبيل الظالمين ، فإنهم لا يرقبون في الله إلا ولا ذيّة ، فتبرء بأوزارك ، وتحيل أثقالك وأنقالا مع أقالك ، ولا يُحْرَنك الذين يتممون بما فيه بؤسك ، ويأ كلون الطبيات في دنياهم بإذهاب طبياتك في آخرتك لا تنظر إلى قدرتك غذا وأنت مأسرور في حبائل للحق القيوم ، إنى يا أمير المؤمنين إن لم أبلغ بعظني ما بلنه أو لو النعي من قبلى ، لم المتحقة ونصحاً ، فأثر ل كتابي إليك كمداوي حبيبه يَسْقيه الأدوية السكريهة المكرية المكرية والسلام عليك ورحة الله و بركاته .

الأجوبة والمحاورات

⁽١) الأشياع : جمع شيعة ، وشيعة الرجل أنصاره يغال قواحد والجمع .

وتحدّثت أنديتهم . وكان أكثر هذا القول بديهة وارتجالا لمكان للكة فيهم ، وغلبة الطبع عليهم، ولفطرتهم التى جعلتهم يتناولون أمورهم من قريب لايتكلفون ولايتعمقون، فإذا وصف أحدهم فإتما يصف من الشىء ظاهره ، و إذا حدّث فإنما يصوّر مشاعره .

و إذا عجبنا من محاوراتهم وأجو بتهم فى جاهليتهم ، وراعنا منها حسن القصد ، وتمـام الإيجاز ، و إصابة المَترَّ وتطبيق القصِل ، فقد كانت فى عصر بنى أمية أدعى إلى العجب إذ بان فيها أثر الحَصَافة ودقة الفكر ، للملم والحَسَمَة اللذين أفادوهما من الإسلام.

و إن أوّل خلاف حدث فى الإسلام واستوجب الحوار هو الخلاف بين الأنصار وللهاجرين فى أيّهم أحقّ بالخلافة : هل هم القرشيون قرابة النهيّ وقومه ، أم أنصاره الذين آزروه وأذاعوا دينه ؟

ثم كان خلاف آخر يوم قتل عبان ، يقول بنو أمية بوجوب القصاص أوّلا من قتلة عبمان ، ثم ينظر الناس فى اختيار خليفة لهم ، و يرى على ومن تابعه أنه لايقيم الحدّ على القتلة إلا خليفة يتولّى جميع شئون السلمين ، ومنها إقامة هذا الحدّ ، فحلافة على التى بايعه عليها الناس ماضية يجب على جميع السلمين الدخول فيها ، و إلا عدّوا خارجين على الجاعة .

ثم كان خلاف ثالث يوم التحكم بين على ومعاوية وظهور الخوارج الذين يخطئون عليًّا فى قبوله ، وهم الذين دعوه أوَّلا إليه ، وقد ثالوا بتكفير على ، وطالبوه بالإقرار على هست بالِبكفر حتى يسودوا إلى حظيرته ، وقد ناقشهم على ، وأرسل إليهم ابن عباس يماورهم في آرائهم ، ولكنهم كانوا معاندين ظهر لهم الحقّ ، ولم ينزلوا على يحكه ، وقد كثرت فرقهم على خلاف بينهما في المستقد : فنهم من يكفر مرتكب الكبيرة ، ويقول إن العمل جزء من الإيمان ، ومنهم من كفر جميع المسلمين ، وحرّم أكل ذيائهم ومصاهرتهم .

كان أوّل خروج الخوارج إلى حروراء (قرية بقرب الكوفة) ، وهناك أمّروا عليهم عبد الله بن وهب الراسي ، وقد حاربهم على في وقعة النّهْزُوان ، وقتل منهم كثيرًا ولكنه لم يبدهم . ثم اقسموا قسمين : قسما بالعراق ، وأثم مراكزه « البطائح » ومن هؤلاء نافع بن الأزرق وقطرى ، وهم الذين حاربهم المهلب . وفرعا بجزيرة العرب وهؤلاء قد استولوا على البحامة ، وحضرموت ، والطائف . ومن رؤسلتهم : أبو طالوت ونجّدة بن عاص ، وأبو فُديَاك .

وبما تناوله الخوارج بالبحث صحة خلافة الخلفاء، فأقرّ وا خلافة أبي بكر وعمر ، وست سنوات من خلافة مثان ، وخلافة على قبل التحكيم . ثم تناولوا شروط الخلافة مثاناً : يعب أنْ يكون انتخاب الخليفة باختيار حرّ ، وليس من الضرورى أن يكون قرشيًّا. على أنّ منهم من قال بعدم الحاجة إلى إمام . ثم تناولوا بحوثًا دينية ، فجيلوا العمل جريًّا من الإيمان ، فمن اعتقد بوحدانية الله ، ونبوّة محمد ثم لم يعمل فو كافر .

وأشهر فرقهم : الأزارقة أتباع نافع بن الأزرق ، وقد كفروا جميع المسلمين ما عدام ، وأحلوا دماء هم وقالوا : بحرمة التقية ، ووجوب الجهاد ، وتكفير القسكه ، وأو الذين يدينون برأى الخوارج ، ولا يرون القتال في سبيل ذلك) ما داموا قادر بن على القتال . ومنهم النجلات أتباع نجدة بن عامم ، ومن رأيهم أن الكذب أعظم من الزنا وشرب الخر ، ومنهم : الله فري أتباع زياد بن الأصفر . ومنهم : الله فري قد أتباع زياد بن الأصفر . ومنهم : الله فري وهم أتباع عبد الله بن إباض ، ولا يزال بعض من هؤلاء بالمغرب إلى اليوم ، وهؤلاء لم يفالوا بحل التزاوج ، والتوارث بينهم و بين يقيل المسلمين .

كذلك كان من الفرق الإسلامية فرق الشيمة التي كانت ترى آل البيت أولى بالخلافة من غيرهم لرحمهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن هؤلاء من غلا في تفضيل على حتى ادعى له الألوهية .

بدأت فكرة التسيع بالقول بأن قرابة النبي أولى بميراته الدين ، وهو ولاية أمل السلين ، فكان المباس وعلى أولى بالخلاقة . ثم اتسع قولهم فى الإمامة فقالوا إنها ركن الله به ولا يجوز للنبي إغفالها ، و إن محداً عليه الصلاة والسلام أوصى لملي ، ولذلك عرف على عندهم بالوصى ، ثم تبع القول بذلك القول بعصمة الإمام ، ولم يكتفوا بذلك ، بل لقد ألحه بمضهم وقالوا عن على : إنه حل فيه جزء إلهى أتحد بجسده ، و به كان يعلم النب ، وقد نسبوا إليه أنه أخير بخلافة المباسيين ، و يقتل الحسين ، وولاية الحجاج ، ومصير الخوارج ، بل اعتقد بعضهم أنه كتب على مَسْك جَوْر (جلد جدى) أخبار ما يكون إلى يوم القيامة ، وأن هسذا الكتاب هو الذي ظهر به ابن تُوتَرَّت مؤسس دولة للوحدين بالمغرب ، كا تبع ذلك أيضاً أنقالوا بالرجمة ، وقائل ذلك هو عبد الله بن سَبًا فإنه قال لما قتل على وجد الله بن سَبًا من قول اليهود فى النبي إلياس ، ومن قول النصارى فى عيسى . وعلى أساس هسنه النقل ية قامت أكبر فرق التشيع ، وهى « الإمامية » ، وهى على الصوم تقول بعودة الإمام المنتظ .

كذلك كان من فرق للسلمين للرجئة وللمتزلة والجاعة أهل السنة .

أما للرجئة تقد نشأت بعد الخوارج والشيمة ، ونواة هــذه الفرقة هم الغزاة الذين عادوا إلى للدينة بعد قتل عبّان ، فوجدوا الناس قد قسموا أحزاباً ، واستمرّ الخلاف بينهم ، فانتحى هؤلاء ناحية ، ورأوا رأياً فيــه مسالة للجميع ، فهم لا يخطئون خارجياً ولا شيمياً ، ولا أمويًا ، ويرجئون أمرهم إلى الله يوم القيامة . وقيل إن اشـــتقاقها من الرجاء لأمهم يرجون لكلّ مسلم غفران الله . وقد بحث للرجئة بعض أمور في الدّين ، قالوا : إن الإيمـان هو الاعتقاد بالقلب ، وإن أعلن للرء الكفر بلسانه . وأما المعتراة فقد كان من أوائلهم جَمْد الجُهُنَى ، وعَيَّلان الهمشتى الذي صلبه هشام ابن عبد الملك ، و يروى : أن غيلان هذا رأى يوما ربيمة الرأي ، فقال له : أنت الذي تقول : إن الله يعمى عقول : إن الله يعمى القول : إن الله يعمى قسرًا ؟ وأهم مايراه المتزلة القول بننى القدر ، و بننى صفات الله لأنها تدعو إلى التشبيه . فيلاقات ، وننى الرؤية في الآخرة ، وقد جرى الحلاف في مسألة مرتكب الكبيرة ، فقال الخوارج : إنه كافر ، وقال أهل السنة إنه مؤمن عاص ، وقال الممتزلة : إنه في منزلة بين المنزلتين : لا مؤمن ولا كافر ، وعلى أثر هسند السألة رأس الممتزلة واصل ابن عطاء لأنه اعترال بأصابه بجلس الحسن البصرى .

وقد فشا الجلل بين هذه الفرق فشواً ظاهراً ، فقد حكى أن الخوارج فى حرب الهلب كانوا يضمون السيف من حين إلى حين ، و يجادلون خصومهم ، و يدعون إلى مذهبهم ، و يحكى صاحب الأغانى : أن ثابت قطنة ثم يقل بالارجاء إلا بعسد أن سمع جدال الخوارج مع المرجثة فى خواسان . و يمحكى أن شيعيًّا ومرجئًا اختصا إلى أوّل طالع عليما فطلع الدّلال (المخنث) ، فقالا له : أيهما خير : الشيعى أم المرجى ؟ فقال ما أدرى إلا أن أعلاى شسيعى وأسفلى مرجعى . وقد وصل هذا إلى الشعراء ، فكان ذو الرمة قدريا سنيا ، وكان رؤبة جبريا (يقول بنني استطاعة المرء ، وأنه كالريشة فى عبّ الربح) ، وأنهما اختصا ، فقال رؤبة : والله ما فعى طائر ألحوصاً ، ولا تقرمص سبع قرموصاً إلا بقضاء الله وقدره ، فقال ذو الرمة : ما قدار الله على الدّئب أن يا كل حلوبة عيابيل ضرائك .

و يقول الراجز :

أيها للنســـمر مَمَّا لا تُهمَّم إنك إِنْ تَقَدَّرُ لك الحَي تُحَمِّم ولو عَلَوْتَ شاهقاً من السَــلَمِ كيف توقيك وقد جَفَّ القَلَمْ

كذلك كان في هذا المصرحوار في الشعر والأدب، فإن العناية بهما جعلت لهما المجالس التي يشتد فيها الحلاف حتى بلغ من احتدام الجدال والتعصب لشاعر، على شاعر إن كان للشعر فمرق ، كما كان للدين فرق ، فكان أنصار الفرزدق يسمون الفرززدقيين، وأنصار جر ير يسمون الجريريين .

ولقد رويت عن شعراء بنى أمية من بدائع البدائه فى الشعر مثل ماروى لغيرهم فى النثر ، وقد كان الخلفاء يشهرون فى كشهر من الأحيان هــــذه المحاورات ، فيأتى الشعراء بالعجب العجاب .

و إنا لناقلون إليك من كلّ ما مضى أمثلة لتقف على جلتها ، ونترك التفصيل إلى ما تفرق فى كتب الأدب تمثر عليه فى مطالعتك .

امثلة من المحاورات والآجوية

ا ــ يقول الطبرى: خرج القوم مع على إلى صــــــــفين ، وهم متوادون فرجعوا متباغضين أهـــــداء ما برحوا ممسكرهم بصِفيًّين حتى فشا فيهم التعكيم (١٦) ، ولقد أقباوا يتدافعون الطريق و يتشاتمون ، و يضطر بون بالســــياط . يقول الخوارج : يا أعداء الله ،

⁽١) لما رأى معاوية رجمان كفة على جميين استشار عمرو بن العاس فأشار عليه أن يرفي المعاحف على الرماح فلسا رآما أصحاب على قالوا ماهذا ؟ قال أصحاب معاوية محكم يبننا ويبنكم كتاب الله فأدرك على مرى الحديمة في هذا ولمسكن أصحابه لم يسموا لفوله وقالوا لا يطلب منا تحكيم كتاب الله أقتم ترفض ذلك فقيسل على الصحكم واختب من رجال على أوموسى الأشعرى ، ومن رجال معاوية عمرو بن العاس . وافق الحمكان على خلا الخليمين وترك الأمر للامة فقدم أوموسى وقال أبها المناس أ قد قد المن أمر مقد الأنه فغ تر أصلح لأم ما وآلم الشئم من أمر قد الأنه في أخيم عليا وصاوية واستقبل الأمم في الأمر في لولوا منهم من أجبرا وافى قد خلص عليا وصاوية فاستقبل الأمرة منا الأمر في ولوا منهم من أجبرا وافى قد خلص عليا وصاوية فاستقبل الأمل عن وأقبل عمرو قفام مقامه م قال قد سمم ماقال هملة وإنه قد خلص صاحبه وآنا أخلع صاحبة كا خلمه ، وأقبل الحمرو قام معاوية فا وفي عبان عقد التمكية قد أشفى في ١٥ صفر سنة ١٧ هـ والحيل الحكان إلى ومنهان .

أدهنتم في أمرالله وحكّمتم ، ويقول الآخرون : فارقتم إمامنا ومزقتم جماعتنا . فلما دخل على الكوفة لميدخلها معه الخوارج وأتوا حَروراء ، فبعث إليهم على عبد الله بن عباس، فقال ما نتمتم من الحكمين ، وقد قال الله عزَّ وجلَّ : « إِنْ يُرِيدًا إِصْلاَحًا يُوَفِّي أللهُ كَبْنَهُمَا » ، فكيف بأمة محد صلى الله عليه وسلم . تقالوا له : أمَّا ما جسل حكمه إلى الناس وأمر بالنظر فيه والإصلاح له ، فهو إليهم كما أمر به . وأما ما حكم فأمضاه ، فليس للمباد أن ينظروا فيه ، فإنه حكم في الزاني مائة جلدة ، وفي السارق بقطع يده ، فليس للمباد أن ينظروا في هذا . قال ابن عباس : فإن الله عزَّ وجل يقول : « يَحْسَكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْسَكُمْ » ، فتالوا له : أو نجسل الحكم فى الصيد والحدث يكون بين المرأة وزويجا كالحكم فى دماء المسلمين ، ثم قالوا : إن هذه الآية بيننا أعدل . عندك ابن العاصي بالأمس يقاتلنا ويسفك دماءنا ، فإن كان عدلا فلسنا بعدول ، وقد أمضى الله الحكم في معاوية وحزبه أن يتتلوا أو يرجعوا ، وقبل ذلك ما دعوناهم إلى كتاب الله فأبوه ، ثم كتبتم بينكم وبينهم كتابًا ، وجلتم بينكم وبينهم الموادعة والاستفاضة ، وقد قطع الله الاستفاضة والموادعة بين المسلمين وأهل الحرب منذ نزلت « براءة » {لا من أقرَّ بالجزية . ثم حضر على المجلس ، فسألهم ما أخرجكم علينا ، فقالوا : حكومتكم يوم صفين ، فقال : أَنْشُدَكُمُ الله ، ألست نهيتكم عن قبول التحكيم ، فرددتم على رأيي ، ولما أبيتم إلاذلك ، اشترطتم على الحكين أن يحييا ماأحيا القرآن ، وأن يمينا مأأمات الترآن، فإن حكما بحكم الترآن، فليس لنا أن نخالف حكما يحكم بمـا فى القرآن ، و إن أبيا فنحن من حُكمهما بَرّاء . قالوا له : خبرنا أثراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء ؟ قال : الأمة ، وانتهى الأمر بأن طلبوا من على " الحكم على نسه بالكفر وأن يتوب ، فيمودوا إليه فلم يقبل على" . . انتهى حديث التحكيم .

٣ — قال معاوية لابن الزبير تنازعنى هذا الأسركانك أحق به منى . قال : لم لا أكون أحق به منك يا معاوية ، وقد اتبع أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيمان ، واتبع الناس أباك على الكفر ، فقال : غلطت يابن الزبير بعث الله ابن عمى نبيًا فدعا أباك فأجابه ، فما أنت إلا تابع لى ضالاً كنت أم صدًاً .

" - جلس يوما عبد الملك بن مروان ، ومعه خالد وأمية ابنا عبد الله بن الوليد وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من عند الحجاج ، قتال : هذا والله التوفير ، وهذه الأمانة لا ما ضل هذا ، وأشار إلى خالد . استمملته على العراق ، فاستممل كل مأهد (١) فاست فأدوا إليه العشرة واحداً ، وأدتى إلينا من العشرة واحداً . واستعملت هذا على فارس ، (وأشار إلى أمية) ، فأهدى إلى "رفونين تحليين (٢٠ فإن استملتكم ضيمتم ، وإن عرفتكم قتم استخف بنا وقطع أرحامنا ، فقال خالد : استمعلتي على العراق وأهله رجلان سامع مطبع مناصح ، وصدو مبضى كاشمت ، فأما السامع للعليم المناصح ، فإنا جزيناه ليزداد وداً إلى وده . وأما للبغض الكاشح فإنا واريناه ضفنه وسللنا حقد ، وكثرنا لك للودة في صدور رعيتك . وإن هذا جيى الأموال ، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ، فيوشك أن تنبت البغضاء ، فلأموال ولارجال . فلما خرجان الأشمث قال عبد الملك : هذا والله ما قال خالد .

\$ — أتى الحجاج بامرأة من الخوارج ، فقال لأصحابه : ما تقولون فيها ؟ قالوا :
 عاجلها القتل . قالت الخارجية : لقد كان وزراء صاحبك خيراً من وزرائك ، فقال لها :
 ومن صاحبي ؟ قالت : فرعون استشارهم فى موسى ، فقالوا : أرجى وأخاه .

مَكلِم الناس عند معاوية في يزيد ابنه ، إذ أخذ له البيعة وسكت الأحنف ،
 ققال له : مالك لا تقول يا أيا مجر؟ قال . أخافك إن صدقت ، وأخاف الله إن كذبت .

⁽١) الملط: الحبيث لايرفع إليه عنى، إلا سرقه .

⁽٢) الحطم: التكسر في نفسه (الضبيف).

٣-- قال معاوية لتقيل بن أبي طالب: إن عليًّا تعلمك ووصاتك ، ولا يرضينى منك إلا أن تلمنك على المنبر. قال: أيها الناس ، إنّ أمير المؤمنين معاوية أمرنى أن ألمن عليًّا فالمنوه ، فعليه لمنه قال: أيه والملائكة والناس أجمين ثم نزل ، فقال له معاوية : إنك لم تبين من لعنت . قال : والله لا زدت حرفا ، ولا تقصت آخر ، والكلام على نية المتكلم .

٧ — قال معاوية لابن الطُّنتيل : أنت من تتلة عيمان ؟ قال : لا ، ولكنى ممن
حضره ولم ينصره . قال . فحا منعك أن تنصره ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار
ظراً أنصره ؟ قال : لقد كان حقه واجباً ، وكان عليهم أن ينصروه . قال : فحا منعك من
نصرته يا أمير للؤمنين وأنت ابن عمه ؟ قال : أو ما طلبي بدمه نصرة له ، فضححك
ابن العلقيل وقال : مثلك ومثل عيمان ، كما قال الشاعر :

٩--- اجتمع الفرزدق وجرير عند عبد الملك ، فقال الفرزدق : الثوار طالق ثلاثاً
إن لم أقل شعرًا لا يستطيع ابن المراغة (أن يتقشه أبدا ولا يجد فهالزيادة عليه مذهباً ،
قتال عبد الملك : ما هو ؟ قال :

فَإِنِّى أَنَا لَلَوْتُ الذي هُوَ وَاقِعٌ لِيَنْسِكَ فَانْظُرْ كَيْتَ أَنْتَ مُزَّاوِلُهُ

⁽١) المرافة في الأصل الأثان لاعتم الفحولة عن نفسها . وقد سمى الفرزدق أم جربر المرافة تشييع لما يظك الأثان : أي انها مرافة الرجال، وقيل سميت المرافة لأنها ولدت في مراغة الابل وهي مكان تمرغها ومذاكناية من الحشة وأنها من الإماء خدام الابل ورحاتها .

وَمَا أَحَسَدُ ۚ يَا مِنَ الْأَتَانِ بِوَائِلِ مِنَ لَلَوْتِ إِنَّ لَلَوْتَ لَا شَكَّ نَائِلُهُ فأطرق جرير قليلا ، ثم قال : أمُّ حزرة طالق ثلاثًا إن لم أكن نفضته وزدت عليه ، فقال عبد الملك : هات ، فقد والله طلق أحدكما لا محالة ، فأ نشد :

أَنَا الْبَدَّرُ يَشْنَى نُورَ عَيْمَنَيْكَ فَالْتَمِسُ بَيِكَفَيْكَ يَا بْنَ الْقَيْنِ هَلْ أَنْتَ نَا ثِلْهُ أَنا النَّمْرُ يَشْنَى الْمُؤْثُ والنَّمر خالد فبنى بمثل الدهر شَيْئًا يَعْالُولُهُ خال عبد الملك : فضلك والله يا أيا فراس وطلَّق عليك ، فبانت النَّوارُ من الفرذدق ، وندم عليها ، فقال :

نَدِشْتُ نَدَامَة الْسُكُسَيِّيِّ لَمَا غَسِدَتْ مِنِّي مُعَلَّلَةً فَوَالُوْ ()
وكانتْ جَنَّقِي فحرجتُ منها كادمَ حينَ أخرَجَهُ الفَّرَالُ
• ١ - اجتمع جرير والفرزدق والأخطل في مجلس عبد الملك ، فأحضر بين يديه
كيسًا فيه خمسائة دينار، فتال لهم ليقل كل منكم بينًا في مدح فسه ، فأيكم عَلَب،
فله الكيس، فيذًا الفرزدق، فقال :

أَنَا الْتَطْرِ اللهِ وَالشُّمْرَاء جَرْبَى وَفَ الْتَطْرِ النَّ لِلْجَرْبَى شِفَاء مَثَالِ الأَحْطَلِ:

ُ كَانُ تَكُ زِقَ دَامِلَةٍ كَانًى أَنَا الطَّاعُونُ لَيْسَ لَهُ كَوَاهِ ٢٥ مَقَال جرير:

أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي آتِي عَلَيْكُمْ فَلَيْسَ لِمِمَارِبٍ مِنِّي نَجَاه

⁽۱) الكسى أعرابي كانت له قوس قرص بها لبلا وظن أنها لم تصب فاعتاظ وحطمها فاسا أصبح وجدها قد أبلت أحسن بلاء فندم على تحطيمها وقال : ندست ندامة لو أن " همى " فعاومنى إذا قطمت خسى تبين بى سفاه الرأى من لمدر أيك حين كسرت قوسى

⁽٢) الزق: المقاء من جلد! الزاملة: الناقة أو غيرها: يحمل عليها.

فقال عبد الملك: فلعمري إن الموت يأتي على كل شيء.

١٨ -- دخل إيّاسُ الشام وهو غلام ، فتقدّم خصا له ، وكان خصمه شيخاً ، إلى بعض قضاة عبد لللك ، فقال له القاضى : أتتقدم شيخا كبيرًا ؟ قال : الحقّ أكبر منه . قال : اسكت . قال : فن ينطق بحجتى ؟ قال ما أراك تقول حفًّا حتى تقوم . قال : لا إله إلا الله . أحقُّ هذا أم باطل ؟ فقام القاضى من فوره ودخل على عبد لللك فأخيره بالخير ، فقال له : اقض حاجته وأُخْرِجُه من الشام لا يُفْسِدُ على " أهلها .

۱۲ — روى للبرّد قال : « يروى أنّ عبد الله بن يزيد بن معاوية أتى أخاه خالدا ، فقال : يا أخي . لقد هممت اليوم أن أفتك بالوليد بن عبد الملك ، فقال خالد : بئس والله ماهمت به في ابن أمير المؤمنين وولي عهد السلمين . فقال : إن خيلي مرّت به فَعَبْتَ بِهَا وأصغرني ، فقال خالد : أنا أكفيك . فدخل خالد على عبد الملك والوليد حاضر، فقال يا أمير المؤمنين : الوليد بن أمير المؤمنين وولى" عهد المسلمين مرَّت به خيل ابن عمه فسبث بها وأصغره ، وعبد الملك مطرق ، فرفع رأسه فقال : « إِنَّ ٱلمُّلُوكَ إِذَا دَخُلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها وجَمَلُوا أَعزَّةَ أَهْلِهَا أَذَلَّةَ وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ » ، فقال خالد : « وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْدِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُنْزَفِهَا فَفَسَتُوا فِهَا فَعَقَ عَلَيْهَا التَّوَالُ فَدَمَّرْنَاهَا تَذَّمِيرًا ﴾ ، فقال عبد الملك : أفي عبد الله تَكلُّني ؟ والله لقد دخل على". فما أقام لسانه لحناً ، فقال خالد : أضلي الوليد تموّل ؟ قال عبد لللك : إن كان الوليد يلحن قإن أخاه سليهان . فقال خالد : و إن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالدٌ ، فقال له الوليد : اسكت يا خالد ، فوالله ما تعدُّ في البير ولا في النَّفِيرِ فَعَالَ خالد : اسمم يا أمير المؤمنين . ثم أقبل عليه وقال : و يحك فن في العير والنفير غيرى : جَدَّى أُبُو سَفيان صاحب العير ، وجدى عُتبة بن ربيعة صاحب النَّفير . ولكن لو قلت غُنَيَّاتٌ وحُبَيلاتٌ ، ورحم الله عثيان لقلنا صدقت .

يشير بذلك إلى ما كان من إطراد رسول الله للحكم بن العاص جدُّ عبد لللك

ابن مروان ولجوثه إلى الطائف ، فكان يرعى غنيات ، ويأوى إلى حُبيلة ، وهى الكَرُمة حتى ويأوى إلى حُبيلة ، وهى الكَرُمة حتى ولَّد عنان فردّه . و بقال : إنه كان استأذن رسول الله فى ردّه إذا ولى أمر للسلمين . روى ذلك الفقها ، » .

الشعر في العصر الأموى

عرفت مما قدمنا كيف كان شأن الآداب فى العصر الأموى ومبنغ عناية الخلفاء بها ومقدار مساهمتهم فيها وتشجيعهم عليها ، حتى باتت الجلوائز وقفا على البراعة فيها ، كما دارت مجالس سمرهم عليها ، ولمّا كان الشعر عروس الآداب عند العرب كان له فى هذه الدولة أرفعُ مكانة وأجلٌ خطرٍ .

وترجع العناية الحاصة بالشمر إلى شدّة تأثيره فى الجماهير وذيوعه فى الأندية ، فجمله خلقاء هذه الدولة وسيلة لإذاعة محامدهم ، وتأييد سلطانهم ، وتفخيم شأنهم كما اتخذوه أداة للتفريق بين القبائل ، فأباحوا المهاجاة بل أوعزوا بها وحموا المعتدى فيها .

و إن شيوع التغنى بالشعر فى هذا المصر ضاعف من شأنه وقوى من تأثيره ، فزاد الحرص عليه ، والتماس الفائدة من ورائه .

وقد كان العصبية التى أحياها رجال هذه الدولة أثر كبير فى شيوع الشعر، فإن القبيلة عادت تحتاج إلى شامر يذود عنها ، ويذيع محامدها ، ويردّ على مناوئها كما كانوا يجعلون شاعرهم رسولهم إلى الخليفة ، فإن حلّ من قلبه ورضى عنه عدّت القبيلة ذلك سمّوا لمكاتبها ووسيلة لدالتها . أما الخليفة فكان يعمد إلى شاعر القبيلة إن عناه أمرها فيهُوْرِل عطاء ليجمع قلوب القبيلة حوله و يجعلهم عونه .

واستم التعصبُ لبنى أمية من كلّ من ناله خسيرهم وشمله برّهم أن يتعصب عليهم. من لم يصب مثل ذلك منهم ، أو كان له هوى مع مناوئيهم ، وهم كثيرون : من خواريجه وشيمة ، ومهاجرين ، يرون لأنفسهم سبقاً إلى الإسلام يجملهم أولى بالخلافة منهم . وليس يحنى أن الشعر وهو مرآة الأمة ظهر فيه فى هذا المصر ما بان فى حياة الأمة من تهاون بأمر الدّين. فشاع الغزل ووصفت الحفر، وأفحش فى الهجاء

هذا مجل شأن الشعر فى هذه الدولة ، وهو قول ســـنفصله فيها يلى عند تناول كلَّ شأن من شئونه .

العناية بالشــــحر

كانت المناية بالشعر في هذا العصر متعددة المناسى . فعناية من الخلفاء بموضوعه ، وحرص على روايته ، وعقد بجالس الدراسته والتحكيم بين قائليه ، ثم عناية منهم أيضاً بقائليه وجود عليهم وترفيه لحالهم ، وقد سن الخلفاء في ذلك سنة عابها عليهم كل ووع تقي ، وتلك هي فرض أعطية للشسمراء من بيت المال ، وهو وقف على المجاهدين في سبيل الله ، ومن ذكرهم الله في آية النيء ، وليس منهم هؤلاء الشعراء . ولقد أجاب الخلفاء بهذا المال دواعي الأريحية عند ما كان يسجبهم من شاعر مبالغة في مدحم أو هاء لأحد أعدائهم ، وقد كان ذلك منهم جوداً دل على رغبة في إظهار عظمة الدولة وواسع غناها . وقد وقعوا ببابه عند توليته حتى طال بهم الوقوف ، فكلمه في شأنهم عدى أن أرطاة ، وكان أثيرًا عنده ، مقال له : إن الشعراء ببابك ، وأقوالهم باقية ، وأستهم مسنونة . قال ياحدي : عالى والشعراء ؟ قال يأمير للؤمنين إن النبي صلى الله عليه وسلم عدد وأعطى ، وفيه أسوة لكن مسلم . ثم سأله عمن بالباب من الشعراء ، فبعل كا قد ملح وأعطى ، وفيه أسوة لكن مسلم . ثم سأله عمن بالباب من الشعراء ، فبعل كا ذكر له شاعراً عد عايد من قوله ما يفسقه به أو يكتره ولم يأذن إلا لجرير ، فلا مثل ذكر له شاعراً عد اته عايد من وله ما يفسقه به أو يكتره ولم يأذن إلالجرير ، فلا مثل ين بديه ، قال له : اتن الله ياجر ، ولا تقل إلاحقاً ، فأنشأ يقول :

⁽١) الأرملة : من فقدت زوجها مم الفشر خاصة أو ليس هذا شرطا .

ىمن بَعَدُّكَ تَكُنى فَقَدَ والدِه كالفرخ في النُشِّ لم ينهض ولم يَطرِ يدعوك دَعْوَة ملهوف كأنَّ به خَبْلا من الجنَّ أو مَسَّا من البَشِّر (١) خليف_ة الله ماذا تَأْمُرَنَّ بنا لسـنا إليكم ولا في دار منتظر " ما زلت بسلك في مم يُؤرِّقُني قدطال في الحيّ إصادِي ومُنْحَدّري مَا يَنْهُمُ الْحَاضُ الْجَهُودُ كَادِيْنَا وَلا يُعَـــود لنا بادِ عَلَى خَضِر (٣) إِنَّا لَتَرْجُو إِذَا مَا النَّبِيثُ أَخْلَفَنَا مِنْ الْخَلِيفَةِ مَا تُرجُو مِن الطَّر أَنَّى الْخَلَافَةَ إِذْ كَانَتُ لَهُ قَلَرًا كَمَا أَتَّى رِّبُهُ مُوسَى عَلَى قَلَر هذى الأراملُ قد قَضَّبْتَ حاجتها فن لحاجة هذا الأَرْمَل الذَّكَر (¹⁾ فقال: ياجرير، والله لقد وليت هذا الأمر وماأملك إلا ثلثيانة ، فمائة أُخذها عبد الله ، وماتة أخذتها أمَّ عبـــد الله ، يا غلام أعطه المــائة الباقية ، فقال : يا أمير المؤمنين إنها لأحبُّ مال كسبته إلى " ، ثم خرج وهو يقول : خرجت من عند أمير المؤمنين يعطى الفقراء، ويمنع الشعراء، وإنى عنه لراض، ثم أنشأ يقول:

رأيت رُقّ الشيطان لا تستفرّه وقد كان شيطاني من الجن راقيا لكن الحال بعد هذا الخليفة عاد إلى ما كان عليه . فاتصلت للشعراء أرزاقهم ، وجلس الخلفاء لسماع المديح ، وفتحوا بيت مال المسلمين لصلة الشعراء .

وقد تُبع عنايةً الخلفاء بالشعراء أن اعتنى به قائلوه ، فبالغوا فى تجويده لينالوا على قدرذلك منزلة ومالا وأقبلوا عليه يحاولونه و يتخرجون فيه لينالوا الغني به. وكان منتهى أمل البدوى أو المتأدب أن ينبغ في الشعر حتى يَقْدُم به على أمير أو خليفة ، فيمود بالحقائب البُحْر من عطائه .

وكان من الشعراء من شغلتهم فكرة غلبت على الرغبة فى المـــال فلم يقولوا الشعر يلتمسون به عطاء وعابوا على المتورَّطين في هذا من الشمراء كما فعل عِمْرانُ بن حِطَّانُ ، فقد وقف على الفرزدق ، وهو ينشد شعره ، فقال له :

⁽١) في روانة النصر والنصرة: الصوطة .

⁽ץ) لبناً اللَّبِّح: أَى وَاسَلِيْنَ . مُتنظَّى : انتظَّى : (۴) الحضر : ضد البادى . (٤) لا يقال رَجل أرمل وإنحما هو وصف عاس بالرأة إلا أن يشاء الشاعر أن يتظرف كما ضل جرير

أيها المـادح العبادَ ليُمْطَى إن لله ما بأيدِي العبـــاد فاســـال الله ما طلبت إليهم وارْجُ فضــل اللهسَّم الموّاد لا تقل للعبواد ما ليس فيـــه وتُسُمَّ البغيل باسم الجواد وغمرانُ هذا هو الذي آلى على نفسه ألا يكذب في شـــعره ، فقالت له امرأته يوما

وعِّمرانُ هذا هو الذي آلى على نفسه ألا يكذب فى شــــمره ، فقالت له امرأته يوما أما حلفت أنك لا تكذب فى شعر ؟ قال : أو كان منى ذاك ؟ قالت : نعم . قلت : فكذاك مجزأة بن ثو ركان أشجم من أسامة

أيكون رجل أشجع من أسد ؟ قتال لهـا : مارأيت أسدا فتح مدينة قط ، وعجزأة ابن ثور قد فتح مدينة .

وقد ازمت من ذلك عناية ثالثة ، وهي عناية جهور الناس بالشهر وميز طيبه من خييثه ، والحكم لجيد على مقصر ، لما رأوا من اشتغال الخلفاء به ، وأنه صار وصيلة النفي ومفتاح النروة ، وضاوا ذلك أيضاً لمكان العصبية فيهم فكل قبيلة تتمصب لشامرها ، وكل حزب يغلى بشأن لسانه ، فكانوا يجتمعون في الأسواق ، فيتفاخر أو يتهاجي الشعراء ، ويتمصب الأشياع حتى ينتهى بهم الأمر إلى التبحالد بالسيوف أحيانا كما كان يحصل بين شيعة سديف ، وشيعة شيب ، فيخرجون إلى ظاهر مكة للمفاضلة التي ربما انتهت بالاستياف . و بلغ أن أشياع الشاعر يُنسَبون إليه ، فيقال : جرير يون. وفرزدقيون ، وسَدِيفيُون ، وشبينيون .

و بلغ من شأنَ الشعر أن امرأة خافت هجاء الفرزدق على فسها حين تناول قومها بنى جغر بن كلاب، فعاذت بقبر أبيه ، ظ يذكر لهــا اسمًا ولا نسبًا ، و إنمــا قال : عجوز تصلى الحنس عاذت بغالب فلا والذى عاذت به لا أضيرها

ومن تأثيره أيضاً : أنه لما ولى الحجاج تميم بن زيد السند دخل البصرة ، فجل يحرج ممه من أهلها من شاء ، فخرج ممه ابن لسجوز ، فجاءت إلى الفرزدق وقالت : إلى استجرت قبر أبيك ، وأنت بحكمتيات منه ، فقال لها : ما شأنك ؟ قالت : خرج تميم بن زيد بابن لى ، ولا قرّة لمينى ، ولا كاسب لى غيره . فقال لها : ما اسم ابنك ؟ قالت : خُنيس ، فكتب إلى تميم : تيم بن بدر لاتكونن طبقى بنفهر فلا يعيب على جوابها وهب لى خُنيسًا واحتسب فيه مِنّة لعبرة أمّ ما يسسوغ شرابها أتنى فعاذت يا تمسيم بنالب وبالحفرة السافى عليها ترابها وقد علم الأقوام أنك ماجسد وليث إذا ما الحرب شب أوازها فلا ورد الكتاب على تيم اغتبه فى الاسم أخُنيس أم حُبيش ، فقال : انظروا من له مثل هذا الاسم فى حسكرنا ، فأصيب ستة مابين خنيس وحيش ، فأعيدوا إلى أهلهم ،

أسلوب الشعر ومعانيه

لا نستطيع أن تُحَكِم على أسلوب الشهر فى هذا المصر حكما واحدا ينطبق عليه جملة ، قإن عوامل كثيرة أثرت فيه فظهر لكل عامل أثره . فن تلك العوامل القرآن وحديث رسول الله يدعوان إلى إسبحاح القول ، وترفيق حاشيته ، و يزهدان فى عنجية الجاهلية ومكاثرتها بالاغراب لأشهما حققا للناس أن البلاغة قد تتناهى فى السمو" ، وهى بسيدة كل البعد عن تلك الوحشية والمنجية ، فكان من شأن القرآن والحديث أن يكون لأسلومها أنصار من شعراء هذا المصر .

كذلك كان من تلك العوامل ماجدٌ فى هذا المصر خاصة من غرام بالجاهلية ، و إحياء لآدابها ودراسة لما روى عن شعرائها ، فكان ذلك جديرا أن يترك فى النفوس .ميلا إلى نزعة الجاهليين فى قولهم بعد أن صرفهم الإسلام عنها .

كذلك كان لميشة البادية شأن غير سكنى الحضر، فالبدوى في الإسلام هو هو في الجاهلية لم تعتلف أمام عينيه مناظر الحياة ، ولاتبدّل أسلوب للميشة ، اللهم إلا ماتال نفسه من تهذيب لدخوله الله ين ، وتأدّبه بمجمل آدابه ، وقراءته ما تيسر من قرآنه . أما الحضرى : فهو يسيش في رغد الهيش ، ويرى مناظر الحياة وآثار للدنية ، ويدرس أما الحضرى : فهو يسيش في رغد الهيش ، ويرى مناظر الحياة وآثار للدنية ، ويدرس

ويعتبر من مزايا المصر الأموى فى الشعر الإكثار من الأراجيز، فإنها بعد أن كانت قليلة لايقول منها الأعرابي فى العصر الجاهلي إلا المتطوعات القصيرة فى وصف ظهى أو ثور وحشى، صاروا فى هذا العصر يطوالونها و يستخدمونها فىأغراض الشعر من مدح وفخر وهجاء ورثاء، ونشأ من كبار الوَّجَادْ أبوالنجم السِجْلَى والمَنجَّل، وابنه رُوْبة.

هذه هى الموامل التى نعزو إليها اختلاف الأسلوب فى شعر هـــذا المصر ، فترى شاعرًا متوعرًا لأنه انقطع إلى البادية لم يَرِمْ منها ، ولم يشهد للحضارة موقعاً يكون له فى نفسه أثره ، كما نرى آخر سهلا يكاد يسيل عذوبة ورقة لمـا أثرت فيه الحضارة وأفاده التثنيف .

فيحسن في الحكم على أسلوب الشعر في هذا المصر أن قول إجالا: إن فيه التزعتين نزعة الإسلام والجاهلية ، ثم نحكم على الشعراء أحكاما مناسبة لكل شاص على حسب ما هيأته بيئته التي أحاطت به ، فإنه ليس من الحسكة أن نجيع بين عمر ابن أبي ربيمة والفرزدق مثلا في قرّن ، ونطلق عليهما قولا واحداً ، وهما من التباين في الأسلوب بحيث لا يلتقيان ، والفرزدق هذا هو الذي كان مغرما بالغريب يتتبعه حتى قال أهل النقد: إنه أحيا ثلث اللغة في شعره .

أما ممانى الشعر فإن عمدة الشعراء فيها على معانى أهل الجاهلية لم يزيدوا عليها شيئاً كثيراً ، وإن كانوا فى إيرادها قد توخوا ما لم يستطعه الجاهلي من ترتيب الفكرة كما أنهم أكثروا من الحكمة والمثل ، وتوسعوا فى للمانى بما أفادهم الإسلام وما توالى على نظرهم من مظاهر الحضارة لمن عاش فى المدن . أما من عاش فى البادية فقد بقيت معانيه هى معانى الجاهلية لم يتزحزح عنها كذى الرمة مثلا وقف عليه الفرزدق وهو فى إبله ينشد الشعر ، فقال له : كيف ترى ما تسمع يا أبا فراس ؟ قال : ما أحسن ما تقول . قال : شالى لا أذكر مع القحول ؟ قال : قصر بك عن غاياتهم بكاؤك فى اللمن ، ووصفك الأبدار والعطن . على أن من شعراء هذه الدولة من كان أعجمى المولد، والنشأة كزياد الأعجم أصله من أصبهان ، وأبى السباس الأعمى ، وموسى شهوات ، فإن أصلهما من أذربيجان ، ولا شك أن هؤلاء قالوا الشعر العربى متأثرين بضياتهم الفارسية .

ولشمراء هذا المصر سان لم يعرفها الجاهليون ولا الإسلاميون، لأنها إنما كانت تثيجة الحضارة والانضاس في الترف، فقد أكثر الوليد بن يزيد من وصف الحز، وأنى فيها بما كان مستمد ً أبى نواس فيا توسع فيه بعد من وصفها، ومن قول الوليد فيها : مرف قَوْتَرَقَ زانها تَقادُمُها فَهَى صِوزٌ تَعْدُلُو عَلَى الحَمْقِ فَكَى بِنَدُيْدِ لِلْوَاجِ مِن شَرَدِ وَهْىَ لَنَى الْزُجِ مَا أَلِنُ الذَّهَبِ

أغراض الشمعر

أكثر أغراضه فى هذا المصر هى أغراضه فى المصر الجاهلى مع التوسع فى كلّ غرض لما صاروا إليه من كثرة فى معانيهم ، وزيادة فى مادّة انتهم وحضارة عاشوا فيها . ولأسباب خاصة بهذا المصركان بعض الأغراض يطغى طنيانا زائدًا ، على ما نفصله فى الكلام عن كلّ غرض وحده .

أما الأغراض التي كانت في هذا المصر ولم تكن في الجاهلية، فهي مأأحدثه الإسلام خاصة من القول في الزهد، وبيان المقيدة ، ووصف البلاد المنتوحة ، وتناول السياسة بوصف جور الحكام ، والتعريض باغتصاب الخلافة ، وذكر مناقب المبعدين عنها من مستحقيها ، وإطراء زهده ، ورثاء قتلاهم .

وسنذكر فيا يلى أغراض الشعر التي كثر تداولهـا في هذا المصر ، وهمـل القول فيها مع قياسها بمـا كان منها قبل ذلك .

النسيب(١)

لاشك أن النسيب وهو وصف للرأة والتمدح بمجاسنها ، وذكر ما يقع بينها

وفي النسان أيضا «نسب بالنساء ينسب: شبب بهن في الشعر وتغزل.

وشبب بالرأة قال مها الغزل ، والنسب هو أن يشب بها: أى ينسب ، والنشيب : النسيب بالناء » كما يؤيده قول ان رشيق في الصدة : النسيب والنفزل والنشيب كلما يحمل واحد . أما قوله : « والغزل إلى النساء والنملق عما يواضهن وليس مما ذكرته (يربد اللسيب والنفزل والنشيب) في عن ، فن جمله يمني النفزل فقد أخطاً ، وقد نبه على ذلك قدامة وأوضمه كل كتابة تقد الشعر » .

وقد بينا لك سابقا مايصح أن يكون قد جرى على كلة غزل وتغزل من التجوز الدى صلوا نيه يمين قول الشعر في حديث النساء والسكلف بهن .

وتقل لك هنا عبارة قدامة في الكلام عن النسيب قال .

نت النسيب . أقول إن كثيرا من الناس يحتاج إلى أن يعلم أولا ما النسيب ؟ ، وتحمن محمد فقول : انالنسيب ذكر خلق النساء وأخلاتهن وتصرف أحوال الهوى به معهن . وقد يذهب هلى قوم أيضا موضع المترق بين النسيب والنزل ، والفرق بينهما أن الغزل هو المنى الذي الذي المتناد المتاسبة ذكر الغزل اوالمتزل المنه عنه ، والغزل إعام والصابى والاستهتار بودات النساء وقائل الانسان إنه غزل المترك إنه غزل المترك إلى المترك إنه غزل المتابعة بالنسام المتابعة بالمتبع المتركبة بالمتحبة والمتحبة بالمتحبة والمتحبة بالمتحبة بالمتحبة بالمتحبة بالمتحبة بالمتحبة بالمتحبة بالمتحبة والمتحبة بالمتحبة والمتحبة بالمتحبة بالمت

واذ قد بان أن الذي قاتاه على ما قلناه فيجب أن يكون النسيب الذي يتم به الفرض هو ماكثرت فيه الأدلة على التهاك في الصبابة ، وتظاهرت فيه الخواهد على ابخراط الوجد والحومة وماكان فيه من التصافي والرقة أكثر بما يكون من الحشن والجلادة ، ومن الحشوم والذلة أكثر بما يكون فيه من الإباء والفر ، وأن يكون جاح الأمر فيه ماضاد التحافظ والغربية وواقل الاتحادل والرشاق فاذا كان الفسيب كذلك فيهوالمصاب به الغرض ، وقد يسئل في النسيات الشائعة ؛ وآثار الديار العافد الأحجة بالربح الحماية ، والجبوق اللاصة ، والحائم الحافظة ، والحيالات الطائعة ؛ وآثار الديار العانية ، واضغاص الأحمال الدائرة ، وجميع ذلك إذا ذكر احتميج أن تكون فيه أدلة على عظيم الحسرة ومضنى الأحمف وللثازعة . وبين المغرم بها من لقاه وتحية وحديث ، والشكوى من اللوعة بها ، وفقدان الصبر عنها على ما فى ذلك من عفة وعهر واعتدال و إفحاش ، كلّ ذلك كان شأن الشاعر الجاهل ، فإن معيشة البادية من سفور للرأة ، واشتراكها فى أمور الحياة وخلق الرجل من الأعمال يجمل هذا النسيب أمراً الازما للحياة البلوية ، ولقد شاع فى ذلك المصرحي صار الازمة لقول الشعر ببدأ به الشاعر قصيدته ، ولو لم يكن محبًّ فيذكر اسمًا مستماراً ، ويتخيل وقائم يذكرها على عادة المشاق ، ولقد ذكروا أن زهيراً كان عفيلاً يتحرج من النسيب ، ولكنه اضمصلوً أن ينسِب ، فذكر اسم امرأته : « أم أوفى به في مطته .

ود نظر قوم إلى النزل فى العصر الأموى، فرأوا شعراء يتغرّلون ولا يتولون فى شىء غير الغزل، فتكون القصيدة وقفاً على هذا الفرض لاتتمدّاه إلى غيره . بل لقد وقف بعضهم نفسه على الغزل لا يقول غيره ، فاتحفلوا من ظك سبيلا إلى القول بأن الجاهلي لم يعرف هذا النوع من الغزل، ولم يقل فيه و إنما كان غزله تابعاً لأغراضه الأخرى من مدح أو فحر أو غيرها .

وتمد كان داعيتهم إلى هذا الرأى أنهم لم مجدوا غرلا مستقلاً في شعر الجاهلين ، ولكن فقدانهم لم واية ذلك لا يدعونا إلى إبطال تلك الطبيعة التي هي أليق بالعربي في باديته ، لما قدمنا من خلق الرجل من العمل ومشاركة للرأة له في حياته وسفورها أمامه في غالب شأنها والحب طبيعي في النفس والتمبير عنه زفرة لا يستطاع كظمها ونرعة لا يمكن كبتها ، فلا بد أن يكون الجاهليون قد عمدوا إلى النزل غرضا أصيلا وأكثروا منه حتى صار التزامه في بدء التصائد نتيجة لحذا الإكثار منهم في قوله ، على أنه قد روى لهم فيه قول مستقل .

يُشَبُّ لِما بذى الأَرْطَى وَقُودُ على أنْ قد سما طَرْفِي لنار وآرام وغيزُلانُ رُقيودُ(١) حواَلَيْهَا عَمَا جَـــــمُ النَّرَاقِي أوانِينُ لا تَرُوعُ ولا تَرُودُ نواعم لاتعالج بوقس عيش عليهن للَجَاسِدُ والبُرُودُ(٢) يرحن مما بطَّــاء الْمَشَّى بُدًّا سَكَنَّ بِبَلْدَةٍ وسَـــكَنْتُ أخرى وتُعلَّمَتِ الْوَاثِقُ والعهودُ كذلك يقول قيس بن الحدَّادية (*) في نُعُم ، وكنيتها أم مالك ، وقد افترق أهلهما : تُسَلِّيكُمُ عَنِّى وَتُرْضِي الأَعاديا فإن كانت الأيامُ يا أمَّ مالكِ عن العيش أوْ فَجْمَ الخطوب العوافيا فلا يَاْمَانَنْ بعدى امرؤْ فَجْمَ لذة نظرتُ ودُونی یَدْبُلُ وحمَایةٌ إلی آلِ نسم منظرا مُتنائِیا وما حَمَّلَتني وانقطاع رجائيا شكوتُ إلى الرُّحمنِ بعد مَزَارِها وقد أيقنتُ نفسى عشيَّةَ فارقُوا ﴿ بَاسْفَل وَادى الرَّوضِ أَنْ لاَ تَلَاقِيا إذا ما طَواكِ الدَّهرُ يا أمَّ مالكِ فَشَأْنُ للنايَا القاضياتِ وَشَانِيا ولقد علنت أن الإسلام زهد العرب في النسيب ، وحرم عليهم الفاحش منه ، فلما جاءت الدولة الأموية ونزعتها جاهلية ووازع الدين قد ضعف أثره في التلوب ، والحلفاء

⁽١) جم العظم : كثر أحه .

 ⁽۲) ترود: تختلف إلى الرعى مقبلة مدبرة .

 ⁽٣) بد: مغرقات . المجمد (كنير) الثوب يلي الجمد . البرد: ثوب يلتحف به .
 (٤) شاصر جاهلي ، والحدادة أمه من قبيلة يقال لهما بنو حداد . وكان قيس فانكا شجاعا صعاوكا

⁽٤) شاص بلحل ، والمنادرة آمه من تبلة بقال لها بنر حداد ، وهان بيس هاده سبوه مسلوه خلياً. خلية . خلية بالمناد خلية . خلية . خلية المناد خلية . خلي

يرون من تمـام سياستهم إطلاق الألسنة بالقول أكثر الشعراء من القول في الغزل ، فكان منهم عشاق برح بهم الحبُّ وملكهم جمال المرأة ، وقد صقاتها المدنية وورثت من الجال الفارسيّ والروميّ نصيبا ، فكثر المشق وساعد عليه أيضاً صيرورة الحية والغيرة الجاهلية إلى الاعتدال ، فتحدّث النساء إلى الرجال في غير حرج كبير . بل لقد أرسلن إلى من عرفنه غَزلا يستزرنه ليصبن من اللهو وليكون من حظهن ذكر يشيع على نسانه . ولم تترفع عن ذلك نساء الخلفاء لمـا انطبع فى للرأة من حبُّ الثناء ، فقد ذ كروا أن أم البنين زوجة الوليد بن عبد الملك هي التي اقترحت على وَضَّاح البين أن يشبب بها، فلما فعل قتله الخليفة. وذكروا من قصتها في ذلك أنها قدمت مكة حاجة ومعها من الجواري من لم يرمثله حسنا ، وكتب الوليد يتوعد الشعراء جميعًا إذا ذكروا أحدًا بمن تبعها ، وقدمت فتراءت للناس وتصدَّى لهـا أهل الغزل والشعر ، ووقمت عينها على وضاح البين فهويته وكان جميلا، وأرسلت إليه و إلى كَثَيِّر أن انسبابي . فأما وضاح البين فإنه ذكرها وصرح بالنسيب بها ، فوَجد عليه الوليد ، واحتال لقتله . وأماكُنَيِّر فإنه عدل عن ذكرها ونسب بإحدى جواريها .كذلك اقترحت أم محمد بنتُ مروان بن الحكم وأخت عبد الملك على عمر بن أبي ربيعة أن يشهرها في شعره ، و بشت إليه ألف دينار ، فأبى أن يؤجر على التشبيب ، وابتاع بالجائزة حللا وطيبا وأهداها إليها فردتها ، ومن قوله فيها :

أَيُّهَا الرَّامُّ لَلْجِبِدُ ابْشِكَارًا فَذَ فَنَى مِنْ تِهَامَةَ الأَوْطَارَا من بَكُنْ قَلْبُه صَمِيعًا سَلِيًّا فَدُوادى بالْخَيْف أَمسى مُتَارَاً (١٠) ليت ذا الشَّمْرَ كان خا علينا كُلُّ يَوْمَيْنِ حِجَّةً واعتارا ٢٠

وكان من شعراء الغزل فى هذا العصر قوم تيمهم الحب ، وذهب بألبابهم العشق ، فجاء شعرهم زفرات تكاد تحترق لهـا صدورهم . وهؤلاءهم المسمون بالنُذريّين و إمام هؤلاء

⁽١) الحيف : غرة بيضاء في الجبل الذي خلف أبي قبيس ، وهو موضع بمني وبه سمى مسجد الحيف.

 ⁽٢) ترتيب البيت هكذا: ليت الدهم كان حجة واعتبارا في كل يومين منه واجبا علينا ذك .

جميل بن مَشْمَر صاحب بُثَيَّنة ، ومنهم قَيْسُ مِن اللهِّح صاحب لَيلي ، وقَيْس بن ذَرِيح صاحب لُبْنَي على القول بوجود الأخيرين ، وأن حديثهما غير موضوع .

فمن قول جميل في بثينة :

إِذَا قُلْتُ مَا فِي يَا بُنْيَنَةُ قَاتَلِي مِن الحَب قالتَ ثَالِتَ ويزيد وإِن قلتُ رُدِّى بعض عقلى أَعِشْ به مع الناس قالت ذاك منك بعيد فلا أنا مَرْدُودُ بمب جنت طالبا ولا حُبُها فيا يَبَيِب لَهُ وقلتُ لها عَبِيف له وعه ود وقلتُ لها عَبْق ويبتك قاعلى من الله ميثاق له وعه ود وقد كان حُبِيكُمْ طَرِيفًا وتالها وما الحبُ إلا طارِفُ وتَلِيب لُهِ وان عَرُوضِ الوصل بيني وبينها و إِن سَهَلَتُهُ بِالْحَق لصَّهُ وهو جديد فافنيتُ عَيْشِي بانتظارى نَوالهَا وأبالَيْتُ هـ أنا اللهم وهو جديد ومن قول مجنون ليلي ، وقد جل يمر بينها فلا يسأل عنها ولا يتفت إليها ، فإذا

أَلاَ أَيْهَا البَيْتُ الذى لا أَزُورُه وإنْ حَلَّهُ شَخْصٌ إلىَّ حبيبُ هَجَرَّتُكَ إلَىَّ حبيبُ هَجَرَّتُكَ إلَى اللهُ مَنك رقيبُ ما السَّمَّيْنِ اللهُ أَرحى من أيلى وحبها ، فاما تعلق بها قال :

يَقُرُ بِمِينِي قربُهَا ويَزيدني بِهَا شَفَقًا من كان عندي يَمِيبها

 ⁽١) العروض : الطريق ف عرض الجبل . العمود : المرتفع - والمحنى أن الوصل صعب المثال مهماً
 مميلته بالوعود .

 ⁽۲) روى فى السكامل من قول نبهان بن عكي العيشين :
 يقر بسنم أن أرى من مكانه ذرا طفعات الأبرق المتناور

يم بسين اروي من من المؤلف و المؤلف ا

وكم قائل قد قال تُبْ فَتَصَيَّتُهُ وَقَلْتُ لَمَتْرِي تُوبَةٌ لا أَثُوبِها فيا همنُ صَبُّرًا لستِ والله فاعلمي بأولِ همي غاب عنها حبيبُها ومِن قول قَيْس بن ذَرِ يحرِف لُبَنِي :

فان يحببوها أو يَحُلُّ دونَ وَصْلِها مَقَالَةً واشِ أَو وعيدُ أَميرِ فَن يُحبَبُوها أَو يَحُلُّ دونَ وَصْلِها والله عَلَى الله عَنى من دائم البُكا ولن يُدْهِبُوا ما قد يُجِرِثُ صَجِيرى إلى الله أَشكو ما ألاق من الهوى ومن حكرب تعتادى ورَفير ومن شعراء الغزل من جلوه لهوهم ، قاغرموا بالجال ، وتنموا مساقطه ، وحضوا المواسم ليمثوا عيونهم من أشياء غيرهم ، ثم وصفوا ما وقع لهم من ذلك فهم لم يتيمهم الحبّ ، ولا كان القول في الغزل صناعة لفظية لاغور لهما في قوسهم ، بل كانوا بين يستأسرون للجمال وهم قادرون على الإفلات من حبائله . كما كان شأن عمر ابن أبي ربيمة ، ويكني في التندليل على أنه كال بهند المثابة أن تغزل في غير واحدة ، والحبّ الصادق لا يكون إلا لحبيب واحد ، وهو الذي يقول مستبيحاً الدبيب إلى الحبوبة ، ومنافلة أهلها الأبيات الآتية ، ولهسندا سمى هو ومن على شاكلته إلى المحبوبة ، ومنافلة أباحوا في غزلهم كلّ فحش ، أما المذر يون فإنهم لا يتعقون من عبو بهم إلا التعلق الأوسى ، و بنو عُذْرَةً قبيلة اشتهرت بالحب حتى فني فيه رجالها . قال الأولى . وبعة :

فَهَا قَلْدُنُ الصوتَ مَنهم وَالْحَقِيَّتُ مصابِيحُ شُبَّتْ بالمِشَاء وَأَوْرُ⁽⁽⁾ وَعَابُ قَيْرٌ كَنتُ أُرجو عُيُوبَهَ وروَّحَ رُغْيَاكُ وَنَوَّمَ سُمَّـــرُ⁽⁽⁾⁾ ونقَّمَ سُمَّـــرُ⁽⁽⁾⁾ ونقَّمَتُ عَنى العين أَقبلتُ مِشْيةً الْــــحُباب ورُكُنْ خيفةَ القوم أَزْوَرُ⁽⁽⁾

^{. (}١) أنؤر: جم ثار .

⁽٢) روّح : رحم ونت الرواح .

 ⁽٣) ويروى النوم بدل الدين ، والمراد بالدين الجواسيس ، الحباب : الحبة ، أزور : ماثل .

فييّن إذ فاجأتُها فَنَوَلِّمَتْ وكادت بمكنون التحية يَمْهُوَ(')
وقالت وعضَّتْ بالبنان فَضَحَنْي وأنت امرؤ ميسورُ أُمْوِكَ أَعسرُ
أَرْيْنَكَ إِذْ هُمِّا عليكَ أَلَمْ مَمَنَى تَرقيباً وحَوْلِي من عَدُوَّك مُخَمِّرُ(')
فوالله ما أدرى أَتَمْعِيلُ حاجـــة سَرَتْبكَ أَمْ قَذْنَامَ مَنْ كُنْتَ مَمْلَدُنُ
وهذان الفريقان لم يعرف لهم في غير الفزل شعر ، و إن ورد عن بعضهم شيء من ذلك
فهو نادر جداً ا .

المسدح

كان المدح على ما عرفت شأنه فى الجاهلية لا إسراف فيه ولا إغراق ، وكان فى غالب أمره ذكرًا لحقيقة اشتهر بها الممدوح ، أو ثناء على عارفة كانت منه ، وكان مع ذلك قليلا لمكان الأنفة من تفوس العرب إلا ما كان من شأن الذين تكسبوا بالشعر فى أخريات الجاهلية ، كرُّ هير ، والنابقة ، والأعشى ، والحُطيَّئة على عنة فى أكثرهم عرفت حديثها ، وفى الإسلام لم يكن منه إلامدح رسول الله وهو دون مايستحقه مقامه الأعظم و بلاؤه المشهود . أما الحلقاء بعده فإن ورعهم وانصرافهم إلى تحقيق العدالة ،

⁽١) أوله: حزن وطاش عقله .

⁽٣) أرأيتك وأريتك : أخبرنى، هنا : من هان بمدنى حقر وقل شأنه ، حضر : جم لحضر .

وقلة ذات أيديهم جعلهم غير موضع لآمال المداح ، فقل المدح فى هسندا المصر ، وقد ذكروا أنه بلغ عمر أن الحطيئة مدح أبا موسى الأشعرى عامله على العراق فوصله ، فكتب إليه عمر يلومه ، فردّ عليه أبو موسى بأنه إنما اشترى عرضه بالسلة ، فكتب إليه عمر : إن كان هذا هكذا ، وإنما تذبّ عن عرضك ، ولم تعطه للبذخ والفخر ، فقد أحسنت .

أما فى دولة بنى أمية فقد جن جنون الشمراء لما رأوا من الذى الذى يساق سوقا إلى مجيديهم فى مدح الخلقاء ، وتقديم أحرهم ، وذكر بطشهم ، وواسم جودهم . وقد حبب ذلك إلى الخلقاء أنهم رأوه يمكن لهم ، و يوطد ملكهم ، ويلقى الرعب فى القلوب ، ويدفع الآمال إلى التعلق بهم ، فكان عمل الشعر فى هسذا بثابة جيوش جرّارة يرصدونها لتحقيق هذه الناية ، فكفاهم مثوتها بيت من الشعر يسيركل مسار ،

و يتنقل مع الريح :

فَشَرَّقَى حَتَى لِيسَ للشَّرْقِ مَشْرِقٌ وَفَرَّبَ حَتَى لِيسَ للغرب مَغْرِبُ كذلك لا تنس ما فيهم من روح عربية تحب المديح وترتاح له ، فجعلوا سماع الشعر فى مدحهم إحدى وسائل النميم والترف الذى وفروا لأقسهم أسبابه ، وامتلأت به قسورهم وقد كانوا لفوّة النقد فى نفوسهم يعرفون قدر مايقال فيهم ، فيتتبلونه قبولا حسناً ، أو يردّونه على قائله ذائقاً مهرجًا .

دخل ابن قَيْس الثَّقَيَّاتِ على عبد الملك ، وقد أمنه بعـــد خروجه عليمـــه ، فمدحه بقوله :

إِنَّ الْأَغَرَّ الذَّى أَبُوه أَبُو النا صِي عَلَيْهُ الوقارُ والْحُبُّبُ
يَمْتَذِلُ التَّاجُ قَوْقَ مَعْرِقِهِ عَلَى جَبِينِ كَأَنَّهُ الذَّهُ الذَّهُ فقال عبد الملك : يا بن قيس تمدحنى بالتاج كأنى من ملوك المنجم ، وتقول فى مصمب : إِنَّمَا مُصْمَّبٌ شِهِكُ مِنَ اللهِ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِدِ النَّلْمَاهُ مُلْكُهُ مُلْكُ عَزَّةٍ لَيْسَ فِيهِ جَبَرُوتٌ مِنْهُ وَلاَ كَرْبَاهِ ثم قال له عبد للملك : أما الأمان فقد سبق ، ولكن لا تأخذ فى للسلمين عطاء أبداً . ومن قوّة تقدهم مع حبهم للاستثنار بأعظم نصيب من المدح ما جرى لأبنى زيد الأسلمى . دخل للدينة فصار إلى إبراهيم بن هشام ، فأنشده :

ابن هشام یا آخا الکرام

ضّال إبراهيم : و إنمـا أنا أخوهم ، وكأنى لست منهم . ثم أمر به فضرب بالسياط . وقد دخل رجل من بني ضبّة على عبد الملك ، فأشده :

خَالَ عبد الملك : إلى إلى ، وأمر له بألف دينار ، ثم أتاه فى العام الثانى ، فأنشده : يَرُبُ اللّٰذِي يَأْتِي مِنَ الْخَيْرِ إِنَّهُ إِذَا فَعَلَ للمروفَ زَادَ وَكَمَّا وَلَيْسَ كَبَانِ حِينَ ثَمَّ بِنَاوْهُ تَنَبَّعُهُ بِالنَّقْصِ حَتَّى تَهَدَّمَا فأعطاه ألفين ، ثم جَّاده فى الثالث ، فأنشده :

إذا اسْتُشْلِرُوا كَانُوا مَفَازِيرَ فِي النَّذَى يَجُودُونَ بالمعروف عَوْدًا على بَدْهُ فأعطاه ثلاثة آلاف .

ومن ارتباحهم للمدح ، واهتزازهم له ما روى عن عمر بن هيبرة . قال السهى : أشرف عمر بن هبيرة الفزارى من قصره بيرما ، فإذا هو بأعرابي يرقص جمله الآل ، فقال لحاجبه : إن أرادني هذا فأوصله إلى " ، فلما دنا الأعرابي سأله الحاجب ، فقال : قصدت الأمير، فأدخله إليه ، فلما مثل بين يديه قال عمر : ما خطبك ؟ قال الأعرابي :

أصاحك الله ُ قَلَّ ما بيدى ف أطيق السيال إذْ كثروا ألح دهر ُ أنحى بكلكله فأرْسَانُونى إليك وانتظروا رجوك للدَّهم أن تكون لهم عيث سَحاب إذْ خانهم مطرُ قال: فأخذت عمر الأريحية ، فجعل بهتز في مجلسه ، ثم قال : أرساوك إلى وانتظروا ، إذًا والله لا تجلس حتى ترجع إليهم غانمـا ، فأمر له بألف دينار وردَّه على بعيره .

وقد بلغ من غرام خلقاء هذه الدولة بالمدح أن أرادوا أن يجيلوه وتفاً عليهم ، فلم يرضوا عن مدح غيرهم ، ولو كان المعدوح من أعوانهم ، فيذا جرير مدح الحجاج ، فلم أعجه مدحه أوجهه ، وملاً بالثناء عليه الأرض حتى بلغ خبره الشام ، وأمير المؤمنين عبد الملك ، ثم أراد الحجاج أن يحسن إلى جرير ، فأقدمه مع ابنه محمد إلى عبد الملك ، فلما صار في مجلسه سأل عنه ، فقال محمد بن الحجاج : هذا يا أميرللؤمنين ابن الحكني ، فقال مادح الحجاج . فأل جرير : قلت ومادحك ياأمير للؤمنين ، فائمذن لى في الإنشاد ، فقال : هدت ما قلت في الحجاج ، فاندفت في قولى :

صَيَرْتَ النفسَ يا بنَ أَبِي عَقِيلِ عاضلةً فَكَيف تَرَى النَّواَاا وَلَوْ لَمْ يَرْضَ رَبِّكَ لَمْ يُنَرُّلُ مَعَ النَّمْرِ الملائكة الفِماَاا إذَا سَـَرَ الخليفةُ نارَ حَرْبِ رَأَى الحجاجَ أَثْقَبَهَا شِها؟! قال صدقت ، ثم هات فأنشدته :

طَرِيتَ لمهدٍ هِيَجَمَّتُ للنازلُ وكيفَتَصَابِي للره والشيبُ شامِلُ ف فرغت منها حتى خُيَّلتُ الفنب فى وجه أمير المؤمنين ، ثم قال : هات بالحجاج ، فأنشدته :

مَنْ سَدَّ مُطْلَعَ النَّفَاق عَلَيْمِمُ أَمْ مَنْ يَعُسُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِرِ أَمْ مَنْ يَفَارُ هَلَى النَّسَاء حَنِيفَةً إِذْ لاَ يَكِيْنَ يِفْكُرَةٍ الأَرْبَاحِرِ

ثم قال لى الحليفة اجلس فجلست ، وقال للأخطل: هات مديح أمير المؤمنين ، فأنشد أهم الناس وأمدح الناس، فقال له عبد الملك: أنت شاعرنا ومادحنا ، ثم استمر الوفد يدخل على الخليفة تمانية أيام ، وكلهن يحبجب جرير ، ودخلوا فى اليوم التاسع ، فأعطوا جوائزه ، وتهيئوا فى الماشر الرحيل ، ثم توسل له محمد بن الحجاج عند عبد الملك ، واستأذنه فى أن يسمع من جرير فأذن ، فاندفع جرير :

أَتَصْعُو أَمْ فَوَّادُكَ غَيْدُ صَلَّحٍ عَشِكَةً كُمَّ تَحَبُكَ الرَّوَاحِ

فقال له عبد الملك : بل فؤادك أنت ، وما زال ينشــــــد حتى وصل إلى قوله فى مدح عبد الملك :

أَلْسَتُمْ غَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَفَاكِيا وأَنْدَى التَالَينَ بُطُونَ رَاحِ فِعل عبد للك يقول : نمين كذلك وما زلنا كذلك ، ثم قال : ردّها على ، فردّها فطرب ، ثم أم له بما ثة ناقة وثمانية أعبد : أربعة صقالبة ، وأربعة نوبية ، وكان بين يديه صاف من فضة ، فقال جربر : المحلب يا أمير للؤمنين ، فندس إليه واحدة منهن . ومن غرام الأمويين بالملح ما رواه للبرّد قال : وقد فضل نُصَيّبُ على الفرزدق

ومن غرام الامويين بالمدح ما رواه المبرّد قال : وقد فضل نصّيبٌ على الفرزدق : فى موقفه عند سليمان تن عبد الملك ، وذلك أنهما حضرا ، فقال سليمان للفرزدق : أنشدنى (و إنمـا أراد أن ينشده مدحًا له) ، فأنشده :

وركب كأنَّ الربح تطلبُ عندهم للماترة من جَذْبها بالمصائب سَرَوْا يُعْيِطُون الليــل وهى تَلَقُهم إلى شعب الأكوار من كلَّ جانب إذا آنسوا الرَّا يقولون ليتها وقد خصرت أيليهم الرغالب فأعرض سليان كالمفضب ، قتال نصيب يا أمير المؤمنين ، ألا أنشدك في رويها ما لعله لا يضع ضها ، قتال هات ، فأنشده :

أقول لركب صادرين لقيتهم قفا ذات أوشال ومولاك قارب قفوا خبرونى عن سليان إنى لمعروفه من أهل وَدَّانَ طَالب فماجوا فأثنوا بالذى أنت أهله ولوسكنوا أثنت عليك الحقائب وقد قال سليان للفرزدق حين أنشده نصيب كيف تراه ؟ قال : هو أشعر أهل جلدته ، ثم قام الفرزدق ، وهو يقول :

وخير الشمر أشرفه رجالا كشرّ الشمعرما قال العبيد

ولقد عنما الخلفاء وعمالهم عن المجرم لبيت من الشعر بالغ به فى مدحهم، فصادف هوى فى نفوسهم كما حدث أن الحباح لج فى طلب التُمذَّيْل حتى لفظته الأرض، ونبا به كل مكان، فلم يجد حيلة إلا قصده، فلما شل بين يديه أنشأ يقول: خَلِيلُ أميرِ المؤمنين وسيفُه لكل إمام صاحب وخليلُ به تَسَرَ الله المطلقة مِنْهُم وَتَبَّتَ مُلْكَأَ كاد عنه يَزُول فَا أَنْتَ كَسَيْفِ اللهِ فَالأَرْضِ خَالِي تَصولُ بسون الله حين تَسُولُ مَنْ الله المجاج : أولى الك 10 قد نجوت ، وفرض له ، وأعطاه عطاه .

و بلغ من حبّ استشارهم بالمديح أنهم حقدوا على الشاعر إذا افتخر ، فقد روى أن الفرزدق خرج من عند عبدالملك ، وقد مدحه فأجزل له العطية ، فقال فى طريقه وهو راكب راحلته :

ما حملتُ ناقة ٌ من مَشَر رجلا مثلى إذا الربح ألقتْنى على السُكُورِ '' فأنهى ذلك إلى عبد الملك فأرسل وراء ، فلما دخل عليه قال : إيه يافرزدق الذى تقول ، فقال ضم يا أمير المؤمنين ، فلما أنشده البيت قال : لتخرجنَ منها أو لآتينً عليك ، فقال مرتجلا :

الهجاء

كان الشاعر فى الجاهلية يهجو وينافر ، ولكنه فى كلّ ذلك لا يتمدّى التعمير بالقصورعن الفضل ، والتأخر عن الأقران والنكوص عن مواقف الشجاعة ، والبخل على الضيف والقمود عن نصرة للستجير، لا يعرفون ذكر العورات ولا الإفحاش فى سبّ

⁽١) أولى ألك : تهديد ووهيد: أي قاريه مايهلكه .

⁽٢) الكور : الرحل .

 ⁽٣) الدرم أو الدينار الشوف : المجلو .

الآباء والأمهات ، فكانت معانيهم فى ذلك تتبع بساطة معيشتهم ، فهم لم يعرفوا الغلق فى مى دينه و يونه فى مى المبحاء ، وقد جاء الإسلام ينهاهم عن ذلك و يحول بينهم و بينه حتى تصفو الفنوس ، وتجتمع على الحبّ فاستموا عنه ، وعوقب من استمر على نزعة الجاهلية كالحطيثة . نعم أباح الإسلام المسلمين هجاء الكمار بل دعاهم إلى ذلك لأنه اعتبره أسلوبًا من أساليب حربهم و توعا من مساجلتهم ، ولا شكّ أن القول له بالنفس فل السيف فى خضد الشوكة وتثبيط المزم .

فلما جاء عصر بنى أمية لم تقصر الأحزاب السياسية فى جعل الشعر من عدد حربهم يذيبون به المساوى ، ويدلون به على الخازى ، ويؤلبون ويهدّدون ، فعل ذلك الأمويون ، وهم الحزب الأكبر بكل من ناوأهم من خوارج وهاشمين وزيوريين ومهلبيين كا قابلهم هؤلاء بمثل ذلك فكثر التهاجي ، واشتهر شعراء بالتمصب لبنى أمية ، ومهلبين كا قابلهم هؤلاء بمثل ذلك فكثر التهاجي ، والأخطل ، وجرير ، والقرزدق ، والراعى ، وأبو النقيم الواجز ، والأعشى ، والنابغة الشياني وغيرهم ، واشتهر من أنصار والماليين : المشان الماليين : ويؤ الأحوارج : الطريق بن بيض ، ويؤس الجراحى ، ومن أنصار العلويين : الشمان زياد الأكبر ، وأبو الأحود الذول ، والكميت بن زيد ، وأبح ين بن خريم .

وســـنورد عليك نمــاذج من قولهم ليتمثل لك ماكان بين القوم من خلاف على السياسة .

حَرَّش يزيد بن معاوية الأخطل ، فهجا الأنصار بقوله :

ذهبت قريش بالمكارم كلها واللؤم تحت عائم الأنصار

فلما شاع الشعر دخل النَّمـان بن بَشِير الأنصارى على معاوية ، وقال يا معاوية : هل ترى لؤما ؟ قال : لا أرى إلا كرما . قال ف الذى يقول فينا حبد الأراقم (٢٠ ؟ قال ; قد حكَّمـتك فيه . قال : والله لارضيت إلا بقطم لسانه ، ثم أنشده :

⁽١) الأرائم : حي من تغلب منهم الأخطل وجعاء عبدهم تحقيرًا له .

مُمَاوَىَ إِلاَّ تُنْطَنَا الحَقَّ تَشْتَرِفَ ۚ لِحَى الأَشْدِ مَشْدُودًا عليها السّمامُ (١٧) وَيَشْدُنُنَا عَبْدُ الْأَرْاقِيمِ صَلَّةً وَيَاذَا النِّبِي تَجْدِي عليك الأَرْاقِيمُ فَالَى تَأْرُ دُونَ قَطْمِ لِسَانِهِ فَدُونَكَ مَن تُرْضِيهِ عَنْكَ الدَّرَاهِيمُ مُ قال :

وَإِنَّى لَأَغْفِي عن أُمورِ كَثْيَرِهِ سَتَرَقَى بِهَا يَوْمَا إليك السَّلَائِمُ الْمَالِكِ السَّلَائِمُ أَصَاعُ فَهَا عَبْدَ شَمْنِ وَإِنِّنْ فِي النِقْكَ النَّفْنِ مِثْنَى كَاتَمُ فَا أَنْتَ وَالأَمْرِ الذَّى لَشْتَ أَهَلَهُ وَلَكُنْ وَلِئَ الْمَقَّ وَالأَمْرِ هَامْمُ فَلَا أَنْ مَعَادِية مَا المُخطل لَسَلَع لَسَانَه ، ولكن يزيد ابنه أجاره فلا رأى معاوية منه الجدّ دفع إليه الأخطل لسلع لسانه ، ولكن يزيد ابنه أجاره

من النمان .

وقال الأعشى : وقد دخل على عبد الملك ، وهو متردّد فى حرب ابن الزبير، فقال : يا أمير للثرمنين ، مالى أراك مُنتَكِمًا (٢٧ ينهضك الحزم ، ويقعدك العزم ، وتهم بالإقدام ، وتجنح إلى الإحجام . توجه إلى عدوك ، قجدك مُقبلُ وجده مدبر ، وأسحابه له ماقتون ، ونحن فك محبون ، إلى أن أنشد :

آلُ الرَّيْرِ مِن الحَلافة كالــــق عبــل النَّتَاج بَحَتْلُها فَأَحلَمَا

أو كالضَّاف مِن الحُمُولَة مُحَّلَتْ ما لا تطبق فضَّيَّتْ أَحملَمَا
قوموا إليهم لا تناســوا عنهمو كم للمُــــواة أطلتمو إشهالها
إن الحَلافة فيكمُ لا فيهـــو ما زلمَــــو أركانها وتُمَالَمَا
أَشْتُوا على الحَيرات تُشَكَّر مُثْلَقاً فانهض بيمنك فافتح أتقالها
ومن قول عران بن حطان في مـــدح بن ملجم فاتل على ، وكان عران منالياً في
التمسب على على .

⁽١) اعترف الهيء كمرقه : أقرَّ به وأثبته عاماً .

⁽٢) متلوما: متردداً .

 ⁽٣) الثال : الذي يقوم بأمن قومه .

لله دَاؤُ الْرَادِيِّ الذِي سَفَكَت كَفَّاهُ مُهْبَعَةً شَرِّ الْمُلْقِ إِنْسَانَا ١٠٠ أَمْنَى عَشِيَّةً شَرِّ الْمُلْقِ إِنْسَانَا ١٠٠ أَمْنَى عَشِيَّةً غَشَّاهُ بِضَرَبَعِهِ يَّمَّا جَنَاهُ مِنِ الْآثامِ عُسَرَّيَاةً مِنْ ذِي الْتَرْشِ رِضُوانَا إِلَّ لِيَبَلِّغُ مِنْ ذِي الْتَرْشِ رِضُوانَا إِلَّ لِيَبَلِغُ مِنْ ذِي الْتَرْشِ رِضُوانَا إِلَّ لِيَبَلِغُ مَنْ ذِي الْمَرْشِ رِضُوانَا إِلَّ لِيَبَلِغُ مَنْ أَوْلِ الرِّيْةِ حَسَدُ الله مِيزانا ومن قول الكَمْنَيْتِ بن زيد يسيب على بني أميسة جورهم ، ويدهو الله أن تدول الدهائمية بن .

قَلُ لبنى أُميةً حيث خَلُوا وإِنْ خِنْت الْهَنَّذَ والقَطِيماً^(۲) أجاء اللهُ من أشــــبعنموه وأشبع من بجَوْرِكُمُ أُجيعا بِمُرْضِيَّ السياســــــة هاشميَّ يكون حَيًا لَأَمَّيْــــــه ربيعا

ولم ينته الهجاء إلى هذا الحد ، بل تقد تمداه إلى تهاجي الشراء فيا بينهم، لا ينزعون فى
ذلك إلى مذهب سياسى لكنهم كانوا يحيون بهذا النهاجي داعى السعبية التى أحيتها
الدولة ، و يلتمسون الشهرة بالقول ، و يتحاسدون على ماصار لبعضهم من فضل ، ور بما
ضلوا ذلك ليسمر أمير أو خليفة بحديثهم ، فيكون على ذكر لهم ، ور بما مهاجوا أودعاهم
إلى النهاجي ما يأتيه أمير أو خليفة من التحريش بينهم كما ضل بشر بن مروان ، فإنه
قال للأخطل : احكم بين جرير والفرزدق ، وأخم عليه فى ذلك ، فلما حكم بقوله :
الفرزدق ينحت من صخر وجرير يغرف من يحر لم يسجب حكمه جريرًا فهجاء ، فرد
عليه الأخطل ، وامتد بينهما النهاجي .

وأم التهاجى بين جرير والفرزدق ، وبين جرير والأخطل مشهور أل**قت فيه** كتب **خاصة** .

⁽١) مر شرح هذا البيت والأبيات بعده في باب عناية الحلقاء والأمراء باللغة والأدب . .

 ⁽٢) مر شرح هذه الأبيات في باب عناية الحلفاء والأمراء باللغة والأدب .

عمر بن أبي ربيعة

[نسبه] : هو عمر ، و يكنى أبا الخطاب ، وأبوه عبد الله بن أبى ربيمة ، وهو حذيفة بن المنبرة ، و ينتحى إلى غزوم ، ثم إلى حرة بن كسب ، ثم إلى ضر ، فو قرشى يجتمع مع رســـول الله صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كسب . وعبد الله أبوه كان من أشراف قريش وأثريائهم ، وكان يتجر إلى البن ، وقد بلغ من غناه أن كانت قريش تكسو الكعبة من مالما سنة ، ويكسوها هو من ماله سنة ، وقد استعمله رسول الله على الجند وغاليفها البن ، وكان اسمه فى الجاهلية بحُديّرى ، فسياه رسول الله همبدالله» . أما أمه فهى مجد من أهل البن ، ولمل رحلة أبيه إلى تلك الأصقاع فى متاجره وولايته جعلته يتروّع أم عر من هناك .

وقد ولد عر ليلة قتل ابن الخطاب رضى الله عنف لأربع بقين من ذى الحجة سنة ٣٣ هـ . ولمل هذا هو السبب فى تكليته بأبى الخطاب ، وكان إذا جرى ذكره فيها بعد بين أهل التقوى قالوا فى حديث ولادته : « أىّ حقّ رفع وأىّ باطل وضع » .

نشأة عمر

نشأ حمر يتقلب فى ثراء أبيه وغناه الواسع الذى علمت بعض شأنه ، فكان حمر في قرشيًّا مترفًا يليس البرود اليانية ، ويمتطى النتاق الفره ، قد حليت بالنهب والفضة، ويسر فى كوكبة من عبيده وأتباعه ، وكان فنى جيلا يرجل لته ، ويتمعل ولا عمل له إلا إمتاع نفسه بتلك الثروة الواسعة فى بيئة مئت بالترف ، وجمت أسباب اللهو ، من مجال ، وغناء ، وغرل ، وفكاهة ، تلك هى الحجاز ، وماضم من للدينة ومكة والعائف.

نشأ عمر وحوله كل أسباب النبوغ فى الشعر ، وبخاصة هذا النوع الذى اختص به وهو الغزل . فالغنى وفراغ البال ، وأنواع اللهو قد اجتمت إلى طبع غزل وظرف معم مخول . فإن أبواته من الحباز ، وأمومته من اليمن ، وهما مشهوراان بصفاء الطبع ، وحلاوة الشائل ، ورقة الماطقة ، وخفة الروح . هــذا إلى ملكة الفصاحة نخمها فيه قرشيته ، ونشأته بمواطن البيان ، ومجالى البلاغة .

أما اختصاصه بذلك النوع من النزل لا يقول في غيره ولا يمدل عن سبيله ، فإنما كانت دواعيه إليه غناه عن التكسب بالمدح والزاني إلى الرؤساء ، فلم يكن يقول الشر لرهبة أو رخبة ، وإنما جمله وسيلة من وسائل نسيه ، وسبياً من أسباب ترفه ، بل لقد كانت لذته الروحية مقرونة إلى لذائذه الحسية من مطعم وملبس وسرك ، فهو لم يذل عنه مطعم يحرص عليه ، وإنما خضع للجمال ، واستأسر لمظاهره ، وقضى حياته واقعاً على منظر من مناظره ، أو محدثا عما وقع منه فى نفسه . وعندنا أنه لم يكن يتكلف القول ليمد فى الشعراء ، ولكنه كان يسجل فى قوله حوادث جرت له وتاريخا مر به نظر يترك من غير أن يقيده فى ذلك الشعر الذي يجمله صورة لحياته ، فهو فى ذلك بالما المتراد بسور شمسية أو مذ كرات يكتبونها ليكون فى النظر إليها استمادة من هذه الحوادث بصور شمسية أو مذ كرات يكتبونها ليكون فى النظر إليها استمادة منا الشعر ، ولم يكن همه أن يقال له أحسنت أو استحقت جائزة . ودليل ذلك أنه لم الشراء حديث طويل ، ولا له بهم اجتاع فى سوق أوعند أمير . إنما كان مجلسه فى المحبين بشعره من للهنين ، أوالفتيان الناشية على نهجه فى الغرام كان مجلسه فى المحبين بشعره من للهنين ، أوالفتيان الناشية على نهجه فى الغرام كان مجلسه فى المحبين بشعره من للهنين ، أوالفتيان الناشية على نهجه فى الغرام كان مجلسه فى المحبين بشعره من للهنين ، أوالفتيان الناشية على نهجه فى الغرام كان مجلسة فى المحبين بشعره من للهنين ، أوالفتيان الناشية على نهجه فى الغرام كان مجلسة فى المحبين بشعره من للهنين ، أوالفتيان الناشية على نهجه فى الغرام كان عجلسة فى المحبين بشعره من للهنين ، أوالفتيان الناشية على نهجه فى الغرام كان المحلك عنه .

نوع الغزل في شعره

عرفت من سابق كلامنا عن النزل في الشعر الأموى أنه اقسم في هذا المصر إلى أقسام: المغذري والإباعي والصناعي ، وإنجما يهمنا في حمدنا المقام الموازنة بين النوهين الأولين . أما الغزل المغذري فقد كان شأن الأعراب في مطارح بداوتهم ، يعشق الرجل منهم امرأة بعينها ، فحملك عليه نواجي قسه بل قد يضل سعيه ، ولا يستطيع أن يكتم حبها ، وهو يعلم أن في إشاعته وإذاعته حرمان الأبد منها ، ولحك يضطر إلى ذلك اضطراراً ، فيحال بينه و بين ما يشتهى من الزواج بمجبوبته ، ويظل حياته شاكياً يخاطب الظاء و بقر الوحش لما يرى فيها من مشابه في محبوبته ، ويستهدى الرياح سلامها ، ثم لا يكون من عاقبة أمره إلا أن يموت كداً وقد ملأ الدنيا شمراً . وترى سمة هدنا الشعر حرارة الوجلان ، وطهارة اللسان ، واللهفة على القاء ، وحذر الرياد في المواحل ، ولامقارفة لفي القاء ، ومناهره أيضا ، أن للرأة في هدنا الشعر صامئة يقال لها لانتها مي ولاتنام بيواب ،

وأما النزل الإياحي فهو الذي يستبيح فيه الشام, مالم يستبحه صاحب العذرى ، ومظهره أنه إلى اللهو أقرب منه إلى النزل ، فإن للوصوفة فيه غير واحدة بل كل جرزة الحاسن ، فهى عروس من عرائس هذا الشعر يصف منها الشاع، ظاهرها وخنى أمرها ، ويذكر الخلوة بها والتحدّث إليها ، وماكان بينهما من دعابة وتجميش ، بل لقد يهرذ فيه الشاعر محبوبته محبة ، ومعشوقته عاشقة ، فهى ترسل إليه وتستزيره وتحتال لمصيره إليها ، وذلك في دين العشق القديم غير جائز ولامستساغ .

وعر من أبى ربيعة هو صاحب هذا اللذهب: أكثر من معشوقاته ووصفهن جميمًا في شعره وذكر ماجرى منه ومنهن ، ولم يكن العرب يعرفون النزل بهذه المثابة قبله ، غيلوه لواء هذا النوع ، وجعلوه زعيم كل من اتبع سبيله من الشعراء . وفرق مابين هذا النوع وسابقه أن حرارة الوجدان فى الأول محسة ملموسة وأن رنة الأسى فيه قوية الجرس شديدة الحنين وأنه إذكان موطنه البداوة غلمرت فيه ساتها من سذاجة وقناعة .

فاسمع سذاجة جَنادة المُذْرئ حيث يقول:

مِنْ حُبًّا أَتَمَنَّى أَنْ يُلاَفِينِ مِنْ تَحْوِ بَـــالْدَيْهَا نَاعِ فَيَنْعَاهَا كَبَّا أَقُولَ فَراقَ لِلسِّاءَ لَهُ وَتُعْشِرَ النَّفْسُ بِأَسَّاتُم تسلاها

ثم اسمع قناعة جميل حين يقول :

وإِنَّى لأَرْضَى مِنْ بُثَيِّنَةَ بالذى لَوَ أَيْمَرَهُ الواشى لَمَرَّتْ بَلاَيِكُهُ بِلاَ ، وبألاَّ أســــنطبعَ وبالمُنَى وبالأملِ لَلرْجُوَّ قد خاب آمــــُهُ وبالنَّلْرَةِ المَجْلَى وبالحول تَنْقَفِى أُواخـــرُهُ لا تَلْتــقِي وأُوائـِلُهُ

أما الثانى ققد اَجتمت فيه ألوان الحياة اللدنية من وصف للجمال لاجياء فيه ولاتحرّج، ومن حيل لا تهتدى إليها إلا ألمية الحضريين، ومن حديث مبناه اللحابة والظرف، ولا يدل هذا النوع على أن قاتله قد شقف فؤاده الحب وتامه الغرام ، و إنما أكبر دلاته أن صاحبه طروب ميّال للّهو ، مُطاوع لرغبات النفس ، يقول الشعر متفكهاً لا متولماً ، ويجلس إلى الغانيات لا يرجو شفاء للداء الحب ، أو برّداً لحرارة القلب، ولحكنه يزجى الوقت بحديثهن ، و إشباع العين من محاسنهن ، فهو ينتقل من مجلس الرباب إلى مجلس الربعة من عند عائشة إلى التريا ، ور بما اجتمع بكثير منهن في مجلس واحد .

هكذا كان عمر بن أبى ربيعة ، فقد كانت صواحباته اللاتى ذكرهن فى شعره هن : التُّرَيَّا بنت على ، وعائشة بنت طَلْعة ، وسُكَيْنة بنت الحسين ، وزينب ، ونُعْمُ ، وفاطمة بنت عبد لللك ، ورَمْلة، ولْبَابة ، والرَّباب ، وأشماك .

توبة عير

ذكروا أن عمر تاب على حدود الأرسين ، ونذر لأن قال بيتًا ليمتغن به رقبة ، ثم انصرف إلى بيته حزينًا ، وأدركت جارية له مايجول بنفسه من أسف على ثلث التوبة ، ومنازعة إلى المودة إلى ماكان فيه ، فقالت له : إن لك لأمرًا ، وإنك لتريد أن تقول شمرًا ، فالذفر يقول :

قالوا : ثم دعا بتسعة من عبيده فأعتقهم .

وقيل فى سبب التوبة : إنَّ أخاه الحرث بن عبد الله لما رأى ماكان منه من استهتار وخروج عما يليق بشرفه ومكانته سيره إلى اليمن ورشاه بألف دينار على ترك الشهر، فلم يستطع الصبر وقال الشعر من اليمن ، فوصل مع الريح إلى الحباز

⁽۱) الحدين : الصديق الذي يجاد ثلث فيكون منك في كل أصر ظاهم، وباطن، ومنه خدن الجارة (محشها) وكان العرب في الجاهلية الإيتمون أن يكون اللجارية خدين يحدثها فنم الإسلام ذلك قال الله تعالى د ولا متخذى أخدان » ،

۲) الحلة بالضم : الحليلة .

تذكر الثريا يوماً وهو نازح الدار ، فقال :

فَلَمْ أَرَكَاتَنَجَّمِيدِ مَنْظَـرَ ناظرٍ ولا كَلْيَالِي الحج أَ فَلَنْن ذاهوى وكا كَلْيَالِي الحج أَ فَلَنْن ذاهوى وكا كَلْيَالِي الحج أَ فَلَنْن ذاهوى وكا مَالَيْ عَلِيهِ عَلِيهِ إذا راحَ نحوا لَجَمْرَ وْالبِيضُ كَالدُّتَى

فإذا لم يفلت الناس منك في هذه الأيام فتى يفلتون ؟ أما والله لو اهتمت بأس حبّك لم تنظر إلى شيء غيرك ، ثم أسر بنفيه ، قتال : يا أمير المؤمنين ، أو خَيْرٌ من ذلك ؟ قال : وماهو ؟ قال : أعاهد الله ألاأعود إلى مثل هذا الشعر ، وأجدد تو به على يديك . قال : أو تفعل ؟ قال : نع . فعاهد الله على التوبة وخلاه .

⁽١) سبف البعر: ساحه ،

 ⁽٣) أجياد : موضع بكة ، وسمى كذلك لأن تبعا لما قدم مكة ربط خيله به فسعى بذلك .

ولقد يكون من المقول أن عمر تاب بوسى ضميره لم يدفعه إلى ذلك إغراء أخيه بالمال ، ولا تفويف الخليفة بالنفى ، ولكنها السن وطول العهد يحسلان على الملل ، فجدير بسر وقد رأى شبابه يتصوح ، وصباه تضرى أفراسه ورواحله ، والغوانى يرور عنه جانبهن ، جدير به لكل هذا أن ينصرف عن اللهو وأن يتوب ، ثم كذلك غير مستغرب من أمره أن تهيج له الذكرى بسفى ماكان فيه فيمود إلى شىء من غزله ولكن حداثه تكون قد فترت وجلال السن ير بأبه عن ذكر ماكان يحله له الشباب وشرشخه من فتك فى المشق وغش فى النرام ، فترك دعوى التوسد ، ونزع الجاسد ، وفر الإزار ، وحل للماقد ، ورشف الثور ، وضم الحصور ، وذكر الفافلات ، ورمى المحصنات ، فأصبح يقول :

إنَّى امرؤ مُولَـعٌ بالحسن أتبمه الاحَــــظَّ لِي فيمه إلا لذَّهُ النَّظْرِ ويقول :

> رب ً يوم كَمَــُوتُهُ بجـــوار ربائب⁽¹⁾ ليس فيــــه نُحَرِّمُ وإله للنــــارب غير أنا نشــنى الصدو ربذَرْوِ التَمَـــاتُب⁽¹⁾

> > بعد أن كان يقول :

ثم قالت وساعت بعد منع وأرثنى كَفاً تَزِينُ السّواوا فتاولتها فالت كفّشن حر كّنه الريخ عليه فارا وأفاقت بعد العلاج لنيذاً كَبّنَى النّقل شاب صِرّقاً عقارا ثم كانت دون اللحاف لمشتو في مُتنى بها صبوب شاوا واعتكت عدة الإزار من النّهسر وألّتت ضها لدى الجاوا

⁽١) ربائب : جم ربية وهي للماهدة بالتربية .

⁽٧) الدو مر ألفول : الطرف منه ، وأخذ في فرو الحديث : إذا عرض ولم يصرح .

حب لما رَجْمُها إليها يديها في يَدَى دِرْعِها تَحُلُ الإزارا

ويقول :

فتاهيتُ لها في خِنْيَ في حين مال الليل واجْنَنَ الفَيْرُ الْفَيْرُ وَاجْنَنَ الفَيْرُ الْفَيْرُ وَالْمَرِ وَا اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ اللّهِ وَاللّهِ اللّهِ اللّهِ وَاللّهِ اللّهِ اللهِ اللهُ اللهِ اللهُ الللهُ اللهُ اللهُ

خصائص شعر عمر

أظهر ما في هذا الشعر من الخصائص ذلك القصص الذى يطول فيه هس عمر بما لم السبق إليه شاعر من العرب: فيذ كرلك الحيلة فيالقاء ، ثم ماجرى من عناق وحديث وماتلطف به للخلاص من الرقباء ، كما يحكى لك مراسلته للحبية ، ومازود به الرسول من قول وحذر وما رجع به الرسول من تحية الحبيبة وترحيبها ، وما كان بين الغوافى من تقاش في أمره ، وحديث عن زيارته ، فهو بذلك خالق لهذا النوع من القصص الذى يدى بعض عاماء الأدب ظلما خلق الشعر العربي منه ، فهاهو ذا شعر ابن أبى ربيعة يقيم الديل على أن العرب لم يعيهم هذا النوع م

⁽١) الحسر: البارد .

 ⁽٣) المدام : الحركالدامة ، وسميت كذيك لطول دوامها في ألهن . جدر : بلغة بين حمس وسلمية .

فاستمع لقول عمر ، ولعله جمع لك كل ما يكون من لقاء ، ومايجرى فى اللقاء من حديث الحب ومايسرض فيه من وصف الجال ، ثم ما يكون من الهموم بالرحيل ووصف الوحام ، وذكر الحيلة فى الخلاص ، واستشارة للرأة لمن يكتمن سرّها من أخواتها حتى لاينتضح أمرها ، فذلك حيث يقول عمر :

ظا فقدت الصوتَ منهم وأُطْنَتْ مصابيعُ شُـبَّتْ بالتشاء وأَنْوُرُ⁽¹⁾ وغلب قَيُرُ كَنْتُ أَرْجُو غُيسُوبَهُ وَرَوَّحَ رُعْيِسَانٌ وَنَوْمَ شُمَّسُو ۖ ٢٠٠٠ وَنَمَّضْتُ عَنِي النومَ أَقبلتُ مِشْيَةَ الـــعُبابِ ورُكْنِي خِيفةَ القوم أَزْوَرُ٣٧ وقالتْ وعَضَّتْ بالبَنَان فَسَعْتَني وأنتَ امرؤُ ميسورُ أمرك أعسرُ أَرَبْتُكَ إِذْ هُمَّا عَلَيْكَ أَلَمْ تَغَفُّ رَقِيبًا وَخَوْلِي مِن عَلُولًا خُضَرُ (١) فواقه ماأدرى أتشجيل حاجمة سَرَتْ بك أم قَدْنامَ مَنْ كُنْتَ عَدْرُ إليك وما عين من الناس تَنْظُرُ فقلتُ لما بل قَادَنِي الشوقُ والهوى فيالَكَ من ليــــل تَقَاصَرَ مُلُولُه وما كان كَيْلِ قَبْلَ ذَٰلِكَ يَغْمُرُ ويألَكَ من مَلْهَى هناك ومجلس لنا لم يُكَدِّرُهُ علينا مُكَدِّرُ رقيقُ الحَواشِي فوغُرُوبِ مُؤتَّسُرُونَ يَمْعُ ذَكِنَّ السَّلَّكِ مَنهَا مُعَلِّمُ حَمَى بَرَدِ أَو أَضُوانُ مُنوَرُكُ يَرَفُ إِذَا تَفْسَسَكُمُّ عَنْهُ كَأَنَّهُ

⁽١) أنؤر : جم للر ، ويقال أنور بالواو أيضاً .

 ⁽۲) روَّح رحیان: أى روحوا لمیلم . رعیان: چم راح کرکبان چم راکب . وحمر: جمسام.
 (۳) فى روایة الدین بىل النوم، والمعنى احترست من الدین (الرقیب) . والنفضة : الدوم چلىدون المبشر پیمنشون له الطریق .

⁽٤) أربتك : أسلها أرأيتك، وسناها أخبرتي . هنا . من هان يمسي حمر .

 ⁽٥) للفلج: اللم الذي بين أسنانه فروج. الغروب: جمّ غرب وهو الحد، وتحديد الأسنان (وقة أطرافها) جال فيها. يقال أدرت الأسنان إذا صار فيها حزوز، والواحد منها أدرة، والجم أدر.

 ⁽٣) يرف: چلاً لا ألبرد: قطع الثلج تسقط من الساء عند اشتعاد البرد ، تقبه بها الأسنان في الباض .

وتَرْنُو بِسَيْنَيْهَا إلى كما رنا إلى رَبْرَبِ وَسُطِ الحَيلة جُونُدُرُ (١) ظَمَا تَقَفَّى اللَّهِ لِلْأَأْقَلَةُ وَكَادَتْ تَوَالِي نَجْمِ بِ تَتَفَوَّرُ أَشَارَتْ بَأَنَّ الحَيَّ قد حان منهُمُ ﴿ هَبُوبٌ وَلَكُنْ مَوْعِدٌ لَكَ عَزْوَرُ ۗ ۖ ف راعني إلاَّ مُنادِ برحْــــالةِ وقد لاح مَعْنُونٌ من الصبح أَشْقَرُ ظَمَّا رَأَتْ مَنْ قَدْ تَنُوْرَ مَنْهُمُ ۚ وَأَيْغَاظَهُمْ قَالَتْ أَشَرْ كَيْفَ تَأْمُومُ وَإِمَّا يِنَالُ السِيفُ ثَأْرًا كَيْثَأْرُ ٢ فقلت أَبَادِيهِ مِ فَإِمَّا أَفُونَهُمْ فقالت أُتَّصَفِيقًا لما قال كَاشَّتُ علينا وتصديقًا لما كان يُوتُورُ⁽⁴⁾ فإنْ كان ما لا بُدَّ من ف فنيرُه من الأمر أذْني للمُغَاء وَأَسْتَرُ ومالِيَ مِنْ أَنْ تَثْلَمَا مُتَأَخَّــــ, * أَقُمُ على أُخْتَى بَدْء حديثنا وأَنْ تَرْجُا سِرْبًا عِلَاكنتُ أَحْصَرُو(٥) للَّهَا أَنْ تَبْغِيا لَكَ غربًا فقامتْ كثيبًا ليس في وجهها دَمُّ من الحُزْن تُذْرِي عَبْرَةً تَتَحَدَّرُ أَتِي زِائرًا وَالْأَمْرُ لِلأَمِن يُقْدُرُ فقالت لأختبها أعينا عَلَى فَــــتَى فَاقْمِلْتُ إِلَى عَالِمَا ثُمْ قَالَتَا ۚ أَيِّلَى عَلَيْكُ ٱلْهُمَّ فَالْخَطَّبُ أَيْسُ يقومُ فَيَمَشِي بِينَنَا مُتَنَكِّرًا ا فلا سِرُّنا يَفْشُو وَلا هُوَ يَظْهَرُ ثلاث شُخُوص كاعبان ومُعْمِرُ ٢٠٠٠ فكانَ عِجَنَّى دُونَ من كُنْتُ أُتَّـقى أَلَمُ تَتَّقِى الْأَعْدَاءِ والليلُ مُقْمِرُ فَلَنَّا أَجَوْنَا سَاحَةً الحَيُّ ثُلُنَ لِي

⁽١) الربرب: الفطيع من بمر الوحش . الجؤذر بنم الفال وقتحها : ولد البقرة الوحشية .

⁽٢) عزور : موضع بَمَلة .

⁽٣) أبا ديهم: أظهر عليهم .

 ⁽٤) إؤثر: يحكي .
 (٥) السرب ، باقتح : المبدر ، وبالكسر : النفس . أحصر منحصر (كفرح) : ضاق فرها .

 ⁽٣) الجين : النرس ، والمراد هنا مطائق الوقاية في ثلاث شخوس، أنث المدد على المحنى لكلمة شخص لأن المراد به هنا المرأة . المصر : المرأة واهتمت المشعرين .

وقُلنَ أهذا دأبُكَ الدَّهْرَ سَادِرًا أَمَا تَسْتَعِي أَوْ تَرْعَوِى أَو تَسْكُرُ^{ر(۱)} كذلك من خصائصه فى شعره تهوين أمر الحب وتسهيله على الناس ، وجعله سنة الطبيمة منذ خلق الناس ، فيويقول للحبوبته :

وقولى لِنِسْوَانِ كَمْيْنَكِ فى الهوى إذا عَثْلُ إحداهنَّ من وَصَلْمِاعَزَبُّ أَجْنَا اللَّذَى لَمْ يَأْتِهِ النَاسُ قَبْلُنَا فَسَلِمَ مِن الشَّوْانِ والنَاسِينَ أُحبُّ

A

قَوْنْ نَمَنُ جِئْنَا سُنَّةً لَمْ تَسَكُنْ مَضَتْ فنحنُ إِذَا مَمَا يَقُولُونَ أَخْرَقُ وَإِنْ كَانَ أَمِرًا سُنَّةً الناسُ قَبَلْنَا فقيم مقالُ الناسِ فينا تَفَرَّقُوا ؟ أَحَقُ أَبْنَ لَمْ يَهُوا وَيَشْتَقُوا فَنَ ذَا النّبِي إِنْ لَمْ يَهُوا وَيَشْتَقُوا فَنَ ذَا النّبِي إِنْ جَبْتُ مَا أَمُوا به يَبِيتُ بِهِمَ آخَرَ اللّبِلِ يَأْرَقُ ٢٧ فَن ذَا النّبِي إِنْ مِشَعَبَ بَنْ عِد اللّه بِن الرُّبَيْرِ علد من خصائص شعر عمر نيفاً وخدين ميزة ، ولكننا نمذ أكثرها منى اخترعه أو لقظاً وفق إليه أو أسلوباً تلطف فيه ، وليست جميعا من الجسامة بحيث تكون أهولا ثابتة . ومزايا شاخصة .

وبمنا قاله مصعب فيه :

« راق عمر بن أبى ربيعة وفاق نظراءه و برعهم بسهولة الشعر ، وشدّة الأمسر ،
 وحسن الوصف ، ودقة المنى ، واستنطاق الربع ، و إنطاق القلب ، وعطف للساءة على
 العذال ، وقد قاس الهوى وأعلنه وأسره ، وقنع بالرجاء من الوفاء ، واستبكى عاذله ،
 وقض النوم ، وأغلق رهن منى » .

وأنت ترى أن بعض هذه للزايا يشاركه فيها غيره كسهولة الشعر وشد"ة الأسر ،

⁽١) السادر : الذي لايهتم ولا يبالي ما يسبتم .

أى إذا فعلنا ما أمرواً به من عدم اللغاء فنحن الذين سلطني بالأرق والحزن .

وحسن الوصف ، ودقة المعنى ، واستنطاق الربع . و بسفها ليست إلا سبقاً إلى معنى أو اهتداء إلى أسلوب .

فأما السبق إلى المني ، فقوله في عطف المساءة على المُذَّال :

لاَ تَلْشَنِي عَتِيقُ حسبى الذى بى إنَّ بِي يا عَتِيقُ ما قد كَفَانَى لا تَلْسُنِي وَأَنْتَ زَيِّنْتُهَا لى أَنْتَ مِثْلُ الشيطانِ للإنسانِ

كذلك قياسه الهوى في قوله :

وقرِّبْنَ أســـبابَ الهوى لِنُقَيِّم مِنْهِ ذِرَاتًا كُلَّمَا قِسْنَ إِصْبَمَّا وأما ماسبق إليه من لفظ ، فاستعماله تنفيض النوم في قوله :

وَنَفَعْتُ عَنِي النوم أَقبلت مشية الـــــــحُبابِ ورُكْنِي خشية القوم أَزْوَرُ وأما ادعاد انن الزَّير سَنْقَهَ الشعراء في إغلاق الرهن في قوله :

وَكُمْ مِنْ قَتِيلٍ لا يُبَاه به كُمْ ومِنْ غَلِقٍ رَهْنَا إِذَا لَقَهُ مِنَى ^(١) ققد سبقه امرؤ القيس في قوله :

غَلِيْنَ بِرَهْنِ من حبيب به أدَّعَتْ سَلَيْمَى فأَمْسَى حبلها قد تَبَرَّا ولا يفوتنا أَن نَذَكَر أَن عر بن أَبِي ربيعة تلذ في موضوع شعره ، وهو الغزل لامرى القيس ، فأخذ ممانيه ، ولكنه زاد فها كثيراً وحلاها بصبغ للدنية وزبرج الحضارة ، وله فيها حيلة الشياطين ، ورق اللَّمَوْرَذِين (٢٠ في حين أَن امراً القيس بدوى لايرى غير مشرفيه مخلصاً من كل ورطة . وفي الرائية التي مرت بك كثير من للماني تأثر فيها عراسانده التي أوها :

ألاعم صباحًا أيها الطلل البالى وهل يَمِينَرْمنَكان فيالمُصُرالخلل ف ضعريقول :

 ⁽١) قال أبأت فلانا بقلان إذا تتلته به . و عال غلق الرهن في يد للرتهن : إذا مضىوقت استرداده فاستحقه للرتهن . منى : أحد مناسك الحلج . ولفه : أى جمه فيمن جمهم .

 ⁽٢) الشمودة : كُمنة في البد وأخذ كالسحر. والمشعوذ بصيغة الفاعل وللسول: هو الذي يكون منه ذلك.

ونفخت عنى النوم أ قبلت مشيةالـــــــحُباب ورُ كُـفي خيفة القوم أذور وأمرؤ القيس يقول :

سموت إليها بعد ما نام أهلها سمو حَبَاب الماء حالا على حال ولا شكّ عندنا أن امرأ القيس لا يذانى فى بيته هذا ، فإنه معدود من أوابده .

فإن مشية الحياب في قول عمر وإن دلت على النسلل والحذر فيس فيها ما في سمو حباب الماء وصود فواقعه ، وفلك شيء يرى ولا حس له ، وهو في السرعة والانتهاء إلى الغرض لا يقوم مقامه تسير آخر ، وقد زاده قوله حالا على حال جالا لا يعد له جال لذلك كان قول امرئ القيس بحق أشرف تسبيرا ، وأدق تصويراً

ويقول امرؤ القيس:

فلما تنازغنا الحديث وأسمحتْ هَمَـرْتُ بَعْص ذى شمار مِعْ مِيَّال وصرنا إلى الحسنى ورق كالامنا ورُضْتُ فذلَتْ صعبةً أيَّ إذلال

ويقول عمر :

ثم قالت وسامحت بسد منه وأرتنى كفاً تزين للسّدوارا إلى آخر الأبيات السابقة فى أول الترجمة ، وامتياز عرظاهم فى تفصيله القول ، وحكاية الحال ، و إباحته المطلقة فحين يقول امرؤ القيس : « «فذلت صعبة أى إذلال » « قول عمر : « « أرتنى كفا تزين السوارا » «

فِيلها هي البادية بالنزل ثم يقول: « « فتناولتها فالت كنسن » « فيله: فيصر و بكشف ما ستر امرؤ التيس في قوله:

« ذلت أى إذلال » ، فيقول: « « ثم كانت دون اللحاف .. » في قول الرمانة اللحاف .. » في قول الرمانة القبي عندا المفاش في قول الرمانة القبي عندا ما وعلى خلاف ذلك قول عر، قيه الخيال الواسع والإطناب الواقى والإفخاش الذي لأحماب دونه ، ولا تورع معه .

ويقول امرؤ القيس:

فيالك من ليل كأن نجومه بكلّ مُعَارِ الفتل شدَّت بِيَذَبُمُرِ ويقول عمر :

فيالك من ليل تقاصر طوله وماكان ليلي قبل ذلك يقصُرُ وبيت أمرئ التيس فى موضوعه لا يضارعه بل لا يكاد يدنو منه بيت عمر فالقوة ظاهرة فيه، والتشبيه محكم، وبيت عمر خال من كلّ ذلك .

ويقول عمر :

وقالتُّ وَعَشَّتْ بِالبَنَانِ فَضَغَّتَنِي وَأَنت امرؤ ميسور أَشْرِكَ أَعْسَرُ أَرْبِئَكَ إِذْ هُنَّا عَلَيْكَ أَلَمَ تَخَفَّ رَقِيبًا وَحَوْثِي مِنْ عَدُوَّكَ خُضَّرُ ويقول امرؤ النيس :

فقالت سَبَاكَ اللهُ إِنَّكَ فَاضِعِي أَلَسْتَنَرَى الثَّهَارَ وَالنَّاسِأَخُو الِي وفي قول عمر أثر للحضارة ، واتساع معانيها ، والتلاعب بألفاظها .

ويقول عمر :

فَكَانَ عِجَّى دَونَ مَنْ كُنْتُ أَتَّتِي ۚ ثَلَاثُ شُخُوسٍ كَاعِبَانِ ومُعْصِرُ ويقول امرؤ التيس :

أَيَّةُ تُلُّفِي وَلَلَشْرَفِيُّ مُضَاجِعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرُقُ كَأَلِيْكِ أَغْوَالِ فلماً عر إلى الحيلة في فواتهم، وهذا فضل حضارته على بداوة امرئ القيس.

طرف من أخباره

كان عمر محبًّا للثريًّا بنت عبد الله بن أمية الأصغر ، وكانت حرية بذلك
 جالا وتماما، وكانت تصيف بالطائف ، وكان عمر يفدو كلَّ غداة من مكة يسأل الركاب

الذين يحمارن الفاكمة من الطائف إلى مكة عن الأخبار ، فلقي يوما بعضهم فسأله عن أخبارهم قال: يما الساء (فحب عنى أخبارهم قال: ما استعلى أخبار إلا أن امرأة من قريش اسمها نجم في الساء (فحب عنى اسمها) قد مانت ، فقال له عمر الثريا، قال: نسم ، وكان قد بلغه قبل ذلك أنها عليلة ، فوجه فرسسه إلى الطائف يَرْ كُفُه ملْ ، فروجه حتى انتهى إلى الثريا ، وقد توقيته ، وهي تشوّف له وتنشوّق ، فوجدها سليمة ، ومعها أختها ، فأخبرها الخبر ، فضحكت وقالت : أنا والله أمرتهم الأخبر ما عندك ، وفى ذلك يقول عمر :

تَشَكَيُّ الكُمْتِيْتُ الْمُرْىَ لَلَ بَجَدْنَهُ وَتَبِيِّنَ لَوْ يَسْطِيعُ أَنْ يَشَكَلًا فَقَلَتُ لَهُ إِنْ كُلِّ وَتَسْسِلُمَا فَلَ عَلَمَ الْحَالَ وَتَسْسِلُمَا لَا فَلَ الله الله سَلَالَ علمتُ إِذَا وَقُوى وفارقتُ مُهْتَجَى الله لَمْ الْقِلْ فَرْقًا إِن الله سَلَالَ الله سَلَالَ الله سَلَالَ الله سَلَالَ ويُكُر مَنَا الله عَلَى دون خَيْسِلِهِ الله ولي ومعه امرأته وكانت جيلة ، فينيا هي تطوف إذ عرض لها عر ، فأنت أبا الأسود فأخبرته ، فأناه أبو الأسود فاتبه ، فقال له عمر : ما فلت شيئا ، فلما عادت إلى المسجد كلها ، فأخبرت أبا الأسود ، فأناه في المسجد ، وهو جالس مع قوم ، فقال له أبو الأسود :

وَ إِنِّى لَيَشْنِينِي عن الجهل والخُمَنَا وَمَنْ شَنْمٍ أَفْوَامٍ خَلَائِقُ أَرْبَعُ حياه وإسلامٌ و بُقيًا وأنَّنِي كريمٌ ومثلى قد يَمُثُرُ ويَنَفُهُ^(٣) فَشَتَّانَ مَا بَنْنِي وبَيْنُك إِنَّنِي كَلَى كُلِّ حَالٍ أَسْتَقَيمُ وَتَقَلَّمُ^(٣) فقال عمو : لست أعود لكلامها بعد اليوم ، ثم عاد فكلها ، فأنت أبا الأســـود ، فأخيرته ، فجاء إليه ، وقال :

 ⁽١) أثل : مضارع قال بمنى سكن وهدأ وقت الفياواة (الشهر) . قرن : موضع يسمىقرن المنازل يذكره عمركتيماً فى شعره ، والمعنى طى الظرفية : أى أقل فيه .

⁽٢) البقياً : الاشفاق وُالرحمة .

 ⁽٣) ظلم (کنفع) عرج وشمز فی مشیعه .

أَنْتَ الفَّقَى وابْنُ الفَّقَى وأَخُو الْفَقَى وسَـــــيَّذُنا لَوَّلاَ خَلاثِقُ أَرْبَعُ نُكُولُ عَنِ الْمُلِّلَ وقُرْبٌ من الخَنَا وبخُلُّ عن الجَدْوَى وأَنَّكَ تُبَعُ⁽⁽⁾ ثم خرجت ومعها أبو الأسود مشتملا على سيف ، فلما رآها عمر أعرض عنها ، فتمثل أبو الأسهد :

تعدو الذئاب على من لاكلاب له وتَتَقِى صَــوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الحالى ٣٣ وتَتَقِى صَــوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الحالى ٣٣ واعد عمر نسوة من فرج إليهن ومعه الغريض ، فتحدثوا مليا ، ثم مطروا ، فقام عمر والنريض وجاريتان النسوة ، فأطلوا علين بمطرف و بردين له حتى استنرن من المطر إلى أن سكن ثم انصرفن ، فقال له النريض : قل في هذا شعراً حتى أتنفى فيه ، فقال عمر :

أَلْمُ تَشَالُ النَّذِلَ التَّفْرِ اللَّهِ اللَّهِ الْمُنْ الشَّجْوِ الْمَنْدُ الْمُنْ الْمُنْجِو الْمَنْدُ كُرُا ذَكَرْتَ به بعض ماقد شَجَاكَ وحُن النَّهْ وَبُرْ دَيْنِ أَلَن يُمْلَرُ السَّمِينِ السَّلِينِ السَّمْ اللَّهِ اللَّهُ اللَّهِ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللللْمُنِيْمُ اللللْمُنِيْمُ الللَّهُ اللْمُنْفِقُولَ الللْمُنْ الللْمُنْ اللَّهُ الللِهُ الللْمُنْ اللَّهُ الللْمُولِيَّةُ اللللْمُنِيْمُ اللَّهُ اللللْمُنْفِقُ الللْمُنِيْمُ الللللَّهُو

⁽١) التبع: من يتبع النباء .

⁽٧) البيت للنابلة . وقد أدخله الزيرةان في شعره . قال ابن سلام : سألت بونس عن البيت قال : هو للنابلة وأطن الزيرقان استزاده في شعره كالمثل حين جاء في موضعه ، والعرب تصل ذلك لاتربدون السرقة .

⁽٣) الموهن : الثلث الأول من الليل ، أو بعد ساعة منه . (٢) العرب الذي الدارس المراكب الدارس المراكب المراكب المراكب المراكب المراكب المراكب المراكب المراكب المراكب ا

 ⁽٤) الله : البناء المسم ، والمراد منا بين الحي لأنهاعادة تكون كفك أو المراد بها الحيام . أعلم وصف العبطس : أى ذى رمل أحمر .

 ⁽a) عَنى الدّيل الأثّر : عاه . نقر الأثر : افتفاه وتنبعه والثقدير في توله أن تضرا ؛ خوف ذلك
 ١٠ - أدب - ١٠ أدب

عَهَاتَانِ شَــــــيَّمَتَا جُواْذَرًا أَسِــــــــيلاً مُثَلِّمُهُ أَخُورَا وقُمْنَ وَقُلْنَ لو أَن النها وَ مُدَّلَهُ الليــــلُ فاســـتأخرا قَصَيْنَا به بعض أَشْجَانِناً وكان الحَدِيثُ به أَجْدَرًا

3 — عتبت الثرياً على عمر الأنه مدح رملة (وكانت قبيحة بخيمة الوجه عظيمة الأخف) ، وكان من حديثها أن تزوجها عمر بن عبد الله بن ممر وجمع بينها وبين عاشة بنت طلحة ، قتال بومًا لمائشة : فعلت في محاربة الخوارج كذا وصنعت كذا فقالت له عائشة : أنا أعلم أنك أشجع الناس ، وأعرف الك بومًا أعظم من هذا اليوم الذى ذكرته ، وهو يوم اجتليت رملة ، وأقلمت على وجها وأنها . فلما قال عمر ابنى ربعة فى رملة :

وجــــلا بردُها وقـــد حَسَرَتُه ُ نُورَ بَدْرٍ يُعْجِيهِ للناظرينا قالت الثُّرَيَّا : أُفرِّ له ما أكذبه أو ترتفع حسناه بَسْفته لهــا بعد رَثلة ؟ ولـكن ابن أبى عتيق توسط ما بين الثريا وعمر حتى عادت إلى الرضا ، وقد قص عمر قستها هذه في قوله :

قال لى صاحبي ليعلم مابي أنحيث الفتكول أخْت الوجاب (١) قات وَجْدِي بها كَوَجْدِكِ التَّذُ بِ إِذَا مَا مُنِيثَ طَمْم الشَّرَابِ مَنْ مَنْ تَنَافِ إِلَّهُ فَيْقَ فَرْقًا بِهِجْدِها والكِتَاب (١) أَزْمَقَتْ أَمُّ نُوفَا إِذْ وَعَنْها مُؤْجَبَ عَم مالقاتل من مَتَاب (١) حين قالت أبر الخطّاب حين قالت أبر الخطّاب فأجابت عند الدعاء كما تَبْسب مِدجال يَرْجُونَ حُسْنَ الشُّواب أبروها مشدل المَاة تَهَاكَ يين خس كواعب أتراب أبروها مشدل المَاة تَهَاكَ يين خس كواعب أتراب

 ⁽١) التتول: صيغة مبالفة من الفتل. الرباب: جم ربابة بمنى السحابة .
 (٢) والكتاب: قسم بالفرآن .

⁽٣) أَمْ نُوفُلُ كَانِتَ تَتَلَطُّفُ لَسِرَ عند النَّرَا فلما دعتها لصلحه فلم تجبِّها النَّرَا كادت تزحق روحه .

وَهِي مَكَنُونَةُ تَعَسَسَيْرٌ مَنها فَي أَدَيْمِ الْخَدَّيْنِ مَاهُ الشّبابِ

دُمْيَةٌ عند راهب ذي اجتهاد صَوَّرُوها في جانب المُعْرَاب
ثم قالوا تُحَيِّمًا قُلْتُ بَهْرًا عَدَدَ النَّجْمِ وَالْحَمَى وَالْتُوّابِ
أَذْ كَرَتْنِي مِن بَهْجَةِ الشَّيْسِ لَمَّا طلعتْ مِن دُجْنَّةِ وَسَحَابُ
فَارَجَحَنَّ مِن حَسْنِ خَلْقِ تَمِيمِ
فَارَجَحَنَّ مِن حَسْنِ خَلْقِ تَمِيمِ
فَارَجَحَنَّ مِن حَسْنِ خَلْقِ تَمِيمِ
مَعْمَتْنِي بَمِّاجَةُ المِسْسَكِ عَقْلِي فَسَسَلُوها مَاذَا أَحلُّ اغتصابي (٢٠)
فَصَدَتْنِي بَمِّاجَةُ المِسْسَكِ عَقْلِي فَسَسَلُوها مَاذَا أَحلُّ اغتصابي (٢٠)
فَصَدَتْنِي مَنْ المَرْقُلُو والثَّرْ رِسِخَابًا واها له من سِخاب (١٠)

وفاة عمر

اختلفوا فى موته ، فبعضهم يقول : إنه مات سنة ٩٣ هـ ، فيكون عمره سبعين سنة ، و بعض يقول : إنه عاش تمانين سنة ، فيكون قد مات سنة ١٠٣ هـ ، و يكون خبر لقائه لعمر بن عبد العزيز سحيحًا لأن عمر بن عبد العزيز لم يقول إلا سنة ٩٩ هـ .

و پروی أنه لما مات اشتد الحزن على جارية حبشية بمكة ، وراحت نحو المدينة أشد ما تكون حزنا و إعوالا ، وهى تقول من لمكة وشبابها وأباطحها ونزهها ، ووصف نسلتها ، وحسن جمالهن بعد عمر ، فقالوا لهما : خفنى عليك فقد نشأ من يأخذ مأخذه ، ويسلك مسلكه يعنون الترجي ، فقات : أنشدوني من شعره ، فأنشدوها :

إِنِّي وَمَا نَحَوُوا غَلَمَا اللَّهِ مِنْى عند الْجِمَارِ تَوُّودُهُ النَّمْلُ (٥٠)

⁽۱) همرا : أى بهرنى حبها بهرا أى غلبى . وقبل إن بهرا متناه تبا لسكم على لومكم لى فى حبها قدى كلة دعاء عليهم .

⁽٢) ارجعن : مال واهتز . عميم : تام . الحباب : الحية .

⁽٣) مجاحة : صيغة مبالغة ، من مع المميء بمعني لفظه من فيه ، يسبى أنها لطب نكهة فها كأبما تمج منه مسكا .

⁽٤) السِمَابُ : القلادة . واها لكذا :كلة تسبب بمسى ما أحسنه .

 ⁽٥) المقل : جم مقال، وهو ماثليد به العابة والأصل في الجنع مثل بنشيتين وسكر تحقيقاً للمصرو يصبح ضبطها المقل بالفتح (كبحر) والمني يثقله الحبس .

لو 'بُدَّلَتْ أَعلى منازلها سُفَلًا وأصبح سُمُلُهَا يعلو فيكاد يَشْرِفُها الخبيرُ بِهَا صَدِيرُدُه الإقواء والمَفلُ (٢٠ لمرفَّتُمُنْفَاها بِمَا احْتَمَلَتْ منى النطوعُ لِأَهْلِهَا قَبْلُ (٢٥ فيسحت عينها وضحكت وقالت: الحد أنه الذي لم يُفتَيِّم حَرَّمَه .

جــــر ير

[نسبه] : هو جرير بن عَطِيَّة بن الخَلَطَقُ (٢٠ ، والخَلَطَقَى هو حُذَيْعُة بن بدر ، وينتهى إلى نزار ، وكنية جرير أبو حَزْرة . وأمَّ جَرِير بنت صد بن حُمَير ، وينتهى إلى يَرْمُوع ، وأم عطية هى النّوار بنت يزيد ، وينتهى إلى كُلَيب .

وجرير من كليب وكليب من يَرْ ْوعِ وير بوع من بنى تيم ، وتيم من مضر، ومضر تنتهى إلى عدنان ، وهذا هو الذي جعله يقول فى مفاخرة الأخطل :

إن الذَّى حرمَ للكادِمَ تقلِب جَمَل الحَلافَةَ والنبوَّةَ فينا مُشَرُّ أَلِي وَأُولُلُوكُ فِلْ لَكُمْ هذا ابنُّ مَّى فَدِمْشَقْ خَلِيفَةً لو شَتْ سَاقَكُمْ إِلَى تَعلَينا

[نشأته] : ولد باليمامة (٤٥ سنة ٤٢ ه فى خلافة عثمان وقيل إنه ولد لسبعة أشهر ، و إن أمه رأت قبل ولادته كأنها ولدت حبلا أسود ، فلما سقط منها جمل ينزو ويقم

⁽١) الاتواء : عفاء الدار . الحُل : الجنب .

⁽٣) المننى : المتذل الذي غنى بأمله ثم ظمنوا عنه ، أومام .

 ⁽٣) غلب أنحطق على جد جرير أوقوع هذا الفظ في شعر أه . ومنى الكلمة السير السريم .

 ⁽٤) كان توم جرير ينزلون بمرية حجر من ترى السامة بالجنوب المعرق من مجد (وهي السابة الان بالراض) .

فى عنق هذا فيخنقه حتى فعل ذلك برجال كثيرة ، فانتبهت فزعة فأولت الرؤيا ، فقيل لهـا تلدين غلاما شاعرًا ذا شرّ وشدّة وشكيمة و بلاء على الناس ، فلما ولدته سمته جريرًا ، وهو الحبل ، وجملت ذلك رمزًا إلى رؤياها .

نشأ باليمامة أعرابيًا بدويًا تقيراً يرعى لأبيه غنيات له من الضأن والمرى ، وكان فى أخلاقه حبّ الانتقام والإسراف فى العداوة ، والميل إلى الشرّ مع خوف وجبن من أعوان السلطان ، وكان مع ذلك ديناً كثير الصلاة والاستنفار عفيفاً ، و إن كان دينه لم يمنمه من قذف المحصنات فى سبيل هجاء قومهن .

وما زال جرير بالبادية حتى قال الشعر ، ثم قدم الشام على يزيد بن معاوية ، وهو وليّ عهد ، ومدحه بقصيدة منها :

وإِنَّى لَمَثُ الْفَنْ ِ مُشْتَرَكُ الْفِنَى صَرِيعٌ إِذَالْمَ أَرْضَ دَارَى انْعَقَالِياً جَرِى الْجَفَانِ لاَأْهَابُ مِنَ الرَّتَى إِذَا مَاجَمَلْتُ السَّيْفَ قَبْضَ بَنَانِياً وَلَيْسَ لِسَتْنِي فِي الْمِظَامِ رَقِيَّةٌ وَلَسَيْفُ أَشْرِى وَفَفْةً مِنْ لِسِتَانِياً

وحدث أن يريد كتب بهذه الأبيات إلى أبيه معاوية فى معرض معاتبة ، ولم ينسبها إلى قائلها ، فظن أبوه أنها له ، فلما صار يزيد خليفة استأذن عليه جرير ، فقال له الحاجب : إن أمير للؤمنين يقول : لايصل إلينا شاعر لانسرفه ، ولانسع بشىء من شعره ، وماسممنالك بشىء فنأذن لك على بصيرة ، فقال جرير قل لأمير للؤمنين إلى المقائل ، وذكر الأبيات السابقة فرفه يزيد وأذن له فأندده ، واستحق جائزته وقال له : والله لقد مات أبى ومايظن أبياتك التي توسلت بها إلى إلا لى

ثم كان يقدم البصرة للميرة ، فرأى مايتمتع به الفرزدق ، (وهو تميمى مثله) من عطايا الخلقاء ، فنفس عليه منزلته وودّ لو يغلبه على مكانته ، فاتصل التهاجى بينهما ، ولكن قول الفرزدق كان أشيع الإقامته بالبصرة مجم العرب والزوم جرير للبادية وظل جرير يهجو الفرزدق عشرسنين وهو مقيم بالبادية والفرزدق بالحاضرة فكان شعره أشيع . ثم مازال بنو يرموع قوم جرير يرغبونه في سكنى للصرحتى يشيم لهم ذكر بما يجرى على لسان شاعرهم من مفاخرهم والتنويه بمكانتهم ، فقدم جرير البصرة وفيها اتصل بالحجاج ، وشاع شعره فشرق وغرب حتى وصل إلى الخليفة عبد الملك . أقلمه عليه الحجاج مع ابنه محمد ، وصار من شعراء الخليفة ، وكان عطاؤه أربعة آلاف درهم فى العام .

مهاجاته للشعراء

قال الأصمى : كان ينهش جريراً ثلاثة وأر بعون شاعراً ، فيبذهم وراء ظهره ، ويرى بهم واحداً واحداً ، ومنهم من كان ينفخه فيرى به ، وثبت له الفرزدقب والأخطل ، وكان من هاجى جريراً فغلبه جرير أرجع عند الناس بمن هاجى شاعراً آخر فغلب .

ولقد سأل رجل جريراً: من أشعر الناس ؟ فقال له: قم حتى أعرفك الجواب ، فأخذ بيده وجاء إلى أبيه عطية ، وقد أخذ عنزاً له فاعتقلها ، وجعل يمعن ضرعها ، فصاح به : اخرج يا أبت ، فحرج شيخ دمم رث الهيئة وقد سال لبن المنز على لحيته ، فقال له : ألا ترى هذا ؟ قال : نم . قال : أو تعرفه ؟ قال : لا . قال هذا أبى . أفتدرى لم كان برضع المنز ؟ قال : لا . قال : كان برضع المنز ؟ قال : لا . قال : كان يرضع المنز ؟ قال : لا . قال : غافة أن يسمع صوت الحلب فيطلب منه اللبن . ثم قال : أشعر الناس من فاخر بهذا الأب ثمانين شاعراً فنالهم جميهاً .

وأسباب مهاجاته للشعراء قد وردت فى حديثه مع الحلجاج حين قدم عليه من قبل الحكم من أبوب الثقنى، فإن الحجاج أكرمه وكساه وأنزله بكبغه فأقام أيَّاما، ثم يعث إليه بعد نومه ، فلما دخل عليه قال له : إيه يا عدو الله ! علام تشتم الناس وتفلهم ؟ فقال : جعلت فداء الأمير . إنى والله ما أظلهم ، ولكنهم يظلموننى فأنتصر ، مالى ولابن أم غَسّان ، ومالى والمبيث ، ومالى والفرزدق ، ومالى وللأخطل حتى عدهم واحداً ؟ واحداً ؟ فقال الحبواج : ما أدرى مالك ولهم . قال : أخير الأمير أعرَّه الله : أما غسان ابن ذُهَيْل فإنه من قومي هجاني وهجا عشميرتي ، وكان شاعرًا ﴿ قَالَ الْحَجَاجِ : فَمَا قال ؟ قال :

لَمَنْوى لَئِنْ كَانَتْ بَجِيلَةُ زانها جريرٌ لتدأُخْزَى كُلْيَبَّاجَرِيرُها رَمَيْتَ نِضَالاً عِن كُلَيْبِ فَقَصَّرَتْ ﴿ مَرَّ امِيكَ حَقِّى عَادَ صِفْراً جَغِيرُ هَا (١) ولا يَذْبَحُونَ الشَّاةَ إِلَّا بِمَيْسِرِ ﴿ طُولِلَّا تَنَاجِبِهِا صِفَارًا قُدُورُهُا ٢٠٠ قال: في قلت له ؟ قال:

ألا ليت شعرى عن متليط ألم تجد ستليطٌ سوى غَسَّانَ جارا يُجيرُها(٢) فقد صَمَّنوا الأحساب صاحب سَوْ مَق يناجى بها نفسا خَبيثاً ضميرُها فما فى سَلِيطٍ فارسٌ ذو حنيظة ومَثَقِلُهَا يوم الهياجِ جُنُورُها(٤)

قال : ثم من ؟ قال البَمِيث . قال : ف الله وله ؟ قال : اعترض دون ابن أمّ غسان ليفضله على ويُعينه . قال : فما قال لك ؟ قال :

كُليبٌ لِنَامُ الناس قد تَعْلَمُونه وأنْتَ إذا عُدَّتْ كُليبٌ لئيمها لَتَى مُقَمَّدُ الأَحْسَابِ مُنْقَطَمٌ به إذا القوم رامو خُطَّةٌ لايَزُومِها^(٥) أترجو كليب أن يَجِيء حَدِيثُها ﴿ يِخَدُّرُ وَقَدَ أَغْيَا كُلَّيْبًا قَدِيمُا

قال: في قلت له ؟ قال:

بصًّا، لا يَرْجُو الحياة أميمها(٢)

ألم تَرَ أَنَّى قد رَمَيْتُ ابن فَرْتَنَى

⁽١) الجدير : جبه من جاود لاخف فيها ، أومن خف لاجاود فيها: الرامي السهام واحدها مرماة. صفراً : حال ، والمني أن جعبة سهامه خلت من السمام وهو لم ينل بعد مأرياً .

⁽٢) يمول يشتركون في الشاة كما يشترك الأيسار في الجزور . التناجي : التفاور .

⁽٣) سليط: هم بنوعم جرير وكان غسان بن ذهيل سيده .

⁽٤) المقل: اللجأ. الهباج بالكسر: الحرب. جنور: جم جنو بالفتح، وهو ماييس من العذوة في السبر: أي الدبر.

⁽٥) اللتي اللتي اللهمل.

⁽٣) الفرتني : الرأة القاجرة . الصاء : الداهية الشديدة . الأمم : الذي شبت أم رأسه.

لَهُ أَمُّ سَوْه بِنْسَهَا قَدِّسَتْ له إِذَا فَرَّطَ الْأَحسابَ عُدَّ قَدِيمها (') قال: ثم من ؟ قال الفرزدق . قال: فمالك وله ؟ قال: أعان البميث على ". قال: فما قلت له ؟ قال:

تَكَنَّى رَجَالٌ مِن تَمِم لِيَ الَّذِي وَمَاذَادَ مَنْ أَحَسَابِهِم فَائَدُ مِثْلِي '' كَأَيُّهُمُ لا يَشْلُونَ مَوَاطِلَسِنِي وقد جَرَّبُوا أَثِّى أَنَا السابق الْجَلِّي '' فلا شاء قوى كان حِلْمَى فَهِمُ وكان على جُتَالٍ أَعْدَاشِمُ جَبَّلِي وقد زَعُمُوا أَن الفرزدق حَيَّةٌ وما قتل الحياتِ من أحدٍ قَبْلِي قال : ثم من ؟ قال : الأخطل . قال : ماك وله ؟ قال : رشاه محمد بن مُحَير بن مُعلارِدٍ

قال : تم من ؟ قال : الاخطل . قال : مالك وله ؟ قال : رشاه محمد بن عمير بن عَطارِدِ زِقا من خر ، وكساه حلة على أن يفضـــل علىّ الفرزدق ويهجونى . قال : فمــا قال لك ؟ قال :

أَخْسَأُ إِلِيكَ كُلَيبُ إِن مُجَاشِيمً وَأَبَا الفوارس نَهْشَــلاً أَخْوَالُو (*)

وإذَا وَرَثْتَ الماء كَانَ لِنَارِمِ جَمَّـــاتُهُ وسُهُولَةُ الأَعْمَالُو (*)
وإذَا قَذَمْتَ أَبَاكُ في مِيزَانِيمْ رَجَعُوا وَشَالَ أَبُوكُ في للِيزَان قال: ف قلت له ؟ قال قلت:

ياذا النَّبَاءةِ إِنَّ بِشْرًا قد قضى ﴿ أَلَّا تَجْوِز حَكُومَةُ النَّشْـــوان ٣٠

 ⁽١) أى إذا فرط في أحساء عد التاس لأنسم أحساء قديمة ، ويروى إذا فارط الاحساب أو فرط الاحساب (بالتعريك)والراد ماضيها

 ⁽٣) ربال من يم : يرد الفرزدق والبيث وحمرو بن لجأً وخسال بن ذميل السليطى والمستنير
 إين حمرو وحو البليم.

 ⁽٣) السابق الحلى: هذا السابق الأول ، ويروى المبلى: أي الذي أبلى بلاء حسناً .

 ⁽³⁾ قال أدّمب إليك: أى اشتمل بنسك ، قلوله هنا: اخسأ إليك أى أجمد مفتنلابنسك غبر متصل بأحد لخلائك ، وبجاشع ونهشل من آباء اللهرزدق .

 ⁽٥) ودارم أبوه الأطل. جَانَه الله : جم جة وهو ما تجمع في البئر منه . ومراده بقوله : جانه أنهم ذو الأولية في السقاية لمنظم مكانتهم فلا يجرق أحداث يثقدمهم إلى الماء .

⁽٦) ذو البادة: هوالأخطل، وكان يليس الساءة وهي من مسوح النصاري . بصر هو بصر بن مروان

فَدَعُوا الحَـكُومَةَ لَسْتُمُو من أهلها إنَّ الحَـكُومَةَ فى بَنِي شَيْبَانِ^(١) قَتَلُوا كُلَيْبَكُمُ بِلَقْتَةِ جارهِ يا خُرْر تغلب لَسْنَم بِهِجَانِ^(١) قال : ثم من ؟ قال : الراعى . قال : مالك وله ؟ قال : قدمت البصرة ، وكان بلغنى أنه قال فيّ :

يا صاحبيّ دنا الرواحُ فســـيرا غَلَبَ الفرزدقُ في الهجاء جريرا

فَنُمْنَ الطَّرْفَ إِنَّكَ من تُكثِر فلا كَمْبًا كَبَثْتَ ولا كِلابا وسنفصل حديث هذه القصيدة عند رواية شعر جرير .

وما زال الحجاج يسمر بحديث صاحاته للشعراء حتى طلع الصبح، وقد قال في شأنه : قاتله الله أعرابيا إنه لجَرُوْهُواش .

والواقع أن هذه الأسباب ليست هي الأسباب الجوهرية التي تدعو المداوة ، وقضاء المسر في المشابحة ، ولكن السبب الحق هو الرغبة في الشهرة إذ كانت رواية الشعرشاشة ، ومجالسه كثيرة ، وأسواقه زاخرة ، وإنماكان موضوعها الهجاء دون غيره لما تعلم من شبوب نار المصيبات بين قبائل العرب إبان هذه الدولة على مافصلناه لك في مواضع سابقة .

وموضوع هذه للهاجاة على الجلة هو مثالب القبائل ، وما أخذ عليها فى سابق أيامها من بخل وجبن ، و إخفار للذمام ، و إضاعة لحق الجوار ، كذلك الأحراض ، فقد سبت. الأمهات والبنات ، ورمين بالفحشاء ، ولقبن أشنع الألقاب ، وكان نصيب الآباء من.

ابن الحكم ، أخو عبد اللك : النشوان : السكران يسيم بمـا رشاه به عجد بن مطاود من زق. الحر والحلة ليفضل عليه الفرزدق .

⁽١) بنو شيبان من بكر . والأخطل تنلبي ، وكانت بين بكر وتنلب عداوة ومنافـة .

⁽٧) كليب هو الفارس للمهور الذي من أجله فامت حرب اليسوس وهو تغلي يجتم مع الأخطل.
في قبيلته . اللاحة : الثالثة والمراد بها هنا ثاقة اليسوس التي من أجلها فامت الحرب بين بكر وتغلب . الحرر : جمح أخرر، وهو الذي فيهينه ضيق وذلك كناية عن المؤم الهجان : الحيار .

ذلك موفورًا ، فقد رمواكذلك بالفحشاء ، وسبوا بمسبات انساء . كما نسبوا إلى الضعة والامتهان بتناول الصناعات ، وهى فى نظر الأعرابى سبة وشنمة ، وقد أكثر جر ير من تلقيب أبى الفرزدق بالقين (الحداد) .

وقد كان انعربى إلى ذلك الحين يترفع عن الصناعات ، ويرى أنه لا يليق به إلا الجالفة بالسيف ، والتقدّ مأمام الصفّ .

ومن أمثلة هذه الأهاجي في كلام جرير ، قوله يهجو التُّيمُ :

إذا عُدَّ السّكرامُ وجدت تَنَيًّ مُنَاكَتَهُمُ وَصَدَّرُهُمُ اللّبابَالِالِهِ النَّبَ لِيس بِخندُ فِي الرابَ سوادُ لونكم أَرَابالاللهِ النَّبِي لِيس بِخندُ فِي أَراباللهِ وبين سَوادِ أَعينهِم كِتَاباللهِ عَرَى اللهِ مِن سَبال تَبْهِ وفي صَنْعًاء خَرْزَهُمُ اللّبابَاللهِ وَمَ عَلَمَ أَرَاباللهِ وَمَ عَلَمَ أَرَاباللهِ اللّبَاللهِ وقي الْمُنْ لِيمِ عَلَمَ أَرَاباللهِ اللّهَابَاللهِ اللّهَ اللّهَ اللّهُ الللّهُ اللّهُ اللللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ الللّهُ الللّهُ الللّهُ اللللللّهُ

وقال يهجو الفرزدق :

أَلَشْنَا لِلْمُجَاوِرِ نَعْنُ أَوْنَى وَأَصْبَرُ عِنْدَ مُعْتَرَكِ الضَّرابِ

⁽١) التغالة من الدقيق : ماييق منه بعد نخله .

 ⁽٣) خندنى": منسوب إلىخندف ، وهى للى بنت حلوان وهى زوج إلياس بنمضر ولعت منه مدركة وطابخة وقمة . أراب الصى : بان فيه مايريب .

 ⁽٣) السال : جم سبلة وهى شعر الشارب، وجمله الثرم بين شواربهم وأعينهم: أى إنه ظاهر على
 وجوههم كأنه كتاب مفتوح يقرأ فيه من ينظر الميهم .

 ⁽٤) الحرز: الحياطة بالمحرز . الساب : جم عيبة وهى الحقيبة .

⁽٥) الحنو بالـكسر: موضع، أراب (مثلثة الهنزة): موضع.

 ⁽٣) الثقاب : الطريق في الأرض النطيطة ، أوهى جم شب ، وهو الطريق بين جباين .

وَحَالَ الْرْبِعَاتُ مِنَ السَّحَابِ(١) وَأَحْمَدُ حِينَ يُحْمَدُ بِالْقَارِي أَ قَمْنَا يَوْمَ طَغْفَةَ قَدْ عَلِمْتُو صُدُورَ الْكَيْلِ تَنْعَطُفِ الحراب وَعُزْ نَا يَوْمَ ذِي نَجَبَ وَعُذْتُمُ بسَمْدِ يوْم وَاردَةِ الكَكُلاَبِ^{CP} وَيَرْ بُوعٌ هُمُو أَخَذُوا قَدِيمًا عَلَيْكَ مِنَ لَلَكَارِمِ كُلُّ بَاب فَلَا تَفْغَرُ وَأَنْتَ كُجَاشِعِيٌّ خَيْبُ الْقَلْبُ مُنْهَدَكُ الْعَجَابِ(٢) إِذَا عَدَّتْ مَكَادِمَهَا تَمْحٌ ۚ كَفَرْتَ بِمِرْجَلِ وَسِقَرْ نَابِ ﴿ ﴾ لَقَدْ أُخْرَاكَ فِي نَدَوَاتِ قَيْسٍ وَفِي سَمَّدِ عَيَاذُكَ مِن ذُباب قَدُومٌ غَيْرُ ثَابِتَةِ النَّصَاب وَسَيْفُ أَبِي الفرزدق فَأَعْلَمُوه إِلَى كَمْبِ وَرَابِيَـنَىْ كُلاب أَتَجْمَلُ بِافْرَزْدَقُ كَيْنَ لَيْنَلِ وَفَى غَطَفَانَ فَاجْتَنْبِوا جِمَاهُمْ لَيُوَّتُ ٱلْحَرْبِ فِي أَجَهِرُ وَغَابِ إذا ركبوا وخيل بني الحُباب أَلَمُ ۚ تَسْمَعُ بِخِيلِ بَنِي نُفَيْلِ مُمُو قَدَلُوا بني جُشَمِ بْنِ بَكْرِ لِبَدِّي بِلَدِّي بِلدِّي مِد يوم قُرَى الرَّوَابِي وقال كذلك يهجوه :

كَذَّبِ الفرزدقُ لَنْ يُجَارِى عامِرًا يوم الرَّحان بَقُرْفِ مَبْهُورٍ ٢٠٠٠

 ⁽١) المقارئ: "بيم مترى، وهو مكان الفرى أو أداته . حال: تدير . المربعات : السحب تمطر بالربيع
 والجله حالية أى وقد حال أحر السحب فلم تمطر، أى نحن نجود فى أيام الجدب .

 ⁽۲) برید قابوس وحسان ابنی التفر أسرتهما بنو بربوع فی یوم طخفة .

 ⁽٣) عزاً : اشتدداً . ذو عب: واد لهارب وله يوم مو هذا .

غيب القل : جبان .

 ⁽ه) تميم : ﴿ نوم جرير ، يمول إذا عدت تميم مكلومها الكتيرة التي لاتتحى عند حد إلى مكارم قوم الدرزوق تتحم عند إطعام الضيفان .

 ⁽٢) المقرف (بسيئة اسم الفاعل) مر الحيل والانسان: ما كانت أمه عربية وأبوه غيرعربي . للبهور:
 الفسلوح النصي .

فَانْهُ الفرزدي أن يَميبَ فوارسا حَمَــلُوا أباه على أَزَبَّ نَفُور⁽¹⁾ وللد جَهِلْتَ بِثَنَمْ ِ قَيْسٍ جد ما ﴿ ذَهَبُوا بِرِينَ جَنَاحِكَ المُكسورِ ٣٠ قَيْسُ (وَجَدُّ أَبِيكُ فِي أَكْيَارِهِ) قَوَّادُ كُلِّ كَتِيةٍ جُمْهُور ٢٠٠٠ لن تُدْرِكُوا غَطَفَانَ لَوْ أُجْرِيثُمُ ۚ يَا بْنَ التَّيُونِ وَلاَ بَنِي مَنْصُورٌ ۖ فَغَرُوا عليك بكلَّ سَامٍ مُثلِّم ﴿ فَافْخَرْ بِصَاحِبِ كَلْبَتَيْنِ وَكِيرٍ ۖ ۖ كَمَ أَنْجَبُوا يَخَلِيفَةِ وَخَلِيفَةً وَأُمهِ مَا يُفَتَيْنِ وَابْنِ أَمهِرٍ ٢٠٠

وقال يهجو الأخطل :

الظَّا لِمِنَ عُقُوبَةً ونَكَالاً هَانَتْ عَلَىٰ مَرَاسِنًا وَسَــبَالاً قَبَعَ الإَلهُ وُجُوَة تَغْلِبَ كُلْمَا شَبَعَ الحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إِهْلاَلاَ^(٧) للُمْرْسِينَ إِذَا أَنْتَشَوْا بِبَنَاتِهِمْ والدَّانِبِينَ إِجَارَةً وَسُــِوْالأَلْا والتَّفُلُمِيُّ إِذَا تَنَكَّنَعَ لِلْقَرَى حَكَّ اسْتِهُ وَتَكَلَّلَ ٱلْأَمْثَالَا

قَبَتَحَ الإلهُ وُجُوةَ تَغْلِبَ إِنَّهَا عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكُذَّبُوا بمحمَّد وبِحِبْرَثِيلَ وَكَذَّبُوا مِيكَالًا أَنْسِيتَ يَوْمَكَ بِالْجَزِيرَةِ بَعْدَمَا كَانَتْ عَوَاقِبُهُ عَلَيْكَ وَبَالاً

إِنَّى جَنْلُتُ فَلَنْ أُعَانِيَ تَعْلَبُهَا

⁽١) الأزب مناومن الابل: الكثير شعر الوجه.

^{: 3}r : Jan (Y)

⁽٣) جد مرفوعة على الابتداء وخبرها في أكياره ، فهو يقول: قيس قواد الكتائب وجدك حداد بين أدوات صناعته، ويصبح أن تجركمة جد وتكونالواو قبلها لقسم ويكونذك تهكما بالفاحد الابلام أن يحلف به وهو في نظره تمتهن ساقط.

⁽٤) غطفان بن سعد بن قيس ميلان .

 ⁽٥) يقال قارس معلم بالكسر والفتح ، وهوعلى الكسر : الذي بعل قد علامة ليعرف بلاؤه في الهتال.

 ⁽٦) العبائفة : السكتيبة تغزو الروم لأنهم ينزون صيفاً لمسكان المرد في تلك البلاد .

 ⁽٧) الفيح: رقع اليدين بالدهاء ، الاعلال: رقع الصوت .

⁽٨) أى ثم بين سائل وأحير. وقد ضهم أبلغ ذمّ حين ادمى أنهم يخالطون بناتهم في طلة سكرهم غالطة الأزواج .

وَلَوَ أَنْ تَشْلَبَ جَمَّتُ أَنْسَابَهَا يَوْمَ التَّفَاضُلِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالاً لا تَشْلَبُ خُوثُولاً فَاللهِ عَلَيْهِمُ أَخُوثَالاً لَوْتُمُ أَخُوثالاً فَاللّهُ الْمُؤْرَالُونَ فَيْمِ السَّوَادُ وَتَشْلِبُ فَى النَّسْسِلِينَ فَسَكَنْتُمُ أَفْلَالاً

وأظهر ما في هجائه التهكم والاسمة جزاء بخصمه ورميه بما يضحك منه الناس ، كقوله في الراحى :

> فضض الطرف إنك من نُمَيْرٍ فلا كسبا بلنت ولا كلابا وقوله فى الفرزدق :

زعم الفرزدق أن سيقتل يمرُّجا أبشر بطول سلامة يا يمرُّج وقد غلب الأخطل برميه بالنصرانية ، والتزيد عليه بالإسلام والنبوّة والخلافة ، فقال :

إن الذي حرم المكارم تفلبا جل الخلافة والنبوّة فينا مضر أبي وأبو المعك فهل لكم يا خزر تفلب من أب كأبينا

و إننا إذا حاولنا عقد صلة بين المصر الذي عاش فيه جرير وأقرانه ، و بين نوع الهجاء الذي تناولوه في تشاكيم وتسابهم نجد أن لمر بيتهم كل الأثر في هذه المعانى التي تناولوها ، فالعربي ما زال يتمدح بالشجاعة والكرم ، ومراعاة الجوار ، وحفظ الذمام ، ويتشدد في حماية عرضه ، والنيرة على حريمه ، وهو الذي وأد البنات في جاهليته خشية المار في زعمه ، فلا شك أن تكون أضداد هذه الصفات معايب يلمقها أحدهم بمن أراد أن مذهه .

ولقد هجوا فى جاهليتهم ، فميروا بالجبن والبخل وما إليهما ، ولكتهم لم يتسفلوا إلى قلف المحصنات ، وائتهام الرجل بأمه ، ولم يلحوا فى ذكر المورات كما فعل هؤلاء . ونرى أن مرجم هذا الفرق بين المصرين إنما هو ماصاروا إليه فى المصر الأموى من اختلاط الأنساب ، وماحام حول النفاف من شكّ ، فوجد الطاعن مجالاً للربية ينفذ منه ، فكان منهم ماكان من الإفحاش الذى أشرنا إليه ، وقد جرأهم على ذلك ماعرفوا به من صراحة فى القول وجفاء فى الطبع .

شاعرية جرير

قال ابن سلام الجمعي : لم يتصل الشعر في ولد أحد من فحول الجاهلية ما اتصل في ولد زهير ، ولا في ولد أحد من الإسلاميين ما اتصل في ولد جرير .

من أجل ذلك كان معلوعا على قول الشعر ، ومن أجل انطباعه عليه طال نفسه فيه ، وأجاد فى كلّ فنونه كان بحو الشعر كما قال عن نفسه (بحرت الشعر بحراً) ، وكذلك من آثار انطباعه أنها أي بالجليد والمتوسط والردى ، وقد شبهه أبوعمو بن الملاء بالأعشى ، وقال العلاء بن جرير العنبرى : يجيى ، جرير سابقاً ومصليًا وسكيتاً ، كذلك من آثار انطباعه على الشعر أنه أجاد الغزل مع دينه وعفافه ، وعدم عشقه ، حتى تقد قال عن نفسه : ما عشقت قط ، ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه المعجوز فنبكي على ما قات من شبابها ، وقد قال عنه الفرزدق حين سمع من الأحوس بالمدينة غناء بقول جرد :

أَتَنْنَى إِذْ تُودُهُمَا سُلَيْتَى بعود بَشَامَةٍ سُـــــــقِيَ الشَّامُ يِتَنْسِي مَنْ تَجَنِّبُهُ عَزِيزٌ على ومَنْ زِيارَتُه لِمَامُ ومَنْ أَمْسِي وَأُصْبِسِحُ لا أَرَاه و بَعْلُوْتُونِي إِذَا هَجَحَ النَّيَامُ

ثم بقوله :

وقال في النسب :

إِنَّ الَّذِينَ غَدَوًا بِلُبَّكَ غَادَرُوا وَشَكَّ بِمِينِكَ مَا يَرَالُ مَمِينَا عَمَانُ اللَّهِ عَلَيْنَ مَن الْمُوَى وَلَيْنَا فِي عَلَيْنَ مِن الْمُوَى وَلَيْنَا

قال الفرزدق : لمـا سمع هذا وغيره يغنى به الأحوص من شعر جرير : ويل ابن المراغة : ماكان أحوجه مع عفافه إلى صلابة شعرى ، وما أحوجنى مع شهواتى إلى رقة شعره . ثم قام حنقاً .

وهذه الرقة التى اعترف له بها الفرزدق هى إحدى مظاهر شعره ، وهى أثر من. آثار انطباعه ، لأن الشدّة لا تكون إلا نتيجة التكلف والتممل .

أما إجادته لكل فنون الشرء فقد شبه كل من تعرض لقول فيه ، فقد روى ابن سلام . قال : لقيت أعرابيكا أعجبنى ظرفه وروايته ، فقلت له : أيهما عندكم أشعر ؟ (يعنى جريراً والفرزدق) ، فقال : بيوت الشمسعر أربعة : فحر ، ومدح ، وهجاء ، ونسيب ، وفي كلها غلب جرس ، فقال في الفخر :

إِذَا غَضِبَتْ عَلَيْكَ بَنُو تَمِي حَسِبْتَ الناسَ كُلَّهُمُ غِضاً ا وقال فى للديم :

أَلَشْمُ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ لَلْطَآيَا وَأَنْدَى الْمَالِمَيْنَ بُعُلُونَ رَاحٍ وَقَالَ فِي الْمُحَادِ :

إِنَّ الْمُنْيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ ۚ قَتَكُنْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْدِينَ قَتْلَانَا

(١) لايدك توة إلهباء فى هذا البت إلا من علم أن كبا وكانا وتميرا ثلاة أبطن من عامرين صحصة من قيس . ثجرير قضل كمبا وكانا طى نمير مع أنهما أخواه . ولم يسمع هذا البيت أحد من المرب يوشد الاقال : لا يقلع النميرى بعد هذا أبدأ .

قال ابن سَلاَم : وبيت النسيب عندى :

فَلَمَّا الْتَقَى الْمَيْانِ أَلْقِيتِ الْمَصَا وَمَاتَ الْمُوَى لَمَا أَصْيَبَتْ مَقَاتِلُهُ وقد أبدى مثل هـ نما الرأى ، واحتج بهـ نمه الأبيات أعرابي حضر طعام عبد الملك ابن مروان ، فأعجب الخليفة برأيه وكياسته ، ثم سأله عن الشعر ، فاحتج لفضل جرير بالأبيات السابقة ، وزاد عليها أن قال وأحسن بيت تشيئم قول جرير:

سَرَى نَعْوْهُم ليلٌ كَأَن نجومه ۚ قَنَادِيلٌ فيهنَّ الذَّبَالِ اللَّفَتَّلُ

منزلته بين الشعراء :

لقد احتدم الجدال بين الناس فى شأن جرير والفرزدق والأخطل أيهم أفضل . وكان لكل حزب يؤيده و يتمصب له ، ولقد بلغ من المتخاصين فى شأنهم أن تجالدوا بالسيوف ، وذلك كله لما علمت من رواج الأدب وسمو "شأنه فى نظر الناس لحاية الملوك من بنى أمية له وتشجيمهم عليه و إجزالهم للثو بة للبرزين من رجاله ، وقد استفاضت كتب الأدب بالآراء فى هؤلاء الثلاثة ، ونستطيع أن شعم هذه الأقوال قسمين :

فأماأولهما فهوشأن الشاعر جملة ، وهل يصح أن يقلس إلى قرنه ، أو هو مقصر عنه لا يمد من طبقته ، فبمض يجمل هؤلاء الثلاثة أقراناً تجوز بينهم الفاضلة ، وهؤلاء هم جمهور أهل الرأى فى الأدب . ويرى بمض أن الأخطل مقصر عن زميليه لا يجوز قرنه بهما ، وآخر يدخل مم الثلاثة راعى الإبل فيبحملة قريعهم وندهم .

يقول صاحب الأغانى ، وهو : جربر ، والفرزدق ، والأخطل للقدمون على شعراء الإسلام الذين لم يدركوا الجاهلية جميعاً ، ومختلف فى أيهم للقدم ، ولم يبق من شعراء عصرهم إلا تعرّض لهم ، فافتضح وسقط ، و بقوا يتصاولون على أن الأخطل إيما دخل بين جربر والفرزدق فى آخر أمرها ، وقد أسن وتقد أكثر عمره ، وهو و إن كان له فضل وتقدم ، فليس نجره من نجار هذين فى شىء . و يقول محد بن سلام والراحى معهم فى طبقهم ، ولكنه آخرهم ، وقال بشار : لم يكن الأخطل مثلهما ، ولمكن ربيعة تسعبت فله وأفرطت فيه .

وأما شطر الموازنة الثانى ، فيو الأغراض التي تناولوها ، والأسلوب الذي جرى عليه كلّ منهم ، ونرى الآراء في ذلك مختلطة غير منفصلة .

و إنا لذا كرون لك مزايا كل واحد من هؤلاء الثلاثة ، ثم نعقبها بنصوص أقوال النقاد فيهم حتى تكون كالحبعة لما نقول .

فأما جرير: فقد تناول جميع أغراض الشعر من مدح ورثاء وفخر وهجاء ونسيب ، ولم يقصر فى واحد منها ، وله فى كلّ منها البيت الرائع الذى تناقلته الألسن ، واشتهر عند الرواة ، ثم هو من ناحية الأسلوب ، لين المعلف ، سهل المأخذ ، طويل النفس ، سيد من الإغراب والتعقيد .

وقد امتاز جرير في مدحه بعدم الأنفة ققد مدح بني أمية وولاتهم كالحباج ، ومدح التيسية أعداء تميم (قومه) جاهلية و إسلاما ، ومدح للوالى من السجم ، وسواهم بالعرب حتى لكانوا يحفظون شعره ، ويروونه ويجزئون عطاءه عليه ، فهو لم يفمل كالأخطل الذي أخف من مدح غير بني أمية حتى إنه لم يمدح الحجاج إلا مرة واحدة بأم عبد الملك ، ولم يكن يخلط بالمدح غيره من الفخر والهجاء كما كان يفعل الفرزدق ، بل كان مدحه خالصاً للمدوح .

وأما الفرزدق فقد أجاد في الفخر إجادة بالفة ، واعتدل في غالب الأغراض كالمدح والهجاء ، وظهر تقميره في الرثاء والنسيب . أمّا لفظه ففخم صلب قوى الجوس بانت فيه المعاظلة ، وغلير الإغراب ظهورًا واضًا ،حتى لقد قيل إنه أحيا في شــــعره ثلث اللغة .

وأما الأخطل: فقد أجاد صفة الحنر، واجتاع الندمان عليها، وبالغ فى المدح والفخر، وهو فها عدا ذلك من غرض ولفظ معتدل غـــير ظاهم الإجادة، ولا بين التقمير.

قال أبو صيدة : يحتج من قدم جريراً بأنه كان أكثرهم فنون شعر ، وأسهلهم ألفاظاً ، وأقلهم تكلفاً ، وأرقهم نسيباً ، وكان ديناً عفيفاً . وقال العلاء بن جرير : إذا لم 1 - 1 - أدب - 1 يجيُّ الأخطل سابقاً فهو سكيت . والفرزدق لا يجيء سابقاً ولا سكيتاً ، وجرير يجيء سابقاً ومصلياً وسكيتاً .

قال هشام بن عبد الملك لشبة بن عقال ، وعنده جرير والفرزدق والأخطل ، وهو يومئذ أمير : ألا تخبرنى عن هؤلاء الذين مر قوا أعراضهم ، وهتكوا أستارهم ، وأغروا بين عشائرهم في خير خير ولا بر ولا نهم ، أيهم أشعر ؟ فقال : شبة . أما جرير فيغرف من بحر ، وأما الفرزدق فينحت من صخر ، وأما الأخطل فيجيد للدح والفخر ، فقال هشام : مافسرت لنا شيئا تحصله . فقال : ما عندى غير ماقلت ، فقال خالدين صفوان: صفهم لنا يا بن الأهم ، فقال :

أَما أعظمهم فحراً ، وأبعدهم ذكراً ، وأحسنهم عذراً ، وأشدَّهم ميلاً ، وأقلهم غزلاً ، وأحلاهم عللا ، الطامى إذا زخر ، والحالى إذا زأر ، والسامى إذا خطر : الذى إن هدر قال ، و إن خطر صال ، القصيح اللسان ، العلويل العنان ، فالغرزدق ؛ وأما أحسنهم نيتاً ، وأمدحهم بيتاً ، وأقلهم فوتاً ، الذى إن هجا وضع ، وإن مدح رفع فالأخطل ؛ وأما أغررهم بحراً ، وأرقهم شحراً ، وأهتكهم لمدوَّه ستراً ، الأغرَّ الأبلق ، الذى إن طلب لم يلحق ، فجر ير : وكلهم ذكى القؤاد ، رفيم العماد ، وارى الزاد .

وقد سأل عبد الملك أو الوليد ابنه جريراً الشاع عن أشعر الناس ، فأجابه بقول كان منتهى الإنصاف لنفسه ، ولأقرانه من الشعراء ، ولم يسع سائله إلا أن أمن على قوله لمواقعته للحق ، وجدير بالشاعر أن يكون صادق الحكم على الشعر فإنه إنما يعرف القضل من الناس ذووه ، قال عبد الملك أو الوليد بلرير : من أشعر الناس ؟ قال : ابن العشرين (يريد طرفة) ، قال : ف رأيك فى ابنى أبي سلمى ؟ قال : شعرها نيريا أمير المؤمنين . قال : ف تقول فى امنى ألقيس ؟ قال : أتخذ الخبيث الشعر نماين ، وأقسم بالله فو أدركته فرفت ذلافه ، قال : ف اتقول فى ذي الرمة ؟ قال : قد من ظريف الشعر وغريبه وحسنه على مالم تقدر عليه أحد . قال : فا تقول فى الأخطل ؟ قال : فا أخرج ابن النصرانية ما فى صدره من الشعر حتى مات قال : فا تقول فى الفرزدق ؟

قال : فى يده والله يا أمير المؤمنين نبمة من الشعر قد قبض عليها .قال : فمــا أراك أبقيت لنفسك شيئًا . قال : بلى والله إنى لمدينة الشعر التى منها يخرج و إليها يمود ، نسبت فأطربت ، وهجوت فأرديت ، ومدحت فسنيّت ، وأرملت فأغزرت ، ورجزت فأبحرت ، فأنا قلب ضروب الشمركلها ، وكلّ واحدمنهم . قال نويًا منها . قال صدقت.

شيمره

أقبِلًى اللَّوْمَ كَاذِلَ والمِتَابَا ۚ وَقُولِى إِنْ أَصَبْتُ لَنَدْ أَصَابَا قالها فى هجاء الراعى . وكان من حديثها : أن الراعى لمـا فضل الفرزدق على جرير فى قصدته :

يا صاحبي دنا الأصيل فسيرا غلب الفرددي في الهجاء بجريرا عاتب جرير ، وقال له : يكفيك إذا ذكرنا أن تقول كلاها شامر كريم ، ولا تحتمل منى ولا منه ، وبينها هما واقفان لحق الراعى ابنه بجندل ، فرغم كر مانية مه ، فضرب بها عجز بغلة أبيه ، ثم قال : لا أراك واقفاً على كلب من بنى كليب كأنك تفخي منه شرًا ، أو ترجو خيراً ، وضرب الدابة ، فرمحت جريراً رمحة وقعت منها قلنسوته ، فرت الراعى ولم يسرج عايه ، فانصرف جرير مفضاً ، ثم أقبل على للنزل الذي كان يتيم فيه بالبصرة وقال لراويته : زد في دهن مراجك الليلة ، وأعد لوكا وواة ، وجمل يمل عليه حتى بلغ قوله : فنض الطرف . . . فوثب حتى بلغ رأسه السقف ، وجمل يرده ما يد عليه ، ويقول: أخريته والله . غصصته والله . وقدمت إخوته عايه ، وإنه لا يفلح بعدها ، ولم يأت السخو حتى كان قداً كملها ثمانين بيئاً ، فلما أصبح وعرف أن الناس بعدها ، ولم يأت السخو حتى كان قداً كملها ثمانين بيئاً ، فلما أصبح وعرف أن الناس

قد جلسوا بالربد قال : يا غلام أسرج فأسرج له حسانا ، ثم قصد مجلس الرامى حتى إذا كان موقع السلام قال : يا غلام ، ولم يسلم ، ثم قال الراعى : أبعثك نسوتك تكسبهن المال بالمراق ؟ أما والذى نفس جرير بيده لترجعن إليين بمير يسوهن ولايسرهن ، ثم اندفع فيها فنكس الفرزدق وراعى الإبل ، وأذم القوم حتى فرغ منها فساد ، قال الراعى ، فسرنا إلى الراعى من فورده لأصحابه : ركابكم ركابكم ، فليس لنا ههنا مقام . قال الراعى : فسرنا إلى أهلنا سيرًا ما ساره أحد ، فوجلت البيت قد سبقنا إليهم ، وصار الرجل من بنى ثمير إذا قيل له : من أنت ؟ يقول عامرى ، و يكنى عن نمير ، وقد شاعت هسنده القصيدة حتى كان العرب يسمونها القائحة ، و يسميها جرير الدامقة لشدة تأثيرها ، و يسمى قافيتها (الباء) للنصورة لأنه ما قال طيها قصيدة إلا أنتصر بها ، والعميب أن هذه القصيدة لم يرد منها في ديوان جرير إلا نحو عشرين يتًا ، ومطلعها :

أَقِلَى النَّـــوْمَ عَاذِلَ وَالْسِتَا؟ وَقُولِي إِنْ أَصَبَتْ لَنَدْ أَصَابَا أَجِلًا لاَ اسْتَطْرِهُ الإِياا أَجِلُكُ لا تَذَكَّ عَيْنَ بالسرب الطَّبابَالِا عَلَى النَّفِيةِ وَعَيَّا خَلْسُرب الطَّبابَالِا عَلَى اللَّهَ عَيْنَ بالسرب الطَّبابَالِا عَلَى اللَّهَ عَيْنَ بالسرب الطَّبابَالِا عَلَى اللَّهَ عَلَى ما نستطيع له خلاها علوت عليك ذروة خِلْدِنْ ترى من دونها وُنَبًا صِتَابا لل حَوْضُ النَّهِ وسَـــاقياه ومن وَرِثُ النَّبُوةَ والكتابا أَلْسًا أَكْرُ النَّفَلَيْنِ عَيَّا بِبَعْلِنِ مِنْي وَأَكْرَهم قِبَابَا أَلْسَا أَكْرُ النَّفَلَيْنِ عَيَّا بِبَعْلِنِ مِنْي وَأَكْرَهم قِبَابَا أَلَانَا النَّبُوةَ والكَتَابا أَلِينًا اللَّهِ وَالكَتَابا أَلَانَا النَّهُ وَالكَتَابا أَلَانَا اللَّهُ وَالكَتَابا أَلَانَا اللَّهُ وَالْكَتَابا أَلَانَا اللَّهُ وَالْكَتَابِ عَيَّا إِنْهَا إِلَى اللَّهُ وَالْكَتَابِ عَيَّا إِنْهَا إِنْهَا إِلَيْهِ اللَّهُ وَالْكَتَابا أَلَانَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَالْكَتَابِ عَيَّا إِنْهَا إِلَيْهِ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللَّهُ الْمُؤْمِنُ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِنِ اللْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْمُؤْمِ الْم

ومنها :

إذا فَشِيتْ عَلَيْكَ بُنُو تَمْمِ حَسِبَ الناسَ حَلَمْمُ غِضَابًا فلاَ وأَبيك ما لاقيتُ حَيَّ كَيْرُجُوعٍ إذا رَفَنُوا النَّقَابَا فَنُصَّ الطرْف إِنَّكَ من نُهِد فلا كَبَرَّ بِلْمَتَ ولا كِلابًا

إلى التعيين: أن يصب فى الوحاء ماء فينظر من أين يسيل فيسد خلله . الطباب : الجلفة تضرب على
 أسقل المزادة . السرب : السيلان .

فَلَو وُضِيَتْ فِقَاحُ بَنِي نُمَايْرٍ عَلَى خَبَثِ الْحَدِيدِ إِذًا لذابا

ومنها :

ومنها :

أنَا البازِي الْعَلَالُ على تُنهرِ أَنهِ عَلَى مَنَ الْجَوِّ انصِباً ا

ومنها :

إذًا نَزَلَ السَّاء بأرْضِ قَوْمِ رَعينَاه وإنْ كَانُوا غِضَابا وقال يمنح عبد لللك وقد أوفده الحباج إليه مع ابنه محمد :

أَنْفُسُو أَمْ فُوْادُكُ هَبِرُ صَالِمِ عَشَيّة مَمَّ صَبُك بِالرّواح يَمُولُ التناذِلاتُ عَلاك شَيبُ أَهَذَا الشَّيبُ يَمْتُمَى مَرَاحى يَكُلُفُى فُوَادِى مِنْ عَواه ظَمَائُنَ مُ يَكْفَى فُوَادى مِنْ عَواه ظَمَائُنَ مُ يَكْفَى فُوَادى مِنْ عَواه ظَمَائُنَ مُ يَكُفَى فُوَادى مِنْ عَواه طَمَائُنَ مُ يَكُفَى فَوَالِم مِنْ وَبَعَمْ لَلَاهِ مِنْ سَبَعْ مِلاح مَنِينَ مَا سَمِكَ القراح مِنَّ لَلَاه مِنْ سَبَعْ مِلاح مِنْ اللَّه مُنْ اللَّه مُنْ اللَّه مِنْ اللَّه مُنْ اللَّه مُنْ اللَّه مُنْ اللَّه مُنْ اللَّه مُنْ اللَّه مُنْ اللَّه وَالْمُنْ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّه وَالْمُنْ مِنْ اللَّه وَالْمُنْ مُنْ اللَّه وَالْمُنْ مُنْ اللَّه وَالْمُنْ مُنْ اللَّهُ وَالْمُنْ مِنْ اللَّهُ وَالْمُنْ مِنْ اللَّهُ وَالْمُنْ مِنْ اللَّه وَالْمُنْ مُنْ اللَّهُ وَالْمُنْ مُنْ اللَّهُ وَالْمُنْ مِنْ اللَّهُ وَالْمُنْ مُنْ اللَّهُ وَالْمُنْ مُنْ اللَّهُ وَالْمُنْ اللَّهُ وَالْمُنْ اللَّهُ وَالْمُنْ اللَّهُ وَالْمُنْ مِنْ اللَّهُ وَالْمُنْ اللَّهُ وَالْمُنْ الْمُنْ اللَّهُ وَالْمُنْ اللَّهُ وَالْمُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ مُنْ اللَّهُ وَالْمُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَالْمُنْ اللَّهُ مِنْ اللَّهُ اللَّهُ وَالْمُنْ اللَّهُ الللللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللللَّهُ الللَّهُ اللللَل

سأشْكُرُ إِنَّ رَدَدْتَ إِلَيَّ رِيشِي وَأَنْبَتُّ الْقُوَادِمَ في جَناحِي أَنْسُمُ خَيْرَ مَنْ رَكِ الْمَالَةِ وَأَنْدَى الْعَالِيَنَ بُعُلُونَ رَاحٍ فقال له الخليفة : أترى أم حزرة ترويها مائة من نم كلب ؟ قال : إذَا لم تروها يا أمير المؤمنين فلا أرواها الله :

ومن قوله يمدح الحجاج ، وهي القصيدة التي استنشده إياها عبد الملك حين قلم عليه:

مَنْ سَدَّ مُطَلَّمَ النَّفَاقِ عَلَيْهُمُ أَمْ مَنْ يَصُولُ كَسَوْلَةِ الْحَجَّاجِ الْمُوالِيَّ النَّسَاءِ عَنِيظَةً إِذْ لاَ يَشِيْنَ بِفَيْرَةِ الأَرْوَاجِ إِلَّهُ النَّسَاءِ عَنِيظَةً إِذْ لاَ يَشِيْنَ بِفَيْرَةِ الأَرْوَاجِ إِ إِنَّ ابْنَ يُوسُف فاعلموا وتَنَهَّنُوا مَاضِى الْبَصِيرَةِ وَاضِحُ الِنَهُ جَرِ ماضِ على الفَمَراتُ يُمْفِى حَمَّةً وَاللَّيْلُ مُخْتَلِفُ الطَّرَاثِيّ دَاجِي مَنعَ ٱلرُّشَا وَأَرَاكُمُ سُبُلَ الْمُلَكَى وَاللَّمَ نَكُّلُهُ عَن الْإِذْلَاجِ ِ فَاسْتَوْسِتُوا وَتَبَيَّنُوا سُبُلِ الْمُلَّى وَدَعُوا النَّجِيُّ فَلَيْسَ حِينَ تَنَاجِي وَخِفَابُ لِمُتِيِّهِ كُمُ الْأَوْدَاجِ (١) بِذُرَى عماية او بهَضْبِ سُوَاجِ (٢٢ وَلَقَدُ مَنَمُتُ خَفَارِبُ الْحُجَّاجِ ٣

هَاجَ الهـــوى فَقُوادكُ للْمُتَاجِرِ ۚ فَانْظُرُ بِتُوضِحَ بَاكِرَ الأَخْدَاجِرِ ومنها في وصف الحجاج :

> يارُبَّ ناكِثِ بَيْمَتَيْنِ تَرَكْتُهُ إِنَّ الْعَدُورُ إِذَا رَمَوْكَ رَمَيْتُهُمْ ولقد كَسَرْتَ سِنَانَ كُلِّ مُنَافِق وقال يهجو التَّيْم :

تَرَى الْأَبْطَالَ قَدْ كُلِمُوا وَتَبَعْ صَبِحُ الْجِلْدِ مِن أَثَرِ الكُلُومِ من الأصلاب بَنْزِلُ لُؤُمُ تَنْجُرٍ وَفِي الأَرْعَامِ بُمُلْقُ وَالنَّشِيرِ ۖ

⁽١) للراد بالبيمتين: بيمة الحليفة وبيمة الحباج .

⁽٢) عماية : جبل . سواج : جبانان بالعالية .

 ⁽٣) الراد بمنع حقائب الحاج: مبانتها وحفظها من اعتداء العموس .

⁽٤) اللهم : جم مشبهة وهي محل الجنين .

تَرَى النَّيْمِيُّ يَزُّحَفُ كَالْقَرَانِيَ ۚ إِلَى سَوْدَاء مِثْلِ قَفَا القَدُّومِ وقال يهجو الفرزدق:

إِنَّ أَيْنَ آكَلَة النُّنَّخَالَة قَدْ جَنَى حَـرْاً عَلَيْهِ ثَمْهِلَةَ الأَجْرَامِ (١) ولخلف ضَبَّةً كَأَنَ شَرٌّ غُلاَمٍ ٢ خُلِقَ الْفَرَزْدَقُ سَوْءَةً فِي مَالِكِ خَوَرُ الْقُلُوبِ وَخِنَّةً الْأَحْسَارُمِ مَبْلًا فَرَزْدَقُ إِنَّ قَوْمَكَ فِيهُمُ والْخَيْلُ عَادِيَةٌ عَلَى بِسْطَام بنْسَ الْفُوَارِسُ يوم نَتْف قَشَاوَةٍ لَوْ غَيْرُكُ عَلِقَ الرُّكَيْرُ وَرَحْلُهُ كان الينانُ على أبيك تحرُّما والكيرُ كان عَلَيْهِ غَيْرَ حرام إنَّ اللئامَ على عَيْرُ كرَامِ كَمْدًا أُعرَّفُ بِالْهُوانُ تَجَاشِمًا ومن قوله متفرّ ل وقد رقّ جدًّا .

بَانَ الْخَلِيطُ وَلَوْ طُووِعْتُ مَابَانَا وَقَطُّنُوا مِنْ حِبَالِ الْوَصْلُ أَقْرَانَا بالدار دارًا وَلا الْجِيرَانِ جيرَانَا حَىَّ الْنَازِلَ إِذْ لاَ نَبْتَغَى بِدَلاًّ أَحْبِبُ إِلَى بِذَاكَ الْإِنْعُ مَنْزِلَةً بالطِّلْح طَلْحًا و بِالأَعطان أَعطانا⁽¹⁾ ياليت ذا القلبَ لأَنَّى مَنْ مُسَلِّلُهُ أَوْ سَاقياً فسقاه اليوم سُسَلُوَاناً هاجَتْ له غُدُواتُ الْبَيْنِ أَحْزَانا ماكنتُ أَوَّلَ مُشتاقِأْخَى طَرَبِ . رُدِّى على فُوَّادى كالذي كأنا يا أَمَّ عَرُو جَزَاكِ اللهُ مَثْفِرَةً أَلَسْتَ أَحْسَنَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمِ يَا أَمْلَحَ النَّاسِ كُلِّ الناسِ إِنْسَانًا

⁽١) يريد بابن آكلة النفالة البعيث الشاص . الجرم : الجسدك . يمال رماه بأجرامــه أى رماه بمسده کله .

⁽٢) يريد بخلف ضبة ماك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم .

⁽٣) يُريَّد الزبير بن الموام بن خويلد بن أسد بن عبد المنزى بن قصى بن كلاب . أى لو كان الزبير

حُل في أحد سواكم لأدى جواره أى لمنه حتى برجع للي بني العرام ويسلم . (٤) الطلح : من شجر المشاه . وهو أعظم الصبر أو شجر الحط أو ذواالشوك أوما عظم منه ، والأعطان مبارك الابل، وقوله بالطلح طلحا : الباء فيه قلمك: أي وجدنا بدل طلح مواطننا الأولى طلحا مثله وكذلك توله قبل : بالدار دارا وبالجران حيانا .

بَلْقَى غَرَيْمُكُمُ مِنْ غَلِمِي عُسْرَتَيْكُمْ ﴿ وِالْبَذْلَ بُخْلًا وِالإحسانِ حِرْمَانَا

لَقَدْ كَتَمْتُ الْمُوَّى حَتِّى تَهَيِّمَني لا أَسْتَطِيمُ لِمِذَا الْحَبُّ كُثَّانَا لاَبَارَكَ اللهُ فِي الدُّنْيَا إِذَا الْقُطْنَتُ أَسْبَابُ كُنْيَاكِ مِن أسباب كُنْيانا مَا أَخْدَتُ الدَّهُرُ ثِمَّا تَعْلَمِينَ لَكُمْ ﴿ لِلْحَبُّلِ صَرَّمًا ولا للعهدِ نِشْيانا أَبُدُّلَ اللَّيلُ لاتَسْرى كَوَاكِبُهُ أَمْ طَالَ حَقَّى حَسِبْتُ النَّحْمَ حَيْرَانَا إِنَّ النَّيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ ۚ قَتَلْنَنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيِينَ قَتَلْاَنَا يَصْرَعْنَ ذَا الَّلِبِّ حَيى لِاحْرَاكَ بِهِ وَهُنَّ أَضْعَفُ خَلْقَ اللهِ إِنْسَانَا يا حَتَّبَذَا جَبَلُ الرَّايَّانِ منْ جَبَل ﴿ وَحَتَّبْذَا سَا كِنُ الرَّايِّانِ مَنْ كَأَنَّا وَحَبَّذَا فَفَحَاتُ مِنْ كِمَانِيَةٍ ۚ تَأْتِيكَ مِنْ فَبِلَ الرَّائِنِ أَحْيَانَا ومن قوله يرثى الفرزدق ، وقد مات قبله بقليل :

فن لنوى الأَرْحام بِمَدَ ابنِ غالب لِجَادِ وعَانِ في السلاسل مُوْثَقَ ⁽¹⁾ ومَنْ لِيَتَمِ مِد موتِ ابن غالب وأمَّ عِيالَ سَاغِيبَنَ ودَرْدَقِ ٢٦٥ نَقَّى عَاشَ يَنْبِي ٱلْمَجْدَ تِسْمِينَ حِبَّةً ﴿ وَكَانَ إِلَى الْخِيرَاتِ وَالْجِدِ يَرْ تَقَى

لسرى لقد أَشْجَى تَمْيَا وَهَذَّها عَلَىٰ تَكَبَّاتِ الدهرِ مُوْتُ الفرزدق عَشِيَّةً راحُـوا لِفِرِ آقِ بِنَمْشِهِ إلى جَدَثِ فِي مُوَّةِ الأَرْضِ مُعْنَقَ لقد غَادَرُوا في اللحدمن كان ينتمي إلى كل نَجْم في السَّماء مُحَلِّق عاد تمسيم كلَّها ولسانُها وناطقُها البذَّاخُ في كل مَنْطَيْن ومَنْ يُعْلَلِقُ الأَسْرَى ومَنْ يَعْقِنُ الدُّمَّا يَدَاهُ وَيشْفِي صَدْرٌ حَرَّان مُحْنَق

هذا وأخبار جرير مع قرِنيه الفرزدق والأخطل تملأ كتب الأدب، وأهمّ ماورد

⁽١) العانى الأسير . موثق : شيد .

⁽۲) ساغب: جوهان . دردق: أطفال .

منها تجده فى كتاب الأغانى فى تراجم هؤلاء الثلاثة وغيرهم، وكذلك تجد أشماره مع تنائضها من شعر الفرزدق مضبوطة فى كتاب النقائض للطبوع بألمانيا. أما ديوان جرير الطبوع فى المطبعة العلمية بمصر، فيكاد يفقد فائدته لكثرة مابه من الخطأ والتحريف.

وقد مات جرير باليمامة سنة ١١٠ ه ، فيكون قد عمر زهاء سبعين سنة .

الكميت بن زيد

نحن أمام شخصية عظيمة ،كان لهـا فى حياتها شأن ، واشتغل الناس بها حتى اهتزّت لهـا مجالس الولاة ، وعروش الخلفاء ، فرقا حينًا ، وطر با حينًا آخر .

يدلك على عظمة هذه الشخصية أن صاحبها كان له فى كلّ مظاهر الحياة مداخلة ،كان شاعرًا ، وخطيبًا ، وعالًا بمفاخر العرب ومثالبها ، وزاجرًا للعلير ، مهنديًّا بالنجوم ، وصبيًا محتجًا لرأيه ، دامنم الحجة فى الدفاع عنه .

والمصبية فى المصر الأموى قو"ة لم تعرف بمثل شدّتها ، ولا تشعب اتجاهاتها فى غير هذا المصر ، فقد كانت عصبية يين المدنانية والقحطانية ، ثم بين فرعى المدنانية من مضرية ورَرَسِيّة . ثم نطنت فكانت بين الأم ، فهى شعو بية وحربية ، و بين الأقطار فهى عراقية وشامية ، ثم بين المدن فهى كوفية و بصرية . هذا إلى انشماب آخر فى الرأى بين شيعة وأمو بين وخوارج وغيره ، بل قد كان تعصب البشعر وقائليه ، فؤلاء فرزدقيون ، وأولئك جريريون ، وهكذا . . .

ولقد كان الكميت من نباهة الشأن بحيث عدّ من ذوى السعبيات لأنه كما قلنا ذو رأى حرّ ، وشكيمة قوية ، وبيان ناصع ، فكان لا بدّ له أن يدلى بدلوه في هذا البحر للضطرب الأمواج ، ولم يكمه أن يأخذ في ناحية واحدة ، بل كان له رأى في كلة بما يدور حوله البحث و يحتدم الجذال . فكان شيميًا ، عصبيًا عدنانيًا ، يفضل الكوفة . ولتدكن لايضيق صدره بهذه المصبيات ، ولا تطنى عواطفه فيها على غيرهامن العواطف ، فقد ذكروا أن الكيت هذا كان صديقًا للطِّرِ عَلَى عِنهما خلطة ومودّة وصفاء لم يكن بين اثنين . وكان الطِّرِ مَاح: خارجيا صُفْرِيًا ، قحطانيًا يتمصب للقحطانية ، وينتصر لأهل الشام على أهل العراق ، وقد قيل لهما : فنيم انفقيًا هذا الاتفاق مع سائر اختلاف الأهواء ؟ قالا : انتفنا على بغض العامة .

ذلك هو الكيت يمثل بأجلى مظهر نشاط الفكر ، وحرّية الرأى فى عصره ، ثم هو فى حرّية الرأى فى عصره ، ثم هو فى حرّية هذه على خلاف رأى الأمراء والحلفاء الذين عرفوا بالشدة والفلفلة فى تستهم على من يخالفهم ، ثم هو يسلم مع ذلك من مكرهم بشدة يحاله ، وعظيم ما يرجون من خائدة عنده إذا استهافوه إليهم ، فيبقى طول حياته مخوفاً ، مرجواً ، ناجياً من شراً اعدائه ، "باللاً جوائزهم حتى يموت بسبب من أسباب حرّية رأيه ، ولكن يكون موته غدراً . وغيلة أهل فيه عن التدبير للخلاص .

ذلك أنه لما مدح يوسف بن عمر وإلى العراق بعد خالد القسرى أشار فى مدحه إلى استطام خالد للماء حين خرجت عليه الجغرية (٢) ، وهو على للنبر. قال الكيت: خرجت لهم تمشى البَرَاح ولم تكن كُنْ حِصْنُهُ فيه الرَّتَاجُ للمُسَبِّرِ (٢) وما خالد يستعلم للماء فاغرا بعد لك والداعى إلى الموت يَسَبُر (٢) وكان الجند الذين على رأس يوسف يمانية ، فتمصبوا لخالد ووضعوا دُبُل سيوضم فى بعلن الكيت ، قلم يزل ينزف الدم حتى مات .

⁽١) أتباع أبي جنر عد بن على العاوى .

 ⁽٣) البراح : النسع من الأوض. الرئاج : الباب العظيم، وهو الباب المنطق وفيه باب صغير . ومضبب:
 عليه ضبة . وأهل مكة يسمون المزلاج ضبة .

 ⁽٣) فاغرا فاعما فه . (الدل (بالكسر) النظير . ينب : يرفع صوته كنيب النراب . والمدى أن
 النام الله لا إداويك في مقام القاتال حين برفع المنادى إلى الحرب صوته .

[نسب الكيت] : ذكر الآمدى فى كتاب : « للؤتلف والمختلف » أن. اللائة من بنى أسد بن خزيمة يسمون الكيت ، وهم : الكيت الأكبر بن تَمْلَبة ابن نوفل بن فَضْلة بن الأعتر بن جَعْران بن قَضْس، والكيت بن معروف بن الكيت الأكبر ، والثالث هو : الكيت بن زيد الذي تحصى خبره فى هذه الترجة ، وهو ابن زيد بن خيس بن تجالد بن وكيث بن عرو بن سبيع ، وينتهى نسبه إلى مضر بن نزار . وهو كوف نشأ بالكوفة ، وكانت ولادته بها سنة ستين من الهجرة ، وهى السنة التي قتل فيها الحسين بن على وضى الله عنهما ، ثم كانت وفاته بها سنة ست وعشر بن وهر ناف خلافة مروان بن محد .

[بيئة الكيت]: هي الكوفة قريعة البصرة في الأدب والنحو والأنساب ، كان بها من العرب جمرة كبيرة تقسمتهم الأهواء السياسية ، و إن كان غالبهم شيمة على التي دوّخت الولاة ، وأعيت سياستها على بني أمية كلهم ، وكم زفر الحجاج وزياد قبله منهم ، وحنقًا عليهم ، واشتدًا في معاملتهم .

تلك هى الكوفة منبر الشمر والحطابة ، ومدرسة اللغة ، ومجال المفاخرات والمناظرات والمنافرات والمماتنات ، ومثار العصبيات ، ومدرجة الثمتن ، ومثابتها بعد تجوالها وتطوافها في البلاد .

فيها نشأ الكيت ، فلم يكن بدعًا منه أن يكون شاعرًا ، وخطيبًا ، وراويًّا للشعر ، وعالمًـا بلغات العرب ، ونسابة لهم، يعرف بيوتهم ، ومفاخرهم ومثالبهم، وزاجرًا للطير ، ومهتدًا بالنجوم

لم يكن هذا بدعا فى الكميت ، و إنما السجيب أن يمتاز فى كلّ ذلك حتى يغلب حماداً فى الرواية ، وحتى لا يقاس به أحد من أهل زمانه فى الشعر ، وحتى يكون مفخرة بنى أسد فى كلّ شى، من شعر وخطابة وجدل .

ذكروا أنه اجتمع هو وحماد في مسجد الكوفة ، فتذاكرا أشمار العرب وأيامها ، خالفه حماد في شيء ونازعه ، فقال له الكميت : أنظن أنك أعلم مني بأيام العرب وأشمارها ، قال حماد : وماهو إلاالظن ! ! هذا والله هو اليقين ، فضب الكميت ، ثم قال : لكم شاعر بصير يقال له : عرو بن فلان تروى ؟ ولكم شاعر أعور أو أعمى اسمه فلان بن عرو تروى ؟ قفال حماد فى ذلك بعض القول . فبعل الكميت يذكر رجلا رجلا من صنف صنف ، و يسأل حماداً : هل يعرفه ؟ فإذا قال لا . أنشده من شعره جزيًا جزيًا حتى ضجر الحاضرون ، ثم قال له الكميت : فإنى سأتلك عن شىء من الشعر ، فسأله عن قول الشاعر :

طَرَحُوا أَصَابَهُمْ فَى وَرْطَةً قَذْفَكَ النَّفَاةَ شَطْرَ المُعَرَّكُ

فلم يعلم حماد تفسيره ، فسأله عن قول الآخر :

أَنْدَرِّيْنَنَا بِالقول حتى كأنما تُدَرِّيْنِ إِلَّمَانَا تَصيد الرَّهادِنَا فَالَمُهُ : لَلَّمَلَةُ حصاة فَالْهُم حاد ، ولم يأت بتنسيرها ، وسأل الكميت أن ينسرها ، قفال له : لَلَمَلَةُ حصاة يحيلها القوم معهم إذا سافروا ، وتوضع فى الإناء ، ويصب عليها الماء حتى ينسرها ، فيكون ذلك علامة يقتسون بها الماء ، والشطر النصيب ، وللمترك الموضع الذي يختصون فيه فى الماء فياقونها هناك .

وقوله تدريننا يسنى النساء، أى ختاننا فرميننا، والرهادن : طهر بحكة كالمسافير...

كذلك لم يكن بدعاً أن يقول الكبيت الشعر فى بيئة كلها شعراء، وفى زمن كل أسبابه تحمل على قول الشعر، ولكن البدع أن يكون الكبيت شاعراً الايوزن به أهل زمانه، فقد سيثل مُعاذ المرداً العن المنصر الناس ؟ فقال : من الجاهليين امرد القيس، وزهير، وصيد بن الأبوس ؟ ومن الإسلاميين : الفرزدق، وجرير، والأخطل . فقيل له : يا أبا محد، ما وأيناك ذكرت الكبيت، قال ذلك أشعر والأخيان الآخرين، وفيه يقول أبوعثره الضبيّ : لولا شعوالكميت لم يكن الفة ترجان ولا البيان لسان . وقال أبوعثره الضبيّ : لولا شعر الكبيت لكاهم حبهم إلى الناس وأبق لهم ذكراً . وقيل: في الكبيت خصال لم تكن في شاعر : كان حبهم إلى الناس وأبق لهم ذكراً . وقيل: في الكبيت خصال لم تكن في شاعر : كان خطيب بنى أسد ، وقتيه الشيعة ، وحافظ القرآن ، وكان ثبت الجنان ، وكان كاتبا حسن الحط، وكان نسابة ، وكان حائل جدايا ، وهو أول من ناظر في النشيع مجاهراً بذلك .

محنية الكمت

كان الكبيت كا تعلم متشيعاً لآل على "، حر " الرأى فى تشيعه يجور به ، و يناظر فيه الجالس العامة حتى قيل إنه أوّل من ناظر فى التشيع مجاهراً . وقد قال أغلب شعره فى البيت يمتدح أسياءهم ، ويرقى موتاهم ، وكانت محاسن قوله وكبار قصائده فهم حتى عرفت له القسائد «الماشميات» ، ومعلوم أن الشاعرالذي يقول فى تمجيد هذه الثنة إنما يؤذى بقوله خلفاء الأمويين ، وينيه الناس إلى اعتدائهم عليهم واغتصابهم لحقوقهم . فكان قول الكعيت فى عيون هؤلاء الخلفاء ، وحصلاً الشوكتهم ، وتأليبا للعامة عليهم ، ولكن الكعيت مع ذلك كان فى الكوفة بموضع التبجلة من وتأليبا للعامة عليهم ، ولكن الكعيت مع ذلك كان فى الكوفة بموضع التبجلة من وكان اجداء محمد الله القدرة . ووقلاً بهجاء وكان اجداء عمد الله الكعيت أن كان حكيم بن عياش الأعور الكلمي وَلماً بهجاء مضر ، فكانت شعراء مضر تهجوه وهو يجيبهم ، وكان الكعيت يقول : هو والله أشعر مضر ، فكانت شعراء مضر تهجوه وهو يجيبهم ، وكان الكعيت يقول : هو والله أشعر مضر ، فكانت شعراء مضر تهجوه وهو يجيبهم ، وكان الكعيت يقول : هو والله أشعر منح ، قالوا : فأجب الرجل ، قال : إن خالد بن عبد الله القشرى عصن إلى " ، فلاأقدر أن رد عليه ، قالوا : فأجب الرجل ، قال : إن خالد بن عبد الله القشرى عصن إلى " ، فلاأقدر وأنشدوه من ذلك في يصله على المجاء ، »

• ألا حُييتِ عنا يامدينا

فأحسن فيها ، وبلغ خالدا خبرها ، فقال : لاأبالى مالم يجز لمشيرتى ذكر ، فأنشدوه قوله :

ومن هجب على لسر أم غذتك وغيرها تبا يمينا تجاوزت المياه بلادليل ولاعلم تسشف مخطئينا فإنك والتحوّل من معد كهيلة قبلنا والحالمينا تخطت خيرهم حلبا ونستا إلى الوالى للقادر هاربينا كمنز السوّء تنطح عالمها وترمها عصى الذابحينا قتال خالد: فيلها !! واقد لأقتلنه ، ثم اخترى ثلاثين جارية بأغلى ثمن وتخيرهن نهاية فى حسن الوجوه والكال والأدب ، فرواهن الهاشميات ودمهن مع نخاس إلى هشام ابن عبد لللك ، فاختراهن جيما ، فلما أنس بهن ، واستنشدهن الشعر أنشدنه قصائد الكميت الماشميات ، فقال : ويلكن من قائل هذا الشعر ؟ قلن : الكميت بن زيد الأسدى . قال : وفي أى البلاد هو ؟ قلن : بالكوفة ، فكتب إلى خالد أن يبعث إليه بأس الكميت فبسه خالد ، وقبل أن ينفذ فيه أمرا لخليفة احتال الكميت للخلاص بأن أرسل إلى امرأته حتى ، وطلب مها أن تقيم مكانه ، وأن يهرب هو بثيابها ، فتم أن أرسل إلى امرأته حتى ، وطلب مها أن تقيم مكانه ، وأن يهرب هو بثيابها ، فتم ذلك ، ثم لم يجد خيراً من الظهور وطلب الفقو من الخليفة ، فاستطاع بسمى رجالات قريش بالشام أن يصل إلى مسلمة بن هشام ، فاستشفع له عند أبيه فشقمه وقال له : اعقد له قريش بالشام أن يصل إلى مسلمة بن هشام ، فاستشفع له عند أبيه فشقمه وقال له : اعقد له عبداً نسم فيه ما قاله فينا مدحا واعتذاراً ، فعقد له المجلس وحضره هشام نفسه

الكميت في مجلس العفو

قالوا : إن الكميت ارتجل فى هذا المجلس خطبة ما سمع بمثلها قط ، وامتدح بنى أمية بقصيدته الرائية التى ارتجالها ارتجالا حتى إنه لم يجمع منها إلا تلك الأبيات التى حفظها الناس فى هذا المجلس ، وقد سئل عنها الكميت فقال : ماأحفظ منها عيمناً إنما هوكلام ارتجلته .

وقد بدأ قوله في هذا المجلس بحمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ، ثم قال :

« أما بعد ، فإني كنت أنتره حلت في غرة ، وأعوم في بحر غواية ، أخنى على "
خَطلها ، واستنفرني وَعَلها ، فتحيّرت في الضلالة ، وتسكمت في الجهالة ، شرّوعا عن الحق"،
جأثراً عن القصد . أقول الباطل ضلالاً ، وأفوه بالبهتان و بالاً . وهذا مقام العائذ ، مبصر المدى ، ووافض العماية . فاغسل عنى يا أمير المؤمنين الحَوّبة بالتوبة ، واصفح عن الزاة ، واعف عن الجُوم » .

ثم أنشد قصيدته التي أوّ لها :

« تف بالديار وقوف زائر »

وفيها يقول :

ماذا عليك من الوقو ف بها وأنَّكَ غيرُ صاغرُ درجتْ عليها الغاديا تُ الرائحاتُ من الأعاصر (٢٦

وفيها يقول :

فالآن صرتُ إلى أميّـــــة والأمور إلى الصائر فجل هشام يغمز مَنشَلَة بقضيب في يده ، ويقول : اسمعُ . اسمِعْ .

وفيها يقول :

كم قال قائلُكم لما لك عند عَثْرَتِهِ لمائر وفضرتمو لنوى الذنو بمنالاً كابروالأصاغر أبنى أمي أميل الوسائل والأوام النبى أمي ملمة وحشيرتى دون المشائر أثم معادن للخياب لا فقا كابراً من بعد كابر بالتسميد للتابعيد ن خَلاَتِهَا وبغير عاشر وإلى التيامة لا تزال ل شاغم منكم وواتر ص

ثم قطع الإنشاد ، وأعاد خطبته ، فقال :

 (إغضاء أمير المؤمنين سماحته وصباحته . ومناط المنتبحين من لأتحل حُبوتُه لإساءة المذنبين فضلا عن استشاطة غضبه بجهل الجاهلين .

فقال له هشام: ويلك يا كيت ! «من زيّن لك الفواية ودَلاّك في العماية» . قال : « الذي أخرج أبانا من الجنة وأنساه العهد ، فلم يجد له عزما » .

⁽١) الأهامير : جم إعصار، وهي الربح تثير السحاب، أوالتي فيها نار، أوالتي تهب من الأرش كالعمود عمو الساء . والأصل في الجمي الأهاصير ولكنه خفف بحذف الياء كالهام في للماتسح .

 ⁽٢) شافع وواتر: أى لن يتتابع منكم فيكون شفاً في المعد (زوجاً) أو وتراً (فردا).

قال له : فأنت القائل :

فيائُووَداً ناراً لغيرك ضَوْءها وياحاطباً في غَيْر حَبْلِك تَعْطِبُ⁽¹⁾ أنا الالال

عَالَ : بل أنا القائل :

وجدْنا قريشاً قريش البِطَاح على ما بنى الأوّلُ الأوّلُ الأوّلُ الأوّلُ المُوّلُ المُوّلُ المُوّلُ المُمّلُونُ

عَالَ هشام : فأنت القائل :

لا كبد الليك أو كوليد أو سليان بعد أو كهشام من يمت لايمت قبيداً ومَنْ يَحْسَبَى فلا دُو إلَّ ولا دُو دِمَام من يمت لايمت قبيداً ومَنْ يَحْسَبَى فلا دُو إلَّ ولا دُو دِمَام ويلك يا كميت اجعلتنا بمن لا يرقب في مؤمن إلاَّ ولا دُمة . قال : بل أنا القائل : فالآن صرت إلى أميسة والأمور إلى المسائر (٢) يابن المسائر المنا ثل والجعاجسة الأخاتر من عبد شمس والأكا بر من أميسة فالأكابر من عبد شمس والأكا بر من أميسة فالأكابر إن الخسسلافة والإلا في برغم ذي حسلا وواغر (١٠) دَلَنا من الشرف التابيسد إليك بالرَّفد للوافر (١٠) فللم من أميل الرَّفد للوافر (١٠) فللم حورات غيرك بالظواهر (١٠) فللم المناسلة البطاح وحال غيرك بالظواهر (١٠)

الحظاب في هذا الشعر لهشام بن عبد الملك . يريد أنه بتوليه الحلالة أفاد من حوله من بطائه واحتمل وحدم أنمها .

⁽٢) حاس الرجل الثوب : خاطه . رميل الثوب : مزقه .

 ⁽٣) قبل إنه إنحا أداد صرت إلى أمية والأمور إلى مصائرها : أى أنه سيمبير إلى بنى هام . وهذا
 طبا فهسم بالفحوى دل مليـــه المنام ، أما الفظ فلا يندله إلا طى أنه صار إلى بنى أمية وانتخى
 أمره إليهم .

 ⁽٤) الواض : الحاقد . الإلاف : هوالإيلاف، وستاه في القرآن المهد .

النسير في دلفا يسود إلى الحلافة والإلاف . ودلف : مفي في تؤدة .

اعتلبت الأرش : ظال نيتها . البطاح : جم أبطح أو بطعاء وهما مسيل الماء فيه دقاق الحمى.
 الظواهم: أصراف الأرض، أى ما ارتفع منها.

قال له: فأنت القائل:

فَقُلُ الْجَى أُمِيَّة حيثُ حَلُوا و إِنْ خفت الْهَنَدُ والقطيما(١) أجاع الله من أشــــبمتموه وأشبح من مجوّر كمو أجيما بمرضى السياســـــة هاشمى يكون حَيَّا لأُتَسَـــتِه ربيما قال: لا تقريب يا أمير للؤمنين إن رأيت أن تمحو قولى الكاذب قال: بمماذا ؟ قال: قدلى الصادق:

وكان هشام متكنًا ، فاستوى جالسًا وقال : هكذا فليكن الشعر . ثم قال : لقد رضيت عنك يا كميت ، فتبر يقى عنك يا كميت ، فتبر يقى تشريق فلاتجمل لخالد على إمارة . قال : قد فعلت وكتب له بذلك وأس له بأر بعين ألف درهم وثلاثين ثوبا هشامية ، وكتب إلى خالد أن يخلى سبيل امرأته ، ويعطيها عشرين ألقًا وثلاثين ثوبا « فعل .

مبلغ التشيع عند الكميت

بعد أن عرفت أن نشأة الكميت كانت بالكوفة تستطيع أن تقدر الأسباب التي حملته على أن يكون شيميا ، فقد كانت الكوفة بيئة العاديين وأنصارهم ، وكانت ميادينها

⁽١) سبق عرح هذه الأبيات س١٨٧٠ .

⁽٢) سبق صرح هذا الشعر س ١٨٧ .

وأسواقها وأحياؤها مسارح للتشيل بهؤلاء الأطهار من سلالة رسول الله . كما كانت سجونها مُصنّتج هؤلاء القوم وتُمساهم . بل ربما ولدت فيها ذَراريّهم ، وأرمست كهولهم وشيوخهم .

فهذه المناظر المثولة من العدوان الظاهر ، والتجنى المقوت على هذه الفئة الطاهرة ، كانت دائمًا تُسمِر فى قلوب أهل الكوفة نار الحقد على بنى أمية كماتحمل على استشمار الرحة لمؤلاءالمنكو بين ، والعطف على قضيتهم التي لم تمكن الأقدار أنصارها من الظهور بها والفَكَم على خصومهم .

فإذا تشيع الكميت في تجمعت أمامه أسباب هسذا التشيع من شناعات رآها ، وحوادث سمع بها ، وذل ضارع رأى فيه هذه النفوس الزكية ، فلاشك أن كل ذلك يصل غساً أبية ، وقلباً زكيًا مثل غس الكميت وقلبه على أن ينتصر لمؤلاء بما يستعليم نصرهم به من وسيلة .

وَلَمْ يَكُن لِمُنْهُ وسيلة إلاوسيلة القول . وقد عرف وقعه فى النفوس وقيمته بين أهل زمانه ، وقلق الحكام في عصره من اتخاذ هذا السلاح في محار بتهم .

لذلك كان أوَّل شعر قاله الكميت هو شعره في آل البيت ، فقد ورد في الأغاني عن محمد بن على النوّفلي قال : سمت أبي يقول : لما قال الكميت بن زيد الشعر كان أوّل ما قال « الهاشميات » فسترها ، ثم أنّى الفرزدق فقال له : يا أبا فراس ، إنك شيخ مضر وشاعرها ، وأنا ابن أخيك . قال : فما حاجتك ؟ قال : نَفَتْ عَلَى الساني ، فقلت شعراً ، فأحبت أن أعرضه عليك ، فإن كان حسناً أمرتني بإذاعته ، و إن كان قبيحاً أمرتني بستره ، وأنت أولى من ستره ، فقال له الفرزدق : أما عقلك فحسن و إنى لأرجو أن يكون شعرك على قدر عقال فأنشدى ، فأنشده :

طربتُ وماشوة إلى البيض أطربُ

قال : فقيم تطرب ؟ قال : ﴿ وَلَا لَعِياً مَنْ وَدُو الشَّيْبِ يَلْمَبُ ؟ ﴾ . قال : بلي يابن أخى قالمب فإنك في أوان اللسب ، فقال : ولم يُلْهَىٰ دارٌ ولا رَمْمُ منزلِ ولم يَتَطَرَّبْنِي بَنَانٌ تَحَطَّبُ

فقال: ما يطربك يابن أخي ؟ فقال:

ولا السانحاتُ البارحاتُ عَشِيَّةً أَمَرَّ سليم القَرْن أم مرَّ أغضبُ (١٠ فقال : أجل لا تتطير ، فقال :

ولكن إلى أهل الفضائل والثّق وخير بني حَوَّاء والخيرُ يُعلَّكَ فقال: من هؤلاء ويحك ا ! قال:

إلى النَّفَر البِيض الذين يحِبُّهم إلى اللهِ فيما نابني أَنْفَرَّبُ قال: أرحني ويحك من هؤلاء؟ قال:

بنى هاشم رَهْط النبى فإننى بهم ولهم أَرْضَى مراراً وأَغْسَبُ
خفضتُ لهم منى جناحى مودةً إلى كَنْفَ عِطْفَاهُ أَهْلُ وَمَرْحَب
وَكَنْتُ لهم من هؤلاء وهؤلا عبًا على أَنَى أَذَمُ وأَقْسَبُ (٢٧)
وأَرْضَى وأَرْمِى بالمداوة أَهْلَهَا وإِنِّى لاُّوذَى فِيهم وأَوْتَبُ
ققال له الفرزدق : إبن أَخى أَذْعُ ثم أَذعُ ، فأنت والله أشعر من مضى ومن يق .

ومازال الكميت يقول الشعر في آل البيت و يسمعهم إياه طلبًا لرضا الله ، و إدخالا للسرور على نفوسهم ، فكانوا فى غالب أمرهم لايملكون إلاالدعاء له يرفع أحدهم يديه ، و يقول : «اللهم اغفرالكميت ماقدّم وماأخّر ، وما أسرّ وماأعلن، وأعطه حتى يرضى».

وبمما لاشك فيه أنه لم يكن يطمع فى دنيا يصيبها من هؤلاء القوم ، و إنما كان يطمع فى ثواب الله ، فقد دخل على أبي جعفر محمد بن على "، فأنشده قصيدته : « من لقلب مُتيم مُشتهام » ، فقال : اللهم اغفر للسكميت . اللهم اغفر للسكميت . ودخل عليه يوما ، فأعطاه أنف دينار وكسوة ، فقال له السكميت : والله ماأحببتكم للدنيا ،

⁽١) الأعضب: المكسور القرن .

⁽٢) أقصب : أعاب . ورواية الأغاني أغضب .

ولو أردتها لأتيت من هي في أيليهم ولكني أحيتكم للآخرة ، فأما الثياب التي أصابت أجمامكم فإني أقبلها لبركتها ، ثم ردّ المال ، وقبل الثياب .

ولقد يتزمزع اعتقادك في اعتقاد الكميت حين تراه مدح بني أمية وعمالما ، ولكن قد كانت لهذا المدح ملابسات جعلته مقبولا لا مطمن فيه على رأى الرجل ، فبعف تقية أفرَّه عليها آل هاشم أقسهم ، و بعفه كان حيلة صناعية لجأ إليها الشاعر للقضاء على منافسيه في الشعر ، ولهماذا القول تفصيل نذكره .

فأما التمية فقد تمثلت في مدحه امعال الكوفة قبل محنته ، فقد كان يمدح خالد ابن عبد الله القشرى للرالبيت. وما زال منتفعاً بهذا المدح مشبعاً به رغبته في التشيم حتى عليه خالد لأنه تعلق عليه بقول بهجوه به في منافراته ومناقضاته المشعراء القمحانية ، فلم يتسم له عنده عذر ، فوشى به إلى الخليفة هشام على النحو الذي مرا يك .

كَا تَمْثَلَتَ تَلْكُ التَّقِيةَ في مدحه لهشام الخليفة ورثائه لابنه معاوية حين وقع في

قبضته ، فلم يجد إلا ذلك المدح . وهذه التقية قد أجازها له آل البيت ، فقد أرسل الكميت أخاه وَرْدًا إلىأ بي.جعفر محمد بن على" يقول له : إن السكميت أرساني إليك وقد صنع بنفسه ماصم . أفتأذن له

أن يمدح بني أمية ؟ قال : نم هو في حل فليقل ما شاء ، كما ذكروا أن الكميت نسمه دخل على أبي جغر هذا ، فقال له : يا كميت أنت القائل :

فالآن صرت إلى أميّــــة والأمور إلى المصائر

قال: فعم ، قد قلت ولا والله ما أردت الدنيا ، ولقد عرفت فضلكم . قال : أماإن قلت ذلك ، إن التقية لتحلّ .

وأما الحيلة الصناعية ققد أردنا بها تلك الرسائل التى يلجأ إلبها الرجل فى صناعته ليكسب الفوز على خصمه، ولقد كان من السكيت مكر حسن فى باب للناقضة بالشمر . من ذلك أن شاعراً من أهل الشام يقال له : حكيم بن عياش الكلبي كان يهجو على بن أبى طالب عليسه السلام وبنى هاشم جيماً ، وكان منقطاً إلى

بنى أمية ، فانتدب له الكميت ، فهجاه وسبّ فأجابه ولج ينهما الهجاء ، فكان الكميت يظهر أنجامه إياه للمصبية التي يين عدنان وقحطان . قال السّهران بن الكميت قلت لأبى : يا أبت ! إنك هجرت الكلمي ، فنخرت بنى أمية ، وأنّ تشهد عليهم بالكفر ، فألا فحرت بعلى وبنى هاشم الذين تنولاهم . قال يا بنى ، أنت تعلم القطاع الكفر ، فألا فحرت بعلى أعداء على عليه السلام ، فلو ذكرته لترك ذكرى وأقبل على هجائه ، فأكون قد عرضت عليه له ، ولا أجد له ناصراً من بنى أمية ، فتخرت عليه يه أمية وقلت : إن تفضها على قتاءه ، وإن أمسك عن ذكرهم قتلته خما وغلبته ، فكان كما قال : أمسك الكلمي عن جوابه ، فتلب عليه وأغم الكلمي ،

Å.

فالرأى عندنا أن تشيع الكديت كان عقيدة ضمّ عليها أحناء ضلوعه ، واختلطت بدمه ولحمه ، وأما اللدى كان منه من انحراف إلى أعدائهم فى بعض القول ، فهو حيلة يتخذها ليستمين بها على ردّ الكيد عنهم وعن نسمه .

شعر الكميت

تقد حكم مُعاد المَرَّاء بأن الكميت «أشمر الأوَّلين والآخرين » ، وقال له الفرزدق : «أنت أشعر من مضى ومن بقى » ، ويخيل إلينا أن حكمهما لا مبالغة فيه ولا إسراف لأن الكميت قد تهيأت له أسباب تسوع قبول هذا الحكم ، ولا سها في عصر الكميت .

فلقدَكَان المصبية للقام الأوّل بين الشعراء ، فن كان نافذ القول فيها خبيراً بمداخلها ومخارجها كان له الفلب على معارضيه ، وراج شسعره بين الناس بما يثير من دفائن وما يكشف من مستور ، والكميت له فى هذا المقام القدح الملى والقدم الفارعة ، فقد كان علياً بأيام العرب ومفاخرهم ومثالبهم ، حافظاً لأنساب القبائل لا يماريه فى كلّ ذلك ممـار . حتى قبيل : ما جمع أحد من علم العرب ومناقبها ومعرفة أنسابها ما جمع الكميت ، فمن سحح الكميت نسبه صح ، ومن طعن فيه وَهَن .

وهو الذي ردّ على الأعور الكابي لما رى امرأته بأهل الحبس ، فكانت قصيدته فيه ثلثانة بيت لم يترك فيها حيًّا من أحياه البن إلا هجاهم .

وقد حار الناس فى أمر الكميت وعله بأنساب العرب ووقائمها ، ثم اهتدوا إلى أنه كانت له جدتان أدركتا الجاهلية ، فكانتا تصفان له البادية وأمورها ، وتخبرانه بأخبار الناس فى الجاهلية . فإذا ما شك فى شعر أوخبر عرضه عليهما ، فتخبرانه عنه . فانوا : فم. هناك كان عله .

و إنك لتنبين استقلال الكميت فى نزعته وصدوره عن محض ملكته فيها رواه صاحب الأغانى من أنّ الخليفة هشاما لما وقست له رقمة فيها أبيات تشتمل على وشاية يخالد القسرى، ع هم . :

تَّالَقَ بِرُقَ عندَ دَنَا وتَقَابِكُ أَثَافِ لِتِيْدِ الحربِ أَخْشَى اقْتِبالما (١) فدونك قِدْرَ الحربِ وهى مُقرِّة لَكَفَّيْكِ واجل دون قِدْرِجِعَالها(٢٧) ولن تنتهى أو يَبْلُغَ الأمرُّ حَدَّه فَنَكُها بِرِشْلِ قبل أَلاَّ تَنالها(٢٢)

 ⁽١) يتال انتبات الأس إذا استأهته . يربد جهابل الأثاق الدر الاستعداد المعرب وإنحما جمل الحرب
 تدرا لأنها تضطوب بمن فيها كما تضطوب الدر عند انشان .

 ⁽٣) الجسال : خرفة يغذل بها الفدر . ومعنى مقرة لكفيك : أى خاضة لهما يربد تمكنه من الأسمى
 وقبضه على زمامه .

⁽٣) الرسل : الرنق والتؤدة .

فَتَحْشَمَ مَهَا مَا جَشِمْتَ مِن التى بسور أهرت نحو حالك حالها الله أمور الناس قبل تفاقم بتشدة حَزْم لا تفاف انحلالها في أبرم الأقوام يوما لحيلة من الأمر إلاّ قلدوك احتيالها وقد تفهر الحربُ المتوّانُ بِسِرِّها وإنامة تُمّة من لايريد سؤالها

فأس هشام أن يجبع له من بحضرته من الرواة فجمعوا ، فأس بالأبيات قفرت عليهم ، فقال : شمرَ مَنْ تشبه هذه الأبيات ، فأجموا جميعًا من ساعتهم أنه كلام الكميت ابن زيد الأسدى .

فاجاع الرواة من ساعتهم على أن السمر للكعيت دليل على أن لشعره طابعً لا يشتبه معه بشعر غيره ، وهذا الطابع هو دليل الاستقلال ، وآية الملكة المستفنية عن الاحتذاء والتقليد ، ثم إن هذا الإجاع بهذه السرعة دليل من جانب آخر على امتياز فن الكعيت وأنه لملوه لا يختلط بغيره من منازع الشمراء الذين تتدانى ملكاتهم ، وتتقارب قواهم ، وتلتق فى مشرب واحد مآخذهم انطك سهل على الرواة أن يميزوا شعره لتحليقه وحده فى سماء لايتسانى إليها غيره من أهل العصر .

وقبل أن نحكم على شعر الكميت لا نرى بأسًا من الاستثناس برأى أهل زمانه فيه من أمراء وخلفاء وشعراء ورواة .

فأما وجه هذا الاستئناس ضو أن القوم حين حكموا لم يصدوا فى الغالب إلا من تأثر بجمال هذا الشعر ، ور بما وقع بمضهم تحت هذا التأثير كارهافا عب مضطراً وهدل عن حنقه على الشاعر إلى الرضا الذى تبعه تقريب المجلس و إغداق العطاء . وهل يمكن أن يكون هشام الخليفة بمالئاً حين يسمع شعر الكميت فيضر ابنه مسلكة بقضيب فى يده ، ويقول له : اسمع . اسمع . أو يكون الفرزدق وهو الشاعر للشهور بحقده على الحجيدين من الشعراء ، مصافعاً حين يسمع أول شعره الذى جاء يستأذنه فى إذاعته ،

⁽١) جعم الرجل الأس (كسم) تكلفه على مفتة .

فيقول له : يابن أخى أذع . ثم أذع ، وهل تكون فاطمة بنت أبان بن الوليد (ممدوح السكميت) مسرقة حين التقت بريا ابنة الكميت في طريق الحج ، فلما عرفتها خلمت للما خلخالين من الذهب ، فقالت لها : جزاكم الله خيراً ياآل أبان . قالت فاطمة : يل أثم فجزاً كم الله خيراً ، فإنا أعطيناكم ما يبيد و يفى ، وأعطيتمونا من المجد والشرف ما يبقى أبداً ولا يبيد : يتناشده الناس في المحافل فيحيى ميت الذكر و برض بنية العقب ، في حكمهم ولا مبالنين ، و إنما كانوا صادقين مدقوعين بتأثرهم من جال هذا الله ل.

كَفَلْكُ فَى نُوعَ العطاء صورة لرأى المدوح فى الشعر الذى مدح به ، فهـــذا خالد التسرى لمـا سمم من الـكميت قوله فيه :

لوقيل للسجد من خليفك ما إنْ كان إلاّ إليك يَنْتُسِبُ
أَنتَ أَخُوهُ وَأَنتَ صُورتُهُ وَالرَّاسُ منه وغيرُكُ الدَّنَبُ
أَخُرَرْتَ فَضَلَ النَّصَالُ فَي مَهِلُ فَكَلَّ يُعِيرٍ بِكَمْنُكُ التَّقَسِبُ (١)
لو أن حكمياً وحاجما نُشِرا كانا جيماً من بعض ماتهبَهُ
لاتخلف الوعد إنْ وعدت ولا أنت عن التُنتَيْنِ تحتجب (١٠)
ما دونك اليوم من نوال ولا خلقك الراغبين مقتلب (١٠)
أمر له ممائة ألف دوه .

وهذا تُخَلَّد بن يزيد بن اللهاب أنشده الكميت :

قاد الجيوش فحس عشرة حجة وَلِيَاتُهُ عَنْ ذَاكَ فَى أَمْمَالُ ضدتْ بهم هِنْتُهُم وَشَكَتْ به هِيْمُ لللهِكُ وسَوْرُةُ الأَبِطالُ⁽¹⁾

⁽١) العمب: تعبب السبق .

⁽٢) للعظون : طالبو البلود .

 ⁽٣) دون يمنى أمام : أى ليس بعد نواك نوال ولاخفك أحد يرسى .
 (٤) المعورة : المعلمة ، المعلمة .

وكان قدام ُتَخَلَّد دراهم يقال لهـــاالروبحِة ، فقال للكميت : خذ وَقْرك منها ، قال الــكميت البغلة بالباب وهى أجلد منى ، فقال : خذ وقرها ، فأخذ أر بعة وعشر بن ألف درهم .

حكمنا على شعر الكميت

أما حكمنا على شعر الكيت بعد ما قدمنا لك ، فهو أن الرجل كان مطبوعاً على قول الشعر . يدلك على ذلك طول نسه فيه فهاشمياته طويلة ، (وسنفرد لها فصلاخاصًّا) وكذلك قصيدته التى ردّبها علىالأعور الكلبى بلغت ثلثيائة بيت ، وشعره كله بلغ خسة آلاف وماثنين وتسمة وثمانين بيتاً ، وهو مقدار كبير لم يبلغ مبلغه شاهر من أهل زمانه، كما يدلك على هذا الانطباع قصيدته الرائية التى ارتجاها فى مجلس العفو عنه بين يدى هشام الخليفة .

كذلك كان سليم الملكة العربية ، وقد ضمن له ذلك استظلاله بهذا العصر الذى لم يتحيف الملكات فيه تقص ولا اعتدى عليها اختلاط ، وقد انضم إلى علمه الواسع بلغات العرب ومفاخرهم ومثالبهم ، وكان زمنه يتطلب ذلك ليرضى الشاعر سامعيه ، و يكفيهم حاجة قدوسهم لنهش الأعراض ، أو تعداد للناقب .

فاجتمعت بذلك للكميت أسباب الكمال فى شعره : رصانة لفظ ، وطول نفس ، و بعد إشارة .

ولقد كان لكثرة ما حفظ من شعر القدماء أثر عظيم فى جودة شسعره حتى لقد تسبق إليه عبارات من كلام هؤلاء القدماء فتزين قوله ؛ ولكن بعض المتصبين عليه كلف الأحمر كان يعد ذلك من معايبه ، ويدعى أن الكميت يسرق كلام الشعراء ، وما هى بسرقة ، ولكنها ما علمت من امتلائه بالحفظ وكثرة الرواية .

أما الأثر السياسي الذي أحدثه شعر الكميت ، فقد كان بسيد النور حتى لقد اعتبر هذا الشعر من أقوى الدوامل في إحياء العصبية للمقوتة التي جنت على الدولة الأموية ، و بقيت آثارها إلى أوائل العصر العباسيّ حتى أماتها الفرس وقضوا عليها جملة و إنك لتدرك قو مهذا الشعر من قول صاحب الأغانى: «ولم تزل عصبيته المدنانية، ومهاجاته شعراء النين متصلة، والناضة بينه و بينهم شاشة فى حياته ، وبعد وفاته حتى ناقض دعبل وابن أبى عُمِيتُنة قصيدته المذهبة ، فأجابهما أبو الزلقاء البصرى مولى بنى هاشم عنها » ، ولقد كان ذلك فى النصف الأوّل من القرن الثالث الهجرى :أ ى بعد وفاة الكوت بنحو مائة سنة .

ويقول الجاحظ في بيان المدى الذي بانه شعرال كميت من التأثير في سياسة الدولة: « مافح الشيمة الحجاج بالشعر إلا الكميت بقوله :

فَإِن هِي لَمْ تصلح لحَىِّ سواهُ فَإِنَّذُوى القربياُحق وَأَوْجَبُ يقولون لم يورث ولولا تُراثُهُ لقد شركت فيه بَكِيلِ وَأَرْحَبُ⁽¹⁾

هاشميات الكميت

هى ست قصائد كبار مجموعها نحو ٥٦٣ ميتاً ، ومعها بعض مقطعات بيلغ مجموعها نحوعشرين بيتاً ، وطولى هذه القصائد بلغتمائة وأر بعين بيتاً ، ومنها ثلاث أر بت كلّ واحدة منها على المـــائة .

والوصف العام له خد القصائد أنها تشتمل على تمجيد آل البيت ، ووصفهم بالطهر والجود والشجاعة ، وأنهم أليتى الناس بإقامة العدل وضبط ميزانه ، كذلك فيها ذكر للموقى منهم متو جين بالحديث عن سيرة رسول الله ووصف حياته وأعماله وغزواته ، ولكن بإيجاز يبعد القصيدة عن أن تعد من نوع القصص كذلك يذكر عليًّا والحسن والحسين ومقاتلهم ، وفيها كثير من الاحتجاج لآل البيت واستحقاقهم الخلافة وتعريض وتصريح بيني أمية واغتصابهم الأمر . هذا ما تدور عليه « الهاشميات » والأولى منها في ترتيب الوضع في النسخة الطبوعة عصر ، مطلها :

^{﴿ ﴿} إِ ﴾ بَكُيلٍ وأرحب : حيان من همدان .

من لقلب مُنتَّم مُشت تهام غَيْرَ ما صَبْوَة ولا أخلام (١) طارقات ولا اذ كار غَوانِ واضحات الخلدود كالآرام (١) بل هواى الذى أُجُنَّ وأُبْدِى لبنى هاشم فُروع الأنام (١) لقريبين من ندى والبعيدين من الجورف عُرى الأحكام وللمسيبين باب ما أخطأ النا س ومُرْسى قواعد الإسلام (١) والحاة الكُمَّاة في الحرب إن أَشْب فَ ضِرام وَتُودَةُ بضِرَام والنيوث الذين إن عمل النا س فأوى حواضن الأبتام والولاة الكمَّاة اللَّمِّم إِنْ طَرَّ قَ يَتَّنَا بَمُتَهِمْنِ أَو تَمَام (ويَهد فلك يقول في وصف رسول الله :

أسرة الصادق الحديث أبي القا سم فرع القُدّامس القُدّام (٥) خير حيّ وميّت من بني آ دم طُرًا مأمومهم والإمام وفيها بذكر الحسين، فيقول:

وقتيل بالطنَّ عُودرَ منه بين غَوغاه أُستة وطَّفَام (٢٠ تركبُ الطيرُ كالمجاسد منه مع هاب من التراب هُيام (٨٥ وتُطيلُ للرَّازُ آتُ المُقالِيــــتُ عليهُ القمودَ بعد القيام (٨٥

 ⁽١) طارقات: وسف لأحلام. والادكار: التذكر. غوان: جم غانية، وهي المرأة الجيلة.
 (٣) أجن مضارع جن (كنصر): أستر وأخنى، وشئه أجن (كأكرم). فروع: جم فرغ

 ⁽۲) أجن مشارع جن (كنصر): أستر وأخنى، ومثله أجن (كا كرم). فروع: جمع فرغ وهو أعلى الهيه..

 ⁽٣) مرسى قواعد الإسلام: من أرسى اللميء يمني تهته وأقره .

 ⁽³⁾ طر"قت الحبلي : إذا خرج شيء من المولود وبني شيء . اليتن : المولود الذي خرجت وجلاه قبل رأسه ويدي . المجهن : الذي ألفته أمه قبل تمسامه .

 ⁽a) القداس : السيد . القدام : من يقدم التأس لمرغه .

⁽٩) الطفّ : موضع قرب الكوفة .

 ⁽٧) الحباسد : التيآب المزعفرة . الهيام : الذي يتساقط من شمه .
 (٨) المقاليت : جم مقلاة وهي المرأة الاميش لهـــاً وأه .

يَتَمَرَّغُنَّ وَجُسَّهَ حُرِّ عليه عَمْبُهُ السَّرْدِ ظاهرًا والوَسَام (١)
قَتَلَ الأَدْعيله إذ تعسَّلوه أكرَمَ الشاريين صَوْبَ النسام
والثانية مطلعها :

طريت وماشوقا إلى البيض أطرب ولا لمباً منى وذو الشيب يلسب ؟ وقد مر" بك هذا المطلع وما بليه . ومنها فى ذكر استحقاق آل البيت للمخلافة : وجدنا لكم فى آل حاميم آية تأوّلكَ منّا تَـقِيُّ ومُشْرِب ٢٠٠ وفى غــيرها آيًا وآيًا تتابعت لكم نَصَبُ فيها لذى الشّكُ مُنْعِب ٢٠٠٠ بعقد كم نَصَبُ فيها لذى الشّك مُنْعِب ٢٠٠٠ بعقد كم مُنْ مُنْ مَنْ تقودنا وبالقَدُّ منها والرَّدِيفين تُرْ كَبُ (٤٠٠) واثالثة مطلعها :

أنَّى ومن أين آبك العلوب من حيث لاصبوة ولارِيَبُ لا من طلاب المحجَّبات إذا أُلـــق دون لَلمَاصِر الحُبُّبُ وفيها يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على نحو مامرت فى الأولى

والرابعة وأوَّلُما :

ألا هل عَمرٍ فى رأيه متأسلُ وهل مدبرُ بَعَدُ الإساءة مُعْبلُ وهل أمة مستيقظون فرُشُــــدهم فيكشف عنه النَّصْةَ للْتَزَمَّل فقدطال هذا النومواستخرجالكرى مساويَّهُمْ لوكان ذا لليلُ يُعْدَل

⁽١) النقبة : ضرب من التياب موشى . السرد : الفعرف والمرودة . الوسام (بالفتح) الحسن .

 ⁽٣) الآية هي قوله تمالي في سورة الشورى « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في الدربي » .

⁽٣) النصب بالنحريك : العلم النصوب . منصب : منصب » والآيات مردوله تعالى في الأحزاب « إعما ربح الله المنحوب منسح الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ودوله تعالى في الأهال « وإعلموا أما غنتم من هيء فأن قة خمه والرسول ولدى الفري » الآية .

⁽٤) بريد أن قريشا (يعنى بي أمية) تحكم الناس باسم آل هادم فهم يتخفونهم وسيلة إلى غرضهم كما تركب الهابة للوصول بها إلى الجهة ، المراد بركيها واحد أوائنان .

نقد الكلام في عصر بني أمية

النقد ميز الخبيث من الطيب ، والزائف من الجائز ، وهو فى الكلام معرفة صائبه من خاطئه ، وتقدير حسن موقعه ، أو سوء موضعه .

ولقد كان ذلك شغل العرب فى جاهليتهم وهم من عرفت عناية بالقول والتماساً لأبلته وتلطفاً لحسر وقعه ، وإن أحدهم ربحا قال القول لا يبغى به إلا الباهاة بالقصاحة والمساماة فى بحسن البيان ، فلم يكن غرضهم من كل ما قالوا إرشاد السامع إلى ما جهل و إفهامه ما نحمن ، بل كان أكبر همهم الإدلال بشرف القظ والتنبيه على مكانه ، وجدير بمن كانوا بهذه للثابة أن يكونوا قد بالنوا فى المناية بالكلام ، فاختاروا لفظه نقياً صافياً ، وهمدوا إليه جزلا شريقاً . والتمسواله الموقع اللاتق والسياق الناسب . وهم أحرى إذا نظروا فى الكلام ، أو استأذن على سمهم شىء منه أن يدركوا بمواز ينهم المضبوطة ، وملكاتهم السليمة حسن موقعه ، أونبو موضعه ، لأتهم طالما أخذوا أنفسهم بلك ، ولم تعدد ولم المنابع الجيد .

ولعلَّ هذا الغرام منهم بحسن الاتساق وجمال الوقع هو الذى جل الشعركشيراً

فيهم فإنه بوزنه واتحاد قافيته يساعد على التغنى ، ومن شأنه أن ينفى كل كلمة لا تقبل التوقيع ، ولا تدخل فى حظيرة الموسيقى .

و إن ملكة النقد عندهم هى التي تمثلت فى أسواقهم أيام الجاهلية ، فتنخلت قريش اللمنات ، فلص لهما من بينها لفة جمت ماتفرق فى لفات العرب من مزايا ، ثم أرصد الشمراء لأنفسهم حكاما يستجيدون الرصين من قولهم ، ويبهرجون الباطل منه ليكون الفائل وأتحماس الفائد للنشودة ، وليكون للمكات رقيب يحصى خطأها ، وينفى زَيْنها ، فلا تتأثر به الأسماع ، ولقد كان الحكم فى شعرهم حينا ما ، النابغة الذيبيانى ، فكان يعرض عليه الشعراء أقوالهم فيقفى فيها بالحكم الذى لا يرد ، وقد مر بك حديث حسان والخنساء حين أسمما النابغة شعرها ،

استمر ذلك شأن العرب يحكمون العجيد على القصر، ويتبعون الكلمة بالرأى فيها يساعدهم على ذلك ماكان لهم من حرية فى إبداء الرأى لا ينهنه لها غرب حتى كان أحده يشعر بأن ديناً فى عتمة أن يقول كلمته ، ويعلن الناس رأيه ليبرى ف دمته من أمانة لا يستطيم لها خيانة ، ومن عهد ما يرى فى الوظاء به من بد . وهذا هو الذى جمل الحطيئة حين دنت وظاته يجمل فى موضع وصيته أن يقول أبلغوا غطفان أن الشياخ أشعر العرب حيث يقول :

إِذَا نبض الرَّامونَ فيها ترَّمَتْ تَرَشُّمَ أَسَكُلَى أُوجَمَتُها الجنائز وأبلنها أهل ضائ أنه كان غاءً حيث قبل:

لَكُلَّ جديدٍ لذَّ غير أننى ﴿ رأيتُ جديدَ للوتِ غيرَ النيذِ وأبلغوا أمرأ القيس أنه أشمر العرب حيث يقول :

فيالكَ من ليل كأنَّ نُجُومَه بكل مُقار الفَتْلِ شُدَّتْ بَيَذْبُلِ وأبلنوا الأنصار أن صاحبم (يعنى حسانًا) أشعر العرب حيث يقول: يُنشَّونَ حَتَّى مَا تَهُوْ كِلاَبُهُمْ لَا يَشْأُلُونَ مَن السَّوَادِ لَلْشَيْلِ ثم يختم هذه الأمانة التي يؤديها ، وكأنه يرجو نسما في آخرته بقوله :

الشعرُ صَمْبُ وَطَوِيلٌ سُلَّهُ إِذَا ارتبى فيه الذى لا يَشْلُهُ زَلَّتُ به إِلَى المُطْمِيعَنِ قَدَمُهُ بُرِيدُ أَنْ يُشْوِبُهُ فَيَعْجِمُهُ

ولقد جاء الإسلام ، فنشر لهم بالقرآن ، وكلام النبي مطارف من القول جيدة النسج بديسة السنم ، فأدركوا بهما كيف يكون حسن التأليف وتلاحم القول ، وكيف تقع الكلمة موقعاً لا يحسن فيه غيرها ، ولا يليق به سواها ، وكيف تكون للأسلوب روعة. في مقام الزجر ، وتطريب في مقام البشرى ، و إبكاء في سياق الوعظ ، وتثبيط و إخزاء عند المثاب واللوم ، إلى غير ذلك مما لهما من جمال رائم كان هو هادى العرب إلى الاجمان وداعيتهم إلى الدّين .

عرف العرب بالقرآن مثلا في البلاغة أسمى من مثلهم ، ورأوا في كثرة معانيه ، والساقها ذخيرة لم تعلى بثلها أيديهم ، فصار للبلاغة عندهم مقياس فوق مقيامهم وحد لم يبلنوه في جاهليتهم . فلا غرو إذا أتتج هذا فيهم دقة حس" ، وحسر تقدير ، والقياساً للكال يجعلون فيه القرآن وكلام الرسول حجتهم وبموذجهم ، لذلك رأيناهم أقياوا عليهما يكثرون من اقتباس ألفاظهما ويتأثرون بأساليبهما ، ويهتدون في معانيهم بهيهما تساعدهم على ذلك ملكات حصيفة توارثوها من عهد قريب عن آباء صدق لم تشبها هجنة ولم تعبها عجمة ، وققد استمر" العرب في مدة المصر الأموى محتفظين بالمقدو على النقد وصدق الحكم لأن لللكة بقيت سليمة خصوصاً في الخاصة من ولانة فكان كان كان كان كان ويفسلونه على غيره ، فكان كا ذكرنا في مواضع سابقة لكل شاعر رواة يتعصبون له و يفضلونه على غيره ، فكان كا ذكرن الشعريا الا بعد محاسن الكلام والنيل من غيره بالتجريح والهيب ، كذلك كان الشاع بقسه يرسل القصيدة ، كانت كثرة الشعراء ، وتهافت الناس على التكسب بالشعر من أسباب النظر في كلامهم وقد عرف البيت الذي سيرحف له المدوح إنجاباً وارتياحاً كا يعرف في الهجاء البيت وقد عرف البيت الذي سيرحف له المدوح إنجاباً وارتياحاً كا يعرف في الهجاء البيت

الذى سيفرى لجلد الهجوّ ويدقّ عظمه .كما حدث أن جريراً هاجه راعى الإيل ، فانصرف وهو منضب ، فما زال أوقا طول ليله يهدر هدير البعير ، ويقرض الشعر في هجائه حتى وصل إلى قوله :

فَفُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِن نُمَيْرٌ فلا كَنْبًا بَآمْتَ وَلا كَلْبًا بَاَمْتَ وَلا كَلْبًا فوثب حتى أصاب رأسه السقف وكبرتُم صاح أخزيته والله ، والله لايفلح بمدها ، فكان كما قال ، وارتحل راعى الابل على أثر ساعه لهذا القول منكسراً محذولا ، فكان كل من مكان وجد هذا الشعر قد سبقه إليه .

ولقد بلغ من قوة تقدهم وتمييزهم لطبقات الكلام أن كان مثل خلف الأحر، وحاد الراوية يقولان على لسان كل شاعر ما لايستطيع الناس تمييزه من قوله لأن أحدهم كان قد سبق فعلم خصائص كل شاعر ودقائق الفروق بين قوله رأقوال غيره ، فإذا قال مثلا على لسان امرئ القيس لم تر إلا روح امرئ القيس مترددة فيا يقول ، ولشدة الحذق وتناهى للقدرة في التقليد جاز ما وضعوه على ألسنة هؤلاه الشعراء ، ودخل على الناس كأنه كلامهم .

ولقد راج النقد في هذا المصر رواج الشعر تفسه تقد خلت به مجالس الحلفاء والأمراء والولاة وحلقات الأدب في للساجد الجاممة وأسواقه في البصرة والكوفة ، وكان حديث الناس وموضوع سمرهم ، فمنا ذكروا شاعراً إلا أعقبوا ذكره بالرأى فيه

لأجل ذلك ترى كتب الأدب قد امتلأت بالحكم على الشعراء والخلاف بين النقاد في تفضيل شاص على آخر ، وماذ كرناه في فصول سابقة من أن هذه الآراء كانت مثاراً للمخاصمات والتبحالد بالسيوف يدلك أوضح دلالة على ماكان للنقد من رواج في هذا المصر ، ولقد كان النقد عند الدرب في هذا المصر والذي قبله من أيام الجاهلية يشمل جهتي الكلام : عبارته ومعناه . فأما اللفظ فقد تناولوا فيه اللفظ من حيث السهولة والوصورة والاضطراب والانسسجام والتناسب والتنافر ، ثم الصحة والحماأ واللحن والإصابة . فإذا كان شعراً تناولوا الوزن ومناسبته للمني ، وهدوا الشاعر في التزامه والإنام. في التزامه

بحوراً خاصة لايشداها ، وحكموا على القافية فى شدة أسرها ، أوقلق موضعها إلى غير ذلك بمما تعرفه من الأمورالتي تتعلق بالفظ مغرداً ومركباً، وقد قال أصحاب الأعشى: هو أكثرهم عروضاً ، وأذهبهم فى فنون الشعر، وأكثرهم طويلة جيدة، وأكثرهم ملكا وهجاء . ولا يذهب عن بالنا ماكان يعاب على شعر النابغة الذبياني من الإقواء ، وهو اختلاف حركات الروى ، وذلك لأنه لم يكن يعيد نظره فى شعره حتى يقطن إلى مثل هذه الماكذذ ، فاتهز أهل المدينة فرصة حلوله بينهم فلموا عليه مفنية تغنيه بقوله :

أَمِنْ آلِ مَنَّةَ رَائِحٌ أَوْ مُفْتَدِ عَلَمُلاَنَ ذَا زَادٍ وَغَــَدْمَ مُرَّوَّدٍ زَعَمَ الْبَوَارِحُ أَنَّ رِخَلْتَنَا غَلَمًا وَبِلَاكَ خَيَّرَنَا الْفُرَابُ الأَسْوِثُ سَقَدَّا الشَّمِيفُ وَإَنْ تُوْدِ إِسْقَاطَهُ فَتَنَاوَلَتُهُ وَالثَّمَّنَا اللَّهِـــدِ بِحَضْدِ رَخْص كَأَنَّ بَنَاتَهُ عَنْ يَكَاوُمُ مِنَ اللَّمَا فَذَ يُعْتَدِ

وأمروها إذا بلفت الروى أنَّ تمده حتى يفعلن له ، وقد فعلن فأصلح شعره وقال : وردت يثرب وفى شعرى بعض المهدة ، وصدرت عنها وأنا أشعر الناس . كذلك تقدوا المعنى ، فقد وفى حكاية الخنساء وحسان حين وفدا على النابغة مايدل على عنايتهم بالمعنى ، فقد عدت الخنساء على حسان أنه قال جفانه فى قوله: لنا الجفنات الفرَّ ، وجعل طعامه بالتهار فى قوله : يلمعن بالضحى . قالت له : لو قلت بالدحى لكان أكثر طراقاً ، ثم عابت عليه افتخاره بالأبناء فى قوله :

وَلَدَنَا بَنِي اَلْمُنْفَاهُ وا ْبَنِي ْمُحَرَّقِ ۖ فَأَكْرِمْ بِنَا خَالاًوَأَكْرِ مِبِنَا ا بْنَا وعادة الدرب أن تفخر بالآباء ، وسيدرٌ بك من ذلك كثير جرى على ألسنة الخلفاء والأدباء في المصر الأموى .

A

والذى تراه أن النقد كان نواة علوم البلاغة التى تكاملت فيا بعد فصارت علماً مستقلاً . ألست ترى أن موضوعهما واحد وهو الكلام وبيان وجوه حسنه وأسباب ۲۳ - أدب - 1 قسه ؟ تقد كانوا إذا أرادوا تطيل الحسن فى الكلام أشاروا إلى أزدواجه ، أوسجعه مثلا ، أو أنه اشتمل على تقسيم صادق أو اقتباس حسن ، كما تقدوا مطالع القصائد ، فاستحسنوا للطلع الجزل الدائل على الفرص لللائم للموضوع ، واستهجنوا مادعا إلى التطير وحل على الاستكراه ، ولم يكن مناسبًا لمقام الكلام ، كما تناولوا الانتقال من التشبيب إلى الغرض ، فإذا وأوا الشاعر قد أحسن التخلص وتلطف فى للدخل حمدوا صنيمه ، وإن رأوه وقب من غير ربط ، وهجم من غير تلطف عابوه واتهموه ، كذلك نظروا إلى الخيام ، وطالبوا فيه أن يكون حسناً ليكون مايطق بالذهن من القول محموداً ، ولهيحو يسنه الباقى قبحاً سبقه إن كان ، وهكذا فكان من آثار ذلك أن رأينا علم البلاغة يتكون وفيه أبواب البديع من ادواج وسجع وتقسيم إلى غيرها .

ونحن الآن وقد فقدنا قرّة النقد لفقد السليقة العربية ترانا لانستطيع الحكم على الكلام إلا إذا ترسمنا خطا علوم البلاغة وحكمناها فيا نعرض له من القول فيا ننقده ونميز طيبه من خبيثه ، لذلك لاترى لغير البارعين فى هذه العلوم الواقفين على أسرارها أن يتناولوا الأساليب العربية بالنقد ، فإن كلام غيرهم فى ذلك خلط وضلال يجب أن تسان عنه العربية .

å

وسنورد عليك أمثلة نما وقع من النقد تدرك بها مدى هذه للككة في تموس القوم. ٩ حاما عالم عن القدر قبله :

إ - عابوا على امرى النيس قوله :
 أخَرَّكِ بِنِّى أَنَّ حَبِّكِ فَاتِيلِي وَأَنَّكِ مَهْمَا تَأْمُرى يَفَعَلَ

... فقالوا : إذا لم ينرها ذلك منه ف الذي ينرها ؟

وأخذوا عليه قوله :

فَالسَّوْ عَلِي أَنْهُوبُ وَلِلسَّاقِ دِرَّةٌ والرَّجْرِ مِنْهُ وَهُمُ أَخْرَجَ مُهُذِبِ(١)

⁽١) الألهوب : شدة الجرى . العرة : الانطاع . الأخرج : الطلم . الهذب: السريع السو من

عَلَى سَابِح يُعْطِيكَ قَبْلَ سُوَّالِهِ أَقَانِينَ جَرْمي غَيْرَ كَرْ ٍ ولاوانی(۱) كما عدوا من ففلة كُنْثَيْر قوله :

إداد جريران يذكر عفوه عن بنى غُدانة حين شفع فيهم عطية بن جمال ،
 فيجاهم أقبح هجاء حيث يقول :

أَنْبَى غُذَانَةَ إِنَّنِي حَرَّرُتُكُمُّمْ وَوَهْبَتُكُمُّ لِمَبَلِيَّةً بْنِ حِمَالِ لُوْلاَ عَطْيَةُ لاجْتَدَشْتُ أَنُوفَكُمْ مَا نَبْنَ أَلْأَمْ آنَهُمْ وَسِبَالِ⁽¹⁷⁾ فقال عطية لما سمم الشمر : ما أسرع ما رجم أخى فى عطيته ؟

٣ - أنشد عبد الملك قول نصيب:

أَهِيمُ بِيَنَظَدِ مَا حَبِيتُ فَإِنْ أَمْتُ ۚ فَوَا حَرَنَا مَنْ ذَا يَهِيمُ بِهَا بَعْدِى فقال بعض الحاضرين: أساء اقول . أيحزن لمن يهيم بها بعده ؟ قال عبد الملك: لوكدت قائلا فحـاذا تقول ؟ قال :

أَهِيمُ بِدَعْدِ ماحَيِيتُ فَإِنْ أَمُتْ الْوَكُلْ بِدَعْدِ مَنْ يَهِيمُ بِهَا بَعْدِي

أهذب بمنى أسرع : والمنى أن السوط يممل هذا الفوس على شدة الجرى ولمس بطنه بسأتى الراكب يجمله يندنع فى جريه وإذا زجره راكبه كالن منه ما يكون من المظليم (ولدالتعامة)المسرع.

 ⁽١) السكز : المقبض ، والمرأد هنا تقارب الحظا في الجرى .
 (٢) من غير ربية أن لايكون منا مايريب: أى يكون اجتماعها لاإثم قيه .

⁽٣) آنف : جم أنف . سبال (جم سبلة) وهو الشعر على الفارب .

فقال عبد الملك : أنت أسوأ قولا ، ثم قال الوجه أن يقال :

أَهِيمُ بِدَهْدِ مَا حَبِيتُ ۚ فَإِنْ أَنْتُ ۚ فَلَا صَلَعَتْ دَهْدُ لِنِي خُلَةٍ بَنْدِى ٤ – أنشد عبد الله بن جغر قول الشاص :

إنَّ إلصنيعة لا تكون صنيعة حتى تُصِيبَ بها طَرِيقَ اللَّصْنَعِ قال: هذا رجل يريد أن يبخل الناس. أمطر المروف مطرًا فإن صادف موضاً ، فذلك الذي قصدت له و إلا كنت أحق به .

a - أنشد الكُميَّتُ نُعَيِّبًا ، فاستمع له ، فكان فيا أنشده :

وقد رأينا بها حُـــورًا مُنتَمَّةً للهِ يضا تَكَامَلَ فيها النَّلُ والشَّنَبُ (٧) فني نُسَيِّبُ خنصره ، فقال له الكميت : ما تصنع ؟ قال : أُحْصِي خطأك تباعدت في قولك تكامل المَّلُة والشَّنَبُ ، هلا قلت كما قال ذو الرَّمَّة :

كَيْلِه فى شَفَتَتَيْمًا حُوَّةٌ لَمَّنَ ۗ وَفِى اللَّئَاتِ وَفِى أَنْيَابِهَا شَفَبُ^(٢) قال أبو الساس المبرد : الذى عابه نصيب من قوله تكامل فيها السل والشنب قبيع جدًّا، وذلك أن الكلام لم يجمر على نظم ولا وقع إلى جانب الكلمة ما يشاكلها .

٣- أنشد فو الزُّمَّة بِلاَلاً بمد :

سَمِيْتُ : الناسُ يَنْتَجِوُنَ غَيْنًا ﴿ فَتُلْتُ لِمِيْدَحَ انْتَجِي بِلاَلاَ^٣ نَاخِي مِنْدَ خَيْرِ فَتَى بَهَانِ ﴿ إِذَا النَّصْبَاءُ نَاوَتَتِ الشَّالِا^٣)

الحور: جم حوراه ، وهى الشدينة سواد البين . الدل : الدلال ، وهو ما يكون في الحبوب من التجهي على الحب . الشف : ماه ورقة وبرد ومفوة في الأسنان .

⁽٢) اللمي : سواد في الثقة وكذلك الحود واللس .

 ⁽٣) الكادم على الحكاية أي صحت هذه العبارة وهي : الناس يتعبسون غيثاً . صيدح . اسم التله .

⁽٤) يمـان أسبة إلى البين بقال: هو يمي وعـانق وعـان والشكياء : كل رج انحرفت من مهم! فوقت بين مهيين، أو هى التي تقع بين العبا والعبال وإذا وقت الريح كفك كان ذلك آية الشقاء وفيه الجدب فالجود فيه يدل على رسوخ صفة المسكوم فى المسكوم .

ظما سمع بلال «فقلت لصيدح» قال: ياغلام مر لهـا بقت ً ونوى .

٧ - قدمت ليلي الأخيلية على الحجاج ، فأنشدته :

إِذَا وَرَدَ الْحَجَّاجُ أَرْضًا مَرِيعَةً تَنْتَجَ أَفْسَى دَامًا مَشَـــــفَاهَا شَــــفَاها شَكَاها مَشَـــفَاها شَكَاها شَكَاها الثَمَام اللَّذِي جِمَا عُكَرُمُ إِذَا هَزَّ الثَنَاةَ سَمَّاها شَكَاها : لا تقولى خلام ، ولـكن قولى هام .

٨ -- عرضت امرأة لكُثيّر ، فقالت أنت القائل :

فا رَوْضَةُ بِالْحَرْنِ طَيِّبَةُ الثَّرَى يَمْحُ النَّدَى بَحْجَاتُهَا وَتَرارُها(١) بأطيب من أَدْدَانِ مَزَّةَ مَوْهِنَا وَقلُوْقِتَ بِالْمُنْدَلِ الرَّطْبِ فَارُها (٢٠ أَرْأَيت لو أَن زنجية بَقِرت أردانها بمندل رطب أما كانت تعليب ألا قلت ؟ كما قال أمرؤ القيس :

أَلَمْ تَرَ أَنَّى كُمَّا جِثْتُ طارقا وَجَدْتُ بِها طَيبًا وإِنْ لَمَ تَطَيَّبِ دخل جرير على الوليد وابن الرَّقاع العاملي عنده ينشده القصيدة التي يقول فيها : ظَبَ المسلميحَ الوليدُ سماحةً وَكَنَى قُريْشَ للمُضْلِلاتِ وَسَادَهَا قال جرير: فسدته على أبيات منها حتى إذا أنشد في صفة الظبية :

• تُرْجِي أَغَنَّ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ •

فقلت فى نفسى: والله ما يقدر أن يقول أو يشـــبه ، فلما قال : « قلم أصاب من الدواة مدادها » ما قدرت حــدًا أن أقيم ، فانصرفت .

كان الحسر يخطب فى دم ، فأجابه ولى الدم : قد تركت ذلك ألله ولوجوهكم ، قال الحسن : لا تقل هكذا ، ولكن قل : لله ثم نو جوهكم وآجوك الله ،

⁽١) الحزن : ماغلظ من الأرش . الجثجات : نمات . العرار : بهار البر .

 ⁽٧) الاردان: جم ردن (كفل) وهوالكم . الموهن من أول الليل إلى نحو لصفه:
 الندل المود وأجوده .

ومرّرجل بأبى بكر ومع الرجل ثوب ، فقال له أبو بكر: أتبيع الثوب ؟ فقال الرجل: لا. عافاك الله . فقال له أبو بكر :لقد عامتم لوكنتم تعلمون . قل لا . وعافاك الله . وسأل عر رجلا عن شىء ، فقال :الله أعلم . قال عر : لقد شقينا إن كنا لا نعلم أن الله يعلم : إذا سسئل أحدكم عن شىء لايعلمه ، فليقل لاعلم لى .

• ١ - أنشد ان قسى الرقيات مبد الملك :

إِنَّ الْمُوَادِثَ بِالْكَدِينَةِ قَدْ أُوْجَعْنَنِي وَقَرَعْنَ مَرُوْنِيَهُ وَجَبْنَنِي وَقَرَعْنَ مَرُوْنِيَهُ وَكَا لَكِيهَ (١) وَجَبْنَنِي جَبَّ السَّنَامِ فَلَمْ يَبْدُ كُنْ رِيشًا في مَنَا كَبِيهِ (١)

فقال له عبد لللك : أحسنت إلا أنك تخنثت في قوافيك ·

١١ – أنشد ذو الرَّمّة عبد الملك :

مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا للمَاهِ يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِن كُلِّى مَغْرِيَّةِ سَرِبُ^(٧٧) فقال عبد لللك : ما سؤالك عن هذا يا ابن الفاعلة ؟ وأمر باخراجه . وكان بعبد الملك رَمَشُ^(٣) ، فلا تزال عينه تدمم ، فتوهم أنه بعرض به .

٢٧ - عابوا على النابغة الذبياني اقتضابه في قوله :

تَهَاصَ حَنَّى قُلْتُ لَيْسَ بِمُنْقَضِ وَلَيْسَ الَّذِي بَرْعَى النَّجُومَ بِالْبِ (١) عَلَّى لِيَشِو (١) عَلَّى لِيَشِو (١٠) عَلَّى لِيَشْوِ وَيَثْمَنَ بِذَاتِ عَلَّارِبِ (١٠) عَلَّى لِيَشُو وَيَثْمَنَ بِذَاتِ عَلَّارِبِ

لأنه انتقل فجأة من وصف الليل إلى ذكر المدوح من غير تخلص .

١٣ - جاه جرير إلى سكينة بنت الحسين عليه السلام يستأذن عليها فلم تأذن له ، وخرجت جاريتها فقالت . تقول الى سيدتى أنت القائل :

⁽١) جه:قلمه .

 ⁽٢) كلى : جمكلية وكلوة وهي هنا من الزادة رقبة مسئديرة تخرز عليها تحت العروة .

 ⁽٣) الرمش. تلتل في شعر الأهداب وحرة في الجفون مع ماء يسيل .

⁽٤) تقاعس: طال

 ⁽a) المقارب هذا النمائم ، والمنى لم تفسدها المميمة .

طَرَقَتْكُ صَائدةُ القلوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقُمْتُ الزَّكِارَةِ فَأَرْجِبِي بِسَسلاَم ِ قال: نم . قالت: أفلا أخذت بيدها فرحت بها ، وأدنيت مجلسها ، وقلت لها ما يقال لمثلها ، أنت عفيف وفيك ضف ، فحذ هذين الألني الدرم فالحق بأهلك .

١٩ — يينا الهلب ذات يوم بفارس يقاتل الأزارقة إذ سمع بسيحوه جلبة وصياحا، فقال: ماهذا ؟ قالوا: جاعة من العرب تما كموا إليك في شيء ، فأذن لهم، فقالوا: إنا اختلفنا في جرير والفرزدق ، فكل فريق منا يزمم أن صاحبه أهسمر من الآخر ، وقد رضينا بحكم الأمير ، فقال : كأ تكم أردتم أن تعرضوني لهذين الكلبين فيمزنا جليق . لا أحكم يينهها ، ولكني أدلكم على من يهون عليه أمرها . عليكم بالأزارقة فإنهم عرب يبصرون الشعر و يقولون فيه بالمؤة ، فلما كان الفد خرج صبيدة بالإزارقة فإنهم عرب يمسرون المبارزة فحرج اليه رجل من عسكر الهلب ، قال له : يا مبيدة سألتك الله إلا أخيرتني عن شيء أسألك عنه ، قال : سل . قال : أوتخيرفى . قال ن نم. إن كنت أعلم . قال : أبرير أشعر أم الفرزدق ؟ قال : قبصك الله أثركت القرآن واللغة وسألتني عن الشعر . قال : إنا تشاجرنا في ذلك ورضينا بك ، قال : من . قال : منال . قال : أوالمركز . وقال ، قال : منال . قال : أوالمركز . وقد الذي يقدل : منال : منال . قال : أوالمركز . وقدل . قال : وقبطك الله أثركت القرآن واللغة وسألتني عن الشعر . قال : إنا تشاجرنا في ذلك ورضينا بك ، قال : منال : منال . قال . قال . قال : منال . قال . ق

وَطُوَى الطِّرَادُ بُشُوْبَهِنَّ كَأَنَّها ﴿ لَحَىُّ التَّبَارِ بِحَشْرَمَوْتَ بُرُّ وَقَا^(١) قال : جرير . قال : هو أشعر الرجلين .

١٥ -- رعابوا على الشَّاخ بن ضِرَادٍ قوله في عرابة الأَدْسِيِّ يخاطب نافته :

إِذَا بِلْنْتِينِي وَتَعَلَّتِ رَحْلِي ۖ عَرَابَةَ فَاشْرَتِي بِدَمِ الْوَتِينَ

قالوا : كان ينبغى أن يَنظر لها مع استثنائه عنها ، فقد قال رَسول الله صلى الله صلى والله للأنسارية التى نجت من أسرها بمكة على ناقة رسول الله : إنى نذرت إن نجوت عليها أن أنحرها ، مثال لها رسول الله لبئس ما جزيتها ، وقال : لا نذر فى معصية ، ولا نذر للإنسان فى غير ملكه .

⁽١) الطراد : حل الدرسان بضهم على يسن .

قالوا : ومما لم يعب في هذا قول عبد الله بن زَوَاحة الأنصاري :

إِذَا بَلْفَتْمِنِي وَمَحَلْتِ رَحْلِي مَسيرةً أَربِم بعد الحِسَاء فشأنك فأنسى وخلاك ذم ولا أَرْجِم ْ إِلَى أَهلِ وَرَأَى وذلك عند ما أَقرَّه رسول الله صلى الله عليه وسلم على جيش مُوْتَةً فرحا منه بذلك . وقد اتبم ذوالرُّمَّةِ الشَّاّح ، قتال :

إذا ابنَ أبى موسى بلالاً بلنته قتام بفأس بين وَصْليك جازر ١٣ – ومن الأمسلة الجامة للنقد ما رواه المبرّد: أن عمر بن أبى ربيمة والأحوص وتُصَيِّباً صاروا إلى كُنَيِّر، فأقبل على عمر، قتال له: أحسنت فى كثير من شمرك، ولكن أخبرنى عن قولك:

> قالت لها أختها تعاتبها لَتُفْسِينُ الطواف في عر قومى تعســدّى له ليبصرنا ثم اغزيه ياأخت في خَفَر قالت لها قد غزته فأبى ثم اسْبَطَارْتُ تشتدُ في أثرى

والله لو قد قلت هذا في هرّة أهلك ما عدا . أردت أن تنسب بها فنسبت بنفسك . أهكذا يقال للمرأة إنما توصف بالخر ، وأنها مطاوبة ممتنمة . هلا قلت كما قال هذا ، وضرب بيده على كتف الأحوص :

أَدُورُ وَلَوْلاَ أَنْ أَرَى أَمْ جَعَفر بَّابِياتَكُمَ مَا دُرْتُ حِيثُ أَدُور وما كنتُ زوّارًا ولكنّ ذا الهوى إذا لم يُرَرُ لابدٌ أَن سَيَزُور لقد منعتُ معروفَها أم جغر وإنى إلى معروفها لفقسير فامتلاً الأحوص سروراً، ثم أقبل عليه ، فقال : يا أحوص خيرنى عن قولك : فإن تَصَلِى أَصِلْكِ وإن تعودى للمجر بعد وَصْلِكِ لا أَبالى أما والله لوكنت من فحول الشراء لباليت، هلا قلت كما قال هذا وضرب بيده على

حتب نُصِيب :

برينب أيلم قبل أن يَطْفَنَ الرَّبُ وقُلُ إِنْ تَمَلِينا فَمَا مَلَّكِ القلبُ فاتفخ نُصَيَبُ ، ثم أقبل عليه ، فقال له : ولكن أخبرنى عن قولك يا أسود : أهم بدعد ماحييتُ فإن أمُتْ فواحزَنا من ذا يهيم بها بعدى كأنك اغتمت ألاَّ يَفْل بها بعدك . فقال بعضهم لبعض : قوموا فقد استوت الفرِقة. (الفرقة: لعبة على خطوط واستواؤها القضاؤها) .

الرواية والرواة

كانت الرواية لازمة العرب في جاهليتهم لمكانهم من الأمية ، وحاجتهم إلى تناقل أخبارهم ، ولقد ساعدهم على ذلك قوة ملكاتهم وتمام حوافظهم . ولقد أتوافى ذلك بالمدهش من أمرهم ، فقد كان الرجل منهم يعرف سلسلة نسبه حتى ينتهى إلى تزار أو قحطان ، وأغرب منه أن يعرف بعضهم أنساب قبيلة أو أكثر فلا يخطئ فيها . كما ذكروا عن أبى بكر علمه بأنساب قريش وغيرها من قبائل العرب . ولما كان الشعر علم العرب ، وسبحل تاريخهم ، وشاهد أيامهم كثرت روايتهم له حتى كان لكل شاعى راوية أو أكثر ، وكان الراوية من الشاعى بثابة تلميذه الذي يتملم عنه و يحتج لقوله . كان امرؤ القيس راوية أبو داؤد الإيادى، وزهير راوية أوس بن حجر، والأعشى راوية السبب بن على ، والخطيئة راوية رهير، وابنه كسب من بعده .

ولما جاء الإسلام فشفل العرب عن كل شيء من سابق أمورهم قترت الرواية فتور الشعر، ثم رأوا أنهم محتاجون إليها لفهم القرآن، و إدراك أسراره، و ولتعرّ فأخبار آبائهم، و إحياء ما درس من آدابهم، فكانت للرواية سوق نافعة ، ونشأ من الرواة قوم وقفوا عملهم على الرحلة إلى البادية ، ومشافهة الأعراب، ونقل كلامهم للاحتجاج به في إثبات عادة عربية ، أو فاعدة نحوية ، وكان علم النحو أوّل ما بحث من علم الغربية . ولم يكن الرواة يأخذون إلا عن صحت عربيتهم كقيس وتمم وأسد وهذيل وبعض كنانة و بعض طئ ولم يأخذوا عن لخم ولاجذام لجاورتهما أهل مصر، ولا عن قضاعة وضان لحاولهم بالشام ، ولا عن بكر لجاورتهم القرس ، ولا عن عبد القيس والأزد وعان لخالطتهم الهند والقرس بالبحرين ، ولا عن قتيف وأهل الطائف لخالطتهم تمجار البين ، ولا من أهل الحجاز لأمهم كانوا أسسبق العرب إلى الخالطة ، فإن ألستهم كانو تد قسدت حين مذا ألرواة ينتاون اللغة .

وقد شجع الخلفاء الرواية وأدنوا الرواة ، وأثابوهم بالمطاء الجزل ، واستدعوهم من أقامي البلاد لسؤالهم عن بيت شعر أو معني كلة . ولقد كان الأعراب بادئ الأمر يبوحون للرواة بما يطلبون غير طامعين في أجر على ذلك حتى رأوا ما تدر الرواية على أسابها من خير ، فيعلوا يطلبون الأجر على إجاباتهم ، و بسفهم كان يقصد الحفر ، ويقيم " فيه مسترزقاً بعله ، وما حفظه من كلام معرب . ولقد نشأ بجانب رواية الشعر وأخبار الهرب ، رواية لحديث رسول الله ، وقراءات القرآن وتفسيره ، وفنارى المسحابة في أمور الدّين ، فكان لكل خلك رواة ، وقد يستقل راوية بنوع من هذه أو يجمع بين أواع منها ، ويتى الشعراء رواة كما كان لمم أيام الجاهلية ، فكان كثير راوية جيل ، وعزيم راوية جرير ، والترزدق ومحد بن سهل راوية الكميت ، وفو الرّقة راوية الراعى ، وفي أواخر المصر كان الراوى يروى لمن يستطيع الرواية لهم من شعراء الجاهلية والإسلام لا يختص " بواحد دون آخر ، فكان حاد يروى كل "ما وقف عليه من شعراء المجاهرة المور، قديمًا وحديثاً .

مبلغ الراوية من الصدق

إن الحافظة مها قويت لا يكون لها من الضبط ما للتنبيد بالكتابة ، فإن الراوية حما تحرى النفدق وحرص عليه ، قد يعتريه النسيان ، ويدخل عليه الشلك لاتفاق القوافى ، وتغارب المانى ، واتحاد الأوزان . بذلك حدث فى الشعر خطأ غير متعمد فى لفظه ونسبته ، فأدخلوا فى بعض القصائد ما ليس منها للتشابه الحادث بين قصيدتين فى الغرض والوزن والقافية كما حدث فى قصيدة ابن الحدًادّيّة التى مطلعها :

سَقَى اللهُ أطلالا لِنُمْم ِ تَرَ ادَفَتْ بِينِّ النَّوى حتى حَلَّانَا الطاليا وقصيدة المجنون التي مطلمها :

تذكَّرْتُ لَيْـلَى والسنينَ الخواليا ﴿ وَأَكِيْمَ لا أُعْدِى طَلَى الدَّهْرِ عَادِيًّا وكما حدث في أبيات ابن الدُّمَّتَيْنَة للشهورة ، وهي :

أَقْضَى نهارى بالحديث وبالمنى ويجمعنى والهم بالليسل جامع نهارى نهار الناس حتى إذا بدا لن الليلُ شاقتنى إليك المضاجع لقد ثبتت فى الراحين الأصابع ولقد كثر ذلك حتى لقد نسبت القصيدة إلى حشرين أو أربعين شاعراً .

ومن أسباب اختلاف الرواية أن يكون بعض الرواة من غير قبيلة الشاعر ، فينطق عما يوافق لفته ، و يخالف لغة الشاعر . كما أنه قد يغير كملة بكلمة لأنه يرى الثانية ألميق وأوفق لفرضه كقول أبى ذؤ يب الهذلى :

> دعانى إليها القلبُ إِنِّى لِأَمْرِهِ مُولِيعٌ فَا أَدرى أَرْشُدُ طِلابُها هَكذا رواه أَبو صور بن الملاء ، ورواه الأصمى : « عصانى إليها القلب » .

والرواة لايأبون تبول مثل هذا مادام الذي يدل في الكلام عربياً لا يطوع لسانه بغير الصواب . كذلك من أسباب اختلاف الرواية أن الشاع، نسسه ينسى كلة من شعره ، فيضطر إلى تغييرها بما يوازنها ، ويكون بمناها في حين أن الأولى تكون قد مسبقت إلى الناس ، فيصد إليهم الروايتان عن طريق الشاع، نفسه ، وأنا قال فو الرائة لمسبق بن عر : أكتب عسمرى فإن الكتاب أحب إلى من الحفظ لأن الأعرابي ينسى النكلة قد سهر في طلبها ليله فيضع موضعها كلة في وزنها ، ثم ينشدها الناس والكتاب لا ينسى ولا يبدل كلام .

ولم يقف الأمر عند هذه الأسباب ، بل لقدكان من صفهم تعد لنحل الشعر لغير قائله أو اختراعه ودسه على من لم يقله ، دعاهم إلى ذلك أنهم لم يحبوا أن يسألوا عن شىء قلا يجيبون .

قالوا إن حمّادا قدم البصرة على بلال بن أبي بُر كة ، فقال له : مأأطرفتنى شيئاً فعاد إليه فأنشده القصيدة التى تراها اليوم فى شعر الحطيئة مديمًا لأبي موسى . فقال له بلال : ويحك !! يمدح الحطيئة أبا موسى ولا أعلم به ، وأنا أروى للحطيئة ، ولكن دعها تذهب فى الناس .

وكذلك رغبتهم فى الزلنى إلى الرؤساء بإثبات مفاخر لآبائهم لم تكن لهم ، فقد ورد فى الأغانى أن حاداً الراوية تقرّب إلى خالد بن عبد الله القسرى باختراع أبيات نسبها إلى قيس بن الحدّادية بمدح بها أسد بن كرز حين نزل به قوم ، فأ كرمهم وأحسن إليهم ، وتصل عنهم ما أصابوا من دماء . قال على لسان قيس :

وَقَدْ حَلَلْنَا يَقَسُمْرِيّ أَنَى ثَقِقَهِ كَالبَّدْرِ يَجْلُودُجَى الظَّلْمَاء وَالْأَفْقَا لَا يَشِيُّهُ النَّاسُ شَيْقًا اللَّمْ مَا فَقَقَا لَا يَشِيهُ النَّاسُ شَيْقًا اللَّمْ مَنْ اللَّمْ مَنْ أَنْ اللَّمْ وَأَنْفَوَا اللَّمْ وَالْفَرَقَا كَمْ مِنْ ثَنَاء عَظِيمٍ قد تَذَارَكُهُ وقد تَفَاقَمَ فيسه الأَمْرُ وَأَنْفَرَقا اللَّهِ اللَّمْ اللَّمْ وَالشَيانَ : « إن حماداً أنشد خالداً هذه الأبيات فوصله . قال : والتوليد فيها بين جداً ؟ » .

وقد اشتهر بهذا الكذب فى الرواية حماد حتى قال فيه معاصره الفضل الضبى : « تقد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده حتى لا يصلح أبداً » ، وكذلك فعل خلف الأحمر ، فقد ذكر عن نفسه أنه كان ينظم الأشمار وينحلها غير أسحابها .

قال ابن سلام في أسباب دس الشعر ونحله غير قائله : «فلما راجمت العرب رواية الشمر، وذكرأيامها ومآترها، استقل بعض المشائر شعر شعرائهم وماذهب ذكر وقائمهم، وكان قوم قلت وقائمهم وأشعارهم، وأرادوا أن يلحقوا بمن له الوقائم والأشعار، فقالوا على ألسن شعرائهم، ثم كان الرواة بعد فزادوا في الأشسعار . وليس يشكل على أهل العلم زيادة ذلك ولا ماوضع للولدون، و إنمـا عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعراء، أو الرجل ليس من ولدهم فيشكل ذلك بسنى الإشكال .

وقال أيضاً : إن ابن دؤاد بن مُتمَّم بن نويرة قدم البصرة في بعض ما يقوم له البدوى في الجلب والميرة ، فأتاه أبو عُبيدة وابن نوح فسألاه عن شعر أبيه مُتمَّم وقاما له بحاجته وكفياه ضبيته ، فلما تفد شـــمر أبيه متم جعل يزيد في الأشمار ويضعها ، وإذا كلام دون كلام متم ، وإذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التي ذكرها متم واؤذا كلام دون كلام متم ، وإذا هو يحتذى على كلامه فيذكر المواضع التي ذكرها

ولكن ذلك لا يجسل الشعر العربي بهذه المثابة التي ينظر إليه بها قوم يشكون فى كل ما ورد منه ، ولا يرضون أن يجسلوه حجة على عادة عربية ، أو معنى كلة ، أو تمقيق لمريبها فإن العمل برأيهم يكون هدماً للفة من أساسها ، وتضييماً لهذا التراث العظيم تهمة عرضت أوشك جرى . على أن العربية لم تخل من تقدة زيفوا هذا للفتىل المنحول ، ومازوه من العسعيح المروى عن أسحابه كما أن من اجتراً بالكنب على المتعراء عاد فاعترف بخيطته وهدى الناس إلى مواضع كذبه ، فإن خلقاً الأحر تنسك فى آخر أيلمه وندم على ما كان منه ، وخرج يوما إلى أهل الكوفة فاعترف لهم بما كان منه وعرضهم الأشمارالتي أدخلها في أشمار الناس. على أن النحل والادعاء لموسل إلى درجة خل شعراء لم يكن لهم وجود ، و إنما كان زيادة في أشماره وتتمياً لما تقص منها ، خلق شعراء لم يكن لهم وجود ، و إنما كان زيادة في أشماره والانتمال لم يقله أحسد من فالقول بأن أمرأ النيس لا وجود له غلق في دعوى النحل والانتمال لم يقله أحسد من السابقين ، وكان جديرًا بمثل خلف أن يعترف بنحو ذلك ، ولكن اعترافه إنما كان بالبيت أو البيتين أو القصيدة يدخلها على الشاعى ، وليست من قوله : فلنتى الله في الحكوانا ، ولا تنزك المخيال حكه في أحكامنا .

حماد الراوية

هو ابن ميسرة ، أصله من الديلم من موالى بنى بكر بن وائل ، وقد نشأ بالكوفة . وكان أوّل أمره لعبًّا يتشطر ، ويصحب الصماليك ، فيقال : إنه تقب ليلة على رجل فأخذ ماله ، وكان من بينه جزء من شعر الأنصار ، فقرأه حماد واستحلاه ، فترك ماكان عليه وطلب الأدب من ذلك الحين ، فكان أعلم الناس بالشمسعر وأيام المرب ولفاتهم .

ولم يؤهله لهذا الفضل إلا تلك الحافظة النادرة التى وعت جميع ما وصل إليها من خبر وشعر ؛ وكان يمحفظ ما يلقى عليه لساعته ، فقد قال الطرماح أنشدت حماداً قولى : « بان الخليط بسحرة فتبدّدوا » ، وهى ستون بيتاً ، فسكت ساعة ، ثم قال : أهــذا الشمر لك ! ! ثم ردها عليه ، وزاد فيها عشرين بيتاً ، فعل بذلك على قوة خفظه ومقدرته على الاختراع .

ولقد قال له الوليد بن يزيد يوما بما استخقت أن تدعى الراوية ؟ قال: بأن أروى لكرا شاهر سوفه يا أمير المؤمنين أو سمت به ، ثم أروى لا كرا منهم بمن تمترف بأنك لا تعرف ولا سمت به ، ثم لا ينسدني أحد شعراً قديماً ولا محدثا إلا ميزت القديم من الحدث ، قال له : فكم مقدار ما تحفظ من الشمر ؟ قال : كثير، ولكني أنشك على كل حوف من حروف المجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر ضجر فوكل به من استحقه أن يصدقه عنه و يستوفى عليه ، فأنشده ألهين وتسحائة قصيدة للجاهلية ، واستحقه أن يصدقه عنه و يستوفى عليه ، فأنشده ألهين وتسحائة أنف درم ، وقد استقدمه هشام بابن عبد الملك ، ونحن نروى لك القصة كا وردت على لسان حاد نهسه في كتاب : « نزمة الألنا ، في طبقات الأدبا » لان الأنارى . قال حاد :

كنت منقطعاً إلى يزيد بن عبد الملك ، وكان أخوه هشام بجفونى لذلك ، فلما مات يزيد وأفضت الحلافة إلى هشام خفته ، فسكنت فى يبيى سنة لا أخرج إلا إلى من أثق به من إخوانى سرًا ، فلما لم أسمع أحسداً يذكرنى أمنت ، فحرجت فصليت الجمعة فى الرصافة ، ثم جلست عند باب القيل ، فإذا شرطيان يقولان : أجب الأمير يوسف بن عر . ولم يدعانى آتى أهلى أودعهم ، فلما انهيت إلى الأميررى إلى كتابا فيه: بسم الله الرحن الرحم ، من عبد الله هشام أميرالؤمنين إلى يوسف بن عرامابعد : فإذا قرأت كتابى هسذا فابعث إلى حاد الراوية من يأتيك به غير مروع ولا متمتع ، وادفع إليه خسمائة دينار وجلا مهريًا يسير عليه اثنتي عشرة ليلة إلى دمشق ، فأخذت والدنا يبر ونظرت ، فإذا جل مرحول فركته حتى انهيت إلى باب هشام ، فدخلت فى دار قوراء مفروضة بالرخام ، وبين كل رخلتين قضيب من ذهب وحيطانه كذلك ، دار قوراء مفروضة بالرخام ، وبين كل رخلتين قضيب من ذهب وحيطانه كذلك ، والمنبر ، فسلمت عليه فرد السلام واستدنانى فدنوت حتى قبلت رجله ، فإذا جاريتان والمنبر ، فسلمت عليه فرد السلام واستدنانى فدنوت حتى قبلت رجله ، فإذا جاريتان واهو ؟ قال : بشت إليك لبيت خطر ببالى لم أدر قائله . قلت :

وَدَعُواْ اللَّمْسُوحِ بِومًا فَجَاءَتْ قَيْنَةٌ فَ بَيْنِهَا إِثْرِيقَ فقلت: يقوله عدى بن زيد في قصيدة له ؟ فقال أنشدنها ، فأنشدته :

بَكْرَ المَاذِلُونَ فَ وَصَصِحِ الطَّبْصِحِ يَهُولُونَ فِي أَلاَ تَسْسَعَيْنُ وَيَلُمُونَ فِي أَلاَ تَسْسَعَيْنُ وَيَلُمُونَ فِي الْأَنْ تَسْسَعَيْنُ وَيَلُمُونَ فَيِسِكِ يَابِئَةَ عَبْدِ اللهِ وَالْقَلْبُ عِنْدَكُم مُ مُوتُوكُ فَي لَسَمْنَ أَدْرِي إِذْ أَكْثَرُوا الْمَذْلَ فَيها أَعَسَسَدُونَ لِومِ النافي ، أفقت من النوم ، فإذا الجاريتان عند وأسى ، وإذا عشرة أعبد مع كل عبد بدرة ، قتال لى أحدهم : أمير المؤمنين يقرأ عليك السلام ، ويقول لك : خذ هذه الدنانير وهاتين الجاريتين ، فأخذت ذلك وعدت إلى أهل .

لا يَصْلُحُ الناسُ فَوْمَنَى لاَمَرَاةَ لَمُمْ ولا سَرَاةَ إِذَا جُمَّالُمُمْ سَادُوا غذ كره له ، فسر أبو مسلم ووصله .

كذلك استقدمه في الدولة العباسية المنصور ، وكان حزينًا على موت أخيه أي العباس ، وأراد أن يردّد فيه أبياتًا كان يسلم أن هفان بن همام ظالما في رثاء أبيه ، وقد غابت عن خاطر المنصور ، فرواها له حاد فبكى ، وقال : هكذا كان أخى رضى الله عنه ، وهذه هي الأبيات التي رواها حادكما وردت في الأغاني :

خَلِيسَلِيَّ عُومًا إِنَّهَا تَعَاجَةٌ لَنَا عَلَى قَبْرِ هَمَّامٍ سَتَقَتُهُ الرَّوَاعِدُ عَلَى قَبْرِ مَمَّامٍ سَتَقَتُهُ الرَّوَاعِدُ عَلَى قَبْرِ مِنْ يُرْجَى فَنْفَ مُتَبَاعِدُ كَرِيمُ الثَّنَاء والشَّالِ يَنِيَّةُ وَيَنْيَقُ الْمَرْجِى فَنْف مُتَباعِدُ إِنْ اللَّرَجِي فَنْف مُتَباعِدُ إِنَّا اللَّوْعَ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلَيْهُ عَلِيدًا لِللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّلْمُ اللَّلِيلُولُولُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْ اللَّهُ ال

وقد ظلّ حاد إلى أيام المهدى يقدم عليه وينشده ، ولملّ ذلك فى ولاية عهده ، فقد مات حماد سنة ۱۵۵ ، أو سنة ۱۵۷ ، ولم يكن للهدى قد ولى الحلافة .

وحماد هوالذى جماللمقات ، وجم أشماراً كثر القبائل ، وأكثر شعراء بنى أمية ، وجمل شعركل قبيلة أو شاعر فى كتاب ، فكان عنده كتاب لشعر قريش ، وآخر لشعر ثقيف ، ولكن هذه الكتب قد ضاعت .

أبو عمرو بن العلاء

قیل إن اسمه کنیته ، وقیل : إن اسمه ز بان ، و یروی أن افرزدق جامه ممتذرًا عن هجاء بلغه عنه ، قتال له أبو عرو :

هجوتَ زَّالِنَ ثُم جُنْت معتذرًا من هجو زَّالِنَ لم تهجو ولم تدع وسبب الاختلاف في اسمه أنه كان لجلالة شأنه وهيبته في النفوس لا يسأل عنه .

أخذ النحو عن نصر من عاصم الليثى ، وأخذه عنه يونس بن حبيب البصرى ، والخليل بن أحمد ، وكان يونس يقول عنه : فوكان أحد ينبغى أن يؤخذ بقوله فى كلّ شيء كان ينبغى أن يؤخذ بقوله فى كلّ شيء كان ينبغى أن يؤخذ بقوله أبي عبووكله فى العربيسية ، ولكن ليس من أحد إلا وأنت آخذ من قوله وقارك إلا النبي صلى الله عليه وسلم . كان أحد القراء السبعة ، وكان أعلم الناس بالعربية وأيام العرب ، وكانت الكتب التي تقلها عن العرب الفصحاء تملأ بيئا له إلى السفف ، ثم إنه تقرأ فأخرجها كلها أو أحرقها ، فلما رجم إلى العمل فى الرواية لم يكن عنسده إلا ما خفله بقابه ، وكانت عامة أخباره عن أعراب أدركوا المجاهلية . قال الأصمى : جلست إلى عموو بن العلاء عشر حجج ، فلم أجمعه يحتج ببيئة إسلاى ، وقال أبو عموو مرة : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى هممت بأن آم بغياننا بروايته (يعني شعر جربر والفرزدق ونحوه) .

ومن أخباره أنه قال : كنت هار باً من الحباج بن يوســف ، وكان يشتبه على " «فرجة» أهو بالفتح أو بالفتم ، فسممت قائلا :

رُبُّمَا تَجْزَعُ النَّفُوسُ مِنَ الْأَمْـــــرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَمَّلُ البِقَالِ فتح الفاء ، ثم قال : إنه قد مات الحجاج . قال : أبو عمرو ، فما أدرى بأيهما كنت أشد فرحًا بقول : فَرْجَة ، أم بقوله : مات الحجاج . وكان يقول فى مقام الدلالة على قلة للروى لنا من كلام العرب: ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ، ونو جاءكم وافرًا لجاءكم علم وشعر كثير، ، وكان يقول : (إنما نحن بالإضافة إلى من كان قبلنا كَبَتْل فى أصول رَقَّل) ، وهذا يدل على كاله وفضله.

وروى عنه أنه قال : سممت أعرابيًّا يقول : فلان لغوب جاءته كتابى فاحتقرها . قال : فقلت له : أنقول جاءته كتابى ؟ قال : أليس صحيفة فحمله على الممنى ، وقد جاء ذلك كثيرًا فى لفتهم، واللغوب : الأحق .

وكان أبو عمرو متواضعاً مع كثير فضله ، كثير التسليم للعرب (١) ، متمسكاً بالآثار ، صادق الرواية ، يروى عنه أنه قال : ما زدت فى شعر العرب إلا بيتاً واحداً ، وهو : وأنكرتنى وما كان الذى نكرت من الحوادث إلا الشيب والصلما

و عاموسی و ها مان سمنی عارف وهـــذا الاعتراف منه دلیل تحرّ جه وتحرّ به ، و براءته من الکذب فی کلّ ما روی ، وهوکذیر مستفیض .

وقد مات بالكوفة ، وسنه أربع وثمـانون سنة ، وذلك سنة ١٥٤ ه ، وذلك فى خلافة للنصور ، ورثاه محمد بن صد الله للفنم بقوله :

> رثينا أبا عمرو ولا حق مثله فقد ريب الحادثات بمن وقع فإن تَكُ قد فارتعنا وتركعنا ذوى خلة ما فى السداد لها طَمع فقد جرّ فعاً فقدنا لك إننا أمنّا على كلّ الزايا من الجزع

⁽١) أى الرضا عنهم والانجاب بهم والصعب لهم لا برى أتهم يخطئون . وقد قبل عنه فى هسذا المقام و كان أبوهمرو أشد تسليا قدرب . وكان ابن أبر إسحى الحضرى، وعيسى بن هم يلهنان عليهم وكان عيسى يمول : أساء التابعة فى قوله و فى أنيابها السم ناقع » يقول موضعها ناقها .

الغيناء العيربي

ليس من شك فى أن التناه أثر من انفعال النفس يتولد من إحساسها بما يلذ لهما أو يؤلها ، و إذ كان من افعال النفس ، فهو جدير أن يصحبها منذ الحقة ، وأن يسبق اللطق إلى الوجود ، فالإنسان قد تأوّه وضحك قبل أن يعبر عن شجوه . أو يدل على صروره ، و إنحا تقيس حال الإنسان فى هذا بما نرى عليه الحيوان من طير ووحث ، فهو لا يتكلم ، وليس ذلك بمانمه أن يبدى عن شــجوه أو سروره . فكذلك كان الإنسان . ودليانا على أن التأوّ أو النمحك أسبق من الكلام عند الإنسان أننا نراها إلى الآن صوتين مهماين من التهذيب غير متعدد عن القاطع ، وذلك هو شأن اللغة عند الإنسان الأول .

ولىكن الإنسان قدخلق الكال، ما زال يندرج حتى استطاع أن يعبر من شموره باللفظ ، ثم ما زال برتتى حتى طابق بين هذا اللفظ وبين حركات نفسه فوزنه بها ، ووقعها عليه ، فكان من ذلك الشعر فى أبسط حالاته وهى بحر الرجز : وإنحما اتفق المربى وزن الرجزلانه كما نعلم يقتبس فنته من محاكاة الطبيعة وتقليد أصواتها وحركاتها، وهو فى باديته يتخذ من الناقة حمولة وفرشاً ، فلما أكثر من ركوبها والتأثر بحركاتها نفنى بكلام على وزن الرجز ، وهو يتزن مع حركة الناقة فى سيرها ، وتعلم ذلك إذا ركبت ناقة ، وأنشدت وأنت علها قول الشاعر :

شَكَا إِلَىٰ جَمِلِي طُولَ الشُرَى ! جَمَلِي لَبْسَ إِلِىَّ الشُفْتَكَى الشَّرِّعَانِ حَبَدُمُ إِلَّهُ الشَّرِّعَانِ حَبَدُمُ الشَّرِّعَانِ حَبَدُمُ الشَّرِّعَانِ حَبَدُمُ الشَّبِيِّقِ * مَثَرُّدُ جِيلٌ فَكَلامًا مُثَبِّقِلَ *

فإنك تجد تفاعيل هذا البحر تنسق مع خطو الناقة وحركاتها أماماً وخلقاً ، ومن أجل أن هذا البحر يوافق طبع الناقة فى حركتها كان به الحداء للإبل ، لأنها إذا سممته حسّت إلى النفة التى أفتها ، وانطبعت عليها خطواتها

وقد تقدّم العرب بعد ذلك ، فوضعوا من الأوزان مااقتبسوه من حركات الحيوان أشاً ؛ كبحر الحبب الذي يوافق سير الحبيل مثل قول القائل :

إن الدنيا قد غرتنا واستلهتنا واستلهتنا

فإن وزنه فَشَلُنْ فَمَثَلُنْ الح ، وهو إذا أطلت ترجيمه تراهيرازن حركات الخميل فى سرعتها ثم ولَد العرب أوزانًا من أوزان حتى تمت لهم الستة عشر وزنًا التى عليها شعرهم .

ونستطيع أن نستدل على أن الشعر إنما أحدث لخدمة النناء أنك تجد في كتب اللغة أن غنى بمنى قال شعراً كأن قول الشعر لم يقصد إلا للتعنى به ، حتى عبروا بالمانوم عن اللازم ، ومن أخبارهم: أن الأعشى إنما سمى صناجة العرب؛ لأنه كان يقول الشعر ويتغنى به .

الغناء فى الجاهلية والإسلام

لم يعرف من الفناه فى الجاهلية إلا أبسط أنواعه ، وهى النصب والسناد والهزج ، فالنصب: غناه الركبان ، والسناد: هو الفناه الثقيل الكثير النضات، والهزج هوالخفيف النفات الذى يرقص عليه الأعراب ، كذلك لم يكن لديهم من آلاته إلا الدف (هو أشكال: منها للسندير وللربع والكبير والصغير) وللزمار ، وقد كان هذا الفناء وهذه الأدوات منتشرين فى للدن العربية ، كيثرب ، ومكة ، والعائف ، وصنعاء ، ومأرب ، وغيرها من مدن بلاد العرب . أما فى الصحراء حيث البدو ، فلم يكن غناؤهم إلا ترتمياً بالشمر ، وحُداء للإبل ، لا يستعملون لذلك أداة. ولقد ذكروا أن أوّل من غنى فى العرب قينتان لماوية بن بكر ، يقال لهما : الجوادتان . ومن غنائهما :

الا يَا قَيْلُ وَ يُعَلَّىٰ قُمْ مَهْنِيم لول الله يُصْبِحُنَا خَمَامَا وفي حديث الهجرة : أن أهل يثرب صبيتهم ونساءهم خرجوا بالدفوف يفنون : طَلَمَ الْبَسَدُرُ علينا من قَنْيَّاتِ الْوَدَاعْ وَجَبَ الشَّكُرُ عَلَيْنَا ما دَعَا فِلْهِ دَاعْ وَجَبَ الشَّكُرُ عَلَيْنَا ما دَعَا فِلْهِ دَاعْ أَنْهَا لَلْهَاعُ فَينا جِئْتَ بِاللَّاشِ الْمُعَامَّ فينا جِئْتَ بِاللَّاشِ الْمُعَامَّ فينا جِئْتَ بِاللَّاشِ الْمُعَامَّ

ظما جاء الإسلام بالدعوة إلى الدّين ، واشتغل المسلمون بالفتح ، ولم يبق فى وقنهم متسع لشىء من رواية الشعر والتنتّي به فترت حركة الفناء تبعاً لفتور الشعر .

ولما جاءت الدولة الأموية كان للنناء فيها شــــأنان عظيان، فأما أوّ لهما: فهو التجديد فيه بإحداث أنتام جديدة لم يكن العرب يعرفونها قبل، و إنحما اقتبـــــوها من القرس والروم الذين عاشروهم وخالطوهم، وأما ثانيها: فهو ماجدًله من بيئة صالحة ينمو فيها و يترموع، وهي بلاد الحجاز، ومدينتاه: مكة، و يثرب ؛ ثم ما صادف بمن عناية جنس الخلفاء به عناية جلت المغنين ينالون من عطفهم وعطائهم، و يصفرون مجالسهم، بل لقد زاد بعض الخلفاء: فكان له أصوات أحدثها وغني بها كا سنفصل ذلك فيا يلى:

التجديد في الغناء

حدث التجديد فى الفناء فى عصر الأمويين ، و يَرْ وون فى سبب ذلك أنه لما ضرب الأمويون مكة بالمنجنيق حين كان ابن الزبير متحصناً فيها فأصابها خلل ، أحضر ابن الزبير بنات من الفرس لإعادة بنائها، فكانوا يغنون بالفارسية ، فالتقط النغم منهم معيد بن مسجح ، وهو مكن أسود مولى لبنى مخزوم ، وغنى بذلك النغم فى لفظ. وكان لأهل المدينة طريقة تخالف طريقة أهل مكة ، وكان بين الفريقين تنافس ، واحتجاج للمذهب كما كان الشأن بين الشراء في ذلك الوقت .

والدَّلاَّل ، وَجِيلة ، وهَيْت ، و بَرْ دُ الفوَّاد ، ونَنُوم الضُّحَى ، وعَزَّة المَّيلاَء ، وحَبَابة ،

وسَلاُّمة القَسُّ ، وَبَليلة ، وَلَذَّة الْمَيْشِ .

بيئة الغناء

أما البيئة التى نشا فيها الفناه الحديث وترعرع ، فهى الحباز حموما ، وأحس بلاده مكة والمدينة، فقد كانت للفناه فيهما سوق نافقة ، وحركة دائمة ، ولم تسعد عواصم البلاد إلا بما خرجت هاتان المدينتان من بلابل هذا الفن ، وليس عبيباً أن يكون هذا شأن مدينة بها بيت الله ، وأخرى هى طاجر نبيه ، وموضع قبره الشريف ، فقد تسعد خلفاء هد في المبولة أن يوقعوا أولاد المهاجرين والأنصار في أسر الترف ، وأن يشخاوه بالقهو حتى لا ينهضوا لمناو أنهم ، فكان منهم أن أفاضوا عليهم من المال ، وضاعفوا لهم من العطاء ، فانضم هذا إلى ما حفات به مكة والمدينة من سبى الوم والفرس من بنات المارك والأشراف ، فقد حضرن وهن يمعلن آثار مدنيتهم وما جلتهم به الطبيعة من جال ودلال ، فاختلط ذلك بما ركب في طبع أهل الحباز من رقة به الطبيعة من جال ودلال ، فاختلط ذلك بما ركب في طبع أهل الحباز من رقة ودعابة ، فزخرت للدينتان باللمو ، وحفلتا بمجالس الفناء ، وتعمد الخلفاء أن يتهاونوا فى إقامة حدود الشرع حتى يمعن هؤلاء فى غيّهم ولهوهم ، فكان منهم ذلك الإممان ، وانتهى الحال إلى أن كانت مكة وللدينة أكثر بلاد الإسلام مخنثين ، وأكثرها اجتراء على للنكرات ، واحتساء للخمر .

ومن عناية أهل الحجاز بالنناء أن معبداً ، والنريض وابنسريج كتبوا إلى حنين ، وكان وحده بالعراق ، فقالوا له : نحن ثلاثة ، وأنت واحد . فاقدم إلينا ، فلما قدم أذنت السيدة سكينة للناس إذنا عامًا ، ففصّت بهم الدار ، وازدحم الناس على السيطح ، وكثروا ليسموا حنيناً ، فسقط الرواق على من تحته ، ومات حنين تحت الردم .

عناية الخلفاء بالغناء

اقتضت سياسة معاوية أن يكون محتميًا وقوراً اثثلا يتخذ أحداؤه من مظهره حجة عليه ، ومعلمناً يضيفونه إلى مايشو هون به سمته عند الناس ؛ وكان هذا المظهر هو الذى يليق بمعاوية من جدّه ، واشتغاله بالأمر العظيم ، وهو توطيد الملك لفسه ولأبنائه من بعد ، فلم يكن من شأنه أن يشجع الفناء ، ولكنه لم يركذلك أن يضرب على أيدى للفنين والعابثين ؛ لأن خطته إنما كانت أن يشغل عن الخلافة كل طامع فيها وهمكذا كان موقفه مع عبد الله بن جغر ، فكان ينكر عليه بلسانه ، ولا يحاول أن يغير بيده مايراه منصرةً إليه من الإقبال على الفناء والاستاع له .

قد ذكروا أن عبد الله هــــنا قدم على معاوية الشام فأنزله بدار عياله . فغاظ ذلك زوجة معاوية فاختة ، ثم إنها سمست ذات ليلة غناء حنـــد عبد الله ، فقالت لمعاوية : هلم فاسمه ماعند هـــنا الذي جعلته بين لحلك ودمك وأغزلته بدار حريمك ، فسمع معاوية شيئاً حرّ كه وأطربه ، ثم قال : والله إنى لأسمع شيئاً تكاد الجبال تفرّله ، وما أطنه إلا من تلقين الجنّ ، ثم انصرف ، فلما كان آخر الايل سمع قراءة عبد الله ،

وهو تائم يصلى ، فأنبه فاختة ، وقال لهـا : اسمعى مكان ما أسمتنى ، هؤلا. قومى ملوك بالنهار ، ورهبان بالديل .

وسر" وهو بالمدينة يزور قبر رسول الله بدار عبد الله هذا ، فسمع غناء على أوتار ، قتال : أستغر الله ، فلما انصرف آخرالليل سمع قراءته فى الصلاة ، فقال : خلطوا عملاً صلحاً وآخرَ سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم ، هكذا كان معاوية لا يسسم الغناء ، ولا يضرب على أيدى مفنيه وسامعيه ، و إذا أنكر شيئاً منه ، فإنما يفعل إرضاء للعامة حى لا يتهموه بالرضاء عن ذلك .

أما يزيد ابنه ، فقد سمم الفناء وهو ولئ عهد ، ولكنه شــفل عنه أيام خلافته بخروج الحسين بن على عليه . وكذلك عمر بن عبد العزيز كان مولماً به أيام شـــبابه ، وحين ولايته للمدينــة ، وقد وضع أصواناً وغنى بها ، وكان من أحسن الناس صوتاً ، فظا ولى الخلافة شفلته تقوى الله ، ورعاية الحقوق عن أمور الدنيا ، وكان هشام لايسم إلا من مغن محتشم يغنى بأبيات الحكمة ، وكل ما لا يختش الأدب . وكانسليان غيوراً على النساء ، فعالدد للغنين ، وأس واليه على للدينـــة أن يخصيهم حتى يؤمن شرهم ، وإغواؤهم النساء .

أما يزيد بن صد الملك وابنه الوليد ، فقد راجت سوق الفناء فى أيامهما ، واستدعى المبنون إلى دار الحلافة ، و بذل المال الكثير فى شراء التيان ، حتى يروى عن يزيد أنه قال دماتهر عينى بم يد أنه قال دماتهر عينى بم يد أنه قال اجتمعتا عنده قال : أنا الآن كما قال القائل : قال الآن كما قال القائل :

وألقت عصاها واستقرّ بها النّوى كما قرّ عينًا بالإياب المسافر وأما الوليد بن يزيد فلم يكن طروبًا فحسب ، بل كان له فى صناعة الفناء حذى ، حتى لقد عمل أصواتًا غنى بها ومشى بالدفّ وغناها الناس بعده .

كُلُمَّا مُوتِبَ فِيهَا أَوْ نُهِى عَنْهَا كَمَادَى وَهُو مَشْنُوفٌ بِيشْدَى قَدْ عَصَى فِيهَا وَزَادَا ومما نسب إلى الوليد صنعته في قوله هو :

وَصَفْرًا، فِي الْكَأْسِ كَالزَّعْفَرَانِ سَسَبَاها التَّجِيفِيُّ من عَشْقَلَانِ نُريكُ الْقَذَاةَ وَعَرْضِ الإِنَّاهِ سِنْتُرَ المِنَانِ

أثر الغناء في الشعر

وتقد حرص الشعراء على أن تذبيع شهرتهم ، وتسير أشعارهم ، وتحلو بالتوقيع الذى يجرى على ألفاظها ، فيزيدها رونقاً بل يحدث لهـا جمالاً لم يكن لهـا ، ويكسب معناها روعة ما كانت لتظهر قبل أن يتناول الفظ بالإيقاع الحسن والتقسيم الحبب إلى النفس، وكان الشاعر يرجو من وراء ذلك أن يغنى خليفة بقوله فيسأل عنه فيكون ذلك وسيلة لدنو"، وأكتسامه رضاءه .

وقد استفاد الشعر من حرص الشعراء على أن يكون لشعرهم رواج عند الغنين ، فإن كلّ شاعر توخى ترقيق لفظه وتسميله ليدخل فى التقسيم ويقبل التوقيع ، كذلك عمد إلى المعنى ، فجلاه أحسن تجليسة ، و بلغ به غاية الدلّ واللين فى الغزل ، ومنتهى الصلابة والاستمساك فى الحاسة ، وذروة الزهو والإعجاب فى الفخر .

وفى القصة التالية: ما يدلك على أن الشعراء كانوا يتسابقون إلى حيازة هذا الشرف بأن يكون لشعرهم قبول عندالمفنين، فيتناولونه بالتلحين والإيقاع، ثم يشيمونه بالفناء به. ذكروا أن نُصَيِّبًا وكُمَّيَرًا والأَحْوس خرجوا غب مطر إلى المقيق ، فاتهوا إلى مكان به رجال ونساء ، فسألهم النساء أن ينزلوا بهن قازلوا ، ثم أدخلوا إلى امرأة جميلة برزة ، فرحبت بهم ، فإذا بكراسى مصفوفة ، فجلس كلّ واحد منهم على كرسى ، ثم أَقْلَ جار بة جميلة ، فقالت لها مولاتها : خذى من قول النَّصَيْب :

أَلاَ هَلْ مِنَ الْبَيْنِ الْفَرَّقِ مِنْ بُدَّ وهَلْ مِثْلُ أَالِي بُمُنْطِعِ السَّمْدِ

مَنْلُتُ أَيَّالِي أُولَئِكَ وَللْبِسِنَى عَلَى عَهْدِ عَادٍ مَا نُمِيسِدُ وَمَا تُبْدِى

فننته ، ثم قالت لها : خذى في قوله :

أُرِفْ لَلُحِبُّ وَتَعَدَّهُ شُهِدُهُ لِلْمَوَارِقِ الْمُمَّ أَلَتِي تَرِدُهُ وذَكَرُّتُ مَنْ رَمَّتْ لَهُ كَيدِي وَأَبِي فَلَيشَ تَرِقُ لِي كَيدُهُ لاَ قَوْسُفُ عَنْ السرور ، ثم قالت لها : خذى في قول النصيب : فَاللّٰكَ مِنْ لَيْلِ تَمَتَّتُ طُولَهُ وَعَلْ طَائِفْ مِنْ فَيْ الْمُهِمِ بِمُمَتَّمِر قال نصيب فجاءنى والله شيء حيرني وأذهني طربًا لحسن الفناء وسرورًا باخيارها الفناء في شعرى ، وما سمت فيه من حسن النفعة وجودتها وإحكامها ، ثم قالت : خذى أشأ في قوله :

أَيُّهَا الرَّكْبُ إِنِّى لَشْتُ تَابِسَكُمْ حَتَّى تُلِثُوا وَأَنْتُمُ بِى مُلِثُونَا قال نصيب : فواقد لقد زهوت زهواً حتى خيل إلى أنى من قريش ، وأن الخلافة لى ، ثم قالت : حسبك يا بنية ، فوثب الأحوص وكثير ، وأسرعا بالخروج حسداً لنصيب ، وما ناله من شرف الثغنى بشعره .

و يروى أن الأحوص حسد مَمنيَدًا مرّة على اختصاصه بساع مفنية (هى مقيلة) ، فقال شعرًا أساء معبدًا ، فحلف الايكلمه ، ولايثننى فى شعر فشق ْ فلك على الأحوص ، فلما طالت هجرته إياه ، رحل نجيبيًا له ، وجمل طلاء فى مِذْرع (زق) ، وجمله فى حقيبة رحله ، وأعدُّ دنانير ، ومفى نحو معبد فأناخ ببابه ، ومعبد جالس بفنائه ، قنزل إليه الأحوص فكله فلم يكله معبد ، فقال : يا أبا عباد أنهجرنى ؟ فحرجت إليه امرأته وقالت أنهجونى ؟ فحرجت إليه امرأته وقالت أنهجو أبا محمد والله لتكلمنه فكله ، ثم احتماه الأحوص ، فأدخله البيت وقال له تعبد : والله لا أربم هذا البيت حتى آكل الشواء وأشرب الطلاء وأسم الفناء فقال له تعبد : قد أخرى الله الأبعد ! ! هذا الشواء أكلته والفناء سمته فأنى لك بالطلاء ؟ قال : قم إلى ذلك المذرع فنيه طلاء ومعه دنا نير فأصلح بها ما تريد من أمرنا فقمل ، فانصرف الأحوص مع المصر وهو يتما يل نشوة .

مشهورو المغنين والمغنيات

۱ - سید بن مسجح

هو أبو عنمان سميد بن مسجح مولى بنى مخزوم كان أسود ، وهو أوّل من غنى النمناء المتقن بمكة ، وذلك أن عبد الله بن الزييركان قد أحضر عمالا من الفرس لما مالت جوانب الكمبة على أثرضربها بالمنجنيق فى حصارها أيام معاوية ، فكان يسمع منهم غناء بالفارسية ، ف أزال حتى نقله إلى العربية بعد النظر فيه والزيادة عليسه والحذف منه .

وقيل فى سبب اهتب ائه إلى الفناء الجديد : أنه سمع البنائين من القرس الذين أحضرهم معاوية لبناء الدور السياة بالرقط بمكة ، فيكون اهتداؤه إلى إدخال الفناء القارسي فى العربية على هذه الرواية أسبق منه على الرواية الأولى ، والمقول أنه استفاد من الحادثتين ، ولم يتم له النقل أو الشهرة به إلا على أيام عبد الملك .

 إنى لأَنْسَحُكُمْ وَأَعْــلَمُ أَنَّهُ سِيَّانِ عِنْفَكِ مِن يَنْشُ وَيَنْسَحُ وإذَا شَكُونُ إلى سَلاَمَةً خُبِّهَا فَلَتْ أَجَدُّ مِنْكَ ذَا أَمْ تَمْزَحُ

وقد علم ابن سُرَرَجِع ، وعاش حتى لقيه ممبد ، وأخذ عنه فى أيام عبد الملك .

ومن أخباره: أن علمل عبد اللك على مكة كتب إليه أن رجلا أسود يقال له:
سميد بن مسجح قد أفسد فتيان قريش، وأفقوا عليه أموالهم، فكتب إليه عبد الملك
أن اقبض ماله وسيره إلى ، فلما انتهى سميد إلى دمشق قصد إلى مسجدها ، فسأل
عن أخص الناس بأمير المؤمنين، فقيل له هذا النفر من قريش ، فسلم عليهم وقال:
هل فيكم من يضيف رجلاً غريباً ، فنظر بسفهم إلى بعض ، وكانوا على موصد أن
يذهبوا إلى قينسة يقال لها هرق الأفقى» ، فتثاقلوا إلا فتى منهم تَذَمَّم ، فقال له: أنا
مضيفك ، وقال لأسحابه : انطاقوا أتم وأنا مع ضيق ، فقالوا : لا ، بل تجيى، أنت
وضيفك ، فصاروا جيماً إلى المنبة ، فلما رأى سميد جالها تخيل هذا البيت :

قتلت أشمس أم مصابيح بيئة بَنَتُ لَكَ خَلْفَ السَّجْفَامُ أَنتَ عَالَمُ فَضَات أَسَعُ فَالَمُ اللَّهُ عَلَمُ فَف فضبت الجارية من أن يضرب بها هذا الأسود الأمثال ، ثم غنت قتال لها : أحسنت فزاد غضها ، ثم غنت قتال : أخطأت ، ثم اندفع يننى ، فوثبت الجارية ، فقالت لمولاها : هذا أبو عثمان سميد بن مسجح ، فلما عرف مكانه أبى البقاه ، وخرج مع مضيفه ، وقد تعلق به كل أن يكون عنده فأبى ، ثم إن مضيفه تلطف فى أن يسمعه عبد الملك بأن دخل عليه ، وأمره أن يحدو من وراه شرف القصر فدا :

> إِنَّكَ يَا مُمَاذُ يَا ابْنَ الْفَصَّلِ إِن زُلْوَلَ الْأَقُوامُ لَمْ تُوَّلُولَ عَنْ دِينِيمُوسَى والْسَكِتَامِ الْفُرْلِ تقيم أُسسطاع القرون النَّيلِ • المحقّ حتى يَنْتَمُوا اللَّمْشَل •

فقال عبد الملك للقرشى : من هـ ذا ؟ فقال : حجازى قدم على قال : أحضره ، فلما حضر . قال له عبد الملك : غن غناء الركبان . فغنى له ، ثم قال : هل تغنى الفناء المتقن فغنى ، فاهتز عبد الملك طربًا وقال له : من أنت ؟ قال : أنا المقافيم المتموض ماله المسير

۲ -- سآیپ خاثر

هو أبو جهفر سائب خاتر من بسار من أهل المدينة كان مولى لبنى ليث من في ه الفرس ، واشمستراه عبد الله بن جهفر فأعتقه ، وقيل : بل كان على ولائه لبنى ليث ، ولكن القطع إلى عبد الله بن جهفر ولزمه ، وهرف به ، وبلغ من اختصاصه به أن آكى سائب ألا يننى أحباً سوى عبدالله إلا أن يكون خليفة أو ولى عهد أو ابن خليفة ، فكان على ذلك إلى أن قتل يوم الحرّة أيام يزيد بن معاوية .

ويقال في سبب تعلمه النناء: إن إماء صناجات كن لسب دالله بن عاص، وكان ينطيرهن كل سبب دالله بن عاص، وكان ينظيرهن كل يوم جمة يلمين أمام الناس ويسمنهم، فأخذ عنهن ؛ وقيل أيضاً في سبب ذلك : أن رجلا فارسيًّا اسمه نشيط قدم المدينة فنني بالفارسية ، فأجب به عبد الله ابن جفر ، فقال له سائب : أنا أصنع لك مثل غناء هذا الفارسي بالمربية ، ثم غدا على عبد الله ، وقد عل خذا في هذه الآييات :

لِن الدَّيَادُ رُسُسومُهَا قَفْرُ لَمِيتُ بِهَا الْأَرُواحُ والقَلْمُ وخلاَ لَمَا مِن بَدْدِ سَاكِنِهَا حِيتِهِ تَصَيَّىٰ ثَمَانٍ أَو عَشْرُ والاَّقَدَالُ عَلَى تَرَائِبِها شَرِقٌ به اللَّباتُ والنَّفْرُ⁽¹⁷⁾

وقيل : إنه أوّل من غنى على السود من أهل للدينة ، وقد أخذ عنه ابن سريج وجميلة ومعبد وعزة للّيلاء وفيرهم .

 ⁽١) التراتب: عظام الصدر، أو ما في الترقوتين أو ما فين الترقوتين والتدبين، أو موضع الفلادة . وهذا المن لازم لما قبله وهو المراد في البيت .

وقد سمع معاوية غناءه مرات : ظما سمعه قدم عليه بالشام عبد الله بن جغر في الحديث الذي سرة بك آنها ، وسمعه ليلة وقد أشرف على منزل ابنه يزيد ، فسيم صوتًا فأعجبه ، ومازال حتى تسب من الوقوف ، فلنما بكرسي وجلس عليه ، فاستم عبية ليلته. فلما أصبح غدا على يزيد ، فقال له : يا بني ! من كان جليسك البارحة ؟ فاول يزيد الكيان ، فقال له : أفسح ، فإنه لم يخف على من أمرك عنيه ، فقال : هوسائب خائرى فقال : آكثر له يابني "من برك وصلتك ، فما رأيت بمجالسته بأساً ، وقدم معاوية للدينة في بعض ما كان يقدم له ، فأمر حاجبه بالإذن لداس فحرج ورجح ، فقال له : ما بالباب أحد ؟ قال معاوية : وأين الناس ؟ قال : عند عبد الله بن جفر ، فتوجه إليه معاوية ، فغام جلس قال : بعض الفرشيين لسائب خائر: مطرف هذا لك إن اندفست تغنى ، فقام بين الساطين ، وغنى .

لنا الجَفَنَات النُرُّ يلمن بالضحى وَأَسْيَافُنَا يَشْطُرُنَ مِن نَجُدَةٍ دَمَا فأصنى إليه معاوية حتى سكت .

وقد قتل سائب يوم الحرّة . وذلك أن جند الشام لما حاصروا للدينة سنة ٣٠ ه فى خلافة يزيد بن معاوية ، وكان أهلها قد خلموا طاعته فأرسسل إليهم جيشاً عدّته اثنا عشر ألقاً وعليه مسلم بن عقبة ، استباحوا للدينة ثلاثة أيام ، وكان فيمن قتل سائب الذي كان جليس يزيد فى ولاية عهده ، ولذلك استرجع يزيد لما قرأ اسمه بين القتلى ، وقال : قبح الله أهل الشام، أو بلغ القتل إلى سائب خاتر وطبقته ؟ .

٣ – عبد الله بن سريج

هو أبو يمهي عبد الله بن سريج من أهل مكة . قيل : كان مولى لبنى نوفل بن عبد مناف ، وقيل يشرك هو وسعيد بن مسمح فى ولاء بنى ليث . قال أبو الفرج الأصبهانى فى صفته : إنه كان آدم الوجه أحر ظاهر اللم سناطاً فى عينيه ، قيل بلغ خسا وثمانين سنة ، ومات فى خلافة هشام بن عبد اللك . وقد أخذ الفناء عَن ابن مسجح ، وكان أوّل مااشتهر بالفناء فى ختان ابن مولاه . قال ابن سريج لأم الفلام : خفضى عليك بمض للفرم والكلفة ، فوالله لألهين نساءك حتى لايدرين ماجئت به .

وكان ابن سريج رجلا عاقلاً أديباً يعاشر الناس بما يشتهون فلا يفنيهم بمـا مدح به أعداؤهم، ولابمـا فيه عارطهم أوغضاضة منهم، وقد بلغ الوليد بن عبد الملك أدبه وظرفه وحلاوة حديثه وجودة اختياره، فكتب إلى عامله بمكن أن يشخصه إليه ، فلما صار إلى. عبلس الوليد بن عبد الملك قال له : هات ما عندك ، فنناه في شعر الأحوص :

ومازال يننيه حتى أشار الوليد إلى الخدم أن غطوه بالخلع فضلوا ، ثم قال الوليد : يامولى بنى نوفل ، لقد أوتيت أمراً جليلاً . قال ابن سريج وأنت يا أمير المؤمنين لقدا تاك الله ملكاً عظهاً ، وشرقاً عالياً ، وعزاً ، بسط يدك فيه فإيقبضه عنك ولايفعل إن شاء الله ، فأدام الله لك ماولاك ، وحفظك فها استرعك ، فإنك أهل لما أحطاك ، ولا ينزعه عنك إذ رآك له موضعاً . فقال له الوليد : وخطيب أيضا . قال : عنك نطقت ، وبلسانك تكفت ، وبعراك بينت .

وكان الوليد قد أسر بإحضار الأحوص ، وعدى بن الرقاع ، فجرت ملاحاة بين عدى ، وأبن سريج ، وعلم بها الوليد فأحضره مجلسه وأرخى دونه ستراً ، ثم أمره إذا فرغ عدى والأحوص أن يندفع فى الفناء ، فلما سمع عدى النناء استأذن فى الكلام ، فقال مثل هذا عند أمير للومنين ، ويبعث إلى ابن سريج يتخلى به رقاب قريش ،

 ⁽١) تشام: أخذ في جهة شماله . والمراد به كونه حالها عن الطريق الحوي " . وقد كني الفرآن عن أهل الحاير بأصاب للبمنة وعن أهل الصر بأهل المشأمة . والمراد أنه يرهب من عاداه ولم يكن من شبيعه .

والعرب من تهامة إلى الشام ترضه أرض ، وتخفضه أخرى ليسمع عناءه . قال : ويحك ياعدى . هذا هو ابن سريج ، فقال : لولا أنه فى مجلس أميرالمؤمنين لقلت طائفة من الجنّ يشنون ، ثم أمره الوليد بالفلهور ، فلما رآه عدى قال : حق لهمذا أن يحمل .

ومن أخباره: أن عطاء بن رباح لقيه بذى طوى ، وعليه ثياب مصبغة ، وبيده جرادة مشدودة الرجل بخيط يطيرها ، ويجذبها كما تخلفت ، فقال له عطاه : يا فتان ، ألا تكفت عما أنت فيه ؟ قال ابن سريج : وما على الناس من تلدين ثيابى ولمبى بجرادتى . قال عطاه : تغنيهم بأغانيك الخبيثة ، فقال له : بحق من اتبحه من أسحاب رسول الله وبحق رسول الله إلا سمحت منى ، فإن أ تكرت أمرتنى بالإمساك عما أنا فيه ، فأقسم بالله و بحق هذه البنية إن أمرتنى بالإمساك لأضلن ، فأطمع ذلك عطاء فى ابن سريم ، وقال له : قل ، فاندفع بيضى بشعر جرير :

ظاسمه مطاء اضطرب اضطراً؟ شديداً ، وداخلته أريحية ، فحلف ألا يُحكم أحداً بتية يومه إلا بهذا الشعر ، وصار إلى مكانه من الحرام ، فكلّ من يأتيه يسأله عن حلال أو حرام أو خبر لا يخبره إلا بأن يضرب إحدى يديه على الأخرى ، وينشد هذا الشعر

حتى صلى المفرب، ولم يعاود ابن سبر يج بعدها ولا تعرَّض له .

وروي أيضاً: أن تُحرِ بن أبي ربيعة حج في عام ومعه ابن سريج ، ظما رموا بالجوات تقدما الحاج إلى كثيب على خسة أميال من مكة مشرف على طريق الدينة ، وطريق الشام ، وطريق العراق ، وهو كثيب شامخ منفرد عن السكتبان ، فصارا إليه وأكلا وشربا ، ثم أخذ ابن سريج العق فنقره ، وجعل ينفي وهما ينظران إلى الحاج ، ظما أحسيا رفع ابن سريج صوته ، وتفنى بشعر ابن أبي ربيعة ، فسمه الركبان ، فجملوا يصيحون به : يا صاحب الصوت ، أما تتق الله قد حبست الناس عن مناسكهم فيسكت

قليلا جتى إذا منوا رفع صوته ، فيقف آخرون إلى أن وقف عليه رجل حسن الهيئة على فرس عتيق حتى وقف بأصل الكثيب ، ثم نادى : يا صاحب الصوت ، أيسهل عليك أن تردّد شيئاً عما سمتُه منك ؟ قتال : نم وتَسْمَة َلاا عين ، فأبها تريد ؟ فاقترح صوتاً غناه ، ثم آخر ، ثم قال له ابن سريج ، هل بقيت لك حاجة ؟ قال تنزل لأخاطبك ، فنزل إليه ، فإذا هو يزيد بن عبد لللك فأعطاه حلته وخاتمه ، وقال : خذه ولا تفدع عنهما ، فإن شراء ها ألف وخميائة دينار ، فعاد بهما ابن سريج وأعطاها ابن أور بيمة ، وقال له : ها بك أشبه ، فموضه عنهما ثاثياته دينار .

ع - مبيد

هو معبد بن وهب من أهالى المدينة . قيل : هو مولى بن قطر ، أو مولى الماص ابن وابصة الخزومي ، أو مولى معاوية بن أبي سفيان .

كان يرعى غناً لمواليه أو يتصرّف لهم فى التجارة ، وكان يخطف مع ذلك إلى نشيط القارسى ، وسائب خاتر حتى حذق الفناء وسمم الألحان ، فأجاد واعترف له بالتقدّم حلى أهل عصره . وحدث عن نفسه قال : صنحت ألحاناً لا يقدر شبعان ممتلىء ، ولا سقاء يحمل قربة على الترمم بها ، ولقد صنحت ألحاناً لا يقدر متكىء أن يترتم بها حتى يقدد مستوفزاً ، ولا القاعد حتى يقوم ، ويحكى عن نفسه : أنه كان يأتى صخرة بالحرة ملقاة بالليل فيستند إليها ، فيسمع صوتا يجرى فى مسامعه فيقوم من النوم فيحكمه . قال : فهذا مبدأ غنائى .

⁽١) تشمّ على أنها سنداً شده تقديره لك ، وتنصب على إضار السل: أى أنسل ذلك إماماً لمينك أى إكراماً ، وفى لفظ « نسسة » لنات عى نعم عين ، ونسمة مين وتمام ونعيم بتصحين وتسام ونسمي بتصحين وتسام ونسمى واسم ونسمة بتصمين ، ونسمة وتسام بكسرهما .

والندى نفهمه فى تعليل ذلك أن رغبته فى الفناء ملكت عليه مشاعره حتى كان يختلس الأوقات للتخرّج على نشيط وسائب ، وكان إذا نام أوهدأ اشتفل عقله الباطن بالفناء ، وتخلت له النغم ، وقوى شعوره بها ، فكأنه يسمعها ، وكأن ملقياً يلقيها عليه .

وقيل له 'كيف تصنع إذا أردت أن تصوغ الغناء ؟ فقال : أرتحل قعودى وأوقع بالقضيب على رحلى ، وأترتم عليه حتى يستوى الصوت .

وقد قدم ابن سريج المدينة فأصموه غناء معبد وهو غلام ، فقال : إن عاش هذا كان مفنى بلاده ، وقد صدق ظن ابن سريج ، فإن معبداً لم يلبث أن اشتهر فى الحبازكله ، ووصلت شهرته إلى الشام ، فاستقدمه الوليد بن يزيد ، وحقد له المجالس ، وتبذل فى محضره تبذلا كبيراً ، وكان نصيبه منه فى القدمة التى قدمها عليه أؤلا خسة عشه أفف دينار .

وفى آخر حياته أصيب بالفالج ، وارتش و بطل ، فكان إذا غنى ضعك الناس منه وهزئوا به ، وقيل : مات فى حسكر الوليد بن يزيد ، فنولى أمر إخراجه إلى المقبرة ، وخرجت سلامة القس (جارية يزيد) ، وأخذت بسود السرير ، وهى تشكر، وقول :

> قَدْ لَمَسْوِى بِثُ لَلْلِي كَأْخِى النَّاء الْرَجِيعِ وَتَجَيُّ الْمُمَّ بِسِنِّى بَاتَأْدَى مِنَ مَنْجِيمِ كُلّمَا أَشِمَرْتُ رَبُّا خَالِياً فَاضَتْ دُمُوعِى قَدْ خَلا مِنْ سِيْدِكا نَ لَنَا غَيْرَ مُضِيعِ لاَ تَلْمُنَا انْ خَشْفاً أَوْ مَمْفاً بِخُشُوعِ

وكان قد علمها هذا الصوت فندبته به ومشى الوليد والنمر أخوه فى جنازته حتى أحرج من دار أخيه .

ومِن أخباره أن الوليد اشتاق إليه، فوجه إليه البريد إلى المدينة فأحضره ، فلما

قدم أمر الوليد ببركة ملئت ماه ورد ، وخلطه بالمسك والزعفران ، وأجلس معبدا ناحية منها و بينه ويين الوليد ستر ، ثم قال غنّ :

لَمْ يَهِي مَلَى فِنْيَةٍ ذَلَّ الزِّمَانُ لَمُمْ فَ أَصَابَهُمْ إِلَّا بِمَا عَاهُ وَا مَا زَالَ يَشُدُو مَكَلِيْمِ رَيْبُ دَهْرِهِمُ حَتَى تَفَاتُواْ وَرَبْبُ النَّهْرِ عَـدًاه أَبْكَى فِرَاقُهُمُ عَيْسِنِي وَأَرْقَهَا إِنَّ التَّقَرُقُ لِلْأَمْبَابِ بَكَاّه فقذف الوليد بنسه في الوركة ، ثم أتى بأثواب غير التي عليه ، وقال : غنني :

يَا رَبِّمُ مَالَكَ لاَ نَجُيبُ مُنَّيًا قَلَ اللهِ عَلَيْهُ وَالرَّا وَسُلَّمًا اللهِ عَلَى مَنْ ذَهْرِهِ مُتَبَّلًا لَهُ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهِ عَلَى اللهُ اللهُ اللهُ اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلَى اللهُ عَلَى اللّهُ عَلْ اللّهُ عَلَى اللّهُ عَلْمُ عَلَّ عَلْمَا عَلَا عَلَّا عَلَى اللّهُ عَلَّا عَلَّا عَلْمَا

عِيتْ لَنَّ رَأْشِي أَلْشُبُ الرَّهُمَ الْمُعِيلاَ وَاقْنَا فِي النَّالِينَ الْمُعِيلاَ وَاقْنَا فِي النَّالِيلاَ اللَّهُ لِلاَ اللَّهُ لِلاَ اللَّهُ لِلاَ اللَّهُ لِلاَ اللَّهُ لِلاَ اللَّهُ اللْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللْمُؤْمِنَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُعْمِلْمُ اللْمُؤْمِنِ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُنْعِمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُعْمِلْمُ اللْمُعْمِلَا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللْمُلْمِلْمُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ

فعمل كذلك ، ثم قال يا معبد ، أكتم عنا ما رأيت ووصله بمــا ذكرنا .

حدث معبد عن نفسه قال : عنيت فأعجنى غنائى ، وأعجب إلناس وذهب لى صيت وذكر ، فقلت لآتين كة ، فلأجمن من المنين بها ولأغنينهم ولأتعرفن إليهم ، فلما صرت فى مجلسهم جملت أعجب بننائهم ، وأظهر لهم ذلك و يسجهم منى حتى أقمنا أيامًا ، فأخذت من غنائهم ولا يدون أصواتًا وأصواتًا وأصواتًا ، ثم قلت لابن صريح : فديتك أسلك على صوتك :

قُلُ لِمِنْدِ وَرِيْبِهَا قَبْلَ شَحْطِ النَّوَى عَدَا

إِنْ تَجُونِي فَقَالَنَا بِثُ لَيْسَلِي مُسَهِلُنَا أَنْتِ فَ وُدَّ بَيْنِيَا خَسَيْرُ مَا عِنْدُنَا بَدَا حِينَ تُدْلِي مُمَنِّرًا كَالِكَ أَلُونِ أَسُورَا

فلما سممه صاح وصاحوا ، ثم قلت له : أمسك على صوت كذا ، ثم صوت كذا ، فلما وأوا ذلك منى صاحوا حتى علت أصواتهم ، وهرفوا بى وقالوا : والله الأنت أحسن بأداء أصواتنا منا ، ثم غنيت لهم من أصواتى ، فوثبوا إلى ، وقالوا : من أنت ؟ قلت : معبد قبلوا رأسى ، وأقت ينهم شهراً آخذ منهم ، ويأخذون منى ، ثم انصرفت إلى المدينة .

وحلث معبد أيضاً قال: بينا أنا يوما فى بعض حمامات الشام إذ دخل رجل له هيئة ومعه غلمان ، واشتغل به صاحب الحمام عن سائر الناس ، فقلت : لأن لم أطلع هذا الرجل على بعض ما عندى لأكونن بمزجر الكلب فترنمت ، فالتفت إلى واحتى بى ، ثم سألنى للفتى إلى منزله ، فأجبته ودعانى إلى الفناء فأجبعت فيه ، وجلت أخرج من حسن إلى أحسن ، وهو لا يرتاح ، ولا يحفل لما يرى منى ، فلما طال عليه أمرى قال : يا غلام شيخنا ، فجاء شيخ ، فأخذ عوداً ، ثم الله هيغنى :

سَـــُــُورْ فِي القِيْرُ وَيْلِي عَلُوهُ جَاءِ القِطْ أَكُلُهُ وَيْلِي عَلُوهُ (الساور: نوع من السمك)

فجل صاحب الداريعةق ويضرب برلجه طربًا وسرورًا ، ثم غناه : وتَرْمِينِي حَبِيبَةُ ۚ اِلدَّرَاقِيْ ۚ وَتَحْسَنُنِي حَبِيبَةُ ۚ لَا أَرَاهَا

(الدراقن : الخوخ بلتة الشام ، فكاد الرجل يخرج من جلده طربًا ، قال معبد ، فانسلات منهم ، ولم يسلموا في ، فما رأيت مثل ذلك اليوم قط غناء أضيع ، ولا شيخا أجهل .

كانت مولاة للأنصار ومسكنها للدينة ، وسميت الميلاء لتمايلها في مشيتها .

وقد كانت من أجل النساء وجها ، وأحسنهن جما ، وكانت عفيفة . قال عنها طويس « هي سيدة من غنى من النساء مع جال بارع وخلق فاصل و إسلام لا يشو به دنس ، تأم بالحير ، وهي من أهله ، وتنهى عن الشر وهي تجانبه ، فناهيك بها الماكان أنبلها وأنبل مجلسها ، إذا جلست جلوساً عامًا ، فكأن الطيرهلي رءوس الناس ، فن تكل أو تموك فتر رأسه » .

ويقول معبد عنها : « كانت من أحسن النساء صوتاً بعود مطبوعة على النناء للا يسيها أداؤه ولا صنعته ولا تأليفه » ، وكانت رائمةُ أستاذتُها في النناء القديم ، ظلا يسيها أداؤه ولا صنعته ولا تأليفه » ، وكانت رائمةُ أستاذتُها في النناء القديم ، ظلا قتن أهل للدينة بالنناء ، وحرّض رجالهم ونساءهم عليه ، وكان عبد الله بن جعفر ، وابن أبي عتيق ، وحر بن أبي ربيعة ينشونها في منزلما فتنتيهم . وقد غنت يوما عرفي بعض أهماره ، فشق ثيابه ، وصاح صيحة عظيمة صعق معها ، فلما أفاق قبل له : لغيرك الجهل يا أبا الخطاب . قال : إني سمت مالم أملك معه قدى وعقلي ، وكان حسان ابن ثابت معجا بها ، وكان يقدمها على سائر قيان للدينة ، وسمعها تعنى في قوله :

أَنْظُوْ خَلِيلِي بِبَابِ جِلِّقَ هَلْ ﴿ ثُوانِسُ دُونَ الْبَلْقَاءِ مِنْ أَحَدِ

 هذا يقم بالمدينة ثلاثة أشهر يتملم فيها الضرب عن عزّة ، ثم يرجع إلى مكة فيقيم بها ثلاثة شلها . ثم يشــخص إلى فارس يتعلم ألحان القرس ، ويأخذ غناهم ثلاثة أشهر أيضًا ، ثم يصيد إلى الشام فيتعلم ألحان الروم . فرّج بعض ذلك بيعضه ، وألّف الأغانى التى صنعها فى أشعار العرب وأتى بما لم يسعم شله .

ومن أخبار عزة : أن النصان بن بشـــير الأنصارى قدم المدينة فى أيام يزيد ابن معاوية ، فقال : والله لقد أخفقت أذناى من الفناء ، فأسمونى ، فقيل له : لو توجت إلى عزة ، فإنها من قد عرفت . قال : لي ورب البيت إنها لممن يزيد النفس طيباً ، والمقل شحداً ، ابشوا إليها عن رسالى ، فإن أبت صرنا إليها ، فاحتلت فصار إليها في خواص أصابه ، فأكرمتهم واعتذرت ، فقبل النصان المذر وغنته :

أَجَــــدٌ بَمَوْرَةً غُنْيَائُهَا فَتَهْجُرَ أَمْ شَأْنُنَا شَأَنُنَا شَأَنُنَا شَأَنُنَا وَمَثَلَمَا وَمَثَلَمَةً اللَّهِ فَرَدَاتُهَا وَمَثَلَمَةً اللَّهِ فَرَدَاتُهَا وَمُثَلِّمًا اللَّمَا النَّسَالُ وَدَاتُهَا

فأشير إليها أنها أمه فسكتت ، فقال : قوالله ما ذكرت إلاكرمًا وطيبًا لا تفنينى سائر اليوم غيره .

قيل : قدم عبد الله بن جغر على معاوية وافداً ، فدخل عليه إنسان ، ثم ذهب إلى معاوية ، فقال : هذا ابن جغر يشرب و يسبع النناء و يحرّك رأسه عليه ، فجاء معاوية متغيراً حتى دخل على عبد الله ، وعرّة الميلاء بين يديه كالشمس الطالمة فى كناء البيت يضىء بها البيت تغنيه على عودها :

تَبَلَتْ فُوَّادُكُ فَ الظَّلَامِ مَرِيدَةٌ تَشْسَنِي الضَّحِيمَ بِبَارِدِ بَسَّامِ وفي يده عس" ، قتال : ما هسذا يا أبا جفر ؟ قال : أقسمت عليك يا أمير المؤمنين الشرين منه فشرب ، فإذا عسل مجدوح بمسك وكافور ، فقال : هذا طيب ، فما هذا البناء ؟ قال : هذا شعر حسان بن ثابت . قال : فهل تغنى بغير هذا ؟ قال : نم بالشعر الذي أتيك به الأعرابي الجافي الأدفر، القبيح النظر ، فيشافهك به فصطيه عليه، وآخذه أنا فاختار عاسنه ورقيق كلامه ، فأصليه جذه ، الحسنة الرجه ، اللينة اللمس ، الطيبة الربح ، فترتله مهسـذا الصوت الحسن . قال : فما محريكك رأسك ؟ قال : أريحية أجدها إذا سمت النناه ، لوسئلت عندها لأعطيت ، ولو لقيت لأبليت . قال معاوية : قبح الله قومًا عرضونى لك ، ثم خرج و بعث إليه بصلة .

A

هذا ما مكتننا منه ممونة العلى القدير من القول فى أبواب منهاج الأدب العربى وتاريخه لطلاب السنة الثانية بكلية اللغة العربية من الجامعة الأزهرية ، وترجو أن يكون النفع بعملنا هذا كفاء الجهد ، والإخلاص فى إظهاره ، بريئاً من تهمة الجود . والعكوف على القديم البالى ، محصناً من مفالاة التجديد الذي يضيع مسه الحق ، وتُطفّ ما مماله .

ولا ندعى لهذا السل كمالاً ، بل إننا نستمين الله أن يمكننا من إعادة النظر فيه فى فراخ من الوقت والبال لتتدارك تقصاً ، وتتجنب سقطاً ، والحمد لله والسلاة على رسوله وآله أوالاً وآخرًا كما

4

ونحن نحمد الله تعالى إذ أجاب دعاءنا ، فتمكنا عند إعادة طبع الكتاب من النظر فيه ، وتكيل نقصه على قدر الاستعلامة ، والله الحمات لأقوم سبيل ، الاستعلامة ، والله الحمات لاقوم سبيل ، الاستعلام ما المستعلق على المستعلم المست

تمّ الجزء الأوّل ، ويليه الجزء الثانى وأوّله العصر العباسى

تنبيــه

على القارئ للكتاب أن يسجل بتصحيح أغلاطه حسب البيان الآتى ليقرأه بعد ذلك وهو مطمئن غير شاك في عبارة من عباراته

صـــوابه	الملا	البطر	الصفحة
عِيَّة	عِيَّة	11	Y
والذكو	والذكر	١٥	14
تقوسهم	تفوسهما	'\Y	44
ثم لم يصل	ثم يصل	*	pp.
الحلقاء	الحقاء	18	**
السامية	السامة	•	££
يتلو	ياو	10	13
پمد	بذ	11	£A
ورغب	و غب	18	e٧
اثنان	ثنان	44	09
التحريك	الحريك	37	٥٩
الناس إليه في	الناس في	•	99
تدابرت	تدابرت	A	٧٠
الفاجر ابن الفاجر	الفاجر بن الفاجر	*	ΥY
· الفاجر ابن الكاف	الفاجرين الكافر		

صـــــوابه	الحليا	السطر	المنفحة
المحمة	المجة	۳	VA.
شُعبة	شَعبة	4	44
إى	أي	٨	٨٦
ويودى	ويُوكى	14	41
أييهم	أريهم	١.	1.5
وذلك بعد وفوده على	وذلك على	17	1.4
الوافى	لوافى	14	1.4
يمد حاو	من حلو	11	1.4
بألأدوية	بألأدوية	1.	114
وزيد بن رفاعة	وزيد ابن رفاعة	18	14+
إما	LÎ	44	177
صهياء	صبهاء	40	144
ئن.	مِنْ	۲	14.
الجوازى	الجوارى	14	121
أروى	أورى	۲٠	104
مبذره	صره	18	104
الراشدين	الرشدين	Y	104
لا يُفتينَ	لا يَفْتِينَ	**	۱۷۰
الحط	الخطر	۲	177
مره مر چممور	: يَعْبُو	4	174

مسسوابه	الحلا	السعار.	الصحفة
الفداة والعشي	الفداة أو العشي	17	144
حيًا	لله الله	*	144
كمب بن مالك	كتب بن مالك	10	١٨٨.
مولی ابن عباس	مولی بن عباس	**	197
وتساموا	وتساوموا	٦	194
أو ليس	وليس	٧	T+1
الشُّد	الشُّد		317
ثهبة	شبهة	**	717.
تجوبة	المجرية	٣	440
أمين	آمين	11	440
سياسة	سياسية	14	778
ابن زیدون	ېن ز يدون	1	444
عنوم	غخزم	W	44.
لانثنى	لم ثننى	*	714
(تبادله)	(تبادلة)	٧٠	70+
ينتظرون	ينتطرون	14	Aoh.
بينها	بينهما	٧	704
شموا	ستموا .	17	444.
ترقيق	ترفيق	1.	444
والنقض	بالتقص	14	444

	مـــــوابه	للمنا	السطر	الصفحة
	أئية	أمية	٧	YAN
	تهاجوا	سهاجوا	14	YAN
	كل	کل*	1	141
	طربتُ وكنتُ	طربت وكنت	٦	3.97
	الذرو من	النوو س	44	747
	وسيندنا	وسيِّدنا	١	ه٠٠
	القرنتى	الفزتنى	44	411
	هو السابق	هذا السابق	٧٠	414
ية	أنهم ذوو الأوا	أنهم ذو الأولية	37	414
	أعمارة	عِمارة	٧	414
	وم : جو پر	وهو : جرير	14	44.
	غيركم	غيرُكم	٧	444
	الذلقاء	الزلقاء	۳	454
	الُورَ آت	الُوازَّ آت	10	737
	تمير	المكيز أ	٤	404
	أمينَ آل	أمين آل	٧	404
	و در و معام	بمقمر	١.	mom
	أى لا يكون	أن لا يكون	**	400
	على الحجب	على الحب	14	707
	آية الشتاء	آية الشقاء	**	401

- 797 -

المسسواب	الخطيسا	السطر
يا بن العاملة	يا ابن الفاعلة	11
جرير الفرزدق،	جرير، والفرزدق	10
بدك	يدل	17
ما يقلم	ما يقوم	۳
يئاة	بنات	. **
وَالدُّكَال	. والدُّلَّال	A
الإناء	الإناء .	
46]	41	18
المِيدُ ا	أجأ	۲

404 474 474 440 ** ** ***

18 174 44.

YAY

1.

غامر

ونهنت رمن

24 النثر في عذا المصر ٣ مقدمة الطبعة الثانية الخطابة في عذا العصر ٤ عصرصدر الإسلام 8.8 المربكين الجاهلية والإسلام ٤٧ نماذج من خطابة هذا العصر ٦٠ بالاغات النساء في هذا العصر ه أثر الإسلام في المقول من كلام عائشة أم للؤمنين ٣ أثره في الحياة الاجتماعية ٦٢ من كلام أم الخير بنت الحريش ٨ أثره في اللغة ١١ القرآن السكريم البارقية . ٦٤ ڪلام أروى بنت الحارث بن تزوله ١٣ جمع القرآن وترتيبه عبد العالب. ٦٥ نهج البلاغة . تحقيق نسبته إلى ١٦ قراءات القرآن على كرّم الله وجه . ١٨ بلاغة القرآن ١٩ حكم القرآن وأمثاله ٦٦ ردّ هذه الشية ٧٧ ألكتابة في هذا المصر ٢٠ الإيجاز في القرآن ٧٥ نماذج من كتابة هذا العصر ٢٢ الكنايات في القرآن ٧٨ عرين الخطاب ٢٤ إعباز القرآن ٣٣ أثر القرآن في اللغة ۸۳ خلافته ٨٨ الأدب في حياة عمر ٣٤ البلاغة النبوية عه الشعر في هذا العصر ٣٨ النبيُّ وقول الشعر ا ١٠٢ أبوذؤيب المذلى ٤٢ وصف بلاغة النبيّ

١٨٠ عناية الخلفاء والأمراء باللغة والأدب ١٠٥ النابغة الجمدي ١٨٢ أمثــلة من عناية الخلفاء والأمراء ١٠٩ مين تن أوس بالأدب واللغة . ۱۱۱ مختار شعره ١١٣ الخنساء ١٩٠ مجامع العلم والأدب ۱۱۸ حسان من ثابت مجامع السلم ١٧٤ رأى النقاد في شعر حسان ١٩٣ مجامع الأدب ۱۳۳ موازنات بين أقوال حسان وغيره ١٩٥ النثر في المصر الأموى من الشعراء ١٩٧ الكتابة في عصريني أمية ١٣٩ الحطيثة ٢٠٠ الخطابة في العصر الأموى ١٤٧ شعره ٢٠٤ أشير الكتاب والخطياء في المصر ١٥٥ المصر الأموي الأموى . ٢٥١ الخلافة وللك ٢٠٥ الحجاج بن يوسف ١٥٩ انتشار اللغة في عصر بني أمية ٢٠٧ عصر الحجاج ١٦٠ قيام اللغة بمقتضيات لللك والسياسة ٢٠٩ الحجاج قبل الولاية ١٦٣ طروء اللحن على اللغة ٢١٠ طبوح الحجاج ١٦٦ أمثلة من اللحن وضعف الملكة ٢١٢ ولاية الحجاج العراق ١٦٩ وضم النحو ٢١٣ خطبة الحجاج بالكوفة ١٧٢ الشكل ٢٢٠ أخلاق الحجاج ١٧٤ الإعجام ٣٢٣ أمثلة من كلام الحجاج ١٧٥ تدوين العلوم ٢٢٤ خطبة دير الجاجم ١٧٧ العلوم للدوّنة في هذا العصر ٢٢٧ الأدب في حياة الحجاج ١٧٩ وصف الكتب للدوَّة في هذا ٢٢٨ عبد الحيد الكاتب المصر

حينة

١٨١ للنح

٢٨٧ المجاء

۲۹۰ عربن أبي ربيعة

نشأة عر

۲۹۲ نوع النزل في شعره

۲۹۶ توبة عمر

۲۹۷ خصائس شعوعو

٣٠٣ طرق من أخباره

. ۳۰۷ وقاة عمر

۳۰۸ جویو

٣١٠ ماجاته فشعراء

٣١٨ شاعرية جرير

۳۲۳ عمره

٣٣٩ الكيت بن زيد

٣٣٣ محنة الكميت

٢٣٤ الكيت في مجلس المغو

٣٣٧ مبلغ التشيع عند الكميت

٣٤١ شعر الكليت

٣٤٥ حكمنا على شعر الكميت

٣٤٦ هاشميات السكميت

٣٤٩ قد الكلام في عصر بني أمية

٣٦١ الرواية والرواة

٣٦٣ مبلغ الراوية من الصدق

14.00

٢٢٨ الوالي في عصر بني أمية

٢٢٩ حياة عبد الحيد

۲۳۱ تعلم عبد الحبيد وعمله

٧٣٧ أثر عبد الحيد فى الكتابة

٢٣٥ آراء الناس في عبد الجيد

٢٣٦ عادج من كلام عبد الحيد الكاتب

رسالة عبد الحيد إلى الكتاب

٢٢٨ رسالة الشطرنج

٢٤٠ صورة تحميد له في كتاب فتح

۲٤١ إخوانياته

٧٤٣ تماذج من خطابة هذا العصر

۲٤٦ خطبة زياد البتراء

٢٤٩ خطبة أبي حمزة الخارجي

٢٥٢ تماذج من كتابة هذا المصر

٢٥٦ صفة الإمام العادل

٢٥٧ الأجوبة وألمحاورات

٢٦٢ أمثلة من المحاورات والأجو بة

٢٦٨ الشعر في العصر الأموي

٢٦٩ العناية بالشعر

٢٧٢ أسلوب الشعر ومعانيه

٢٧٤ أغراض الشعر

٢٧٥ السيب

عيدة حدا الراوية ١٣٩٧ أثر النداء في الشعر ١٣٩٧ أثر النداء في الشعر ١٣٩٩ أثر الندان والمنديات ١٣٩٩ أبو عمرو بن السلاء ١ ــ سعيد بن مسجح ١ ــ سعيد بن مسجح ١٣٩١ النداء في المياهلية والإسلام ١٣٩٧ التجديد في الفتاء ١٣٩٨ التجديد في الفتاء ١٣٩٨ النداء ١٣٩٨ عــ معبد ١٣٩٩ عناية الملقاء بالنداء ١٣٩٩ عالية والواب

[تمت]

